الأسنى

في شرح
أسماء الله الحسنى وصفاته

تأليف
الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد
ابن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)
رحمه الله تعالى

حققه وخرج حديثه وعلق عليه
الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة
الدمشقي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الأسنى

في شرح

أسماء الله الحسنى وصفاته

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - 2005 م

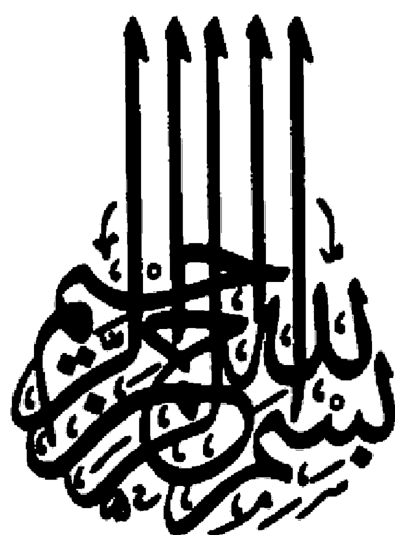
شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ٨٣٥٥ ١١ - تلفاكس ٦٥٥٠١٥ ٠٠٩٦١١
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٧٢٠٣١٧ ٠٠٩٦١٧
E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN 9953- 34-380-2


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اللهم أعن ويسر يا كريم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مُضِلَّ له. ومن يُضلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي، هدي محمَّد ﷺ. وشر الأمور مُحدثاتها. وكُلَّ مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النَّارِ.

وبعد: فقد قدَّر المولى عزَّ وجل أن هداني لكتاب «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته» للمفسر الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب كتاب «الجامع لأحكام القرآن» والذي أعانني المولى سبحانه وتعالى على تحقيقه لأول مرة منذ حوالي عقد ونصف العقد من الزمان. وكان القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ قد أحال القارئ في تفسيره

للأسماء الحسنى على كتابه «الأسنى» خشية الإطالة، والتكرار، دَأْبُهُ في ذلك دأب الصالحين من علماء الإسلام. جزاهم الله عن الإسلام وعن المسلمين كل خير.

ومنذ ذلك الحين وأنا أبحث عن أي أثر يقودني إلى هذا السفر العظيم لعلي أُوفَّقُ أو أهتدي إليه. ومضت السنون إلى أن قمت باختصار كتاب «التذكرة في أحوال الآخرة» للقرطبي، وتجددت الفكرة من جديد، وعاودت البحث في مكتبات العالم إلى أن هداني ربي لبغيتي، وغلبتني الفرحة وأخذتني نشوة النصر والظفر بالمطلوب، فقد طال العهد... وبَعُدَ الزمان... والله وحده يعلم ما بيني وبين الإمام القرطبي. فبعد أن قمت بتحقيق تفسيره، واختصاره وتحقيق «التذكرة» واختصاره، حصل أن تعلق قلبي بهذا الرجل الفذ، وبعلمه الغزير. ورحت أبحث عن مكنونات علمه ونفائس كتبه إلى أن وقع «الأسنى» بين يدي وأيدي الناس أجمعين. فلله الحمد والشكر على ما أعطى وهدى.

أرجو الله تعالى أن يتقبله مني عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون زاد يوم تشخص فيه القلوب والأبصار. إنه هو السميع العليم.

كما أشكر جميع الأخوة الذين ساهموا في إخراج الكتاب بحلته تلك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

الشيخ عرفان - بيروت

[illegible] في ذلك فبعضهم اقتصر على التسعة والتسعين
التي خرجها الترمذي وبعضهم زاد عليها واختلفوا في ذلك [illegible]
فرأيت ان اكتب في ذلك كتابا اذكر فيه بعض ما اختلفوا فيه
[illegible] اجمعوا عليه وابين ذلك من اقوال العلماء [illegible] والسنة
العليا [illegible] من العبد [illegible] واضيف كل [illegible]
الى قائله فانه يقال من بركة العلم ان يضاف القول الى قائله
وسميته الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى وصفاته
[illegible]
[illegible]
الفصل [illegible] قال الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فانزل الله تعالى [illegible]
[illegible] الفصل الثاني لم يذكر الله تعالى
[illegible] في كتابه عددا معينا [illegible] قال رسول
[illegible] الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما [illegible]
[illegible]

اللوحة الأولى من المخطوط

وسلم مثله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من احد يدخله عمله الجنة فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا
انا الا ان يتغمدني الله برحمته ومن رحمتك لنفسك ان تطلب النجاة من
النار والفوز بالجنة بتقوى الله وحفظ حدوده والعمل بما يرضاه

اللوحة الأخيرة من المخطوط

عقائد نعيم

3021



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أعن ويسر يا كريم

مقدمة الإمام القرطبي[1]

الحمد لله الذي هدانا لمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العُلى. فبها نُرشد وبها يُستضاء لنا طريق معرفة اللّه تعالى. فله الحمدُ والمنّة أن تمم نوره، وأكمل دينه، وختم برسول اللّه ﷺ رسالاته.

أما بعد فقد جاء في التنزيل ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً مَائةً إلاَّ وَاحداً، من أحْصَاهَا دَخَلَ الجنّةَ» وقد تناولها العلماء بالشرح وتبيان معانيها، واشتقاقها، وعددها.

(1) تمّ استدراك ما نقص من المخطوط ـ ما بين حاصرتين ـ استكمالاً للفائدة ـ المحقق.

... واختلفت مناحيهم في ذلك فبعضهم اقتصر على التسعة والتسعين التي خرّجها الترمذي، وبعضهم زاد عليها، واختلفوا في ذلك الزائد، فرأيتُ أن أكتب في ذلك كتاباً أذكر فيه بعض ما اختلفوا فيه، وما أجمعوا عليه، وأبيّن ذلك بأقوال العلماء؛ واللغة الزهراء، والسُّنَّة العلياء، وما يلزم العبد من التعبد بتلك الأسماء، وأضفتُ كل قول إلى قائله فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وسميته بالكتاب الأسنى في شرح أسماء اللّه الحسنى وصفاته العلى، نفع اللّه به وجعله خالصاً لوجهه بمنه وكرمه، وقبل الخوض في ذلك نذكر ما يتعلق بها من الأحكام في أربعين فصلاً.

الفصل الأول

قال اللّه العظيم: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] الآية، ومعناه: الأمر بإخلاص العبادة لله، ومجانبة المشركين والملحدين، قال مقاتل وغيره من المفسرين: نَزَلَتْ في رجل من المُسلمين كان يقول في دعائه، يا رحمن يا رحيم، فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل اللّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180].

الفصل الثاني

لم يذكر اللّه تعالى لأسمائه في كتابه عدداً مسمى، [لكن جاء في] حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما[1].

وذكر الفقيه أبو بكر بن بَرَّجَان[2]: أن تمام المائة من الأسماء، هو اسمه المزيد. وهو الاسم المحجُوب المَكْنونُ. وقيل: إن الاسم الذي نَقُصَ من المائة، هو الذي ينزلُ بالرحمة

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (7627) والبخاري (2736) ومسلم (2677) والترمذي (3506) وابن ماجه (3860) وابن حبان (807) والبغوي في «شرح السنة» (1256) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص4).

(2) ترجم له السيوطي في «بغية الوعاة» (ص 306)؛ واسمه عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي بن برجان اللخمي. صاحب كتاب «شرح معاني أسماء اللّه الحسنى» وما زال=

إلى الأرض فنقصت الرحمة أيضاً من المائة، لأن لله مائة رحمة على ما يأتي، فإذا أراد الله فساد هذه الهيئة الدنيوية وخلو الأرض من الرحمة، ارتفع الاسم إلى مكانه العلي، فارتفعت الرحمة إلى مكانها القدسي. ذكره الترمذي الحكيم أبو عبد الله في «نوادر الأصول» له وسيأتي الكلام في تعين الكلام.

الفصل الثالث

قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ: لما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] والدعاء بها قبل معرفتها بأعيانها محال، وتحضيض الشرع على إحصائها، وأمره بالدعاء بها، وهو لم يُبيِّنها و لم يُحْصِها من تكليف ما لا يطاق، و لم يرد به الشرع. فوجب تطلبها، والوقوف عليها، حتى ندعو بها. [فإن قيل]: فقد حضّ الشارع على قيام ليلة القدر، وأمرنا بالمحافظة على الصلاة الوسطى، وأخبرنا أن في الليل ساعة يستجاب فيها الدعاء، وكذلك في يوم الجمعة و لم يعين شيئاً من ذلك.

فإنا نقول: قد جاءت أخبارٌ صحاحٌ تدل على أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وكذلك الصلاة الوسطى والساعة التي في يوم الجمعة في أخبار ثابتة خرّجها أهل الصحيح، وأما الساعة التي في الليل فتكون وقت السَحَرِ على ما دلّ عليه حديث التنزيل وغيره، والأسماء الحسنى أيضاً إن صح تعيينها في الحديث، لزم اتباعه، وإن لم يصح، لزم من أراد تعيينها إحصاء ما ورد في الكتاب والسُّنّة منها ليكون على يقين من إحصائها للدعاء بها.

الفصل الرابع

قوله ﷺ: «من أحصاها» فيه لغتان، الأولى: أحصأها، مهموزة اللام، ومعناها: عَلَّمَ غيره بها مستوفاة كاملة.

الثانية: أحصاها، غير مهموز.

=مخطوطاً في المتحف البريطاني تحت الرقم (12). وقد قام بتلخيصه عبد القادر بن إبراهيم المقدسي ـ المتوفى سنة (934هـ). مخطوط بمكتبة برلين تحت الرقم (2221). وتوفي أبو بكر بن برجان في المغرب سنة (536هـ).

واختلف العلماء في معنى أحصاها، فقيل: عدّها وحفظها، فتارة يحصيها بالبحث والتفتيش عنها فيكون ثوابه على هذا الإحصاء الجنة لما انبعث منه من الاجتهاد في البحث عنها. وتارة يكون إحصاؤها حفظها بعد أن وجدها محصاة قد أحصاها غيره، فيكون ثوابه على حفظها الجنة، وعلى هذا ورد في بعض طرق الحديث الصحيح «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» وفي بعضها «مَنْ حَفِظَهَا».

قال الأقليشي ـ رحمه الله تعالى ـ فتأمل هذا ما أحسنه، طوراً يكون إحصاؤها بالبحث والنظر من القرآن والأثر، وطوراً يكون إحصاؤها حفظها، فلعله ـ عليه السلام ـ أولاً أطلق قوله «من أحصاها دخل الجنة»، ووكل العلماء إلى إحصائها بالبحث والنظر، ثم أشفق على أمته ويسّر لهم الأمر فأحصاها لهم وأخرجها محصاة وقال: من حفظها دخل الجنة.

وقيل: إحصاؤها الفهم لها والعلم بها. وقيل: إحصاؤها أن ينزل كل اسم منها منزلته من غير تفريط المرجئة في أسماء الرجاء، ولا إفراط الخوارج[1] في الأسماء المتضمنة للوعيد والتهديد. وقيل: الإيمان بها والتعظيم لها. وقيل: التحلي بها والرعي لها والعمل بها. وهذه الأقوال كلها قريبة المعاني إلا الأول والثاني. وكلها وعد يختص بالمؤمن بلا إشكال، وأن المطلوب من معرفته التعبد بها والائتمام بما تقتضيه على سنن العبودية والتبرؤ من شاكلة الربوبية. وفي هذا مستروح إلى أن المراد بالإحصاء أمر يزيد على العد والحفظ. وهو الصحيح والله أعلم.

الفصل الخامس

كل من تكلم على الأسماء الحسنى فرغبته بالإحصاء الدخول تحت الوعد الكريم

---

(1) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت جماعة المسلمين عليه، يُسمى خارجياً، سواء أكان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان.

والمرجئة صنف آخر تكلموا في الإيمان والعمل، إلا أنهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة. «الملل والنحل» (1-114).

في الفضل الكبير[1]. قال أبو الحسن ابن الحصّار[2]: وأظنُّ أني قد رأيتُ في بعض التواليف أن فرقة ذهبت إلى أن وعد دخول الجنة مقصور على هذه الغاية فلا يدخلها بزعمهم إلا من أحصى جميع أسماء اللّه الحسنى. وهذا إفراط وجهل. وقائل هذه المقالة يُكَفِّرُ كثيراً ممن ينتمي إلى العلم والعلماء فضلاً عن عوام المسلمين. وفي «الموطأ» عن رسول اللّه ﷺ: **«لا يشهد أحد أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه فيدخل النار أو تطعَمه النار»**[3].

وخرّج البخاري ومسلم حديث أنس وفيه من قول رسول اللّه ﷺ: **«ما من عبد يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرّمه اللّه على النار»**[4].

---

(1) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «من أحصاها دخل الجنة».

(2) هو القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد. توفي سنة (422هـ).

(3) الحديث بطوله رواه الإمام مالك في «موطئه» في قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة برقم (415). ورواه أحمد (12384) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (1105)، بإسناد صحيح على شرط مسلم، من طريق ثابت عن أنس بن مالك: أن عِتْبانَ اشتكى عينَه، فبَعَثَ إلى رسولِ اللّه ﷺ، فَذَكَرَ له ما أصابَه، وقال: يا رسولَ اللّه، تعالَ صَلِّ في بيتي حتى أتخِذَه مُصَلّى. قال: فجاءَ رسولُ اللّه ﷺ، ومَن شاء اللّه من أصحابه، فقامَ رسولُ اللّه ﷺ يُصَلّي وأصحابُه يَتَحَدَّثُونَ بينهم، فجعَلُوا يَذْكُرونَ ما يَلْقَوْنَ من المُنافِقينَ، فأسْنَدُوا عُظْمَ ذلك إلى مالكِ بن دُخَيْشِم، فانصرفَ رسولُ اللّه ﷺ وقال: «أليسَ يَشْهَدُ أنْ لا إله إلا اللّه، وأنّي رسولُ اللّه؟» فقال قائلٌ: بَلَى، وما هو من قلبه. فقال رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إله إلا اللّه، وأنّي رسولُ اللّه، فلَنْ تَطعَمَهُ النارُ» أو قال: «لَنْ يَدْخُلَ النّارَ» لفظ أحمد.

ومالك بن الدُّخَيشم: أنصاريٌّ أوسيٌّ، قال أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب» (352/3-353): شهد العقبةَ في قول ابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي، ولم يشهدها في قول أبي معشر وداود بن الحُصين، ولم يختلفوا أنه شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وهو الذي أسَرَ يومَ بدرٍ سُهيلَ بنَ عمرو، وكان يُتّهم بالنفاق ولا يصحُّ عنه النفاقُ، وقد ظَهَرَ من حُسْنِ إسلامه ما يمنع من اتهامه. واللّه أعلم.

(4) الحديث رواه الإمام أحمد (22738) ومسلم (29) والترمذي (2638) والنسائي في «الكبرى» (20967).. وابن حبان (202) وابن منده (46) وأبو عوانة (15/1)، ومن حديث عبادة بن=

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة. وليس كل من نطق بالشهادتين قد أحصى جميع أسماء الله الحسنى.

فإن قيل: إذا كان دخول الجنة والنجاة من النار قد يُنال بالنطق بالشهادتين وبالعمل اليسير فما وجه هذا الوعد الكريم الذي عُلّق على هذا الأمر العظيم، وهو قد يُنال بأيسر منه؟ فلقائل أن يقول في الجواب: لله سبحانه أن يُكرم بجنته من يشاء ابتداء، ويعطي الجزيل على العمل القليل، وله أن يجزي على الغاية القصوى والعمل الأدنى. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قال ابن الحصار: والذي أقول به إن هذه غاية ما ينتهي إليه علم العلماء من معرفة الله تعالى، وليس وراء ذلك مرمىً. لأن أسماء الله سبحانه تدل على أوصافه العُلى، فمراده ـ عليه السلام ـ أن يُعرِّفنا أن من أحصى هذه الأسماء فقد بلغ الغاية المطلوبة من المكلفين، وأنه يستوجب من الله الفوز بعليين، ولم يبق عليه في علمه بالله وتصديقه وإيمانه مطلب يحول بينه وبين الجنة.

الفصل السادس

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ـ: أسماء الله تعالى ضربان؛ اسم يختص به تعالى لا يشاركه فيه غيره، كقولنا: الله، الرحمن، ومَليك، وغفّار، وصَمَد، ومُتَعال، وسُبُّوح، وقُدُّوس، وإله، ومعبود، وسَلاَم.

واسم لا يختص به هو، بل يجوز أن يُسمى به غيره، كقولنا: عالم، وقادر، وحيّ، ومُتكلم، وسَميع، وبَصير، ومُدرك، وآمر، وناهٍ، ومخيّر، وموجود، وشيء، وباق. خلافاً لأبي العباس الفاسي، والقائلين بسلب الأوصاف، حيث قالوا: لا يجوز أن يسمَّى الله ويوصف بما يسمى به ويوصف أحد من خلقه.

وقال جماعة من العلماء: أسماء الله تعالى على أربعة أضرب: أسماء فاعل ـ كخالق، ورازق، ومُحيي، ومُميت، وباعِث، ووارِث، وأليمُ الأخذِ، وسريعُ الحسابِ، وكل ما دلّ من الأسماء على ذات وفعل.

=الصامت رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار**». لفظ مسلم.

ورواية المصنف رحمه الله من حديث أنس أوردها النووي في «شرح صحيح مسلم» (65/2).

وأسماء تدل على ذات وصفة. ذات لم تَزَلْ من الأزل متصفة بها، و لم تفارق الذات ولا تفارقها: كحيّ، ودائم، ورحيم، ورحمن، وقادر، ومُريد، وسميع، وبصير، ومتكلم، وكريم، وبرّ، وحَليم، وقَدير، وقاهر.

وأسماء تدل على ذاتٍ ومعنى سواه، ليس المفهوم والمراد بالإخبار عنه بما سواه؛ كشيء، وموجود، وقديم، ومذكور، ومعبود. فقولك: شيء. يدل على ذات ليس كمثله شيء، وكذلك موجود وقديم ومذكور، وكذلك قولك: الله، لا يشعر إلا بالذات إذا كان غير مُشتق، وكذلك: الحق، إذا أريد به واجب الوجود، وكذلك قولك موجود وشيء، وما يضاهي هذه، على ما يأتي بيانه.

وأسماء تدل على سلب شيء عنه[1] ـ كالقدوس والسلام. وهذه الأقسام الأربعة لازمة منحصرة دائرة بين النفي والإثبات فاعتبرها تجدها كذلك.

---

(1) «الصفات السلبية»: هي التي دلّت على سَلْب ما لا يليق به سبحانه. أي تسلب من الذهن أضدادها، كالقدم والبقاء، والقيام بالنفس، والمخالفة للحوادث، والوحدانية، والقدوس، والسلام، وهي غير منحصرة على الصحيح، ويذكرها الربُّ سبحانه تمدُّحاً لنفسه، وإعلاماً لعباده، وترغيباً في الإعظام والإجلال.

قال العز بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم أنَّ معرفة الذَّات والصفات مُثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة. ومعرفةُ كُلِّ صفةٍ من الصِّفات تُثمرُ حالاً عَليَّةً، وأقوالاً سَنِيَّةً، وأفعالاً رضيَّةً، ومراتبَ دُنيويَّةً، ودرجات أُخرويَّةً.

فَمَثَل معرفة الذات والصِّفات كشجرةٍ طيبة، أصلها ـ وهو معرفة الذات ـ ثابت بالحجة والبرهان. وفرعها ـ وهو معرفة الصفات ـ في السماء مجداً وشرفاً ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ من الأحوال والأقوال والأعمال ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 24-25] وهو خالقها إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه وتوفيقه. منبت هذه الشجرة القلب الذي إن صَلُح بالمعرفة والأحوال صَلُح الجسد كله. أما في الحال: فبالأقوال والأعمال. وأما في المآل: فبنعيم الجنان، ورضوان ذي الجلال. وإذا فسد بالغيِّ والضلال فسد الجسد كله. أما في العاجل: فبالمعاصي والإهمال، وأما في الآجل فبعذاب النار وغضب الجبار. من فقد فرعاً من فروع هذه الشجرة فَقَدَ ثمراتِه في الحال والمآل. فطوبى لمن غرس هذه الشجرة بالنظر، وتعهدها بالتقوى وحرسها بالاستقامة، ونفى عنها شعث المخالفة، وصانها من رياح الهوى، وخاف عليها من صواعق الشك، وبوائق الشرك، وجوائح سوء الخاتمة ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].-

الفصل السابع

لا مدخل للقياس في أسماء اللّه تعالى على هذا جمهور العلماء على ما نذكره.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي[1]: واختلف العلماء في أسماء اللّه تعالى على ثلاثة أقوال: ـ **أحدها**: أنها أسماؤه كلها التي فيها معنى التعظيم والإكبار.

الثاني: أنها الأسماء التي دلت عليها أدلة الوحدانية، وهي سبع: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. تقول: الحيُّ العالم القادر المُرِيد السميع البصير المتكلم. قال: وكل اسم لله تعالى فإلى هذه الأصول يرجع.

الثالث: أنها التسع والتسعون. قال: وهو الصحيح عندي.

قلت: فعلى القول الأول يجوز أن يطلق على ـ اللّه ـ اسم يقتضي التعظيم والمدح، إذا لم يتعلق به شبهة ولا اشتراك وإن لم يرد منصوصاً. نصَّ على جواز هذا ابن الباقلاني، واختاره ابن العربي على ما يأتي. ونصَّ أبو الحسن الأشعري على المنع من

=ولهذه الشجرة ثلاثة فروع، لكل فرع منها شعب وأغصان:

الفرع الأول: معرفة الصفات السالبة لكل عيب ونقصان؛ وهي متشعبة باعتبار مسلوباتها إلى شعب كثيرة، كسلب السِّنَةِ والنوم والظلم والعدوان.

الفرع الثاني: معرفة صفات الذات؛ وشُعَبُها سبعة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع والبصر، والكلام.

الفرع الثالث: معرفة الصفات الفعلية، وشُعَبها باعتبار أنواع الأفعال كثيرة: كالضُّر، والنَّفع، والغَفْرِ، والسَّتْرِ، والإنعام، والإفضال، والإعزاز، والإذلال.

وتثمر معرفة كل شعبة من هذه الشعب لما يناسبها من الأحوال، ولما يلائمها من الأقوال والأعمال. فعارف الجمال محب، وعارف الجلال هائب، وعارف سعة الرحمة راغب، وعارف شدة النقمة راهب، وعارف التوحُّد بالأفعال مُفَوِّض، وعارف العظمة فانٍ عن الأكوان.

فالمعرفة أصلٌ لكل خير، ومصدر لكل بِرٍّ، ومَصْرِفٌ لكل شر؛ مع شرفها بنفسها ومتعلقها وثمرها وأجرها.

وأفضل الأحوال ما نشأ عن أشرف المعارف. وأشرف المعارف ما تعلق باللّه وحده، بحيث لا يشاركه غيره «شجرة المعارف» (ص 64-66) مختصراً.

(1) في «أحكام القرآن» (2-339).

ذلك، والفقهاء والجمهور على المنع، وهو الصواب. قال ابن فورك: واعلم أن أسماء اللّه تعالى وصفاته عندنا مأخوذة نصاً وتوقيفاً لا يجوز أن تتعدى إلى ما لا يرد به نص. وقال أبو الحسن القابسي: أسماء اللّه تعالى وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف، والتوقيف كتاب اللّه وسُنّة رسوله، واتفاق أمته، وليس للقياس في ذلك مدخل، وما أجمعت عليه الأمة فإنهم عن سمع علموه من بيان رسول اللّه ﷺ.

وقال أبو جعفر النحاس في كتاب (علم أسماء اللّه تعالى): فإنما يلزم العبد الاستسلام ولا يعرف ملك مقرب ولا نبي مرسل تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب. ولا تدرى بالعقول والمقاييس منتهى صفات الخالق تعالى فيلزم المسلم أن يتثبت معرفة الصفات بالاتباع والتسليم كما جاء. قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء الأدباء، لا من لا يجترئ على ما لا يلوح له، وسمعه من جاهل.

قال: فيحتاج أهل المعرفة إلى الوقوف على أسماء اللّه تعالى ومعرفة معانيها فإن أهل الأهواء ربما طعنوا على أهل السُّنّة، ونسبوهم إلى التشبيه إذا وقفوا بين الأسماء، وليس الأمر كذلك، لأن الشيئين لا يشتبهان لاشتباه أسمائهما في اللفظ، وإنما يشتبهان بأنفسهما، أو بمعان مشتبهة فيهما، ولو كان الأمر كما قالوا، لاشتبهت الأشياء كلها؛ لأنه يقع على كل واحد منهما شيء.

وقال أبو القاسم الأنصاري في كتاب «المقنع» له على «شرح الإرشاد»: ولا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به في الشرع، ولكن ما يقتضي العمل من الأخبار وإن لم توجب العمل فهو كافٍ، غير أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ولا يجوز التمسك بها في تسمية الرب تعالى. وقد غلا بعض الأصحاب فشرط كون الخبر الدال على الإطلاق مقطوعاً به. قال: لأن هذا من باب الاعتقاد والمطلوب منها العلم دون العمل، فلا يقبل فيها أخبار الآحاد، ولا يقبل فيها إلا نص الكتاب العزيز، أو سُنّة متواترة أو إجماع.

والصحيح قبول أخبار الآحاد فيها، لأن ما يخص الاعتقاد لا يجوز تحصيله من الأخبار المتواترة ولا الآحاد، وسبيل هذه الحادثة كسبيل جملة الحكم فيقبل فيها أخبار

الآحاد كما يقبل في سائر ما تعبدنا، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] فتعبدنا بإحصائها وذكرها والدعاء بها، وذلك من باب العمل دون العلم في عبادة يثاب عليها فاعلمها.

وقال ابن فورك: وزعم مخالفونا أن أسماء الله تعالى يجوز أن تؤخذ من جهة القياس إذا صح معناه في اللغة، حتى قالوا: يجوز أن يقال لله سبحانه إنه يستطيع بمعنى أنه قادر، ويجوز أن يقال إنه دار بمعنى أنه عالم.

وزعمت المجسمة أن البارئ سبحانه يُسمى جسماً على معنى أنه شيء، أو على معنى أنه قائم بنفسه. تعالى الله على تسميتهم وقولهم.

الفصل الثامن

واختلفوا هل أسماء الله تعالى محصورة في التسعة والتسعين أم لا؟

فذهب قوم منهم علي بن حزم[1] إلى أن أسماء الله تعالى محصورة في التسعة والتسعين إذ لو كان له غيرها لم يكن لتخصيص هذا العدد معنى قالوا: والشريعة

---

(1) هو الإمام أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد الفارسيّ الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيديّ مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي المعروف بيزيد الخير.

مولده ونشأته وسيرته ووفاته:

ولد ابن حزم بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة. ونشأ في تنعّم ورفاهية، ورُزق ذكاء مفرطاً وذهناً سيّالاً. وكان والده من كبراء أهل قرطبة، عمل الوزارة في الدولة العامرية؛ وكذلك وزر أبو محمد في شبيبته. وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر والمنطق والفلسفة، ثم اتجه إلى التعمق في الفقه؛ فتفقّه أولاً للشافعي، ثم أدّاه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليّه وخفيّه والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال، وصنّف في ذلك كتباً كثيرة وناظر عليه. وقد بسط لسانه وقلمه في جماعة من الأئمة العلماء، فكان أن امتُحن في ذلك، فشُرّد عن وطنه، وجرت له أمورٌ، وقام عليه جماعة من المالكية. وجرت بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات ومنافرات، ونفّروا منه ملوك الناحية؛ فأقصته الدولة، وأُحرقت مجلدات من كتبه، وتحوّل إلى بادية لَبْلَة فأقام في قرية-

[متكاملة] والحكمة فيها بالغة. وذهب آخرون وهم الأكثر إلى أنه يجوز أن تكون له أسماء زائدة عليها، إذ لا يجوز أن تتناهى أسماؤه؛ لأن مدائحه وفواضله غير متناهية كما قال في كلماته: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 27]، وقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: 109].

=له. وقال أبو الخطاب بن دحية: كان ابن حزن قد برص من أكل اللُّبان، وأصابه زمانة، وعاش ثنتين وسبعين سنة غير شهر.

وقال صاعد الأندلسي: ونقلتُ من خطّ ابنه أبي رافع أن أباه توفي عشية الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ستّ وخمسين وأربعمئة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهراً، رحمه الله.

أقوال العلماء فيه:

قال الإمام الذهبي: كان ينهض بعلوم جمّة، ويُجيد النقل، ويُحسن النظم والنثر؛ وفيه دينٌ وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مكبّاً على العلم.

وقال أبو عبد الله الحميدي (صاحب جذوة المقتبس): كان ابن حزم حافظاً للحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنّة، متفنناً في علوم جمّة، عاملاً بعلمه؛ ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتديّن، كان له في الأدب والشعر نفسٌ واسع وباعٌ طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديه أسرع منه.

وقال أبو حامد الغزالي: وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً ألّفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدلّ على عظم حفظه وسيلان ذهنه.

وقال أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة، مع توسّعه في علم اللسان ووفور حظّه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار.

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (184/18-212) ومعجم الأدباء (235/12) وتاريخ الحكماء (ص232، 233) والصلة (415/2 ــ 417) وجذوة المقتبس (ص308 ــ311) وبغية الملتمس (ص415-418) والذخيرة (المجلد الأول، القسم الأول: ص167 - 175) والمطرب (ص 92)، والمعجب (ص32-35) والمغرب (354/1 - 357) ووفيات الأعيان (325/3 - 330) وتذكرة الحفاظ (1146/3-1155) والعبر للذهبي (239/3).... وغيرها من كتب التراجم.

قالوا: ومعنى ما أخبرنا بها النبي ﷺ من التسعة والتسعين أسماء إنما هو معنى المشرع لها في الدعاء بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] وغيرها من الأسماء لم يشرع لنا الدعاء بها، هذا قول الشيخ أبي الحسن، والقاضي ابن الطيب، وجماعة من أهل العلم منهم الخطابي وغيره، وهو الصحيح لقوله - عليه السلام - في حديث الشفاعة «**فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله**»[1] أخرجه مسلم وغيره.

وروى أبو بكر قال: علمني رسول الله ﷺ هذا الدعاء قال: «**قل اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وبإبراهيم خليلك وبموسى نجيك وبعيسى روحك وكلمتك وبتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد، وكل وحي أوحيته، وقضاء قضيته، وأسألك بكل اسم هو لك أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في غيبك، وأسألك باسمك المطهر الطاهر، الأحد الصمد الوتر، وبعظمتك وكبريائك، وبنور وجهك أن ترزقني القرآن والعلم وأن تخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري، وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله**»[2].

وخرّج البيهقي وغيره عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أصاب مسلماً قطّ همٌّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي في يدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان همه فرجاً**».

---

(1) جزء من حديث الشفاعة الطويل الذي رواه الإمام أحمد (12154) والبخاري (44) ومسلم (193) والترمذي (2593) وابن ماجه (4312) والطيالسي (1966) وابن حبان (6464) وأبو يعلى (2889) وغيرهم، كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي قوله ﷺ: «... فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميدٍ يُعلمنيه..» الحديث لفظ مسلم.

(2) لم أجد له أصل.

قالوا: يا رسول اللّه ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: «**بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها**» وفي رواية بعد قوله: «**وجلاء حزني**» قال رسول اللّه ﷺ: «**ما قالهن مؤمن قط إلا أذهب اللّه همه وأبدله مكان همه فرجاً**». قالوا: يا رسول اللّه أفلا نتعلمهن؟ قال: «**بلى فتعلموهن وعلموهن**»[1].

قال البيهقي: واستشهد بعض أصحابنا في ذلك بحديث عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي اللّه عنها أنها قالت: يا رسول اللّه، علمني اسم اللّه الذي إذا دعي به أجاب. قال لها: «**قومي فتوضئي وادخلي المسجد وصلّي ركعتين ثم ادعي حتى أسمع**» ففعلت فلما جلست للدعاء قال النبي ﷺ: «**اللّهم وفقها**» فقالت: اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم أعلم، وأسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر الذي من دعاك به أجبته ومن سألك به أعطيته». قال: يقول النبي ﷺ: «**أصبته أصبته**» خرجه من حديث صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي عن عائشة[2].

واحتجوا أيضاً بقوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» وحملوه على قضية واحدة لا قضيتين وتكون تمام الفائدة في خبر «إن» في قوله: «من أحصاها» لا في قوله: «تسعة وتسعين» وهو كقول القائل: إن لزيد ألف درهم أعدّها للصدقة. وقوله: إن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه.

وهذا لا يدل على أن ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب وإنما دلالته أن الذي أعدّه من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب.

---

(1) الحديث بطوله أخرجه الإمام أحمد (3712) و(4318) والحاكم (1877) وأبو يعلى (5297) وابن أبي شيبة (10/253) وابن حبان (972) والشاشي (282) والطبراني في «الكبير» (10352) والبزار (3122) وغيرهم، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/17130) وعزاه لأحمد وأبي يعلى والطبراني والبزار ـ إلا أنه قال ـ «وذهاب غمي» مكان «همي»، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان.

(2) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص 18)، وفي إسناده أكثر من مقال!.

أجاب الأولون فقالوا: هي محمولة على قضيتين:

إحداهما: «إن لله تسعة وتسعين اسماً».

والثانية: إن «من أحصاها دخل الجنة».

حتى لو اقتصر على ذكر القضية الأولى لكان الكلام تاماً. قالوا: والذي استأثر الله به في علم الغيب منها هو العلم بحقائقها مما لا سبيل لمخلوق لمعرفته على النحو الذي علمه الحق سبحانه، وقد يخص بعض خلقه بعلم ما منها كما قال: أو علمته أحداً من خلقك. وقد قيل: إن اسم الله الأعظم في هذه التسعة والتسعين، ولكنه فيها مبهم، يخص بعلمه من يشاء من أصفيائه وأوليائه.

وقد قيل: إن اسم الله الأعظم خارج عن هذه التسعة والتسعين.

ومن قال: إن الأسماء تزيد على تسعة وتسعين قال: إنما خصت هذه التسعة والتسعون بالذكر؛ لأنها المفهومة عند الجماهير، وما وراءها لا يفهمه إلا الأنبياء والأولياء ووراءها أسماء استأثر الله بعلمها وحده لم يطلع عليها خلقه.

وقيل: إن هذه التسعة والتسعين هي الأسماء الجامعة لمعاني الربوبية كلها، وما ظهر من آثار القدرة في الموجودات علوها وسفلها، وكل اسم وراءها فيرجع معناه إليها فإذا أحصيت هذه دخلت المزيدة في علمها.

فلذلك اقتصر على ذكرها وكان ما زاد عليها تبعاً لها. والله أعلم.

الفصل التاسع

وفي كتاب «الإيجاز» للشيخ أبي الحسن الأشعري: وكل اسم لا يجوز أن يسمّى به البارئ تعالى فلا يجوز أن يدعى به، كالمتمني، والمشتهي، والحازم والفطن، والذكي، والدري. لأن الفطنة والذكاء هو سرعة الفهم وإدراك الشيء ولا يقال لرجل لقد فطن إلا وهو غير عالم ثم علم، وذلك لا يصح في حق الله تعالى.

وما يجوز أن يسمّى به البارئ تعالى ضربان:

ضرب يجوز أن يدعى به، وضرب لا يجوز، فأما ما لا يجوز أن يدعى به كقولنا: ساحر ومستهزئ وماكر وباغض ومبغض وساخط وغضبان ومنتقم، وعدو ومعدم، ومهلك وممن، وما جرى مجراه.

وما يجوز أن يدعى به فهي ما ورد به، وهو تسعة وتسعون اسماً، وبقوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة».

الفصل العاشر

قال جماعة من العلماء: ولا يجوز أن يشتق لله تعالى من شر ما خلق اسم ولا صفة، ولا من قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب 43] مصلٍ، ولا يوصف أيضاً بأنه صائم لكونه لا يطعم، ولا شاءٍ من شاء، والبارئ تعالى وإن كان قد اتفق جميع الأمة على وصفه بأنه قد شاء ويشاء، فلم يرد في كلامه ولا كلامهم شاءٍ، استغنوا عنه بقولنا: مريد، وكل وصف واسم ورد بتعلق الإرادة. وكذلك لم يصفوه بأنه قاصد، وإن كانت الإرادة هي القصد، كما لم يصفوه بأنه عارف، وبأنه ذاكر، استغنوا عنه بأنه عالم.

ولا يشتق له من الحركة التي يحدثها في المتحركين محرِّك، ولا من الجراح التي يقدرها جارح، ولا يوصف بأنه شجاع، ولا فصيح ولا خطيب، ولا بليغ ولا حاذق ولا فقيه، ولا يوصف بالغيظ، ويوصف بالغضب وفي التنزيل ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: 55] أي أغضبونا. وفي حديث الشفاعة: «**إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله**»[1] ولا يوصف بالجرأة، ولا بأنه صالح، ويوصف بأنه كامل، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه ويقال: «الله خير من كذا»، لقوله تعالى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59]. ولا يجوز أن يقال: شفيق؛ لأن الشفقة الحذر والخوف. ولا يسمّى بموقن، لأن الموقن من علم بعد الارتياب، ولا يسمّى بفهم؛ لأن الفهم السريع التعلم، ولا يجوز أن يقال: عزم الله على كذا؛ لأن العزم هو القطع على الشيء بعد الروية.

---

(1) قطعة من حديث الشفاعة الطويل الذي رواه الإمام أحمد (9629) والبخاري (3340) ومسلم (194) والترمذي (1837) وابن ماجه (3307) وابن حبان (6465) وابن منده (879).. وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله...» الحديث لفظ مسلم.

وجملة القول أنه لا يجوز أن يسمّى الله تعالى ويوصف إلا بما سمّى به نفسه لخلقه ووصف، أو سمّاه به رسوله ووصف، أو أجمع المسلمون عليه، فإذا صح الاسم أو الصفة من طريق السمع فالواجب علينا الانقياد والتسليم له، وكان له من ذلك ما يليق بجلاله.

قال ابن الحصار: الأفعال المضافة إلى الله تعالى في القرآن على ثلاثة أضرب: فضرب لا يجوز أن يشتق لله تعالى منه اسم باتفاق مثل: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 30] ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17] وأمثال ذلك، فلا يقال له الماكر ولا الرامي كما لا يقال له القاتل.

قلت: ما ذكره من الاتفاق غير صحيح، لما ذكرناه عن الشيخ أبي الحسن، والقاضي، أنه يجوز أن يشتق منه اسم باتفاق مثل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62] ومثل قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: 26] وقد ورد بهما، وأمثالهما الخبر الصحيح، فهو المجيب، والقابض والباسط. والضرب الثالث فيه احتمال.

وقد ذكر الفقيه أبو بكر بن العربي في أسمائه: المستطيع، وقال: لم يرد به قرآن ولا سُنّة وقد ورد فعلاً، وذكر قول الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: 112] وذكر من الأسماء التي لم ترد في الأخبار عدّه مثل: ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف: 8] و﴿خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء 89] «ورابع ثلاثة» و«سادس خمسة»[1] والطبيب والمعلم وأمثال ذلك، واقتدى في ذلك بابن بَرَّجان، إذ ذكر في الأسماء النظيف وغير ذلك مما لم يرد في كتاب ولا سُنّة.

قلت: أما ما ذكره من قوله: ما لم يرد في كتاب ولا سنة فقد جاء في الكتاب: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: 40] وقال: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: 23] فهو الوارث سبحانه وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: 48] وقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: 113] وقال:

---

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7].

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف: 65] وقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] فهو المعلم بالحقيقة سبحانه.

وورد في دعاء عبد المطلب في الاستسقاء بحضرة النبي ﷺ وهو غلام ماقع الفهم ساد الخلة، وكاشف الكرب، أنت معلم غير معلم[1]، وجاء في صحيح مسلم: الطيب[2]، وخرّج الترمذي: النظيف[3]، وقد جاء الدعاء ببعض هذه الأسماء، روى ابن

---

(1) هكذا جاء في الأصل.

(2) روى الإمام أحمد (8356) ومسلم (1015) والترمذي (2989) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! إنَّ الله طيبٌ لا يقبلُ إلاَّ طيباً. وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر. أشعث أغبر. يمدُّ يديه إلى السماء. يا ربِّ! يا ربِّ! ومطعمهُ حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسهُ حرامٌ، وغُذِيَ بالحرام. فأنّى يستجاب لذلك؟». لفظ مسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في «شرح صحيح مسلم» (338/4) بتحقيقنا.

قوله ﷺ: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) قال القاضي: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب الزكاة، والطهارة والسلامة من الخبث، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومعاني الأحكام، وقد جمعت منها أربعين حديثاً في جزء، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره.

قوله: (ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا ب) إلى آخره، معناه والله أعلم أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج، وزيارة مستحبة، وصلة رحم وغير ذلك.

قوله ﷺ: (وغذي بالحرام) هو بضم الغين وتخفيف الذال المكسورة.

قوله ﷺ: (فأنى يستجاب لذلك) أي من أين يستجاب لمن هذه صفته وكيف يستجاب له.

(3) روى الترمذي في الأدب (2799) باب (41) ما جاء في النظافة، من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الله طَيِّبٌ يحب الطَّيِّبَ، نظيفٌ يحب النظافة،=

ماجه في «سننه» عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**ربّ أعنّي ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ وامكر لي ولا تمكر عليّ اهدني ويسّر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، ربّ اجعلني لك شكّاراً لك ذكّاراً لك رهّاباً لك مطيعاً لك مخبتاً، إليك أوّاهاً منيباً رب تقبّل توبتي واغسل حوبتي وأجبْ دعوتي واهدِ قلبي وسدّد لساني وثبّت حجتي واسلُلْ سخيمة قلبي**»[1] خرجه الترمذي بمعناه وقال: حديث حسن صحيح.

فعلى هذا جائز أن يقال: يا خير الماكرين امكر لي ولا تمكر عليّ، كما يقال: يا خير الناصرين انصرني ولا تنصر عليّ. والله أعلم. وسيأتي بيانه آخر الأسماء عند اسمه المبرم إن شاء الله.

=كريم يحب الكرم، جوادٌ يحبُ الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود». قال الترمذي: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس، يُضعّف.

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (1997) والبخاري في «الأدب المفرد» (664-665) وأبو داود (1510) والترمذي (3551) وابن ماجه (3830) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (607) والبغوي في «شرح السنة» (1375) وابن حبان (947) والحاكم (1/519) وغيرهم، وإسناده صحيح.

قال في «بذل المجهود» (7-365-366): قال الطيبي: المكر: الخداع، وهو من الله تعالى إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقوله: «ولا تمكر عليّ» أي: ولا تمكر لأعدائي، وقوله: «إليك مخبتاً» من الخبت: وهو المطمئن من الأرض قال الله تعالى: ﴿**وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ**﴾ [هود: 23] أي: اطمأنوا إلى ذكره أو سكنت نفوسهم إلى أمره، وقال سبحانه: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الحج: 34-35] أي: خافت، والمخبت: هو الواقف بين الخوف والرجاء، وقيل: خاشعاً من الإخبات: وهو الخشوع والتواضع. والأواه: كثير التأوه والبكاء، أي: اجعلني حزيناً متوجعاً على التفريط، ومنه قوله تعالى: ﴿**لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ [التوبة: 114] والحوبة: الزلة والخطيئة، وقوله: «واسلل سخيمة قلبي» أي: غله وحقده وحسده ونحوها مما ينشأ من الصدر ويسكن في القلب من مساوئ الأخلاق، وسلها: إخراجها، وتنقية القلب منها، من: سل السيف: إذا أخرجه من الغمد.

الفصل الحادي عشر

قد يرد اسمان وأكثر على معنى واحد، فمنع من أحدهما، و لم يمنع من الآخر، كالجواد والسخيّ، والعاقل والعالم، قال النقاش: لا ينبغي أن تقول: يا سخي؛ لأنه لم يصف نفسه بهذا اللفظ، وتقول: يا جواد يا رحيم، وتقول: يا رفيق ولا تقول: يا رقيق، وكذلك تقول: يا قوي ولا تقول يا جلد، وتقول: يا جميل ولا تقول: يا مليح.

قال الأقليشي[1]: وقد نفى بعض العلماء أن يوصف اللّه تعالى بأنه سخيّ، واحتج في المنع من ذلك بأن السخاء مشتق من السخاوية وهي الأرض اللينة التراب، وسمي الإنسان سخياً كريماً بذلك، لأنه يلين عند الحاجات إذا طلبت منه، فلما لم يجز وصف اللّه تعالى باللين، لم يجز أن يوصف بما كان في معناه.

قال الأقليشي: وهذا الذي قاله لا يلزم، لأن السخيّ وإن كان اشتقاقه ما ذكر فيه فقد صار وصفاً لكل جواد كريم، فكما يوصف اللّه تعالى بأنه جواد وكريم، كذلك يوصف بأنه سخي إذا ورد [في النصوص الشرعية] ولا ينظر إلى أصل الاشتقاق، كما لم ينظر إلى ذلك في «الصابر» وما أشبه ذلك من الأسماء.

وقال ابن العربي: وقد جرى بين شيخ السُنّة أبي الحسن رضي اللّه عنه وبين الجبائي[2] في ذلك كلام، وذلك أن الجبائي قال: أصف الباريء بأنه جواد ولا أصفه بأنه

(1) هو أحمد بن قاسم بن عيسى الأقليشي الأندلسي وكنيته: أبو العباس. من علماء القراءات (ت ـ 410)هـ.

(2) الجبائي: علم من أعلام المعتزلة. وإليه تنسب الطائفة الجُبائية. واسمه محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجُبائي، نسبةً إلى جُبّى من بلاد خوزستان قريباً من البصرة والأهواز، وكان رأساً في علم الكلام، ومن معتزلة البصرة، وهو شيخهم، وابن عبد السلام شيخهم من بعده. وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد اللّه الشحّام البصري. وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة. وقيل: إنه خالف أبا الهذيل في تسع عشرة مسألة. وتوفي الجُبائي الكبير سنة 303هـ (ابن خلكان). وقيل: إن له نحواً من أربعين ألف ورقة في الكلام. وتفسيره في مائة جزء (الملطي). وعنه أخذ شيخ أهل السُنّة والجماعة أبو الحسن الأشعري. وكان فقيهاً ورعاً زاهداً، و لم يتفق لأحد ـ من إذعان سائر طبقات المعتزلة له، والإقرار له بالتقدّم والرياسة ـ كما اتفق له. وكان رغم حداثة سنة معروفاً بقوة الجدل.ـ

سخي، قال له الشيخ أبو الحسن: لم كان ذلك؟ قال: لأنه مأخوذ من قولهم: أرض سخاوية إذا كانت سهلة لينة. قال: فقلت له: ولا تقل أيضاً إنه جواد؛ لأنه مأخوذ من قولهم: فرس جواد، إذا كان واسع الخطو.

وكذلك قال الجبائي: إن الباريء لا يوصف بأنه موقن، لأن اليقين علم يزول به الشك، وعلم الله تعالى لا يزيل به شكاً. فقال له الشيخ: فلا تقل أيضاً إنه عالم؛ لأن العالم هو الذي يجوز أن يشك فيما علم بزوال علمه، أو يكون علمه بعد شك، ولا يمكن الفصل بين الأمرين إلا بما يرفع القول فيه عليه. وهذا يدل على أن أسماءه وصفاته إنما أخذت توقيفاً ووحياً [لا اجتهاداً ولا تقوّلاً وعلى وجه الخصوص ممن] لا يحسن ذلك لعجمة لسانه فيدعوه بما يعظمه في لغته لضرورة العجز وهذا إجماع.

وقال الأنصاري[1] في كتاب «المقنع» له: والعلة في ذلك فقد الإذن ولو كان للإفهام كما قال المخالف لمنع من العالم كما منع من العاقل؛ لأن اشتقاق العالم من

=والجبائية أثبتوا إرادة حادثة لا في محل، يكون الباريء تعالى موصوفاً بها، ومريداً بها، وفناءً لا في محل إذا أراد أن يفني العالم، والله تعالى مشارك لهذين الوصفين في أخص صفاتهما، وهو كونه لا في محل.

وقالوا: الله تعالى متكلم بكلام يخلقه في محل. وحقيقة الكلام عبارة عن أصوات مقطَّعة وحروف منظومة. والمتكلم من فَعَل الكلام لا من قام به.

وحكموا أن الله تعالى لا يُرى في الآخرة بالأبصار، وبأن العبد خالق لفعله من الخير والشر، وبإثبات المنزلة بين المنزلتين، وبأن أصحابها يخلدون في النار إذا لم يكونوا قد تابوا.

ونفت الجبائية كرامات الأولياء وقالوا: إنه يجب على الله اللطف والأصلح، وأن يُكمل عقول الخلق، ويهيىء أسباب التكلّف إذا كلّفهم. وقالوا: إن الأنبياء معصومون. وهذا مما اتفقوا عليه والبهشمية أصحاب ابن الجبائي.

واختلف الجبائية والبهشمية في مسائل، وقيل: إن ابنه خالفه في تسع وعشرين مسألة، فمما قال الجبائي مثلاً: معنى كونه سميعاً بصيراً أنه لا آفة به. وخالفه ابنه وسائر أصحابه فقالوا: كونه سميعاً حالة، وكونه بصيراً حالة، وكونه بصيراً حالة سوى كونه عالماً، لاختلاف القضيتين، والمفهومين، والمتعلقين، والأثرين. وقال أصحابه: معناه كونه مدركاً للمبصرات، ومدركاً للمسموعات.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري من فقهاء المالكية. توفي سنة (549)هـ.

معالم الطريق، ومن أعلم الشفقة، ولمنع من الحليم؛ لأنه من المنعم كالعقل، ويمنع من الرحمن الرحيم، لأنه من الرأفة. وكذلك من اللطيف لهذا المعنى، لأنه من اللطافة التي هي ضد الكثافة، ويمنع من كل اسم يذم في غيره، كالجبار، والمتكبر. وأوجب إطلاق الرحمن في غير الإله سبحانه.

فإن قيل: إذا كانت العلة فقد الإذن، فلم قلتم في ذات اللّه وصفاته إنها قديمة وليس فيها توقيف؟

قلنا: قد ورد التوقيف بِالقِدَمِ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ [الحديد: 3] وسيأتي. ثم الإجماع حجة في ذلك.

فإن قالوا: معمر بن المثنى من المعتزلة يخالف في هذا.

قلنا: هو محجوج بالإجماع السابق، على أنه لم يقصد مخالفة الإجماع غير أنه توهم أنه بمعنى العتيق، وقد ثَبتَ أنَّ اللّه سبحانه واجب الوجود أولاً وأبداً.

فإن قيل: أليس يحسن من أهل الألسن المختلفة كالترك والهند وسائر العجم أن يسموا اللّه تعالى بأسماء مختلفة على ما يعتقدونه تعظيماً، وإن لم يكن في ذلك إذن من الكتاب والسُّنَّة.

قلنا: فيها إجماع الأمة، ورضا صاحب الشرع، وهو أقوى أنواع التوقيف.

فإن قيل: أوضحوا لنا ما ثبت عندكم فيه إجماع وما لم يثبت.

قلنا: أما الأسماء التي ورد السمع بها، فلا حاجة إلى عدها، والذي يضبطه أن كل لفظ مخيل موهم مفضٍ بظاهره إلى ما يتقدس الرب عنه، فلا يجوز إطلاقه إلا بثبت شرعي مُجمع عليه، وكل ما صح معناه من الألفاظ، فإن ورد الشرع بالمنع فيه منعناه، وإن لم يرد الشرع فيه بإذن ولا منع توقفنا فيه.

الفصل الثاني عشر

قال الشيخ أبو الحسن: لا يجوز أن يسمّى اللّه تعالى: دليلاً. ولا يُدعى به، خلافاً للقدرية.

ودليلنا أن الدليل ليس باسم الدال على الحقيقة، وإنما هو مصدر من دلّ يدلّ دلالة ودليلاً فهو دال. والفاعل مِنْ دلّ لا يكون دليلاً، كما لا يكون دلالة، بل الفاعل

منه دال. فإذا ثبت هـذا وعلم أن الدليل والدلالة واحد يجب أن تكون هي المحجة والطريق، والبارئ تعالى لا يجوز أن يكون محجة وطريقاً، وكل معنى لا يصح معناه في القديم ولم يرد الشرع به، فإنه لا يجوز أن يسمّى البارئ بإجماع.

فإن قالوا: قد أطلقت الأمة في وصف البارئ تعالى يا دليل المتحيرين.

قلنا: هذا من كلام [المتسولين الذين يطلبون] السؤال في الطرقات فإما أن يكون قد ورد الشرع به، واتفقت الأمة عليه. فلا.

قلت: ذكر الأقليشي في كتابه المسمى: «بالأنباء في حقائق الصفات والأسماء» في حرف الألف عند ذكر اسمه «اللّه» فائدة علمية في حكم من عرف اللّه: أن يكون قلبه قائماً في عين الشهود، وأن تكون الحيرة عنده ألَذّ من السكون، وكما كان الشبلي يقول: يا دليل المتحيرين زدني تحيراً، طلب الزيادة في هذا المقام؛ لأنه كلما تغلغل فيه لاحت له من واجب الوجود معانيه، تلاشى الوجود كله عنده، وكان مقصده اللّه وحده عند ذلك تحيرت نفسه في القدر الذي فاض على عقله من ربه وخضعت جوارحه التي هي جنود قلبه، ونطق لسانه مطابقاً لمشاهدة جنانه فقال: اللّه اللّه، لا يزيد عليه، وقد يزيد على قلبه فيض أنوار البركة فيتعطل لسانه عن الحركة فلا عقل ولا حس[1].

الفصل الثالث عشر

قال الشيخ أبو الحسن: ولا يجوز أن يسمّى اللّه تعالى: إيماناً. خلافاً للحشوية والسالمية؛ لأن الإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً، واسم الفاعل منه مؤمن، والإيمان التصديق، والتصديق لا يكون إلا كلاماً، ولا يجوز أن يكون البارئ تعالى كلاماً، وإنما وصف نفسه أنه مؤمن مهيمن، ولم يصف نفسه بأنه إيمان، ولا رسوله، ولا الأمة.

فإن قالوا: إن ابن مجاهد قال: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله، وهو يتصور فيمن آمن وعمل أعمال الخير وأطاع اللّه ثم كفر بعد ذلك، فأما مَنْ لم يؤمن فليس له عمل يحبط.

---

(1) وهذا من كلام غُلاة الصوفية. عصمنا اللّه تعالى من ذلك.

الفصل الرابع عشر

قال الأنصاري في كتاب «المقنع» له: ولا يجوز أن يوصف الباري تعالى بأنه مطيع ولا محبل للنساء خلافاً للجبائي حيث قال: يجوز ذلك.

لأن المطيع هو المنقاد المتواضع وذلك مستحيل في وصفه تعالى باتفاق الأمة.

وأما «المُحْبِلُ» فقد اتفق المسلمون على إكفار النصارى في قولهم: إن اللّه تعالى أحْبَلَ مريم ابنة عمران، فكيف من قال إنه أحبل نساء العالمين، فإن ذلك زيادة فيما قالته النصارى من الكفر.

الفصل الخامس عشر

قال الأنصاري: وكل ما دخل في عموم الكتاب والسُّنَّة من أسماء اللّه تعالى كقوله جل وعز: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام 101] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة 29] لا يجوز إفراده من مسميات مخصوصة حيث لم يرد به الإذن فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والمردة والشياطين، ويا رازق الكفرة وأعداء المسلمين، ويا خالق الشهوة للزناة وطغيان الغاوين، وإن دخل تحت عموم قوله ﷺ: «**القدر خيره وشره من اللّه**»[1]، وإنما لم يجز لعدم الإذن.

الفصل السادس عشر

قلت: ولا يجوز أن يوصف اللّه تعالى بأنه عاشق، خلافاً لبعض غلاة المتصوفة وجهالهم الذين يذكرون ذلك في سماعهم، ويضربون عند ذلك الأرض بأقدامهم، ضلّ سعيهم، وخاب عملهم.

فإن قالوا: إنما أجزنا ذلك قياساً على الحب.

قلنا: ليس للقياس في ذلك مدخل، وإنما فيه الإذن كما ذكرنا وأما لفظ ع ش ق فإطلاقه على اللّه تعالى محال، ولا قائل به إلا من اتبع هواه وخالف ما أمره به مولاه،

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (184) ومسلم (8) وأبو داود (4695) والترمذي (2610) وغيرهم من حديث عمر رضي اللّه عنه، من حديث جبريل عليه السلام. وفيه قوله ﷺ: «فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن باللّه، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت...». الحديث لفظ مسلم.

ومن قال بالقياس فإنما يطلق ما يتضمن الإكبار والتعظيم والترفيع والتبجيل، وليس من لفظ ع ش ق ذلك، وإنما هو لفظ يستعمله أهل الفسق والمجون، فكيف يحل سماع يطلق فيه على اللّه ما لا يحل، ولا يجوز.

وأيضاً من جهة المعنى فإن العشق هو إفراد الحب، وذلك على اللّه محال، ولا اعتبار بما وقع في الرسالة القشيرية في باب الذكر: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الرحمن بن عبد اللّه الدنياوي يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: مكتوب في بعض الكتب التي أنزل اللّه، إذا كان الغالب على عبدي ذكري، عشقني وعشقته. لما ذكرناه وإن صح فيحمل على معنى أحبني وأحببته؛ لأن اللّه سبحانه يوصف بالمحبة، ولا يوصف بالعشق.

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي[1] في «سراج المريدين» له: وللصوفية في إطلاق العشق على اللّه تجاوز عظيم، واعتداء كبير، ولولا إطلاقه للمحبة ما أطلقناها، فكيف أن يتعدى إلى سواها من ألفاظ المجّان؟ وليس له أصل في الشريعة.

الفصل السابع عشر

قلت: ولا يجوز أن يطلق على اللّه تعالى لفظ يقتضي التأنيث، وجهال الصوفية يطلقون لفظ ليلى وسعدى، وإطلاقه على اللّه محال، إذ فيه تشبيه بالكفرة الضلال في إطلاقهم لفظ التأنيث على آلهتهم فقال: ﴿اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم 19-20].

لا يقال: فقد أطلق لفظ الذات وهو مؤنث.

فإنا نقول: لا يطلق في حق اللّه تعالى إلا ما أذن فيه أو رسوله أو أمته، ولفظ الذات مختلف فيه فمنهم من أطلقه، ومنهم من منعه، والأكثر على منعه، فذكر الإمام أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب البغدادي في أجوبته للمسائل

---

(1) القاضي أبو بكر بن العربي هو محمد بن عبد اللّه بن محمد المعافري الأشبيلي من حفاظ الحديث وعلوم الدين صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب توفي سنة 543هـ. انظر الأعلام للزركلي 230/6.

الإسكندرانية: اعلم أن هذه اللفظة لم تطلق على الباريء جل وعز كما أطلقها أهل الصناعة الموسومة بالكلام، ولا ورد بها نص يجيز ذلك، ولا جاءت في كلام العرب على المعنى الذي قصده المتكلمون.

وقد أنكر ذلك أبو القاسم عبد الواحد بن علي المعروف بابن برهان الأسدي النحوي[1]، وكان من الراسخين في صناعة الكلام، الموغلين فيها، وممن يعد علماً من أعلامها، وإماماً من أئمتها وقال: إن قول المتكلمين الذات وهم يعنون اللّه تعالى جهل منهم؟ لأن اللّه تعالى وهو أعلم العالمين يقال له علاّم، ولا يقال له علاّمة، وإن كان علاّمة أبلغ من علاّم، لما في علاّمة من تاء التأنيث تعالى عن ذلك.

قلت: وحكي أن أبا علي الفارسي سئل هل يجوز إدخال هذه الهاء في صفات اللّه عز وجل؟ فمنع منها واحتج بأن الهاء من خصائص المؤنث التي ذم اللّه عز وجل من نسبها إليه في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً﴾ [النساء: 117] فلهذا لم يجز إدخال الهاء في صفاته تنزيهاً له عما ينطلق على صفة المؤنث.

فإن قيل: فقد ورد لفظ الذات في قول خُبيب وغيره.

قيل له: المعنى المراد بذلك في إطلاقهم الذات طاعة اللّه تبارك وتعالى عن أن يسمّى باسم تأنيث أو بمعناه، وقد قال اللّه تعالى مخبراً عن الكفار: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾ [الزخرف: 19] الآية. فأنكر عليهم كما ترى تسميتهم الملائكة إناثاً، وهم مخلوقون تشريفاً لهم وتنزيهاً، إذ كان التأنيث صفة نقص.

فكيف يجوز ذلك على الخالق الحق سبحانه؟

فبطل أن يكون اسماً للباريء تعالى أو وصفاً.

قلت: ثم العجب إذا قيل لجهة الصوفية في زماننا ما معنى ليلى وسعدى؟ قالوا ولم يستحيوا: هو الذي إذا بدا أوجدني وإذا بدا بجلاله أفناني، فالمعنى صحيح وإطلاقهم ليلى وسعدى قبيح قاتلهم اللّه أنى يؤفكون سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

---

(1) هو عبد الواحد بن علي بن برهان (ت 456 هـ) صاحب كتاب «الاختيار في الفقه».

وقال ابن العربي: ولفظ ذات لم يرد في القرآن ولا في صحيح السُّنَّة على لسان النبي ﷺ وإنما ورد في شعر خُبيب حين أسره أهل مكة، فلما أخرجوه للقتل قال:

وذلــك في ذات الإلــــه وإن يشــأ   يبـارك على أوصـــال شــلو ممــزع

وفي قول النابغة:

محلتهـم ذات الإلـه ودينهــم قويــم   فمـــا يرجـــون غـــير العواقـــب

والمعنى في قول خُبيب: وذلك في الخصلة المختصة بالإله، وهي طاعته، والمعنى في قول النابغة إن رويناه محلتهم بالحاء المهملة المنزل المختص بالإله وهو بيت المقدس وأرض الأردن، وإن رويناه مجلتهم بالجيم فيعني به كتابهم المنزل من عند اللّه المختص به، وهي الحكم والمواعظ الزاجرة عن الفواحش والمنكرات.

الفصل الثامن عشر

كل ملموس في الوجود ومشموم ومطعوم فيتصف الخالق سبحانه بأحكام إدراكها عند محققي الأشعرية إذ هو خالقها ومدركها، بصفات له ذاتية، كما يدرك المبصرات والمسموعات ببصره وسمعه اللذين هما صفتان له.

وكما لا يرجع عندهم البصر والسمع إلى نفس العلم، كذلك الصفات التي تدرك بها المشمومات والمطعومات والملموسات. وخالفوا الفلاسفة والمعتزلة وطوائف أخر في هذا، ثم منعت الأشعرية، وجميع الطائفة السنية أن يقال إن اللّه ذائق، أو شامّ، أو لامس، لمنع الشرع من ذلك، ومن المتكلمين من علل منع الشرع من ذلك بوجهين:

أحدهما: أن الشم والذوق واللمس لا يقع من مدركها إلا من مباشرة المدرك، واللّه مقدس عن مباشرة شيء.

والوجه الثاني: أنه لا يقال للمبصر والسامع أبصر وسمع إلا وقد أدرك المبصر والمسموع. وقد يقال شمّ وذاق ولمس وإن لم يحصل له إدراك فيقال: شم المسك و لم يجد ريحه، وذاق الطعام و لم يجد طعمه، ولمس الثوب و لم يجد لينه.

قال علماؤنا ـ رحمة اللّه عليهم ـ اللّه سبحانه مدرك لسائر المدركات، لا يخفى عليه شيء في الأرض والسماوات من الحرارة والبرودات، والرطوبة والخشونة والليونات

وغير ذلك من الموجودات من غير ملامسة ولا مداناة إذ هو خالقها ومنشئها، وننزهه عن النقائص والآفات، وكيف يدرك ذلك المخلوق الضعيف العاجز ولا يدركه خالقه وخالق الأرض؟

والباري تعالى مدرك للمدركات بأتم إدراك، فلذلك يوصف بأنه مدرك للروائح والطعوم، والخشن واللين، ولا يقال شامّ ولا ذائق ولا لامس لما في هذا الوصف من إيهام النقصان.

قال الأقليشي: وهذا التعليل الثاني على طرد أصولهم أسعد من التعليل الأول؛ إذ المسموع والمبصر لا يكونان إلا في مقابلة من السامع والباصر في اطراد العادة وكما تقدس الباري تعالى أن يكون بينه وبين مسموع ومبصر مقابلة كذلك تقدس أن يكون بينه وبين مشموم ومطعوم وملموس مباشرة ولكن منع الشرع من وصف اللّه بأنه ذائق ولامس للإمكان الذي يتطرق للشامّ والذائق واللامس من عدم الإدراك.

الفصل التاسع عشر

قد قدمنا في هذه الفصول أن ذكرنا ما يجوز أن يسمى اللّه سبحانه ويوصف، وما لا يجوز مفصلاً. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ما كان من الأسماء يقتضي التعالي والتقديس، ولم يرد به خبر فأكثرهم على أنه لا يجوز أن يسمى به، ومنهم من قال يجوز. وهو الصحيح.

قال أبو الحسن بن الحصار: تجويزه هذا حمله على إدخاله عدة من الأسماء لم يرد بها قرآن ولا سُنّة في جملة أسماء اللّه تعالى، وفي كلامه عن العلماء هذا نظر، ولكلامه تأويل، والذي يجب أن يعتمد عليه أن العلماء مجمعون على أنه لا يجوز أن يسمى الخالق غيره ولا أن يناديه بغير ما أذن فيه. ولكن الخلاف في جواز إطلاقات تجري في درج الكلام من الداعي المشرع وتنزل على مقصوده من غير أن يقصد تسمية خالقه سبحانه، ولا أن يضعها سمة له، ومن ذلك قول رسول اللّه ﷺ: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**»[1].

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (6311) ومسلم (1342) وأبو داود (2599) والترمذي (2447) والنسائي في «الكبرى» (10382).. والدارمي (2673) وابن حبان (2695) وابن -

وقوله عليه السلام: «**أنت عضدي بك أحاول**»[1] وأشباه ذلك مما قد جرى على لسان المصطفى ﷺ في حالة تدل على مراده من إبداء افتقاره في كل حالة وابتهاله وتضرعه وليس مقصوده ذكر أسماء اللّه الحسنى ولا أن يجعل هذا سمة له، ومن هذا القبيل عندي ما يجري في القرآن من درج الآيات وتبيين البينات كقوله: ﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: 54، الأنفال: 30] وقوله: ﴿**خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**﴾ [المؤمنون: 29] وقوله: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾ [المجادلة: 7] الآية وأمثال ذلك للتبيين للعالمين. وقد ذكر الفقيه أبو بكر بن العربي كل ما جاء من هذه الأوصاف في القرآن والسنة في أسماء اللّه الحسنى. ويلزمه أن يذكر فيها العضد والخليفة والصاحب والدهر وسائر ما ورد، ولا أعلم أحداً يجوز مثل هذا ولا يعده في عدة الأسماء. وهذا عندي من أعجب العجب مع معرفته بلسان العرب وما نسب للقاضي أبي بكر بن الطيب رضي اللّه عنه من هذا ليس على وجه التسمية ولكن على نحو ما قدمته، وهو عندي جائز للعالم دون غيره فإن من ليس بعالم قد يجري على خالقه أوصافاً لا يحل وصفه بها، وهو لا يعلم.

والدليل على أن ما جرى على لسان رسول اللّه ﷺ من هذا القبيل أنه ليس من الأسماء الحسنى إجماعهم على أنه لا يجوز أن يقال لله تعالى يا خليفة ويا عضد ويا

=خزيمة (2542) وعبد الرزاق (9232) من طريق أبي الزبير؛ أن علياً الأزدي أخبره؛ أن ابن عمر علمهم؛ أن رسول اللّه ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبَّر ثلاثاً، ثم قال: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾ [الزخرف: 13-14]. **اللهم! إنّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى. ومن العمل ما ترضى. اللهم! هون علينا سفرنا هذا. واطو عنّا بعده. اللهم! أنت الصاحب في السفر. والخليفة في الأهل. اللهم! إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في المال والأهل**».

وإذا رجع قالهن. وزاد فيهنَّ: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**». لفظ مسلم.

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (12909) وأبو داود (2632) والترمذي (3584) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (604) وغيرهم، بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث أنس رضي اللّه عنه، قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا غزا قال: «**اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحاول، وبك أصول، وبك أقاتل**» لفظ أبي داود.

صاحب، وبمثل ذلك نرد على من أدخل في الأسماء الحسنى يا خير الماكرين ويا خير المنزلين، ويا رابع ثلاثة، ويا خامس ستة، ولا ينبغي أن يتعدى ما في الكتاب والسنة وأجمع عليه العلماء.

قال ابن الحصار[1]: وقد كان شيخنا رحمه الله كثيراً ما ينكر على العامة يا هو يا هو ويا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ويا سامع الأصوات، وما أشبه ذلك، وما قدمته يرشدك إلى التحقيق وبالله التوفيق.

قلت: فيما قاله نظر، وفي التنزيل: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 115] وقال نوح: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: 29] فهو المنزل سبحانه. وفي الحديث: «**امكر لي ولا تمكر عليّ**» وقد تقدم[2]. وقد ذكر غير واحد من العلماء الدهر وغيره من الأسماء التي منعها، على ما يأتي بيانه عند ذكرها لكن لا يلزم أن يدعى وينادى بكل ما سمّي به كما تقدم.

وإذا كانت الأسماء توقيفاً فما جاز للعالم أن يطلقه على لفظ الصاحب والخليفة جاز لغير العالم، وإنما الممنوع ما لم يأذن فيه ولا أطلقه أحد من أئمة أهل السنة ولا ورد في ذكره في الحديث والله أعلم.

وقد أشار القاضي أبو بكر بن العربي إلى نحو ما ذكر عند اسمه تعالى «شيء» فقال: وليس من أسماء التضرع ولكن جرى ذكره في أثناء ألفاظ النبي ﷺ قصد التبيين والإخبار كما ورد في القرآن فإن ما يذكر به الباري سبحانه على قسمين: أحدهما ـ ما يوصف به على وجه البيان فهو عام تقع المشاركة فيه بين الخلق وبينه في إطلاقه كثيراً، وما ذكر به على معنى التضرع والابتهال ينبغي أن يكون على غاية الجلال والكمال، فإن الكبير الكريم والملك العظيم إذا توسل إليه ذكر بأفضل صفاته استنزالاً واستدراراً لنعمه. وإذا أخبر عنه انطلق اللسان في ذكره بكل ما يحتاج إليه في البيان عنه.

---

(1) ابن الحصار هو علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى أبو الحسن فقيه له كتب في أصول الفقه والناسخ والمنسوخ وغيرهما توفي سنة 611هـ انظر الأعلام للزركلي 330/4.

(2) في الفصل العاشر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، من رواية أحمد (1997) وأبي داود (1510) والترمذي (3551) وغيرهم، بإسناد صحيح.

ولذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال في وصف قوم يحبهم الله وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي.

قال ابن العربي: فإذا علمتم هذا فهذه الألفاظ الخمسة يعني شيئاً ونفساً وعيناً وموجوداً أو ذواتاً، ومما جرى مجراها لا تصلح للتضرع والابتهال، وإنما هي ألفاظ بيان واستدلال، وهذه المقدمة لواعيها خير من الدنيا وما فيها.

قلت: صدق رضي الله عنه وكأن الفقيه أبا الحسن بن الحصار لم يقرأه ولا وقف عليه.

وقد ذكر الأقليشي أبو العباس أحمد معنى هذا الفصل فحسّنه وفصّله فقال: ولتعلم أن من أسماء الله تعالى وصفاته ما يثبت لذاته ثبوتاً قطعياً، وذلك كل اسم وصفة أجمع عليها أهل السنة ووردت في القرآن وأما كل اسم أو صفة لم يقع عليها الإجماع ولا وردت نصاً في القرآن وصحّت عن النبي ﷺ بنقل الآحاد فقد اختلف العلماء فيها فمن قال إن خبر الواحد يوجب العلم والعمل والفتيا بما تقدم ومن قال لنا يوجب العمل ولا يوجب العلم لم يقطع بثبوت تلك الأسماء والصفات لله تعالى إذ هذا بابه العلم وقد تقدم هذا المعنى، وأما كل اسم وصفة لم يجمع عليها ولا وردت نصاً في القرآن ولا في حديث صحيح عن النبي ﷺ وكان ذلك الاسم من أسماء التعالي، وتلك الصفة من صفات المدائح و لم توهم نقصاً على حال.

قلت: كما لو قلت إنه سبحانه: كامل منيع زكي مبارك ملي صفوح. هذا وشبهه مما لم يرد في كتاب ولا سُنّة ولا إجماع، على ما يأتي فقد نص أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتاب «اللمع» أن الله تعالى لا يُسمى إلا بما سمى به نفسه أو سمّاه به رسوله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه.

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: ليس في القرآن ولا في السُّنّة نصٌّ مقطوع به يوجب ما قاله الشيخ أبو الحسن. فالواجب إقرار ذلك على حكم العقل فمن سمّاه الله تعالى بتسمية له فيها تعظيم لم يقل له أطعت ولا عصيت ولا أتيت محظوراً ولا مباحاً، هذا ما حكى عبد الجليل عن أبي الحسن والقاضي.

فقال عبد الجليل: والصحيح عندي ما قال أبو الحسن؛ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] والحسن لا يعلم أنه حسن بالعقل وإنما يعلم أنه حسن بالسمع، وإذا كان ذلك كذلك لم يكن شيء من تسميته حسناً إلا ما ورد به السمع وما لم يرد به سمع فليس بحسن. فإن قيل؛ ولا هو أيضاً قبيح.

قيل: هو كما قلت إلا أنه تعالى ما أخذ علينا أن نسميه بما ليس بقبيح، وإنما أخذ علينا أن تسميه بالحسن، فثبت ما قاله أبو الحسن.

قال الأقليشي: وتوسط بعض العلماء بين هذين المذهبين فقال: والمختار عندنا أن نفصّل فنقول: كل ما يرجع إلى الاسم فذلك موقوف على الإذن وما يرجع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن بل الصادق منه مباح دون الكاذب.

ثم قال: وهذه مسألة فقهية، إذ هو نظر في إباحة لفظ وتحريمه، وأما الدليل على المنع من وضع اسم الله تعالى، فهو المنع من وضع اسم لرسول الله ﷺ لم يسم به نفسه ولا سماه به ربه ولا أبواه، فإذا منع في حق الرسول ﷺ بل في آحاد الخلق فهو في حق الله تعالى أولى.

وأما إباحة دليل الوصف فهو أنه خبر عن أمر، والخبر ينقسم إلى صدق أو كذب، والشرع قد دل على تحريم الكذب في الأصل، والكذب حرام إلا لعارض، والصدق حلال إلا لعارض، وكما يجوز لنا أن نقول في زيد إنه موجود؛ لأنه موجود فكذلك في حق الله تعالى ورد به الشرع أو لم يرد.

فتنحل من هذه المذاهب الثلاثة أن القاضي لا يرى الأسماء والصفات محصورة ولا مقصورة على النقل إذ لم يرد في حصرها دليل قطعي فالمسمي الله تعالى أو الواصف له أسماء وصفات متضمنة للكمال تنيف على التسعة والتسعين غير مخطئ عند القاضي، وأبو الحسن يخطئه في موضع اسم أو صفة لله تعالى إلا أن تكون منقولة، لأن الأسماء والصفات عنده محصورة وعلى النقل مقصورة، ومتوسط المذهبين يخطئ مسمي الله تعالى باسم لم يرد به الإذن، ويصوبه في وصفه بصفة منبئة عن كمال مبرأة عن إيهام نقصان، فالأسماء عنده على الإذن مقصورة وفي موارد النقل محصورة، والصفات عنده

لا نهاية لأعدادها بل يوصف الله تعالى بكل وصف يجوز في العقول العارفة به تعالى، فالصفات عنده طريقها النقل والعقل، والأسماء ثابتة بطريق النقل. وهذا كما نقول في رسول الله ﷺ إن له اسمين مشهورين في القرآن، وعند الخاص والعام، وهما محمد وأحمد، وله أسماء أخر يعلمها الخاصة من العلماء المطالعون للأثر، الحاشر والعاقب والماحي والفاتح والخاتم، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، ونبي الرحمة.

وإنما جعلنا هذه أسماء له ﷺ لأنه أعلمنا بذلك فقال: لي أسماء فذكر هذه و لم يلحق بها الرؤوف الرحيم السراج المنير البشير النذير، إلى غير ذلك من أوصافه الكريمة ﷺ لأنه عليه السلام لم يخبرنا أنها أسماء له فتركناها على أصل الصفة حتى ينقلها هو إلى الأسماء، ويأذن لنا في أن نسميه بها، وكذلك الخالق جل وعلا وله المثل الأعلى نسميه بما سمى به نفسه من أسمائه الحسنى، وما لم يسم به نفسه من أوصافه المدائح اللائقة به جل وعلا وصفناه به و لم نسمه إلا بما سمى به نفسه.

هذا مذهب الإمام أبي حامد[1] وقد توسط المذهبين.

قلت: وقد خالف في هذا أبا حامد ذا المآثر والمحامد ابن الحصار وغيره من النظار، وذهبوا إلى ما ذهب إليه الشيخ أبو الحسن، وهو أصوب وأحسن على ما يأتي بيانه في الفصل بعد هذا والله أعلم.

الفصل الموفي عشرين

من علم مخالفة الحق سبحانه لجميع خلقه مخالفة مطلقة وعلم أنه سبحانه لا نسبية بينه وبين الموجودات إلا أن يقول لها كن فتقع باقتداره واختياره على وفق علمه وجب عليه أن يتوقف عن إجراء أسماء مخلوقاته وأوصافها عليه إلا بإذنه كما تقدم تقريره. وقد منّ الله على عبده الذي خلقه بيده تكريماً له وتخصيصاً وتشريفاً، ومنّ عليه بأن خلق له حياة وعلماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً وكلاماً ورضى وغضباً وملكاً ومملوكاً، وسائر ما منّ به عليه من صفاته التي كوّنها بعد أن لم تكن، وليست من صفة الحمأ المسنون،

---

(1) يريد الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ وانظر أخي الكريم كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ص 6-23).

ولذلك قال بعض العارفين في قوله عليه السلام: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[1]: إنها إشارة إلى هذه النعوت، وليس المراد بالصورة صورة اللحم والدم ولكن كما قال النابغة:

---

(1) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (8131) والبخاري (2559) ومسلم (115/2612) والحميدي (1121) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص37) وابن حبان (5604) والآجري في «الشريعة» (ص 314) وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ، وفي حديث ابن حاتم: عن النبي ﷺ قال: «**إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه. فإن الله خلق آدم على صورته**».

أقول وبالله التوفيق: قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» أي على الآدمي. وهاء الضمير في قوله ﷺ «صورته» عائد على «أخاه» والمراد أن الله تعالى خلق آدم على هيئة أخيه فلا يضربه على وجهه، والله تعالى أعلم.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح صحيح مسلم» (8ـ216): قوله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته» قال العلماء: هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه لأنه لطيف يجمع المحاسن وأعضاؤه نفيسة لطيفة وأكثر الإدراك بها، فقد يبطلها ضرب الوجه وقد ينقصها وقد يشوّه الوجه، والشين فيه فاحش لأنه بارز ظاهر لا يمكن ستره، ومتى ضربه لا يسلم من شين غالباً، ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته أو ولده أو عبده ضرب تأديب فليجتنب الوجه.

وأما قوله ﷺ: «فإن الله خلق آدم على صورته» فهو من أحاديث الصفات، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول: نؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم والثاني أنها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى وأنه ليس كمثله شيء، قال المازري: هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت، ورواه بعضهم «أن الله خلق آدم على صورة الرحمن» وليس بثابت عند أهل الحديث وأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له وغلط في ذلك، قال المازري: وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث فأجراه على ظاهره وقال: لله تعالى صورة لا كالصور، وهذا الذي قاله ظاهر الفساد لأن الصورة تفيد التركيب وكل مركب محدث والله تعالى ليس بمحدث فليس هو مركباً فليس مصوراً، قال: وهذا كقول المجسمة جسم لا كالأجسام لما رأوا أهل السنة يقولون: الباري سبحانه وتعالى شيء لا كالأشياء طردوا الاستعمال فقالوا: جسم لا كالأجسام، والفرق أن لفظ شيء لا يفيد الحدوث ولا يتضمن ما يقتضيه، وأما جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك=

أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ اللّـهَ أَعْطَـاكَ سُــورةً ... تَـرى كُـل مَلِـكٍ دُونَهــا يَتَذَبْـذَبُ

والسين والصاد قد يقع كل واحد منهما موقع الآخر، وحكى أبـو عبيـد في آخـر ورقة من كتاب الغريب عن الفوازجل: حسن الصورة والسورة بالصـاد والسـين وقيّـده بالسين والصاد فكما منّ على عبيده بأن جعل لهم هذه الصفـات المحمـودة و لم تكـن في جبلتهم ولا من جنس طينتهم وكان أكملهم عنده من كانت فيه هذه الصفات ولذلـك سمّى مختاره من خلقه محمداً وأحمد، ووصفه بأنه بـالمؤمنين رؤوف رحيـم، ولذلـك قـال من فهم عن اللّه مراده من هذا المعنى:

وَشَـقَّ لَـهُ مِــنْ اسْـمِهِ كَـيْ يُجلّـهُ ... فَـذُو العَرْشِ محمـودٌ وهـذا مُحمَّـدُ(1)

فكذلـك مـنّ عليهـم في أن أذن لهـم في إجـراء بعـض أسمائـه علـى مــن اتصـف بمفهومها، وإن لم يكن من جنسها، وقد تكلم العلماء في الحقيقة والمجاز فيها، فمنهم من جعل الحقيقة لله تعالى وما جرى من أسمائه على غيره فمجاز، ومنهم من قلب ذلك.

وحكى ابن العربي عن بعض أشياخه في ذلك تـردداً واختـلاف قـول، ثـم ذهـب يوجّه لكل قول منها وجهاً، وهو تكلف تغني عنه معرفتك بالحقيقة والمجاز.

الفصل الحادي والعشرون

تكلم العلماء في الاسم والمسمى والتسـمية والوصـف والموصـوف والصفـة، وقـد أنكر الكلام في هذا كثير من الفقهاء وليس لإنكارهم لذلـك وجـه، إذ هـو كـلام على معنى الكتاب والسُّنّة على ما نبينه.

فقال الأستاذ أبو إسحاق: إذا قـال اللّـه تعـالى: كلامـي صـدق، كـانت التسـمية والاسم والمسمى واحداً؛ إذ كلامه التسمية، وهو المسمى بعينه، وهو الاســم، وإذا قـال

=دليل الحدوث. واختلف العلماء في تأويله، فقالت طائفة: الضمـير في «صورتـه» عـائد علـى الأخ المضروب وهذا ظاهر رواية مسلم. وقـالت طائفـة: يعود إلى آدم وفيـه ضعـف، وقـالت طائفة: يعود إلى اللّه تعالى ويكون المراد: إضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى ﴿نَاقَةَ اللَّـهِ﴾ [الشمس: 13] وكما قال في الكعبة: بيت اللّه ونظائره. واللّه أعلم.

(1) البيت لحسان بن ثابت رضي اللّه عنه، شاعر النبي ﷺ، يمدح به النّبي ﷺ «ديوان حسان» (ص306).

الواحد منا: اللّه، فالتسمية عين الاسم، والاسم هو المسمى، وذكر كلاماً ذكره الأنصاري في كتاب «المقنع» له.

وقال ابن العربي عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 180]: فيه ثلاثة أقوال، قال بعض علمائنا: في ذلك دليل على أن الاسم هو المسمى؛ لأنه لو كان غيره لوجب أن تكون لغير اللّه تعالى.

قلت: وقد حكى هذا القول القشيري، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه والقاضي لسان الأمة وارتضاه الأستاذ أبو بكر [ابن فورك] وغيره من المتأخرين، وتحصيل القول فيه: أن القائل إذا قال: اللّه عالم، فقوله: عالم، دال على الرب الموصوف بكونه عالماً، فالاسم كونه عالماً وهو المسمى بعينه، وكذلك إذا قال: اللّه خالق، فالخالق هو الرب، وهو بعينه الاسم، فالاسم عندهم هو المسمى من غير تفصيل.

قال القاضي[1] في «تمهيد الأوائل»: والذي يذهب إليه أهل الحق أن الاسم هو المسمى نفسه، أو صفة له تتعلق به، وأنه غير التسمية. وزعمت المعتزلة ومن وافقها من أهل الأهواء والبدع أن الاسم غير المسمى وأنه قول المسمى وتسميته لما سمي.

قال القاضي: والدليل على صحة ما قلناه أن أهل اللغة الذين هم العمدة قد صرّحوا بذلك وقالوا: إن الاسم هو المسمي نفسه وبذلك كان يقول أبو عبيدة وغيره من أهل اللغة وأنشد أبو عبيدة في ذلك:

إِلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا   وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[2]

قالوا: وإنما أراد باسم السلام: السلام نفسه فكيف يكون الاسم هو التسمية التي هي قول المسمي، ويدل على ذلك قول اللّه تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف: 40] فأخبر أنهم يعبدون أشخاصاً دون الكلام، والقول الذي هو التسمية.

فإن قالوا: إنما عنى بقوله ما تعبدون من دونه إلا أصحاب الأسماء ومن له الأسماء.

---

(1) يريد الإمام ابن العربي ـ رحمه اللّه تعالى.

(2) قائله لبيد.

قيل لهم: إنما يجب صرف الكلام عن ظاهره إذا كانت دلائل العقل والسمع تمنع من استعماله على ما ورد، ولا حجة تمنع من استعمال الكلام على ظاهره بل الحجج توجب ذلك وتقتضيه، فسقط ما قالوه من تأويلهم.

قال أبو القاسم الأنصاري: وذهبت المعتزلة إلى التسوية بين الاسم والتسمية والوصف والصفة، والتزموا على ذلك بدعة شنعاء، وقالوا: لم يكن للباري سبحانه في الأزل صفة ولا اسم، فإن الاسم والصفة قول المسمين والواضعين و لم يكن في الأزل قول عندهم. ومن زعم أنه لم يكن لله سبحانه في الأزل صفة الألوهية فقد فارق الدين وراغم إجماع المسلمين.

والدليل على أن الاسم يغاير التسمية، وأنه يراد به المسمى وأن التسمية ترجع إلى الأقوال آي من كتاب اللّه تعالى منها قوله: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ [مريم: 7]. ثم قال: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12] فلو كان الاسم غير المسمى لكان المنادى غير يحيى، وذلك لا يجوز، وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6] فأخبر أن اسم الرسول ﷺ أحمد، وأحمد الشخص نفسه دون قول القائل وتسمية المسمى، وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] وإنما المسبّح وجود الإله تعالى دون ألفاظ الذاكرين، وقال عزّ من قائل: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 78] والمعنى تبارك ربك. وقال تعالى في ذم عبدة الأوثان: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف: 40] ومعلوم أن عبدة الأوثان ما عبدوا اللفظ والقول الذي هو هبل واللات والعزى وإنما عبدوا المسمى بالتسميات.

القول الثاني: قال آخرون المراد به التسميات لأنه سبحانه واحد والأسماء جمع.

قلت: ذكر الإمام أبو محمد بن عطية[1] في تفسيره أن الأسماء في الآية بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين لا يجوز غيره قال القاضي أبو بكر: وتأويل قول النبي ﷺ

(1) وهو المفسر الفقيه ـ من أعلام المالكية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية (ت ـ 542هـ). صاحب تفسير «المحرر الوجيز».

«**لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة**»[1]. أي أن لله تسعة وتسعين تسمية بلا خلاف، وهي عبارة عن كون اللّه سبحانه وتعالى على أوصاف شتى، منها ما يستحقه لنفسه، ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به، وأسماؤه العائدة إلى نفسه هي هو، وما تعلق بصفة له فهي أسماء له، ومنها صفات لذاته، ومنها صفات أفعال، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] أي التسميات الحسنى.

قال القاضي: ويوضح هذا أنه قال: «**هو وتر يحب الوتر**»[2] فأخبر أن له أسماء وهو وتر، وتدل على أن المراد بالأسماء التسميات، وأن المسمّى هو الواحد الفرد الوتر.

قال القاضي: ونحن لم نقل إن كل اسم هو المسمّى بل الاسم ربما كان المسمّى وربما كان غير المسمّى وربما لا يكون هو ولا غيره.

قال ابن الحصار: وفي هذه الآية وقع الاسم على المسمى، ووقوعه على التسمية فقوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وقع على المسمى، وقوله: ﴿الأَسْمَاءُ﴾ وهو جمع اسم واقع على التسميات يدل على صحة ما قلناه. قوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فالهاء في قوله: ﴿فَادْعُوهُ﴾ تعود على المسمى سبحانه وتعالى فهو المدعو. والهاء في قوله: ﴿بِهَا﴾ تعود على الأسماء، وهي التسميات التي يُدعى بها لا بغيرها هو الذي يقتضيه لسان العرب، ومثل ذلك قول رسول اللّه ﷺ: «**لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد**»[3] الحديث.

القول الثالث: وقال آخرون منهم: ولله الصفات.

---

(1) تقدم أكثر من مرة من رواية الشيخين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه.

(2) جزء من الحديث المتقدم.

(3) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (16734) والبخاري (4896) ومسلم (2354) والترمذي (2840) والطيالسي (924) والطبراني في «الكبير» (1525) وعبد الرزاق (19657) وابن حبان (6313) والآجري في «الشريعة» (ص ـ 462)، وغيرهم من طريق محمد بن جُبير بن مُطعم، عن أبيه رضي اللّه عنه، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «لي أسماء، أنا مُحمَّدٌ، وأنا أحمد، وأنا الماحي الَّذي يمحو اللّه بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناسُ على قدمي، وأنا العاقب» لفظ البخاري.

قال ابن العربي: حقيقة الاسم؛ كل لفظ جعل للدلالة على المعنى إن لم يكن مشتقاً، فإن كان مشتقاً فليس باسم، إنما هو صفة، هذا هو قول النحاة، فالعالم عندنا اسم كزيد اسم لكن أحدهما يدل على الوجود والآخر يدل على الوجود ومعنى معه زائد عليه.

قلت: وبيان ذلك أنك إذا قلت: زيدٌ مثلاً، فهو يدل على ذات متشخصة في الوجود من غير زيادة ولا نقصان، فلو قلت مثلاً: العالم، دلّ هنا على تلك الذات منسوبة إلى العلم، وهكذا، ومن هنا صحّ عقلاً أن تكثر الأسماء المختلفة على ذات واحدة ولا يوجب تعداداً فيها ولا تكثيراً، وكذلك الصفات من القدرة والإرادة، ونحو ذلك لم تسم بما سميت به من قولنا: قدرة وعلماً وإرادة، وإنما سميت بذلك تحديداً وتوقيفاً بالكتاب والسُّنّة وإجماع الأمة، وسميت أيضاً بما سميت به للتفرقة بين مقتضياتها وليعرف كل موجود بمقتضاه من الصفات، فيضاف إليها والفاعل المريد العالم واحد أحد، وصفاته كلها واحدة لا اختلاف فيها ولا تغاير بوجه من الوجوه، إنما اختلفت وتغايرت للمقدورات والمعلومات والمرادات في أنفسها، وهكذا جميع المقتضيات، فكذلك فلتعقد في الأسماء، هذا قول علمائنا ـ رحمة اللّه عليهم ـ قالوا: وقد غلط من قال: إن الاسم هو المسمى حقيقة كما قالته طوائف من جهال الحشوية[1]، فإنهم

(1) الحشوية: قوم تمسّكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره، يُجرون آيات اللّه على ظاهرها، ويعتقدون أن هذا الظاهر هو المراد منها، فإذا جاء في القرآن أن لله تعالى يداً ووجهاً فإنه تعالى تكون له يد ووجه. وهؤلاء وجدوا في حلقات الحسن البصري، وسمعهم يتكلمون بالحشو والسقَط، وكانوا يقولون مثلاً: إن النبيّ ﷺ مات ولم يستخلف مَن يجمع الكلمة، ويحفظ الدين، ويرشد الأمة، ويدفع عن بيضة الإسلام ـ فامتعض لما سمعه منهم، وأمر أصحابه فقال: ردّوا هؤلاء إلى حَشا الحلقة ـ فهم لذلك الحشَوية (بفتح الشين).
أو أنهم منسوبون إلى حشو الكلام، وهو الزائد الذي لا طائل تحته، فهم لذلك الحشْوية (بسكون الشين).
وربما لأنهم مجسِّمة أجازوا على اللّه الملامسة والمصافحة، وأثبتوا له الحركة والانتقال، والحدّ والجهة والقعود والاستقرار، وقالوا: إنه تعالى جسم أو على صورة جسم الإنسان، والجسم حشو، فسُموا على هذا القياس حشْوية (بسكون الشين أيضاً).ـ

صرحوا بذلك واعتقدوه حتى ألزموا على ذلك أن من قال: سم مات، ومن قال: نار احترق، ومن قال: حلو امتلأ فمه حلاوة.

وأما من قال من النحويين والمتكلمين: الاسم هو المسمى فحاشاهم أن يريدوا هذه الحماقة، وإنما أرادوا أنه هو من حيث إنه لا يدل إلا عليه، ولا يفيد إلا هو.

قال ابن الحصار: نقل أهل المقالات اختلافاً بين أهل السُّنَّة والمبتدعة، فزعموا أن أهل السُّنَّة يقولون: الاسم هو المسمى، أهل البدع يقولون: الاسم غير المسمى وظاهر هذا الاختلاف في الاسم والمسمى هين المدرك وباطنه عسير المسلك، وذلك أن من ينفي الصفات من المبتدعة يزعم أن لا مدلول للتسميات إلا الذات، ولذلك يقولون: الاسم غير المسمى ومن يثبت الصفات يثبت للأسماء مدلولات هي أوصاف الذات، وهي غير العبارات، وهي الأسماء عندهم والحق في هذا أن نقول: الاسم لفظ مشترك تارة يطلق على التسمية، وتارة يطلق على المسمى، وكذلك التسمية قد يراد بها اللفظ الدال على المسمى، وقد يراد بها حالة وضع اللفظ من المسمِّي للمسمَّى، والاستدلال على هذا الاشتراك وجوده في كتاب الله تعالى، وفي لسان العرب، وتحقيق الحقيقة والمجاز من ذلك لا يتعلق به حكم شرعي.

قال ابن عطية: الاسم كزيد وأسد وفرس يرد في الكلام يراد به الذات كقولك: زيد عالم والأسد شجاع وقد يراد به التسمية ذاتها كقولك: زيد ثلاثة أحرف، ففي الأول يقال: الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى، وفي الثاني - لا يراد به المسمى، وأما اسم الذي هو ألف وسين وميم فقد يجري في لغة العرب مجرى الذات، يقال: ذات ونفس واسم وعين بمعنى، وعلى هذا حمل أكثر العلماء قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ

=وقيل: المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها، ويقولون: إن تفسيرها أو تأويلها يتجاوز إدراكهم، والكلام فيها على ذلك حشو، أي لا طائل منه، والأحرى التوقف عن ذلك وتفويض تأويلها إلى الله وحده.

وقيل: بل الحشوية طائفة يطلقون الحشو على الدين، فإن الدين يتلقى من الكتاب والسُّنَّة، وهما حشو، أي واسطة بين الله ورسوله وبين الناس.. وانظر أخي الكريم بقية الكلام في «موسوعة الفرق والجماعات...» د. عبد المنعم الحنفي (ص 294-295).

الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [يوسف: 40] وعضده ولهذا يقول لبيد:

إِلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا

وقالوا: إن لبيد أراد المحبة، وقد يجري اسم في اللغة مجرى ذات العبارة وهذا الأكثر من استعمالها ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] على أشهر التأويلات، وقول النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً**» وعلى هذا النحو استعمل النحويون الاسم في تصاريف أقوالهم.

والذي يتنخل من هذا أن الأسماء قد تجيء يراد بها ذوات المسميات، وفي هذا يقال الاسم هو المسمى، وقد تجيء يراد بها ذواتها أنفسها لا مسمياتها. قال ابن عطية: ومرّ بي أن مالكاً ـ رحمه الله ـ سُئل عن الاسم أهو المسمى؟ فقال: ليس به ولا هو غيره، يريد دائماً في كل موضع، وهذا موافق لما قلناه.

قلت: وهذا كما ذكرناه عن القاضي أبي بكر بن الطيب فاعلمه.

وقال الأقليشي: الاسم عند الأشعرية هو المسمى والصفة هي الموصوف، والتسمية غير الاسم والوصف غير الصفة والمخالف يقول بخلاف هذا، وكلٌّ تأول الكتاب على مذهبه فحمل المخالف قول اللّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 180] على ظاهره، وقال: الذات واحدة والأسماء كثيرة.

وحمله الأشعري على وجهين: أحدهما أنه يوقع الاسم موقع التسمية وهذا سائغ في العربية.

والثاني: أن يريد بالأسماء الصفات والأفعال، وهي عندهم متعددة، واسم الصفة هو الصفة، واسم الفعل هو الفعل عندهم، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] حمله الأشعري على أن المسبح هو اللّه تعالى، لأن الاسم عين المسمى، وحمله المخالف على وجهين: أحدهما: أن الاسم هنا صلة ويكون أمر بتنزيه الاسم الذي هو عبارة عن الذات كما أمر بتنزيه المصحف إجلالاً للقرآن.

وقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف: 40] حمله الأشعري على الأشخاص المعبودة، إذ العبارات لا تعبد، وحمله المخالف على أنهم كانوا يتوجهون بالعبادة إلى ما لا حقيقة له في الألوهية، وهم قد سمّوها آلهة كأنهم عبدوا ألفاظاً لا حقائق تحتها ولذلك قال: ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: 40] وقد قال بكل قول كثير من أهل اللسان، ولكن التحقيق في الوضع الحقيقي وفي صناعة اللسان أن الاسم غير التسمية، والوصف غير الصفة، على ما قالته الأشعرية.

ويبقى الكلام في الاسم والصفة هل هما عين المسمى والموصوف؟ وهذا إلى نظر الناظر مصروف، فإن أراد الحروف فهي محدثة، وإن أراد المعاني الإلهية فهي قديمة، وهذا تلخيص هذه المسألة الجسيمة.

وقال ابن الحصار: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78] تبارك تفاعل من البركة ومعناه عظمت بركته وكثرت منفعته لأوليائه، والاسم هنا المراد به التسمية الدالة على ما يجب لله تعالى فيه احتمال، وبحسب الاحتمال اختلف القراء في إجراء صفة الرب عليه، وعلى المضاف إليه، فمنهم من رفع، ومنهم من خفض، وكلا القراءتين ثابت في السمع، وذلك يدل على أن الاسم قد يراد به التسمية، وقد يراد به المسمى. ولم يختلف القراء في إجراء النعت على الوجه بالرفع في أول السورة وهذا يدل على أن الوجه هنا على بابه المراد به وجه الله تعالى الذي يلقى المؤمنون عندما ينظرون إليه فيستبشرون بحسن الجزاء وجميل اللقاء وحسن العطاء.

قال: وأما قوله جل وعز: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] فلا إشكال أن المراد بالاسم ها هنا المسمى؛ لأن التسمية وإن كانت لها حرمة يجب علينا بذلك حفظها ورعايتها وصونها وحمايتها، فإنا لم نؤمر بتسبيحها وتقديسها، لأن التسمية منا ولا يحل تسبيح الحوادث وتزيينها ولا أن نعظمها بمثل ما نعظم خالقها؛ لأن ذلك يؤدي إلى عبادتها وإخراجها عما وجب لها ولو جاز تسبيح الأسماء وتقديسها لجاز أن نكتبها في رقعة أو غير ذلك ثم نعتكف عليها بالتسبيح والتقديس، وذلك شنيع من القول باطل في

الاعتقاد والعمل، وإنما الذي يجب علينا حفظها ورعايتها، وأن ننقص من ينقصها ونرفع من رفعها تعظيماً لدلالتها على ما دلت عليه، ونقبّلها كما نقبّل الحجر الأسود ولا نسبحه ولا نقدسه بل نقول كما قال عمر رضي الله عنه: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك.

وقد ذكر القشيري في هذا قصة بسر الحافي ورؤياه، وإنما الأعمال بالنيات.

قلت: وقد روي في هذا المعنى حديث مرفوع عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من كتاب يلقى بمضيعة من الأرض فيه اسم من أسماء الله تعالى إلا بعث الله عز وجل سبعين ألف ملك يحفظونه بأجنحتهم ويقدسونه حتى يبعث الله عز وجل ولياً من أوليائه يرفعه، ومن رفع كتاباً فيه اسم من أسماء الله عز وجل رفع الله اسمه في عليين وخفف عن والديه العذاب وإن كانا مشركين**»(1).

وروى إبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رفع قرطاساً فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً لله عز وجل أن يداس كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وإن كانا مشركين**»(2).

وقال أبو حامد: فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] والذات هي المسبحة من الاسم. قلنا: الاسم هنا زيادة على سبيل الصلة، وعادة العرب بمثله جارية، وهي كقوله: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] فالكاف زائدة.

قال أبو بكر بن العربي: وقد اتفق علماؤنا على أن قوله ﴿اسْمُ﴾ في قوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 78] صلة في الكلام، أي زائدة والمعنى: تبارك ربك. إذ لا

---

(1) موضوع رواه الطبراني في «الصغير» (403)، وتعقبه بقوله: لا يُروى عن علي إلا بهذا الإسناد، تفرد به زهير بن عباد. وفيه الحسين بن عبد الغفار، كذاب يضع الحديث.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (4/6846) وعزاه للطبراني في «الصغير» وقال: وفيه: الحسين بن عبد الغفار، وهو متروك.

(2) موضوع، ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» رقم (872)، وتعقبه بقوله: وفي إسناده من قيل: إنه كذاب، وقيل: متروك.

يصح أن يكون هذا المعنى المعبر عنه بتبارك إلا اللّه وحده، وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] إن ﴿اسْمَ﴾ صلة والمعنى: سبح ربك. وإنما قالوا ذلك لاعتقادهم أن التسبيح والتنزيه لا تصح إضافته إلى اسم اللّه تعالى. وهذا ضيق نطاق عن تحقيق المعاني، فإن اسم اللّه تعالى الذي يذكر حقه أن يقدّس ويعظّم وينزّه ويكرّم ويؤمن به ولا يلحد فيه كما أن الرب يستحق ذلك سبحانه، واستحقاق أسمائه لذلك إنما هو لحرمتها بكونها أسماء له وحق اسم اللّه تعالى أن يضاف إليها النفع والبركة، قال اللّه تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ قيل: معناه تقدس، قاله الفراء. وقيل: تعاظم، وقيل: تفاعل من البركة قاله الزجاج[1].

الفصل الثاني والعشرون

وتكلم العلماء أيضاً في الأسماء المشتقة الراجعة إلى الفعل كالخالق والرازق والمُصَوِّر وشبهه.

فقال قوم: يوصف بأنه خالق في الأزل؛ لأجل وصفه لنفسه بذلك؛ لأن معنى قوله: إنه خالق أي سيخلق، وقد جاء في لسان العرب خالق بمعنى يخلق، وفاعل بمعنى سيفعل كثيراً، وقد قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71] قبل أن يخلقه، وكأن المعنى إني سأخلق، فالاسم قديم والوصف لم يزل والفعل حادث، وإذا حدث الفعل لم يتجدد اسم فافهموا ترشدوا.

وقال قوم: لا يوصف، وزعموا أنها لو كانت لله تعالى صفات لوجب أن تكون أفعالاً.

وامتنع بعضهم من أن تكون أسماء الخالق سبحانه مشتقة؛ لأنها لو كانت أسماؤه مشتقة لدلت على الفعلية، وذلك يقتضي حدث الصفات، واتصاف الخالق بالحوادث

---

(1) والزجاج هو إبراهيم بن السري ـ الملقب بالزجاج، صاحب كتاب «معاني القرآن» أخذ عنه القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (ت ـ 311هـ).

وقد جاء في تفسيره لسورة الأعلى، قوله عز وجل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ أي نزه ربك عن السوء، وقل: سبحان ربي الأعلى. «معاني القرآن» (315/5). وانظر ترجمته ثمة.

محال، وهذا يرده ما أضافه سبحانه لنفسه من الأفعال الماضية والمستقبلة، فقال: علم ويعلم وتاب ويتوب وأراد ويريد، وأمثال ذلك في القرآن كثير وهي مأخوذة من المصادر ودالة عليها، أَفَيَدُلُّ ذلك على عدم اتصاف الخالق سبحانه كما قال جهم وشيعته؟ تعالى الله عما يقول المبطلون، وإنما هذه الألفاظ دلالات ووسائط بها يتوصل المخلوق إلى الفهم عن خالقه فلا يضرنا تصريف هذه الألفاظ واشتقاقها إذا علمنا بأدلة العقول الفرق بين مدلولها من المخلوقات وخالقها.

قال أبو حامد: الخالق يطلق بمعنيين: أحدهما ـ ثابت في الأزل قطعاً. والثاني ـ منفي قطعاً، ولا وجه للخلاف فيهما؛ إذ السيف يسمى قاطعاً وهو في الغمد، ويسمى قاطعاً عند حال حز الرقبة، فهو في الغمد قاطع بالقوة، وعند الحز قاطع بالفعل، والماء في الكوز مروٍ، ولكن بالقوة وفي المعدة مروٍ بالفعل ومعنى كون الماء في الكوز مروياً أنه بالصفة التي يحصل بها الإرواء عند مصادفة المعدة، وهي صفة المائية، والسيف في الغمد قاطع أي هو بالصفة التي يحصل بها القطع إذا لاقى المحل وهي الحدة، إذ لا يحتاج إلى أن يستجد وصفاً آخر في نفسه.

فالباريُ سبحانه خالق بالمعنى الذي به يقال: الماء في الكوز مروٍ وهو أنه بالصفة التي صح بها الفعل والخلق، وهو بالمعنى الثاني غير خالق أي الخلق غير صادر منه، وكذلك هو في الأزل على المعنى الذي يسمى به عالماً وقدوساً وغير ذلك، وكذلك يكون في الأبد سمّاه غيره بذلك الاسم أو لم يسم[1].

الفصل الثالث والعشرون

واختلفوا في إعراب أسماء الله تعالى المشتقة إذا جاءت تابعة لاسم الله سبحانه في مثل: بسم الله الرحمن الرحيم، فمنهم من يعربها نعوتاً مراعاة للاشتقاق، ومنهم من يعربها أبدالاً ويخرجها عن تبعية الأوصاف والنعوت فيصيرها كالأسماء الجامدة تقول: زيد عالم، كما تقول: زيد أخوك، ومثل هذا الظرف المتمكن الذي يتصرف بوجوه الإعراب، وتدخل عليه العوامل منتقلة من إعراب إلى إعراب. تقول: طاب مكانك،

(1) «المقصد الأسنى» للغزالي (ص 17-18).

واتسع موضعك، وأن يومك مبارك وساعتك طيبة، والشهر مبارك، والمكان واسع، وإذا جاءت ظروفاً في مواضعها جاءت منصوبة وأعربت ظروفاً وعلى هذا المعنى جاء قول لبيد:

فَقَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وأَمَامُهَا

برفع أمام وخلف على الخبر، وقال حسان بن ثابت:

فَصِرْنَا وَمَا يَلْقَى لَنَا مِنْ كَتِيبَةٍ ... مَدَى الدَّهْرِ إِلاَّ جِبْرِيلَ أَمَامُهَا[1]

فرفع أمامها على ما بيّنا.

قال ابن الحصار: ووجه التحقيق في هذا أن تعلم أن الصفة إذا لزمت موصوفاً بعينه وتخصصت به لحقت عند المحققين بالأسماء، وقربت من العلمية وخرجت بذلك عن معتاد الصفات، وذلك كوصف السيف بالأبيض والرمح بالأسمر والفرس بالأدهم وأمثال ذلك مما قد لزم موصوفاً بعينه حتى تعرف به وصار له كالاسم العلم فلما كانت مدلولات هذه الأسماء لازمة للخالق سبحانه لا توجد لغيره وتعرف بها تعرف سائر المسميات بالأسماء الأعلام إذ كانت ذات الخالق سبحانه لا تدرك في هذه الدار بالأبصار وإنما تعرف بنعوتها الخاصة وصفاتها التي تعلقت بها الأفعال وافتقرت إليها سائر الخليقة جرت مجرى سائر الأسماء الأعلام ولهذا الاعتبار قال اللّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 180] وقال رسول اللّه ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً**»[2] فأجرى جميعها مجرىً واحداً في الاسمية وإن كان منها اسمه اللّه ومنها اسمه الرحمن الرحيم والحكيم والعليم وسائر الأسماء الدالة على نعوت معلومة وصفات بينة، وذكر كلاماً قال في آخره: ويا سعادة واللّه من جمع في هذا المعنى بين المنقول والمعقول وبين مختار فصحاء العرب وأهل الأصول.

الفصل الرابع والعشرون

واختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين:

---

(1) قائله كعب بن مالك كما جاء في «لسان العرب» (535/1).

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، وقد تقدم أكثر من مرة.

فقال البصريون: هو مشتق من السمو وهو الرفعة، لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره، وهذا قول الزجاج[1]، وقال غيره: إما يسمى الاسم اسماً؛ لأنه علا بقوته على قسمي الكلام، إذ الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف، جاء لمعنى، والاسم أقوى الكلام بالإجماع فلعلوِّه عليها سمي اسماً يقال منه سما يسمو فتضم السين من قولك سمو وسمي فتكسر السين. وقال الكوفيون: إنه مشتق من السمة، وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع عليه، فأصل اسم على هذا وسم.

والأول: أصح لوجهين: أحدهما أنه يقال في التصغير سُمَي، وفي الجمع أسماء والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها، فلا يقال: وسيم ولا أوسام.

الثاني: فائدة الخلاف فمن قال: الاسم مشتق من العلو يقول: لم يزل الله سبحانه موصوفاً قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم لا تأثير لهم في أسمائه وصفاته، وهو الحق، وعلى قول من قال: الاسم مشتق من السمة يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات وإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة وهذا قول المعتزلة.

الفصل الخامس والعشرون

لا خلاف بين أهل الحق أن الصفات الذاتية ليست غيرية، فإن التغاير ينافي الوحدة الحقيقية.

وقد قال بعض الأشعرية: إنها ليست هو ولا غيره، وهذه العبارة عند المخالف غير صحيحة فإنها إذا لم تكن هو كانت غيره، وإذا لم تكن غيره كانت هو؛ إذ ليست

---

(1) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي. (241ـ311هـ) كان من أهل العلم بالأدب والدين، إمام مجمع على إمامته، كان يخرط الزُّجَاجَ في بغداد، وإليه نسبته، بأجر يسير، درهم ونصف الدرهم في اليوم، ولكن روحه العالية، ونفسه الطموح دفعت به إلى طلب العلم فترك صناعة الزجاج، واشتغل باللغة والأدب، متردداً على علماء بغداد الأعلام، وما أكثر ما كانت تعج بهم مدينة السلام، مأوى الخلافة العباسية، وقبلة العلماء من الشرق والغرب على السواء، فلا غرو أن ينبغ فيها من نبغ من العلماء الذين افتخرت بهم على مدى الأيام، من أمثال المبرد وثعلب، حاملي لواء مدرستي البصرة والكوفة.

بينهما واسطة، وقائل هذا من الأشعرية إنما نظر إلى الصفات الذاتية فلما كانت عنده حقائق للذات ومعاني قائمة بها و لم تكن أغياراً قال: إنها ليست هي الذات ولا غيرها إذ لو كانت عين الذات لم يكن في الذات غير الذات، ولو كانت غيرها لكانت محدثة، إذ غير الله محدث، فباين بهذا الاعتقاد المعتزلة وضلالة الكرامية.

وأما الصفات الفعلية فمن الأشعرية من قال: هي ذاتية، ومنهم من قال: هي غيرية، وهو مذهب محققيهم.

قال الأقليشي: وهذا الاختلاف إنما هو بحسب النظرات، فمن نظر إلى اقتدار الله تعالى في الأزل على الخلق والرزق وكل فعل، وردّ صفات الأفعال إلى القدرة و لم ينظر إلى الأسماء المشتقة من الأفعال قال: يسمى الله خالقاً ورازقاً في الأزل لاقتداره على ذلك، كما يسمى السيف في الغمد قاطعاً والماء في الإناء مروياً لكونهما بهذا الوصف. ومن نظر إلى حدوث الأفعال واشتقاق الأسماء فيها قال: لا يسمى الله خالقاً في الأزل ولا رازقاً، لأنه لم يكن في الأزل خلق ولا رزق، وإنما أحدث هذه الأفعال واشتق لنفسه منها أسماء فكانت الأسماء الفعلية غيرية لا ذاتية وقد تقدم هذا.

الفصل السادس والعشرون

لا خلاف أن الاسم الواحد قد يرد على مفهومات ولا ينبغي أن تختلف في أنه ليس في الأسماء الحسنى ترادف وأن كل اسم منها مختص بمفهوم كالواحد والأحد والغفور والغافر والغفّار والعليم والخبير وشبهها، وقد قال الله تعالى: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**»[1] ففرّق بينهما فرقاً يدل على التفاوت مع أن كل واحد من الرداء

(1) رواه الإمام أحمد (7382) والبخاري في «الأدب المفرد» (552) ومسلم (2620) وأبو داود (4090) وابن ماجه (4174) والطيالسي (2378) وغيرهم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

وقد جاء في رواية أحمد من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عزّ وجلّ: الكبرياء ردائي، والعزة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، ألقه في النار**».

وانظر أخي الكريم ما جاء في كتابنا «موسوعة الأحاديث القدسية» في هذا الحديث مع شرحه.

والإزار زينة للابس، ولكن الرداء أشرف من الإزار، ولذلك جعل مفتاح الصلاة «اللّه أكبر»، ولم يقم عند ذوي البصائر النافذة «اللّه أعظم» مقامه.

وكذلك العرب تفرق بين اللفظين في استعمالها فتستعمل الكبير حيث لا تستعمل العظيم، ولو كانا مترادفين لتواردا في كل مقام تقول العرب: فلان أكبر سناً من فلان ولا تقول: أعظم، وكذلك الجليل غير الكبير والعظيم فإن الجلال يشير إلى صفات الشرف على ما يأتي بيانه إن شاء اللّه تعالى.

الفصل السابع والعشرون

قال ابن الحصار: واختلف في معنيين:

أحدهما: هل ما يدل عليه كل اسم من أسمائه الحسنى صفة قائمة بذات الخالق سبحانه موجودة كعلمه وقدرته وحياته وسائر ما قام عليه الدليل من صفاته أم هي أوصاف ونسب ليست بصفة قائمة بالذات؟

والمعنى الثاني: هل يجب لنا أن نثبت صفة غير ما أثبته المتقدمون من أئمتنا أم نقتصر على ما تقدموا له ولا نتعداه؟

وقد تمدح الفقيه أبو بكر بن العربي، بأن ضمّ الأسماء كلها إلى السبع الصفات، وزعم أن لا مدلول عليها في المعقول والمنقول جميعاً ويعني بالصفات السبع: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، وقد تكلف ـ رحمه اللّه ـ رد جميع الأسماء ومفهوماتها إلى الوجود وإلى هذه الصفات.

قال ابن الحصار: وليس في هذا الباب إجماع ولا حجة بالغة، ولا دلالة قاطعة تدل على حصر الصفات القائمة بالذات ولا معنى لرد جميع الأسماء ومفهوماتها لسبع صفات كما قال، ولا حجة لمن فعل ذلك، والذي نعتقده أن كل اسم يدل على صفة يدل عليها وجه من وجوه الافتقار في الفعل فهي موجودة إذ بهذا الاعتبار أثبتنا العلم والقدرة وسائر ما دلت عليه وجوه الافتقار، وبهذه الطريقة أثبتنا الكلام والسمع والبصر، وهذا طرد المعقول والمشروع، وما لم يدل عليه وجه من وجوه الافتقار فهو راجع إلى نفي النقائص، وإما إلى إضافة نسب أو إلى الأفعال.

الفصل الثامن والعشرون

واختلف في تسمية الله سبحانه أسمائه بالحسنى.

فقيل: لما فيها من العلو والتعظيم والتقديس والتطهير، فكل أمر معظم يسمى به.

وقيل: سميت حسنى لما وعد فيها من الثواب عند الذكر للعبد، وجزيل العطاء عند التوسل بالدعاء.

وقيل: سميت حسنى لكونها حسنة في الأسماع والقلوب.

وقيل: لأنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وأفضاله ولهذا حمد نفسه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 1] وإنما حمد نفسه بما استحق واتصف به من صفات الجلال والعظمة والكمال، وهذه التسميات تدل على تلك الصفات، فله الحياة الدائمة وكل شيء هالك إلا وجهه، وله العلم المحيط الذي لا ينبغي إلا له، وله القدرة التامة على كل شيء، والمشيئة النافذة في كل شيء، والملك الدائم، والعزة التي لا ترام التي لا تجب إلا له إلى سائر ما وجب له مما دلت عليه أسماؤه الحسنى. فكانت حسنى لحسن مدلولاتها، وكاملة بكمال مفهوماتها فشرف الدلالات بشرف مدلولها.

ولذلك تعبدنا بصون المصاحف، وإن كانت ورقاً وحبراً، وأمرنا بحفظها وحمايتها ورعيها، ونهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو[1] صوناً له عن أوضار العدو ونجاستهم وكذلك يشرف العالم بشرف العلم، كما يشرف العلم بشرف المعلوم، وكذلك يشرف الذاكر بشرف المذكور، والله سبحانه أشرف الموجودات، وبحسب ذلك تعظم المثوبة، وتطيب المجازاة وتكثر، ولكن الحسن في ذلك كله، والشرف راجع إلى المذكور، وهذا كله بيّن لا يحتاج إلى برهان.

وقد قيل: إن معنى وصفها بالحسنى معرفة الواجب في وصفه، والجائز في نعته، والممتنع المحال في حقه.

---

(1) روى الإمام مالك في «موطئه» (979) وأحمد (4525) والبخاري (2194) ومسلم (1534) وأبو داود (3367) وأبو يعلى (5798) وابن حبان (4991) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحُها، نهى البائع والمشتري، ونهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. لفظ أحمد.

والحسنى مصدر وصف به، ويجوز أن نقدّر الحسنى فُعْلى مؤنث الأحسن كالكبرى تأنيث الأكبر، والجمع الكُبَر والحُسَن، وعلى الأول أفرد كما أفرد وصف ما لا يعقل كما قال: ﴿مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 18] ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: 10]».

الفصل التاسع والعشرون

قال ابن العربي: إذا علمتم الحسن في أسماء الله تعالى فاعلموا الحسن في أسمائكم، وذلك بأن يسمى المرء بأسماء الأنبياء والصالحين، وفي صحيح مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ [مريم: 28] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**»[1].

قلت: وروى أبو داود عن أبي وهب الجشمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة**»[2].

وروي أن النبي ﷺ قال لرجل: «**ما اسمك؟**» قال: مرة. فأعرض عنه، وقال لآخر: «**ما اسمك؟**» قال: يعيش. قال: «**احلب**»[3] فدل هذا على جواز التسمية بكل اسم

(1) رواه الإمام أحمد (18226) ومسلم (2135) والترمذي (3155) والنسائي في «الكبرى» (11315) والطبراني في «الكبير» (20/986) وابن حبان (6250) وغيرهم.

(2) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (814) وأبو داود (4950) والنسائي (3567) وفي إسناده عقيل بن شبيب، مجهول.

(3) الحديث بتمامه رواه الإمام مالك (1819) في الاستئذان مرسلاً عن يحيى بن سعيد، أن رسول الله ﷺ للقحة تحلب قال: «**من يحلب هذه؟**» فقام رجل. فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك؟**» فقال له الرجل: مُرَّة. فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلس**» ثم قال: «**من يحلب هذه؟**» فقام رجل. فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك؟**» فقال: حرب. فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلس**» ثم قال: «**من يحلب هذه؟**» فقام رجل. فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك**» فقال: يعيش. فقال له رسول الله ﷺ: «**احلب**».

يوافق المقاصد والأغراض المستحسنة ويجتنب الألقاب المستهجنة والأسماء المستكرهة، وكذلك ما يقتضي التزكية على ما يأتي بيانه في اسمه الزكي إن شاء اللّه تعالى.

وثبت عنه ـ عليه السلام ـ أنه قال: «**تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**»[1]، وروى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يوقف عبدان بين يديّ اللّه تعالى فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان: ربنا بمَ استوجبنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة؟ فيقول ربنا سبحانه لهما: عبديّ ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي ألا أدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد**»[2].

وروى مكحول عن أبي أمامة الباهلي عن رسول اللّه ﷺ قال: «**من ولد له مولود فسمّاه محمداً حباً لي وتبركاً باسمي كان هو ومولوده في الجنة**»[3] وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من قبل اللّه عز وجل ألا من اسمه محمد فليقم فإذا اجتمعوا بين يدي اللّه عز وجل مرّ بهم إلى الجنة كرامة لاسم النبي ﷺ**»[4]. وروي عن الحسن البصري أنه قال: «إن اللّه ليوقف العبد بين يديه يوم القيامة اسمه أحمد أو محمد فيقول اللّه تعالى له: عبدي أما استحييتني وأنت تعصيني واسمك اسم حبيبي محمد ﷺ فينكس العبد رأسه حياءً ويقول: اللهم إني قد فعلت. فيقول اللّه عز وجل: يا جبريل خذ بيد عبدي فأدخله الجنة فإني أستحي أن

=ورواه الطبراني في «الكبير» (22/277) من طريق يعيش الغفاري بلفظ قريب، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (8/12831) وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. وانظر أخي الكريم ما جاء في كتابنا «أحكام المولود» فقد أتينا على هذا الباب كاملاً.

(1) رواه الإمام أحمد (14231) والبخاري (3114) ومسلم (2133) وأبو داود (4965) والطيالسي (1730) وابن ماجه (3736) وأبو يعلى (1915) وغيرهم. من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما. بزيادة: «فإنما أنا قاسم أقسم بينكم» لفظ مسلم.

(2) موضوع، أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (1/157)، وقال: هذا حديث لا أصل له. قال ابن حبان: صدقة بن موسى لا يحتج به، لم يكن الحديث من صناعته، كان إذا روى قلب الأخبار.

(3) أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (1/157) وقال: في إسناد هذا الحديث من قد تكلم فيه.

(4) موضوع كسابقيه.

أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي محمد ﷺ»[1].

وعن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إذا سميتم الولد محمداً فعظموه ووقروه وبجلوه ولا تذلوه ولا تحقروه ولا تجبهوه ولا تردوا له قولاً تعظيماً لمحمد ﷺ**»[2]. وعن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يسمونهم محمداً ثم يسبونهم**». وفي حديث آخر «**يسمونه محمداً ثم يسبونه**»[3]، وروى ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**تسمون أبناءكم محمداً فإذا سميتموهم محمداً فبروهم وأكرموهم وعلموهم ولا تقبحوا لهم وجهاً فإني أشفع لكل محمد وأشفع لأمتي كلها. والبيت إذا كان فيهم من اسمه محمد اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وبعد منه الشيطان، والكتّاب إذا كان فيهم غلام اسمه محمد قالت الملائكة: أكرموا سمي حبيب اللّه عز وجل**»[4]. وروى واثلة بن الأسقع قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من ولد له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم محمداً فقد جهل**» وفي طريق آخر: «**من رزق مولوداً فلم يسمه محمداً فهو من الجاهلين**»[5]. وعن علي بن موسى الرضا عن آبائه الكرام ـ عليهم السلام ـ عن علي رضي اللّه عنه.

الفصل الموفي ثلاثين

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: 180] قوله تعالى: ﴿يلْحِدُونَ﴾ الإلحاد: الميل وترك القصد، يقال: ألحد الرجل في الدين، وألحد إذا مال، ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته، وقرئ «يَلْحَدُون» لغتان، والإلحاد يكون بثلاثة أوجه:

---

(1) لا يصح.

(2) موضوع.

(3) هو كسابقه.

(4) موضوع.

(5) موضوع وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (156/1)، وقال: هذا حديث لا يصح وكل رجاله ثقات، ولا أتهم به إلا ابن المعداني.

أحدها: بالتغيير فيها كما فعله المشركون، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسمّوا بها أوثانهم، فاشتقوا اللات من اللّه، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، قاله ابن عباس وقتادة. **الثاني**: بالزيادة فيها. **الثالث**: بالنقصان منها كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها اللّه تعالى بغير أسمائه، ويذكرونه بغير ما يذكر من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به.

قال ابن العربي: فحذار منها ولا يدعونَّ أحدكم إلا بما في كتاب اللّه، والكتب الخمسة وهي البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي، فهذه الكتب التي يدور الإسلام عليها، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف وذروا ما سواها ولا يقولن أحدكم أختار دعاء كذا وكذا، فإن اللّه قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله ﷺ ومعنى الزيادة في الأسماء التشبيه، والنقصان التعطيل فإن المشبهة وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلة سلبوا ما اتصف به، ولذلك قال أهل الحق: إن ديننا طريق بين طريقين، لا بتشبيه ولا بتعطيل.

وسئل الشيخ أبو الحسن البوشنجي عن التوحيد فقال: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الأعراف: 180] معناه اتركوهم ـ ولا تحاجوهم ولا تعرضوا لهم فالآية على هذا منسوخة بالقتال، قاله ابن زيد، وفيه بعد؛ لأن الجزية يبذلون على ذلك والرق يضرب عليهم معه.

وقيل: معناه الوعيد، كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ [المدثر: 11] وقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: 3] وهو الظاهر من الآية لقوله تعالى من الآية: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180] واللّه أعلم»[1].

---

(1) في أصل المخطوط المعتمد نقص بسيط تمّ استدراكه من «الجامع لأحكام القرآن «للقرطبي» (4/293-294) بتحقيقنا، وقد جاء اللفظ بتمامه كما هو مُبين ـ عقب قوله: معناه اتركوهم.
قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180] فيه مسألتان:
الأولى: قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ الإلحاد: الميل وترك القصد؛ يقال: ألحد الرجل في الدين. وألحد إذا مال. ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته. وقُرِئَ «يَلْحَدُونَ» لغتان والإلحاد يكون=

«الفصل الحادي والثلاثون»

في الأحاديث الواردة في تعيين الأسماء والكلام عليها قال القاضي أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله ـ: اعلموا جعلكم الله ممن سمع العلم ووعاه ثم قيده ورعاه أن الثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً الله وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة**»[1] من غير تفسير للأسماء ولا تعدية لذكرها، وروى جماعة من العلماء عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد الحديث بعينه فعددها فقال: «**هو اللهُ**

=بثلاثة أوجه: **أحدها**: بالتغيير فيها كما فعله المشركون، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسمّوا بها أوثانهم، فاشتقوا اللات من اللّه، والعزى من العزيز، ومَنَاةَ من المنان، قاله ابن عباس وقتادة. **الثاني**: بالزيادة فيها. **الثالث**: بالنقصان منها؛ كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها اللّه تعالى بغير أسمائه، ويذكرونه بغير ما يذكر من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به.

قال ابن العربي: فحَذَارِ منها ولا يدعونَّ أحدكم إلا بما في كتاب اللّه، والكتب الخمسة؛ وهي البخاريّ ومسلم والترمذيّ وأبو داود والنسائي، فهذه الكتب التي يدور الإسلام عليها، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف، وذَرُوا ما سواها، ولا يقولَنّ أحدكم أختار دعاء كذا وكذا، فإن اللّه قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله ﷺ.

الثانية: معنى الزيادة في الأسماء التشبيه، والنقصان التعطيل. فإن المشبهة وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلة سلبوا ما اتصف به، ولذلك قال أهل الحق: إن ديننا طريق بين طريقين، لا بتشبيه ولا بتعطيل. وسئل الشيخ أبو الحسن البوشَنْجِيّ عن التوحيد فقال: إثبات ذات غير مشبَّهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ**﴾ [الأعراف: 180] معناه اتركوهم ولا تحاجوهم ولا تعرضوا لهم. فالآية على هذا منسوخة بالقتال، قاله ابن زيد، وقيل: معناه الوعيد؛ كقوله تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**﴾ [المدثر: 11] وقوله: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا**﴾ [الحجر: 3] وهو الظاهر من الآية؛ لقوله تعالى: ﴿**سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: 180] واللّه أعلم.

وانظر أخي الكريم «أحكام القرآن» لابن العربي (2ـ351)، سورة الأعراف الآية (180).

(1) رواه البخاري (2736) ومسلم (2677) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، وقد تقدم أكثر من مرة.

الذي لا إله إلاَّ هو، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلاَمُ، المُؤمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخالِقُ، البارِىءُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الخافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُود، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحمِيدُ، المُحْصِي، المُبْدِىءُ، المُعِيدُ، المُحْيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، المُقْسِطُ، الجامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْنِي، المَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيعُ، البَاقِي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ»[1].

قال ابن العربي: ورويت معدودة في الحديث نفسه عن أبي هريرة من طريق ابن سيرين فذكرها وذكر فيها أسماء ليست في حديث شعيب وأسقط منها أيضاً أسماء

(1) الحديث كما رواه الترمذي (3507)، من طريق شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «هو اللَّهُ الذي لا إله إلاَّ هو، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلاَمُ، المُؤمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِىءُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُود، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحمِيدُ، المُحْصِي، المُبْدِىءُ، المُعِيدُ، المُحْيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، المُقْسِطُ، الجامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْنِي، المَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيعُ، البَاقِي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ».

وقد رواه ابن حبان (808) باختلاف يسير بألفاظه.

رويت من تلك الطرق ورواه عن ابن سيرين أيوب وهشام بن حسان رواه عنهما عبد العزيز بن الحصين وليس بالقوي عند أهل الحديث، وشعيب بن أبي حمزة وإن كان عندهم مأموناً لكن لا يعلم هل تفسير هذه الأسماء في الحديث هل هي من قول الراوي أو من قول النبي ﷺ؟ والظاهر أنها من قول الراوي لوجهين:

أحدهما: أن أصحاب الصحيح لم يذكروها.

والثاني: أن فيها تفسيراً بزيادة ونقصان، وذلك لا يليق بالمرتبة العليا النبوية.

قلت: في كلامه هذا نظر، وإن كان قد سبقه إليه البيهقي وغيره على ما نبينه.

وقال الفقيه أبو بكر بن برجان: إن الروايات التي جاءت بتعداد الأسماء جوت باختلافها تبديل اسم مكان اسم على أكثر من تسعة وتسعين، وقد أتت من طرق شتى وكلها حق وأسماء لله عز وجل.

قلت: وحديث شعيب بن أبي حمزة خرجه الترمذي من حديث إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم.

حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روى هذا الحديث عن غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ لا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد آخر هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح.

قال الأقليشي: فهذه الرواية التي رجح الترمذي على سائر الروايات قد رواها محمد بن إسحاق بن خزيمة عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني كما رواه الترمذي سواء وعلى هذه الرواية عوّل أكثر الشارحين للأسماء.

وقد روى عبد الله بن سعيد بن هاشم عن صفوان عن الوليد بن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ عدد الأسماء وفيها أسماء عوض أسماء. رواه ابن الأعرابي عن سليمان بن الربيع النهدي عن خالد بن مخلد القطواني عن عبد العزيز

ابن الحسن عن أيوب وهشام بن حسان عن ابن سيرين[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» فذكرها إلا أن هذه الرواية أضعف من الروايات المتقدمة، لأن عبد العزيز بن الحصين ليس بالقوي في الحديث وأولى الروايات بالتعويل عليها ما رواه الترمذي، فإنه حكم أنها أصح رواية رويت في الأسماء المعدودة وحسبكم ما حكم به الترمذي لكونه من أئمة صناعة الحديث، ولكنه لم يقطع بصحتها كما قطع بصحة الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول اللّه ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» خرجه البخاري[2] في الصحيح و لم يختلف أحد في صحة سنده وثقة رواته، وأما الحديث الذي فيه عدد الأسماء فكلها مضطربة وأشبهها ما خرجه الترمذي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة.

قلت: وقد أخرجه البيهقي[3] أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي عن أبي عمران موسى بن أبي أيوب النصيبي عن الوليد بن مسلم وعن الحسن بن سفيان وجعفر بن محمد بن المستعاض الفريابي جميعاً عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم قال، وقيل: في رواية النصيبي «المغيث» بدل «المقيت» وفي رواية جعفر بن محمد «المغيث» قال: وفي رواية الحسن بن سفيان «الدافع» بدل «المانع».

ورواه عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان قال: حدثنا أيوب السختياني وهشام ابن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» فذكرها وعدّ منها ما لم يقع في حديث شعيب «**الإله الربّ، الحنّان، المنّان، البادِئُ، الأحدُ، الكافي، الدائِمُ، المولى، النصيرُ، المُبِينُ، الجَميل، الصَّادق، المُحيط، القريبُ، القَدِيمُ، الوِتْرُ، الفَاطر، العَلاّم، الأكْرَمُ، المدبِّرُ، ذو الطَّوْلِ والمعارج، ذو الفَضْلِ، الكفيل**».

---

(1) جاء في هامش المخطوط (ص- 58): وقفت عند الترمذي وقد روى أنه من طريق آخر، حديث فيه عدد الأسماء.

(2) وقد تقدم من رواية أحمد (7627) والبخاري (2736) ومسلم (2677) وغيرهم.

(3) في «الأسماء والصفات» (ص 15-16).

قال البيهقي: تفرد بهذه الرواية عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، وهو ضعيف عند أهل النقل ضعّفه يحيى بن معين ومحمد بن إسماعيل البخاري، ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح، فإن كان محفوظاً عن النبي ﷺ فكأنه قصد أن من أحصى من أسماء اللّه تعالى تسعة وتسعين اسماً دخل الجنة سواء أحصاها من حديث الوليد بن مسلم أو مما نقلناه في حديث عبد العزيز بن حسين أو من سائر ما دلّ عليه الكتاب والسنة واللّه أعلم.

وقال أبو حامد: وقد تكلم أحمد الثقفي على رواية أبي هريرة وذكر أنها من رواية مَنْ فيه ضعف وأشار أبو عيسى الترمذي إلى شيء من ذلك، ويدل على ضعف هذه الرواية سوى ما ذكره المحدثون اضطراب الرواية عن أبي هريرة إذ عنه روايتان وبينهما تباين ظاهر في الإبدال والتغيير، ثم روايته ليست تشتمل على ذكر «الحنان المنان» ورمضان وجملة من الأسماء التي وردت بها الأخبار.

وقال ابن عطية في «تفسيره»: وقد جاء في كتاب الترمذي حديث عن النبي ﷺ نصّ فيه تسعة وتسعين اسماً، وفي بعضها شذوذ وذلك الحديث ليس بالمتواتر وإنما المتواتر منه قوله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»** وورد في بعض دعاء النبي ﷺ: **«يا حنان يا منان»** ولم يقع هذان الاسمان في تسمية الترمذي.

وقال أبو الحسن بن الحصار: رواة هذا الحديث كلهم ثقات وإنما لم يصححه الترمذي ـ رحمه اللّه ـ لأن هذه الرواية التي ذكر فيها الأسماء معارضة عنده لرواية من روى الحديث ولم ينص على الأسماء، وأنت تعلم بأدنى نظر أن ليست هذه معارضة فيحتاج إلى الترجيح بين الرواة وإذا كان الراوي الذي ذكر الأسماء في روايته عدلاً فزيادة العدل مقبولة، وما ذكره ابن العربي من أنه لا يعلم هذه الأسماء في الحديث من قول الراوي أو من قول النبي ﷺ؟

فاحتمال يتطرق لكل حديث فيلزم طرح كل حديث، والتوقف عنه، وكل اعتراض يؤدي إلى هذا فهو باطل مردود ولا ينبغي أن ترد الآي والأحاديث بالاحتمال العقلي

وإنما تحمل الآي والأحاديث على الاحتمال اللغوي وهذا أصل عظيم في التأويل في سائر أحكام الشريعة فكيف في أسماء الله تعالى التي قد اتفق الجميع على أنه لا يجوز وضعها بالاجتهاد بل الأقرب أن يقال: إنما أسقطها من قصر حفظه عن الإتيان بها على وجهها.

قال: وهذا الحديث عندي حجة يجب قبوله والعمل به والرجوع إليه، وقد ورد في هذا الحديث من غير هذا السند زيادة ونقص وتبديل ولكنه طريق معتل فلا تلتفت إليه. يريد حديث عبد العزيز بن الحصين والله أعلم.

وقد ذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في «سننه»[1] بإسناد حسن فقال: حدثنا هشام بن عمار [حدثنا][2] عبد الملك بن محمد الصنعاني [حدثنا] أبو المنذر زهير بن محمد التميمي [حدثنا] موسى بن عقبة قال: حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة**».

فذكرها وعدّ منها ما لم يقع في حديث الترمذي وإن كان بعضها قد وقع في حديث عبد العزيز بن الحصين فأما ما لم يرد فيهما فمنها: «**البارّ، الراشد، البرهان الشّديد، الوافي، القائِمُ، الحافِظُ، النّاظِر، السّامع، المُعطي، الأبَد، المنير، التّامّ**».

قال زهير: فبلغنا عن غير واحد من أهل العلم أن أولها يفتح بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى.

قلت: زهير بن محمد التميمي العنبري الخراساني خرّج له البخاري ومسلم وأما عبد الملك بن محمد الصنعاني فإنه يكنى أبا الزرقاء وهو من صنعاء الشام لا من صنعاء اليمن، وسئل عنه أبو حاتم الرازي فقال: يكتب حديثه. وسئل عنه دُحيم فكأنه ضجّع، وأما هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي القارئ خطيب دمشق يكنى أبا الوليد فإن البخاري روى عنه في صحيحه وأبو داود والنسائي وغيرهم، وسُئل عنه

(1) في كتاب الدعاء برقم (3861) باب (10) أسماء الله الحسنى.

(2) بين القوسين علامة (ما) وهي معروفة عند أهل الحديث.

أبو حاتم الرازي فقال: صدوق، وكذلك قال النسائي، وقال أيضاً: لا بأس به، وسائر السند معروف رجاله، والحمد لله، وهذا الحديث لم يذكره أحد ممن تكلم على الأسماء فيما رأيت فإما أغفلوه وإما لم يصل إليهم ونص الأسماء فيه على التوالي:

« للّه، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصوّر، الملك، الحقّ، السّلام، المؤمِنُ، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السّميع، البَصير، العليم، العظيم، البارّ، المتعالي، الجليل، الجميلُ، الحيُّ، القيُّوم، القادِرُ، القاهِر، العَليُّ، الحكيم، القريبُ، المُجيبُ، الغنيُّ، الوهّاب، الوَدُودُ، الشّكُور، الماجِدُ، الواجد، الوالي، الراشد، العفوّ، الغفور، الحليم، الكريم، التوّاب، الربّ، المجيد، الوليُّ، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، الرحيم، المُبدئُ، المُعيد، الباعِثُ، الوارث، القويّ، الشديد، الضارّ، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع، القابض، الباسط، المعزّ، المذلّ، المقسط، الرازق، ذو القوة المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، النّاظر، السامع، المعطي، المانع، المُحيي، المُميت، الجامع، الهادي، الكافي، الأَبد، العالم، الصادق، النّور، المنير، التّام، القَديم، الوِتْر، الأَحَد، الصَّمَد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»

قال زهير: فبلغنا على ما تقدم.

قلت: فهذه الأحاديث التي وردت الأسماء والحديث عليها وقد جاءت أسماء في أحاديث متفرقة «كالسّبّوح» ثبت في الصحيحين. وفي صحيح البخاري «ديان» وفي صحيح مسلم «إن اللّه طيب» وفيها «إن اللّه وتر» وعند أبي داود «السيد اللّه» وفي الترمذي والبزار «إن اللّه طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة جواد يحب الجود» وأسماء سواها يأتي بيانها إن شاء اللّه.

وفي القرآن أيضاً أسماء كثيرة فمنها «اللهم» و«فَعّالٌ» و«مُسْتَعَان» و«وتْرٌ» و«آل» على الخلاف فيهما هل هما اسمان لله تعالى في كتابه أم هما واقعان على موجودين من مخلوقاته؟ وأسماء أُخر غير هذه.

ومن المضاف ﴿قَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: 3] ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: 15] ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: 96] ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: 95] ﴿أَحْكَمُ

﴿الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45] ﴿أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62] ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: 202] ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: 3] «كاشف العذاب» وشبه هذا من الأسماء المضافة.

وفي القرآن أيضاً أفعال كثيرة لو اشتققت منها أسماء لتضاعف العدد المذكور فمنها ما لا خلاف بين أهل السُّنَّة في اتصاف اللّه تعالى بها منها «مريد» في قوله: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107] و«متكلم» من قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: 164] و«آمر وناهٍ» من قوله: ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النحل: 90] و«معبود» من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 4] و«مضل» من قوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: 27] ولو اشتققت قاضياً من قوله: ﴿يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: 20] ووافياً من قوله: ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: 39] ومطعماً وساقياً من قوله: ﴿يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: 79] وشافياً من قوله: ﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80] وميسراً من قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ [الليل: 7] ومؤيداً من قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: 22] ومحبّاً من قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54] ومجيراً من قوله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ [المؤمنون: 88] وما أشبهه هذا لكان هذا النوع في القرآن كثيراً ولكنه قد يوجد أيضاً في الأحاديث التي عدت فيها الأسماء ما ليس في القرآن لا مفرداً ولا مضافاً ولا تجد له فعلاً تشتقه منه.

فمنها: ما في رواية الترمذي «رَشيد صَبُور عَدْل مُقدِّم خافِض مانع ضارّ» إلا إن أخذته ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام: 17] ومقسط إلا إن أخذته من قوله: ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18] وواجد إلا إن أخذته من قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ [الضحى: 7] وما أشبه هذا، وجليل إلا إن أخذته من قوله ﴿ذِي الْجَلالِ﴾ [الرحمن: 78] وفي غير رواية الترمذي في الأسماء المعدودة «قديم ودائم وصادق» إلا إن أخذته من قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: 122].

الفصل الثاني والثلاثون

وإذ قد ذكرنا الأسماء الواردة في الحديث فلنذكر الأسماء التي خرّجها بعض العلماء من القرآن العزيز. فمنهم من نظر إلى الأسماء التي هي غير مضافة ولا مستترة في الأفعال فلم تبلغ له على هذا النحو إلى تسعة وتسعين.

وكان أبو عبد اللّه الزبيدي يقول: تأملتُ الأسماء التي جاءت في الأخبار والآثار فلما قابلتها بما جاء في القرآن وجدتها مائة وثلاثة عشر اسماً وإنما زادت على المبلغ المذكور في الخبر لأني حسبتها متكررة كقوله [تعالى]: (القادر) و(القدير) و(المقتَدِر) و(الرزّاق) و(الرَّازِق) و(الغافِر) و(الغَفُور) و(الغفّار) فحذفت التكرير فوجدتها سواء على ما وصفت لك.

وذكر أبو القاسم النحوي الزجاجي[1] عبد الرحمن بن إسحاق في «اشتقاق أسماء اللّه عز وجل وصفاته المستنبطة في التنزيل» حدثني عبد الرحمن قال: حدثني أبو عبد اللّه الحسين بن محمد الرازي الفقيه قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عمير الرازي قال: حدثنا أبو الفضل عبد الرحمن بن معاوية العتبي بمصر قال: حدثنا حبان بن نافع بن صخر بن جويرية قال: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إن لله جل وعز تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**».

قال حبان: فحدثني داود بن عمر بن قنبل المكي قال: سألنا سفيان بن عيينة أن يملي علينا التسعة والتسعين اسماً التي لله جل وعز من القرآن فوعدنا أن يخرجها لنا فلما أبطأ علينا أتينا أبا زيد فأملى علينا هذه الأسماء.

فأتينا بها سفيان فعرضناها عليه فنظر فيها أربع مرات فقال: هي هذه الأسماء. فقلنا: اقرأها علينا، فقرأها علينا سفيان:

في «فاتحة الكتاب» خمسة أسماء: يا اللّه يا رب يا رحمن يا رحيم يا مالك.

وفي «البقرة»: ستة وعشرون اسماً يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا تواب يا نصير يا واسع يا بديع يا سميع يا كافي يا رؤوف يا شاكر يا إله يا واحد يا غفور يا حليم

---

(1) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النهاوندي الصيمري النحوي. ولد بنهاوند ثم انتقل إلى بغداد ... ثم غادر إلى حلب ثم إلى دمشق... ودَرَّس بالجامع الأموي. ثم انتقل إلى مكة وتوفي فيها سنة (337هـ).
ترك ـ رحمه اللّه تعالى ـ ثروة علمية هائلة، منها: اشتقاق أسماء اللّه الحسنى، والإيضاح في علل النحو، والكافي في النحو، واللامات، ومجالس العلماء، والمخترع في القوافي، والجمل، وشرح الجمل، وشرح رسالة سيبويه.... وغيرها من الكتب النافعة.

يا قابض يا باسط يا إله إلا هو يا حيُّ يا قيّوم يا عليُّ يا عظيم يا وَليّ يا غنيّ يا حميد.

وفي «آل عمران» أربعة أسماء: يا قديم يا وهّاب يا سريع يا خبير.

وفي «النساء» ستة أسماء: يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا عَفوُّ يا مقيت يا وكيل.

وفي «الأنعام» خمسة أسماء: يا فاطر يا قاهر يا قادر يا لطيف يا خبير.

وفي «الأعراف» اسمان: يا محيي يا مميت.

وفي «الأنفال» اسمان: يا نعم المولى ويا نعم النصير.

وفي «هود» سبعة أسماء: يا حفيظ يا رقيب يا مجيب يا قوي يا مجيد يا ودود يا فعّال.

وفي «الرعد» اسمان: يا كبير يا متعال.

وفي «إبراهيم» اسم: يا منّان.

وفي «الحجر» اسم: يا خلاّق.

وفي «مريم» اسمان: يا صادق يا وارث.

وفي «الحج» اسم: يا باعث.

وفي «المؤمنين» اسم: يا كريم.

وفي «النور» ثلاثة أسماء: يا حقّ يا مبين يا نور.

وفي «الفرقان» اسم: يا هادي.

وفي «سبأ» اسم: يا فتّاح.

وفي «المؤمن» أربعة أسماء: يا غافر يا قابل يا شديد يا ذا الطول.

وفي «الذاريات» ثلاثة أسماء: يا رازق يا ذا القوة يا متين.

وفي «الطور» اسم: يا برّ.

وفي «اقترب» اسم: يا مقتدر.

وفي «الرحمن» ثلاثة أسماء: يا باقي يا ذا الجلال يا ذا الإكرام.

وفي «الحديد» أربعة أسماء: الأول الآخر الظاهر الباطن.

وفي «الحشر» عشرة أسماء: يا قدّوس يا سَلام يا مؤمن يا مُهيمِنُ يا عزيز يا جبَّار يا متكبّر يا خالق يا بارِئ يا مصوّر.

وفي «البروج» اسمان: يا مبدئ يا معيد.

وفي ﴿قل هو اللّه أحد﴾ اسمان: يا أحد يا صمد.

قال ابن العربي: روي عن سفيان بن عيينة أنه سُئِل عن تعديد الأسماء حين روى الحديث فأملاها على أصحابه. [فإذا] استقريت ما عدّد وتتبعته ألفيته قد أغفل ما حقه أن يذكر وذكر ما سواه، وذلك أنه ذكر في بعض السور أسماء أخذها من الأفعال وترك في بعضها أسماء منصوصة كما فعل في «سورة البقرة» إذ عدّ فيها ستة وعشرين اسماً وأسقط منها اسم: شاكر وإله وواحد وقريب، وزاد فيها اسم: قابض وباسط، وهما من الأفعال.

وكذلك فعل في بعض السور ولو سلكنا هذا المسلك لأربت الأسماء على هذا المدرك، واتسع الكلام واختل النظام، وقد تابعه في ذلك محمد بن شعبان فذكرها بلفظها على سورها حرفاً بحرف.

قال: وقد قيل: إن تعديد الأسماء: اللّه الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الودود الغفور الشكور المجيد المبدئ المعيد النور البادي الأول الآخر الظاهر الباطن الغفور الغفّار الوهاب القادر الأحد الصمد الوكيل الكافي الباقي الحميد المغيث الدائم المتعالي ذو الجلال والإكرام المولى النصير الحق المبين الباعث المجيب المحيي المميت الجميل الصادق الحفيظ المحيط الكبير القريب الرقيب الفتاح التواب القديم الولي الفاطر الرزاق العلام الرؤوف المدبر المالك القاهر الهادي الشاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذو الطول ذو المعارج ذو الفضل الخلاّق الكفيل الجليل العلي العظيم الغني المليك المقتدر الأكرم.

قال ابن العربي: وهذا كله قاصر عن المراد يتزيف بالانتقاد، ولقد تتبعناها في كتاب اللّه وقرأناه واستقرأناه قصد ذلك فوجدتها على ما أسطره وهي:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«سورة الحمد» فيها خمسة أسماء: اللّه، الرب، الرحمن، الرحيم، مالك.

«سورة البقرة» فيها ثلاثون اسماً: محيط، قدير، عليم، حكيم، ذو الفضل، العظيم، بصير، واسع، بديع السماوات، سميع، التواب، العزيز، رؤوف، شاكر، إله، واحد، غفور، شديد العقاب، عظيم، ولي، غني، حميد، مولى.

«سورة آل عمران» فيها عشرة أسماء: عزيز، ذو انتقام، وهاب، قائم بالقسط، جامع الناس، مالك الملك، خير الماكرين، شهيد، خير الناصرين، وكيل.

«سورة النساء» فيها سبعة أسماء: الرقيب، الحسيب، كبير، العفو، البصير، مقيت، جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً.

«سورة المائدة» فيها سبعة عشر اسماً: فاطر، قاهر، شيء، شفيع، خير الفاصلين، الحق، أسرع الحاسبين، القادر، فالق الحب والنوى، فالق الإصباح، جاعل الليل سكناً، مخرج الحي من الميت، ومخرج الميت من الحي، سريع العقاب، خالق كل شيء، اللطيف، الحكيم.

«سورة الأعراف» فيها أربعة أسماء: خير الحاكمين، خير الفاتحين، أرحم الراحمين، خير الغافرين.

«سورة براءة» [فيها اسم][1]: مخزي الكافرين.

«سورة هود» فيها سبعة أسماء: أحكم الحاكمين، حفيظ، مجيب، قوي، مجيد، ودود، فعّال لما يريد.

«سورة يوسف» فيها ثلاثة أسماء: المستعان، القهار، الحافظ.

«سورة الرعد» فيها ستة أسماء: ذو مغفرة، عالم الغيب والشهادة، الكبير، المتعال، شديد المحال، القائم على كل نفس بما كسبت.

«سورة الحجر» فيها اسمان: الوارث، الخلاق.

«سورة النحل» فيها [اسم] واحد: كفيل.

«سورة الكهف» فيها ثلاثة أسماء: المقتدر، ذو الرحمة، الموئِل[2].

«سورة مريم» فيها [اسم] واحد: حفيّ.

«سورة طه» فيها اسمان اثنان: اسم الملك، خَيْرٌ وأبقى.

«سورة اقترب» فيها ثلاثة أسماء: الحاسب، خَيْر الوارثين، الفاعل.

---

(1) نقص في المخطوط، والاستدراك من «أحكام القرآن» (340/2) لابن العربي. فقد سرد اللفظ في الأحكام كما هو هنا تماماً.

(2) «الموئِل» نسبة إلى قوله تعالى: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾ [الكهف: 58] والمعنى أنه لن يجدوا من دون الله تعالى منجا وملجأ ومخلصاً.

«سورة الحج» فيها اسم واحد: المكرم.

«سورة المؤمنين» فيها اسمان: أحسن الخالقين، خير المنزلين.

«سورة النور» فيها اسمان: المبين، نور السماوات والأرض.

«سورة الفرقان» فيها اسم: الهادي.

«سورة النمل» [فيها] اسم: الكريم.

«سورة الروم» [فيها» اسم: مُحيي الموتى.

«سورة سبأ» فيها: الفتّاح.

«سورة فاطر» [فيها] اسم: شكور.

سورة «ص» [فيها] اسم: الغفّار.

«سورة الزمر» فيها اسمان: سالم، كاف.

«سورة المؤمن» فيها خمسة أسماء: غافر الذنب، قابل التوب، ذو الطول، رفيع الدرجات، ذو العرش.

«سورة فصلت» [فيها] اسم: ذو عقاب.

«سورة الزخرف» فيها اسم: المبرم.

«سورة الدخان» فيها ثلاثة أسماء: المنذر، المرسل، المنتقم.

«سورة ق»: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

«سورة الذاريات» فيها خمسة أسماء: الموسع، الماهد، الرزاق، ذو القوة، المتين.

«سورة الطور» فيها اسم واحد: البر.

«سورة اقترب» فيها اسم واحد: المليك.

«سورة الرحمن» فيها اسم واحد: ذو الجلال والإكرام.

«سورة الواقعة» فيها ثلاثة أسماء: الخالق، الزارع، المنشئ.

«سورة الحديد» فيها أربعة أسماء: الأول، الآخر، الظاهر، الباطن.

«سورة المجادلة» فيها اسمان: رابع ثلاثة، وسادس خمسة.

«سورة الحشر» فيها عشرة أسماء: القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور.

«سورة المعارج» فيها: ذو المعارج.

«سورة المدثر» فيها اسم واحد: هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

«سورة سبح» فيها اسم واحد: الأعلى.

«سورة القلم» فيها اسم واحد: الأكرم.

«سورة التوحيد» فيها اسمان: أحد، صمد.

قال ابن العربي: وقد زاد بعض علمائنا فيها: شيء موجود، كائن، ثابت، نفس، عين، ذات، [داع]، مستجيب، [مملي]، [قائم]، متكلم، مبق، مغن، غيور، قاض، مقدّر، فرد، مبل، جاعل، موجد، مبدع، دارئ.

قال ابن العربي: ومن هذا ما جاء [على] لفظه في كتاب الله وسنة نبيه، ومنها ما أخذ من فعل، ومنها ما جاء مضافاً فذكره مجرداً عن الإضافة.

قال ـ رضي الله عنه ـ في كتاب «الأحكام»[1]: فهذه هي الأسماء المعدودة بصفاتها قرآناً وسُنّة، وقد شرحنا كل اسم في «الأمد»[2] على الاستيفاء فلينظر هنالك، وعددناها على ما ورد في الكتاب والسُنّة، وذكره الأئمة، فانتهت إلى ستة وأربعين ومائة.

كذا قال في كتاب «الأحكام» وذكر في كتاب «الأمد» أنه اجتمع له منها مائتا اسم وسبعة وستون اسماً.

وذكر الفقيه أبو بكر بن برحان أنه قال في جوابه لمن سأله: فجمعت في ذلك ما زاد على المائة والثلاثين كلها مشهورة مروية، وتركت كثيراً من المشهور المعلوم، أما الزيادة مني في ذلك على العدد فطمعاً في أن أوافق ما عناه رسول الله ﷺ في قوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» فينالني وإياك ـ إن شاء الله ـ هذا الوعد. وأما تركي المشهور المعلوم منها فإيثار الاختصار، وترك للإطالة إذ التطريق للاعتبار على ما تركناه قد يحصل بحمد الله بما شرحناه، وإنما هو الإشارة والإيماء وبهذا يكتفي الأولياء، ومن قعد به جده لم ينهض به جده.

---

(1) (2 ـ 343).

(2) وهو كتاب «الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى» لابن العربي وما زال ـ حسب علمي ـ مخطوطاً و لم يُطبع بعد.

قلت: قد ذكرنا منها في الأحاديث المذكورة والأخبار المشهورة مائة وستة وأربعين اسماً، من غير تكرار في لفظ، وسيأتي ذكر أسماء أخر وردت في أخبار أخر: كالكائن والمكوّن والدَّهْر والمسعر ومُقَلِّب القلوبِ ومُصرِّفها ومُثبِّتها، إلى غير ذلك من الأسماء التي لم يتقدم لها ذكر، وسنعقد فيها فصلاً نذكر فيه ما وقفت عليه من الأسماء على ترتيب حروف المعجم إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث والثلاثون

قال القاضي أبو بكر بن العربي: قال أبو حامد الغزالي: و لم أعرف أحداً من العلماء اعتنى بطلب الأسماء وجمعها سوى رجل من حفاظ أهل المغرب يقال له علي بن حزم فإنه قال: صح عندي قريب من ثمانين اسماً يشتمل عليها الكتاب والصحاح من الأخبار، والباقي ينبغي أن يُطلب من الأخبار بطريق الاجتهاد، وأظن لم يبلغه الحديث الذي فيه عدد الأسامي، وإن كان بلغه فكأنه استصعب إسناده إذ عدل عنه إلى الأخبار الواردة في الصحاح وإلى التقاط ذلك فيها.

قال الأقليشي: وهذا الذي حكاه أبو حامد في كتاب «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» عن أبي محمد علي بن حزم قد ذكره في كتاب «المحلى في شرح المجلى» فقال: روينا عن البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [النجم: 23] فصحّ أنه لا يحل لأحد أن يسمي الله تعالى إلا بما سمّى به نفسه، وصحّ أن أسماءه لا تزيد على تسعة وتسعين اسماً لقول رسول الله ﷺ: «**مائة إلا واحداً**» فنفى الزيادة وأبطلها، لكن يخبر عنه بما يفعل تعالى وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسماً مضطربة لا يصح منها شيء أصلاً فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صحّ عن النبي ﷺ وقد بلغ إحصاؤها منها إلى ما نذكره وهي:

---

(1) رواه البخاري (2736) ومسلم (2677) وغيرهما، وقد تقدم.

الله، الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، الكريم، العظيم، حليم، القيُّوم، الأكرم، السَّلام، التوّاب، الرّبّ، الوهّاب، الإلهُ، قريب، السَّميع، مجيب، واسع، العزيز، شاكر، القاهر، الآخر، الظاهر، الكبير، الخبير، القدير، البصير، الغفور، شكور، الغفّار، القهّار، الجبّار، المتكبّر، المصوّر، البَّر، مقتدر، الباري، العلي، الغنيّ، الوليّ، القويّ، الحيّ، الحميد، المجيد، الودود، الصمد، الأحد، الواحد، الأوّل، الأعلى، المتعالي، الخالق، الخلاّق، الرزّاق، الحقّ، اللطيف، رؤوف، عفوّ، الفتّاح، المتين، المبين، المؤمن، المهيمن، الباطن، القدُّوس، الملك، مليك، الأكبر، الأعزّ، السيّد، سبّوح، وتر، محسان، جميل، رفيق، المُسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، المقدّم، المؤخّر، الدَّهر.

قال الأقليشي: فهذه أربعة وثمانون اسماً جمعها علي بن حزم من القرآن والآثار الصحاح وفيها أسماء كثيرة في رواية الترمذي وفيها أيضاً أسماء مشتقة من صفة واحدة فمنها: الرحمن الرحيم، والكريم والأكرم، والقاهر والقهار، والغفار والغفور [والغافر]، والشاكر والشكور، والخالق والخلاّق، والقدير والمقتدر، والعلي والأعلى والمتعالي، والملك والمليك، والكبير والأكبر، والعزيز والعزّ، والله وإله، على اختلاف بين العلماء فيها.

فمذهب ابن حزم في هذا وجماعة من العلماء، أن هذه كلها أسماء لا تتداخل وأن الله تعالى تسمّى: بالعليّ والأعلى والمتعالي، وهي ثلاثة أسماء كما يسمى: بالرحمن والرحيم، وهما اسمان وإن كان الاشتقاق واحداً، وكذلك قصر ابن حزم وجماعة من العلماء جملة الأسماء على تسعة وتسعين و لم يرو الرواية بوجه، وقد مضى القول في هذا مستوفى.

قلت: عجباً لابن حزم كيف لم يكمل التسعة وتسعين اسماً من الكتاب، والله يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38] فترك: اللهم، والصادق، والمستعان ومحيطاً، وحافظاً، وفعالاً، وهذه أسماء غير مضافة نصّ عليها التنزيل، وأجمع عليها أهل التأويل، ومنها كافٍ.

ومن الأسماء المضافة: نور، مُخرج، فاطر، فالق، بديع، رافع. وفي حديث الترمذي «الخافض الرافع» إلى غير ذلك من الأسماء المزدوجة التي أجمع عليها.

وقد تحامل القاضي أبو بكر بن العربي على أبي حامد وابن حزم في «أحكامه» و«أمده» فقال في «أحكامه»: قال سخيف من المغرب: عددتُ أسماء اللّه تعالى فوجدتها ثمانين، وذكر كلاماً.

ثم قال: وليس العجب منه إنما العجب من الطوسي أن يقول: وقد عدّ بعض حفاظ المغرب الأسماء فوجدها ثمانين، حسب ما نقله إليه طريد ميورقة الحميدي، وإنما وقع أبو حامد في ذلك بجهله أما أنه كان فصيحاً ذرب اللسان ذرب القول في الاسترسال على الكلمات [الصائبة] لكن القانون كان عنه غائباً[1].

قال: وأما قول أبي حامد: رمضان وسلطان وديان، فجاءت في أحاديث عندهم فلا يلتفت إليه.

قلت: وليس لهذا التحامل كله وجه لما تقدم أن الأسماء المصرح بها في القرآن الغير المشتقة ولا المضافة، لا تصل إلى تسعة وتسعين على ما ذكر الأقليشي وابن الحصار، ثم هو قد ذكر جملة من الأسماء لم يوافقه عليها غيره من العلماء، فما ورد ذكره في الحديث وإن كان ضعيفاً، فذكره حسنٌ جميلٌ، كالجواد والنظيف، وغيرهما على ما يأتي.

وأما ما ذكره عن سفيان بن عيينة أنه سُئل عن تعديد الأسماء فعدها ولم يعد في «البقرة» اسم: شاكر وإله وواحد وقريب، فوهم منه وغفلة. وقد ذكر ذلك هو عقبه فكيف قال: أسقط؟ فهذا وهم على وهم.

(1) والنص كما جاء كاملاً في «أحكام القرآن» (338/2) لابن عربي هو كما يلي: المسألة الثانية: قال سخيفٌ من جملة المغاربة: عددْتُ أسماء اللّه فوجدتُها ثمانين، وجعل يعدُّدُ الصفات النحوية، ويا ليتني أدركْتُه؛ فلقد كانت فيه حُشاشة لو تفاوضت معه في الحقائق لم يكن بدٌّ من قبوله، واللّه أعلم.

وليس العجب منه؛ إنما العجب من الطوسي أن يقول: وقد عدد بعض حفّاظ المغرب الأسماء فوجدها ثمانين حسبما نقله إليه طريد طريف بيورقة الحميدي، وإنما وقع في ذلك أبو حامد بجهله بالصناعة، أم إنه كان فصيحاً ذَرِب القول، ذَرِب اللسان في الاسترسال على الكلمات الصائبة، لكن القانون كان عنه نائياً، والعالم عندنا اسم، كزيد اسم، وأحَدُهما يدل على الوجود، والآخر يدل على الوجود ومعنى معه زائد عليه، والذي يعضد ذلك أن الصحابة وعلماء الإسلام حين عدّدوا الأسماء ذكروا المشتق والمضاف والمطلق في مساق واحد إجراءً على الأصل، ونبذاً للقاعدة النحوية.

قال في كتاب «الأمد»: روي عن سفيان بن عيينة أنه سُئل عن تعديد الأسماء حين روى الحديث مطلقاً فأملاها على أصحابه وقال: في فاتحة الكتاب خمسة أسماء: يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم يا ملك.

وفي «البقرة» ستة وعشرون: يا محيط يا قدير يا علي يا حكيم يا توّاب يا بصير يا واسع يا بديع يا سميع يا كاف يا رؤوف يا شاكر يا إله يا غفور، إلى آخر السورة كما تقدم فذكر في عدة عنه اسم شاكر وإله وواحد، فالذي أسقط قريباً.

وذكر الزحاجي وغيره: أن الذي أملاها أبو زيد لا سفيان، ثم هو قد أسقط من الأسماء لما عدّها جملة منها في «البقرة» اسمان: مُخرج، ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ [البقرة: 72] مبتلي، ﴿اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ [البقرة: 249].

وفي سورة «المؤمنون»: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: 30].

وفي «آل عمران» أربعة أسماء: اللهم، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: 26] متوف، رافع، مطهر، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 55].

وفي «النساء» اسم: خادع ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142].

وفي «المائدة» اسم: منزل، ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 115] وفي «الأنعام» اسم: صادق، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام 146].

وفي «الأعراف»: اسم فاطر، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129] وقد جاء اسماً مصرحاً في الحديث.

وفي «الأنفال» اسم: موهن، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: 18].

وفي «براءة» اسم: بريء ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 3] وآل على خلاف فيه.

وفي «هود» اسم: آخذ، ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56].

وفي «سبحان» اسمان: مهلك ومعذب، ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ [الإسراء: 58] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: 59].

وفي «طه» اسمان السامع والرائي، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46]، وقد جاء السامع اسماً في الحديث.

وفي «الأنبياء» اسم: كاتب، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء، 94].

وفي «الدخان» [الكاشف] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: 15]

فهذه جملة من الأسماء التي أسقطها فيما أعلم وقد يوجد في القرآن أكثر منها والله أعلم.

الفصل الرابع والثلاثون

لما قال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» وتكلم العلماء في الإحصاء على ما تقدم أردت أن يكون لي من هذا الإحصاء نصيب تفضلاً من الله الكريم المجيب.

قال بعض علمائنا: والإحصاء في الكلام على ثلاث مراتب:

أولها: العدد ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ [الجن: 28].

والثانية: بمعنى الفهم يقال: رجل ذو حصاة أي ذو لب وفهم، ومنه سُمي العقل حصاة قال كعب بن زهير الغنوي:

وإِنَّ لِسَانَ المَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

والثالثة: بمعنى الإطاقة على العمل بذلك، قال: والمرجو من الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة، لكن المرتبة الأولى، هي رتبة أصحاب اليمين، والثانية للسابقين، والثالثة للصديقين.

قلت: فنرجو من الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أصحاب اليمين بالبحث عنها والحفظ لها والاشتغال بها.

وقد تقدم أن من نوع الإحصاء استخراجها بالبحث عنها، وقد قال بعض العلماء: إن معنى «من أحصاها» أن يقرأ القرآن حتى يختمه فيستوفي هذه الأسماء كلها في أضعاف التلاوة، فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة.

قال الخطابي[1]: وذهب إلى نحو من هذا أبو عبد الله الزبيري فجعل على هذا التأويل أسماء الله كلها موجودة في القرآن، وقد تقدم عنه أنه أخرجها من القرآن فوجدها مائة وثلاثة عشر اسماً على ما تقدم وهذه مرتبة على حروف المعجم كما سبق الوعد بها فأقول:

حرف الألف: «الله» اللهم، إله، أحد، أول، آخر، آل في أحد وجوهه، إيل[2]، آخذ، أعز، أعظم، أسرع، أحلم، أجلّ، أقدر، أوسع، أكثر، أكرم، أعلم، أقرب، أحسن، أصدق، أكبر، أعلى، أبقى، أهل التقوى وأهل المغفرة، آمر، آبد، آمين، الأمين.

حرف الباء: باق، باطن، بصير، بديع، بارئ، بريء، بَدٌّ، بارد، باسط، باعث، بالغ أمره، بادئ، بدي، بادي، برهان.

حرف التاء: تواب، تام.

حرف الثاء: قال الأقليشي: ولم يرد اسم مفتتح بحرف الثاء، فلم يجيء «ثابت» في القرآن ولا في الأثر وإن كان يوصف الله تعالى به في معرض المدح فيقال: الله ثابت سلطانه، وثابت علمه وثابت إلى غير ذلك مما يستحقه.

حرف الجيم: جليل، جبّار، جامع، جواد، جاعل، جميل، جابر.

حرف الحاء: حكم، حاكم، حكيم، حيّ، حقّ، حافظ، حفيظ، حميد، حاسب، حسيب، حليم، حنّان، حفيّ، حييّ.

حرف الخاء: خبير، خالق، خلاّق، خافض، خليف، خير، خفيّ.

حرف الدال: دائم، دهر، ديّان، دافع، داعي.

حرف الذال: ذو الجلال والإكرام، ذو الفضل، ذو الطول، ذو المعارج، ذو العرش، ذو القوة، ذو الرحمة، ذو رحمة واسعة، ذو مغفرة، ذو عقاب، ذاري، ذات، وفي كتاب الترمذي: «يا ذا الحيل الشديد»[3] بالياء المعجمة باثنتين وهو الصحيح ومن رواه بالباء

(1) الخطابي: هو الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البُستي - المتوفى سنة (388هـ) صاحب كتاب «معالم السنن» شرح سنن أبي داود، وصاحب كتاب «شرح أسماء الله الحسنى» وعلى حسب علمي المتواضع - أنه ما زال مخطوطاً.

(2) «إيل»: يعني: الله، نحو: «جبرائيل» و«إسماعيل» يعني: عبد الله.

(3) سيأتي بعد قليل.

بواحدة من تحتها فقد غلط والحيل هو القوة ومنه: لا حول ولا حيل ولا احتيال إلا بالله.

حرف الراء: رحمن، رحيم، رؤوف، رقيب، راشد، رشيد، رازق، رزّاق، رافع، رفيع الدرجات، رب، رفيق، رمضان، راتق، راضي، رابع.

حرف الزاي: زكي ـ ذكره ابن برجان ـ زارع ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة، 64] ذكره ابن العربي.

حرف الطاء: طاهر، طالب، طيّب، طبيب.

حرف الظاء: ظاهر.

حرف الكاف: كبير، كريم، كاشف، كائن، كامل، كنز، قال الأقليشي: وليس في الصفات «كامل» وصفاً لله تعالى في أثر ولو ورد كان معناه كمعنى «تام»، فإن ذات الله وأفعاله تامة كاملة.

حرف اللام: لطيف.

حرف الميم: موجود، معبود، مذكور، منشىء، مصوّر، مكوّن، مخرج، موجد، مبدع، مبتدع، محدث، ملك، مليك، ملك، الملك، مالك الملوك، مالك الملك، مجيد، ماجد، متكبر، مقتدر، متعال، محص، محيط، مؤمن، مهيمن، مقسط، مقيت، متين، مبين، منير، مجيب، مستجيب، منادي، مناجي، مغيث، منيع، ملي، معطي، مغني، مانع، معزّ، مذلّ، مقدّم، مؤخر، مبدئ، معيد، محيي، مميت، منتقم، محسن، محسان، مفضّل، منّان، مستعان، مدبّر، مؤيد، مكلم، متكلم، مبرم، منذر، مرسل، منزل، مهلك، معدم، معذب، مبغض، معاد، مسعر، مبلي، مبتلي، ممتحن، متوفي، مبقي، مكرم، مطهر، مؤيل، موسع، ماهد، موهن، مقلب القلوب، مصرفها، مثبتها، مجري السحاب، مستهزئ، ماكر، مضلّ، متم نوره، مصل، ممرض، مصح، مداوي، مخير، معلم، ميسر، مسهل، مسترزق، متكفل.

حرف النون: نور، نافع، نصير، ناظر، نظيف، نعم المولى، ونعم النصير، ناهٍ.

حرف الصاد: صمد، صبور، صادق، صانع، صاحب.

حرف الضاد: ضار.

حرف العين: عالم، عليم، علاّم، عليّ، عزيز، عدل، عفوّ عظيم، عاصم، عدو، عامل.

حرف الغين: غافر، غفور، غفّار، غالب، غيور، غضبان.

حرف الفاء: فتّاح، فاعل، فعّال، فارج الهم، فاكّ، فاطر، فالق، فاتق، فاتن، فرد.

حرف القاف: قادر، قدير، قوي، قيوم، قائم، قاهر، قهّار، قدوس، قابض، قريب، قديم، قاضٍ، قابل التوب، قائل.

حرف السين: سامع، سميع، سلام، سيّد، سريع الحساب، سريع العقاب، ساخر، ساخط، ستير، سادس خمسة، ساتر، ستّار.

حرف الشين: شيء، شهيد، شاكر، شكور، شديد العقاب، شافي، شفيع.

حرف الهاء: هادٍ، قال الأقليشي: وليس في القرآن ولا في الأثر من أسماء اللّه تعالى مفتتح بهاء غيرها، وقد ذكر بعض العلماء في شرح الأسماء: هو والهوى.

قلت: وفيه اسم رابع: هازم الأحزاب وسيأتي.

حرف الواو: واحد، واجد، واسع، وكيل، والي، ودود، وهّاب، وارث، وتر، وافي، ولي.

حرف لام الألف: قال الأقليشي: وليس في الأسماء اسم مفتتح بلام ألف.

قلت: فيه لا إله إلا هو، حسب ما ذكره سفيان في عد الأسماء وسيأتي الكلام عليه إن شاء اللّه تعالى.

حرف الياء: وليس في الأسماء اسم مفتتح بها غير ما ذكره بعض العلماء في يس أنه اسم من أسماء اللّه تعالى كسائر حروف التهجي في أوائل السور وهي أربعة عشر حرفاً: ألف. حاء. راء. طاء. كاف. لام. ميم. نون. صاد. عين. قاف. سين. هاء. ياء، فروي عن ابن عباس: إنها أقسام أقسم اللّه بها وهي من أسماء اللّه تعالى وأن الحروف المقطعة في القرآن اسم اللّه الأعظم إلا «أنا» لا نعرف تأليفه فيها.

وقيل: إن كل كلمة منها بمجموع أحرفها اسم لله تعالى.

فألم: اسم لله تعالى، وكذلك المص، والر، والمر، وكهيعص، وطه، وطسم، وطس، ويس، وص، وحم، وحم عسق، وق، ونون.

فعلى هذا يُنادى به اللّه تعالى ويُدعى بكل اسم منها.

فيقال: يا ألم، يا كهيعص، يا طه، يا يس، كما يدعى بسائر الأسماء[1].

(1) فيه نظر، ولا يجوز لمسلم أن يدعو اللّه تعالى إلا بما سمى به نفسه سبحانه وتعالى. كما أنه لم -

وقال الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين: هي سر في القرآن و لله في كل كتاب من كتبه سر فهو من المتشابه الذي انفرد اللّه تعالى بعلمه، ولا يجب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها كما جاءت.

قلت: هذا القول عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وابن مسعود قالوا: الحروف المقطعة من المكنون الذي لا يفسر وهذا أشبه بالقول فيها، وقيل غير هذا مما قد ذكرناه في أول «سورة البقرة» في كتاب «جامع أحكام القرآن»[1] والمبين لما تضمنه من السنن وآي الفرقان.

قلت: فهذه جملة الأسماء التي وقعتُ عليها في الكتاب والسُّنّة وأقوال علماء الأمة، إلا أن منها ما لا يصلح للتضرع والابتهال والدعاء والرغبة والسؤال كسائر ما يُدعى به من الأسماء؛ فأما ما يُدعى به ويبتهل ويتضرع به إليه ويسأل فهو ما ورد في الكتاب والسُّنّة، وأجمعت على التسمي به جميع الأمة، والإجماع في الأسماء دليل ثابت بنص القرآن، وما تواتر عن النبي ﷺ وهي هذه:

اللّه، اللهمّ، إله، واحد، صمد، ربّ، رحمن، رحيم، ملك، مالك، مليك، قدّوس، سلام، مؤمن، مهيمن، عزيز، جبّار، متكبر، خالق، بارئ، مصوّر، غفّار، قهّار، وهّاب،

=يثبت عن ابن عباس رضي اللّه عنهما، أن الحروف التي افتتحت بها بعض السور، بأنها أقسام أقسم بها اللّه، وكذا لم يثبت أنها أسماء لله تعالى.

وعليه فلا ينبغي لمسلم عاقل أن يدعو اللّه تعالى إلا بأسمائه الحسنى، ولا يلتفت إلا بما ثبت وصحّ عن رسول اللّه ﷺ.

قال القرطبي ـ رحمه اللّه تعالى ـ في «تفسيره الجامع لأحكام القرآن» (151/1): قال قُطرب والفراء وغيرهما ـ عن الحروف المقطعة في القرآن ـ: هي إشارة إلى حروف الهجاء، أعلم اللّه بها العرب حين تحداهم بالقرآن، أنه مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم.

قال قُطرب: كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما سمعوا ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ استنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم.

(1) (1 / 150 ـ 151).

رزّاق، فتّاح، عليم، قابض، باسط، خافض، رافع، معزّ، مذلّ، سميع، بصير، حكم، عدل، لطيف، خبير، حكيم، عظيم، غافر، غفّار، غفور، شكور، شاكر، عليّ، كبير، حفيظ، مقيت، مغيث، غياث، حسيب، جليل، كريم، رقيب، مجيب، واسع، حليم، ودود، مجيد، باعث، شهيد، حقّ، كفيل، وكيل، قوي، متين، ولي، حميد، محصي، مبدئ، معيد، محيي، مميت، حي، قيّوم، أحد، ماجد، واجد، قادر، مقتدر، مقدّم، مؤخّر، أوّل، آخر، ظاهر، باطن، وليّ، والي، متعالي، برّ، توّاب، عفوّ، رؤوف، ذو الجلال والإكرام، ذو الطول، ذو الفضل، ذو رحمة واسعة، ذو العرش، ذو القوة، ذو مغفرة، مقسط، جامع، غني، مغني، مانع، ضارّ، نافع، نور، هادي، بديع، باقي، وارث، رشيد، حنّان، منّان، شافي، كافي، دائم، مولى، بصير، مبين، جميل، صادق، محيط، قريب، واقي، كاشف، نعم المولى، ونعم النصير، قابل التوب، شديد العقاب، سريع الحساب، رفيع الدرجات، محسن، مفضل، منعم، فعّال، مستعان، رفيق، كائن، مكوّن، فرد، مقلب القلوب ومصرفها، إلى غير ذلك مما أجمع عليها كالأسماء المزدوجة وغيرها، على ما يأتي بيانها والكلام [عليها] وكلها يدخل حرف النداء إلا اللهم وحده على ما يأتي بيانه.

وقد جاء في دعاء النبي ﷺ أسماء غير هذا، ما ثبت في صحيح مسلم أنه دعا به يوم بدر: «**اللهم منزل الكتاب مجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**»[1].

وثبت عنه ـ عليه السلام ـ أنه كان إذا قام من الليل وافتتح صلاته قال: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة**»[2] الحديث.

---

(1) رواه الإمام أحمد (19129) والبخاري (2818) ومسلم (1742) وأبو داود (2631) والترمذي (1678) والنسائي في «الكبرى» (5/8632) وابن ماجه (2796) وابن حبان (3844) والحميدي (719) وغيرهم من حديث عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه.
وانظر أخي الكريم شرحه وما جاء في بعض طرقه في كتابنا «الانتصار».

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (45280) ومسلم (770) وأبو داود (767) والترمذي (3420) والنسائي في «المجتبى» (1624) وفي «الكبرى» (1322) وابن ماجه (1357) وابن حبان (2600) وغيرهم من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألتُ ـ السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها: بأي شيءٍ كان نبيُّ الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر**=

وكان إذا سافر قال: «**اللهمّ أنت الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل**»[1].

وفي الترمذي عن ابن عباس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته الحديث. وفيه: «**اللهمّ إني أنزل بك حاجتي وإن قصر رأيي وضعف عملي افتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور**».

وفيه: «**اللهمّ ذا الحَبْلِ الشديد والأمر الرشيد أسألُك الأمنَ يوم الوعيد والجنّة يوم الخلود مع المقربين الشهود والرُّكع السُّجود المُوفين بالعهود إنّك رحيمٌ ودودٌ وإنّك تفعل ما تريد**».

وفيه: «**سُبحان الذي تعطّف العزّ وقال به سُبحان الذي لَبِسَ المجد وتكرّم به سُبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلاّ له سُبحان ذي الفضل والنّعم سُبحان ذي المجد والكرم سُبحان ذي الجلال والإكرام**»[2].

=**السماوات والأرض عالِمُ الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم**» لفظ مسلم.

(1) تقدم من رواية مسلم (1342) وغيره من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(2) الحديث بطوله وبتمامه رواه الترمذي في الدعوات (3419) باب (30) بإسناد ضعيف، من طريق ابن أبي ليلى عن داود بن علي هو ابن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جدّه ابن عباس قال: سمعت نبي الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته: «اللهم إنّي أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلمُّ بها شعثي وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتُزكّي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وتردُّ بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء. اللهم أعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز في العطاء (ويُروى في القضاء) ونُزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء. اللهم إني أُنزلُ بك حاجتي وإن قصر رأيي وضعف عملي افتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما يجير بين البحور أن يجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثُبور، ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيي ولم تبلغه نيتي ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحداً من خلقك أو خيرٍ أنت معطيه أحداً من عبادك فإنّي أرغب إليك فيه، وأسألكه برحمتك رب العالمين. اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم=

قال: هذا حديث غريب.

وروي في الدعاء: يا جابر العظم الكسير يا مغني البائس الفقير يا فاكَّ المكبل الأسير.

وجائز أن يقال في أحوال الاستسقاء: اللهم إنك المصح والممرض والمداوي والطبيب. ونحو ذلك، فأما أن يقال: يا طبيب. كما يقال: يا رحيم أو يا حليم أو يا كريم فلا؛ لأن ذلك مفارقة لآداب الدعاء وكذلك ما لا يكون من أسماء التضرع لا ينادى به فاعلمه.

=الوعيد، والجنّة يوم الخلود مع المُقرَّبين الشُّهود الرُّكع السُّجود المُوفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد. اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالّين ولا مُضِلّين، سلماً لأوليائك وعدواً لأعدائك، نُحبُّ بحبِّك من أحبَّك ونُعادي بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء وعليك الاستجابة، وهذا الجهد وعليك التُّكلان. اللهم اجعل لي نوراً في قبري، ونوراً في قلبي، ونوراً من بين يديَّ، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي. اللهم أعظم لي نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً، سبحان الذي تعطف العز وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرَّم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلاّ له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه.

وقد روى شُعبة وسفيان الثوريُّ عن سلمة بن كهيل عن كريب عن ابن عباس عن النبي ﷺ بعض هذا الحديث ولم يذكره بطوله.

قوله ﷺ: «شعثي»: أي ما تفرق من أمري.

قوله ﷺ: «غائبي»: أي باطني بكمال الإيمان والأخلاق الحسان والملكات الفاضلة.

قوله ﷺ: «تزكّي»: أي تزيده وتنمّيه.

قوله ﷺ: «تلهمني»: أي تهديني إلى ما يرضيك.

قوله ﷺ: «ألفتي»: أي ما آلفه.

الفصل الخامس والثلاثون

قال أهل الفهوم والإشارات الذين تكلموا على الأسماء والصفات: إن أسماء اللّه التسعة والتسعين في الأثر الصحيح هي الأسماء الظاهرة الذين تَعَبَّدَ الخَلْقُ بإحْصَائِها، لأن ذلك في وسعهم بالكسب والبحث والنظر، ووراء هذه التسعة والتسعين اسماً هي مختصة بالأنبياء والأولياء ولا يوصل إليها بكسب وإنما هو فضل اللّه يؤتيه من يشاء ووراء من علمه الأنبياء والأولياء مـن لا يعلمه إلا اللّه عز وجل على ما ورد في الحديث «أو استأثر نفسه به في علم الغيب عنده»[1].

فالأولياء اختصوا من علم الأسماء لمزيد على النُظّار من العلماء بثلاثة أشياء:

أحدها: أنهم فهموا من معاني الأسماء التسعة والتسعين بالتأييد والإلهام ما لم يعلمه أولئك بالنظر والبرهان[2].

الثاني: أنهم علموا أسماء باطنة وراء هذه التسعة والتسعين.

الثالث: أنهم اختصوا بالاطلاع على اسم اللّه الأعظم الذي ورد في غير ما حديث عن النبي ﷺ[3].

---

(1) جزء من حديث رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص 18)، بإسناده من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من أصابه هم أو حزن فليقل: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي في يدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو انزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصري، وذهاب همي، وجلاء حزني»**، قال رسول اللّه ﷺ: **«ما قالهن مهموم قط إلا أذهب اللّه همه وأبدله بهمه فرحاً»**. قالوا: يا رسول اللّه أفلا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: **«بلى، فتعلموهن وعلموهن»**.

(2) فيه نظر. ذلك أن رسول اللّه ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعدما استوفى ما عليه من إتمام شريعة اللّه تعالى. ومما علمه ربه سبحانه وتعالى من الخير، وفي هديه ﷺ وسُنّته كفاية والحمد للّه رب العالمين.

(3) روى البيهقي في «الأسماء والصفات»، (ص/31) بإسناده من حديث السيدة عائشة رضي اللّه عنها، أنها قالت: يا رسول اللّه علمني اسم اللّه الذي إذا دعي به أجاب. قال لها: **«قومي=**

وأما الأنبياء فإنهم علموا من معاني الأسماء التسعة والتسعين بنور الوحي ما لم يعلمه الأولياء بالإلهام، وكذلك علموا من علوم الأسماء الباطنة، ومن علم الاسم الأعظم.

وكل اسم من هذه الأسماء لا يعلمه على ما هو عليه إلا الذي تسمّى به واتصف بمعناه وهو اللّه وحده.

ووراء هذه الأسماء كلها التي علّمها اللّه تعالى أنبياءه وأولياءه ما استأثر اللّه به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليها نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً.

قالوا: فأول ما يخص اللّه العبد إذا أراد أن يتولاه ويعلمه العلم اللدني[1] فيكون ولياً أن يخصه من علوم التسعة والتسعين اسماً بخصائص يتفتح له بها من العلم ما لا يتفتح للعالم بطريق النظر، ثم يرقيه إلى معرفة الأسماء الباطنة. وأولها (هو)[2]: وهو اسم مركب من حرفين موضوع للإشارة إلى هويته التي ترجع إليه الأسماء الباطنة والظاهرة كلها كما رجعت الأسماء الظاهرة إلى اللّه وبعد معرفة (هو) يعلم الأسماء الباطنة التي هي حروف مفردة بعلمه وهي الأربعة عشر حرفاً. الواردة في القرآن في فواتح السور.

وبعد فهمها يهبه الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، وإنما يأخذ ذلك الاسم الأعظم من الحصر في غالب أحوال الأولياء، وقد يتلقاه بإلهام يقذف في الروع عند هبوب رياح الرحمة على العبد، وطريق أخذه في الأولياء مختلف،

=توضئي وادخلي المسجد فصلي ركعتين، ثم ادعي حتى أسمع» ففعلت، فلما جلست للدعاء قال النبي ﷺ: «اللهم وفقها». فقالت: اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، وأسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر الذي من دعاك به أجبته، ومن سألك به أعطيته. قال النبي ﷺ: «أصبته أصبته». وقد تقدم.

(1) يشير إلى قوله تعالى في حق الخضر ـ عليه السلام ـ: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف ـ 65].

(2) هو: اسم إشارة، وليس هناك ما يثبت أنه اسم من أسماء اللّه الحسنى ولم يرد أن رسول اللّه ﷺ قال يوماً مخاطباً ربه جل وعلا: يا هو، وكذلك صحابته الكرام فلم يصل إلينا أن أحدهم نادى ربه العظيم بقوله: يا هو، ولا العلماء المحققين. فالأولى أن نتبع سُنّة الحبيب المصطفى ﷺ وما كان عليه ولا نبتدع في دين اللّه تعالى شيئاً.

وعند ذلك تطوى له الأرض ويمشي على الماء ويعوم في الهواء وتقلب له الأعيان، إلى غير ذلك من الكرامات التي اختص بها الأولياء[1].

قالوا: وهذا كله ليس بعلم صحف إنما هو خصوص بين الإنسان وبين ربه فمن أطلعه اللّه عليه علمه.

وقد قال مسلمة بن القاسم: إنما تمام الوجود كله بأسماء اللّه الباطنة الظاهرة المقدسة، وأسماء اللّه المعجمة، أصل لكل شيء من أمور الدنيا والآخرة. وهي خزانة سره ومكنون علمه، ومنها تتفرع أسماء اللّه كلها. وهي التي قضى بها الأمور. وأودعها أم الكتاب.

وسُئل ابن الحنفية عن ﴿كهيعص﴾ فقال للسائل: لو أخبرت بتفسيرها لمشيت على الماء لا يواري قدميك. وقال سهل بن عبد اللّه التستري: أتى رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال له: ما تقول في ﴿يس﴾؟ فقال: إن في ﴿يس﴾ اسماً من عَلِمَهَ ودَعَا اللّه به أجيب بَراً كان أو فَاجِراً إذا دَعَا به في الشيء الذي هو له خاص[2].

قالوا: ولكل حرف من هذه الحروف معنى وسر إذا أطلع اللّه عليه العبد نال كرامة من لدنه، وهي كلها مراق إلى لقاء الخضر المعلم للاسم الأعظم[3].

وقد صحّ في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «**إذا لقيتم العدو غداً فشعاركم، حم لا يُنصَرُونَ**»[4]. فـ«حم» من الأسماء الباطنة المخزونة ومن اتصل بنوره خرق اللّه له عوائد ونال من أسراره فوائد وطولوا الكلام في هذه الأربعة عشر حرفاً.

---

(1) وأين هم هؤلاء الأولياء الذين يطيرون في الهواء ويمشون على وجه البحار ويعرفون ما خفي من الأسرار.. إنه واللّه للعجب العجاب!!!.

(2) لا يُلتفت إلى هذا الكلام الذي لا أصل له.

(3) وكيف ثبت لدى هؤلاء أن الخضر ـ عليه السلام ـ كان يعلم اسم اللّه الأعظم؟.

(4) رواه الإمام أحمد (18549) والحاكم (2512) والنسائي في «الكبرى» (6/10452) وفي «عمل اليوم والليلة» (616) وابن أبي شيبة (12/504)، بإسناد يحسن بغيره من حديث البراء ابن عازب رضي اللّه عنه، قال: قال لنا رسول اللّه ﷺ: «**إنكم ستلقون العدو غداً، وإن شعاركم حم، لا ينصرون**» لفظ أحمد.ـ

وقالوا: إنها نص حروف المعجم، وهي الباطنة، إذ الوجود كله ظاهر وباطن مع أنهم فيها على نظرين؛ منهم من جعلها أسماء لذات اللّه تعالى، ومنهم من جعلها موجودات شريفة أبدعها اللّه. فكان كل حرف عبارة عن موجود، فالألف هو أول موجود أبدعه اللّه وأن المبدع بعده هو اللام وأنه التام مع الألف وتألفت اللام معه إلى غير ذلك من أسرار ورموز هي عندهم في كوز لا يخرجها إلا من لنور الحق عليه بروز!.

قال بعض الصوفية في اسم «اللّه»: إن هذا الاسم كلما أزلت منه حرفاً، أو ما أزلت منه بقي ألفاً في أسماء اللّه تعالى تاماً فإن أزلت الألف بقي (لله) وإن أزلت اللام بقي (له) وإن أزلت اللام الثانية بقي (ـه) وهو إشارة إليه ودلالة عليه.

وقال بعضهم: ما هو أدق من هذا.

قال: إن الألف تدل على عين الذات وهي إشارة إلى الفردانية المحضة، واللام الأولى على الصفات الذاتية، إذ الصفات لا تفارق الذات كما أن الألف واللام لا يفترقان في فواتح السور، فالألف تألفت مع اللام، واللام التأمت مع الألف فهما معاً متلازمان، واللام الثانية التأمت مع اللام الأولى فهي دالة على صفات الأفعال إذ الأفعال كلها ملك لله تعالى، واللام تستعمل للملك تقول: له مال، ولزيد علم.

ولما كانت صفات الأفعال صادرة عن صفات الذات، وهي كلها صفات موجودة لله تعالى مع الذات، لم تفارق اللام الثانية الأولى بل اتحدت واندغمت فيها واشتركا في الاسم كما اشتركت صفات الذات وصفات الأفعال في الاسم إذ يطلق عليهما معاً إنها صفات لله تعالى.

وأما الألف التي بعد اللام الخارجة بصوت هوائي من الصدر فهي دلالة على اندفاع التكوين من صفات الفعل وامتداد الوجود بالحركة التي برزت من القدرة حتى

=ورواه أحمد (16615) وأبو داود (2597) والترمذي (1682) والنسائي في «الكبرى» (5/8861) وغيرهم، من طريق أبي إسحاق، عن المُهلب بن أبي صُفرة، عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال: «**ما أراهُم الليلةَ إلا سيبيّتُونكم، فإن فعلوا، فشعاركم: حم، لا ينصرون**». لفظ أحمد.

أخذ كل موجود حظه من الوجود فإذا انتهى إلى آخر مرتبة رجع الوجود كله إلى مبدعه كما ينتهي النطق بالألف إلى هاء فينقطع الصوت، فالهاء دلالة عليه سبحانه وبها يشار إليه فمنه بدأ الوجود وإليه يرجع، وهو الأول والآخر.

ولهم كلام من هذا النمط في هذا الاسم العظيم يطول ذكره، وهذا على عادتهم في تفصيل الحروف وإلا فهذا النظر عند غيرهم ليس بمعروف.

وقال سهل بن عبد اللّه التستري: إن اللّه تعالى بحكمته جعل الحروف أصلاً ليتركب منها القول، والحروف لا تنقسم وهي الهباء، وهي أصول الأشياء، ولهم في هذا كلام كثير.

وقد ذهب ابن مسرة الجبلي القرطبي في الحروف والأسماء هذا المذهب، وزعم أن الحروف التي في فواتح السور وأن أسماء اللّه التسعة والتسعين الواردة في الأثر الصحيح هي عبارات عن موجودات نورانية روحانية أبدعها اللّه سبحانه، وأن أول مبدع العرش وهو الاسم الأعظم، وهو تمام المائة، وأن بهذه الأسماء يستدل على المسمّى سبحانه، وأنه من علمها فقد علم علم الربوبية والنبوة وجميع علم الدنيا والآخرة[1] وأنها المائة رحمة الواردة في الحديث، وأنها درج الجنة المائة وأنها في القرآن في النصف الثاني من سورة ليست من المبين ولا من المفصل وأن اللّه قد علّمه هذه الأسماء بعد تعب شديد وبحث طويل وانقطاع عن الدنيا وإقبال على الآخرة وأنها لا تدون في كتاب بل يرمز إليها وأنه لو وجد مسترشداً لعلمه إياها في عام فكان يدرك العلم كله، وذكر هذا في غير ما كتاب من كتبه، وهجره أهل بلده ورد عليه الزبيري والفقيه ابن أبي زيد وأبو عمرو الطلمنكي والمقرئ أبو عمر الداني وغيرهم، وأعظموا النكير عليه، وقالوا: جعل أسماء اللّه مخلوقة.

فقال هو: لم أرد ما أرادها، ولا أنا أقول إن اللّه سبحانه وتعالى يتصف بذاته بكل صفة جميلة تجيزها العقول العالمة به سبحانه، فليست ذاته سبحانه معطلة عن أوصاف

---

(1) وهذا هو الكفر بعينه، ولولا الأمانة الدينية والعلمية لحذفت هذا الكلام من أوله حتى آخره، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

المدائح، وإن هذه الصفات ليست مقصورة على عدد بل كل ما جاء في اللسان العربي أو غيره من الألسن من وصف جميل وصف اللّه به سبحانه.

وأما ما ورد الحديث من التسعة والتسعين اسماً وما ورد من الاسم الأعظم فهي التي أقول إنها مبدعات بجعولات ولا أقول مخلوقات، إذ ليست بأجسام فتدخل تحت الخلق والتقدير الجثماني لكن اللّه أبدعها بعد عدم. ولو لم تزل الصفات لم تزل الكائنات؛ لأن العالم مركب من وجودها البسيط، وضلل الفلاسفة في القول بأن هذه البسائط معلولة، ورد على الكندي في كتاب «فم الذهب» في هذا.

وادعى أن هذا المذهب الذي انتحله كان مذهب السلف الموفق، وأنهم لما علموا هذه الأسماء علموا أسرار القرآن، وأبت الأشعرية وجميع الفقهاء جميع ما قال.

وقالوا: إنها دعاوٍ تشرف بمعتقدها على مهاوٍ، لأن كل ما قال لا يقوم عليه برهان ولا له في الشريعة أصل ولا بيان، فهو من اختراعه بعقله، وليس للعقل في هذه الأشياء مجال.

الفصل السادس والثلاثون

قال ابن الحصار: الذي يقع في قلبي أن منتهى وجود الأفعال للواحد القهار تسعة وتسعون وجهاً. وأن كل وجه منها يتعلق بصفة من صفات الخالق سبحانه كتعلق الإتقان بعلمه والتخصيص بإرادته إلى غير ذلك. وأن كل اسم من الأسماء الحسنى يدل على صفة من تلك الصفات، إلا أن وجوه الافتقار تتداخل وتتركب ولا تترتب، وبحسب ذلك أيضاً قد تتداخل مفهومات الأسماء، ولا بد لكل اسم منها وإن قرب من الآخر، كالرب، والقيوم، والرحمن، والرحيم، من أن يختص بمفهوم، وإن عجزنا عن تمييز ذلك والبلوغ إلى غاياته على التفصيل كما لم نحط بذلك في الأفعال.

الفصل السابع والثلاثون

قال ابن الحصار: أسماء اللّه عز وجل جاءت في الكتابِ والسُّنّة معرفة بالألف واللام؛ ليشعر التعريف بالاختصاص والاستغراق. وما جاء منها منكراً في القرآن فإنما جاء وصفاً على بابه جارياً على الفعل مثل قول الحق: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: 96]

﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ [النساء: 147] وأشباه ذلك فكما أضاف اللّه سبحانه لنفسه أفعالاً. فقال: علم ويعلم، وإن كان علمه ليس من الأفعال في شيء فكذلك أجرى على نفسه من تلك الأفعال أوصافاً منكرة وحكمها كحكم سائر النعوت التابعة للأسماء الأعلام، وإنما جاءت كذلك ليعلمنا سبحانه أن له الإحاطة بالجملة والتفصيل، فأسماؤه المعرفة تدل على الإحاطة والتخصيص الذي لا ينبغي إلا له وأوصافه المنكرة تدل على بعض التفاصيل في الآحاد والقضايا الجزئية فتدبره.

وبالجملة فالعقول قاصرة عن الإحاطة بتفاصيل الصفات، فلا بد من الركون إلى الحديث الصحيح الوارد فيها والاعتماد عليه.

الفصل الثامن والثلاثون

قال ابن الحصار: اعلم أن ما وجب لله تعالى من الصفات لا يحصيه عد ولا يحيط به حصر، ولا تبلغه العبارات ولا يضبط بالإشارات.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: والصحيح عندي أنه ليس لله تعالى اسم ولا صفة إلا وقد أطلع عليها رسوله ﷺ ألم تعلموا أنه قد أُطلع على ملكوت السماوات والأرض والجنة والنار، وبلغ موضعاً سمع فيه صريف الأقلام. وعاين التقدير والتدبير ومقامات الملائكة تحت القهر والتسخير. وقد صحح اللّه العقول فينا ونصب الآيات والأعلام، ونبّه على الأدلة، وعلّم سراد النظر، وجريان الفكر، واستفاد بذلك المحققون معرفة اللّه تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلى إلى آخر كلامه.

قال ابن الحصار: وهذا كلام حسن مرونق غير محقق افتتحه بأن قال: وعندي أنه ليس لله اسم ولا صفة إلا وقد أطلع عليها رسوله، ثم ذكر ما منّ اللّه به سبحانه على رسوله ـ عليه السلام ـ وفيه ما خصّ اللّه به رسوله، وفيه ما قد شورك فيه؛ لأن اللّه تعالى قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75] ثم أدرج نفسه مع العلماء فيمن أحاط بأسمائه تعالى وصفاته، وتوسل لمراده بتعظيم حق رسوله ﷺ وذكر ما خص به وفرط فيما يجب لله تعالى، وفي تأويل ما قد احتج به معظم العلماء ولم يأت ببرهان على مراده.

والذي عليه حلة العلماء وحلهم أن ما وجب لله سبحانه لا يحيط به مخلوق، ويدل على ذلك قوله الحق: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف: 109] الآية، وقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**»[1] وإذا كانت كلماته التامات لا نهاية لها، ولا يحاط بها وهي صفة من صفاته، فكذلك علمه، واقتداره، واختياره، وسائر ما وجب له. وإذ قد علمنا أن التكييف لا يلحقها وأنها تضبط بالخواص ولا تنحصر بالحد ولا تتميز فتحصر بالحد فأنى لمخلوق بالإحاطة بها ومن أين يجب استيفاء إدراكها وأداة الحصر [و] النهاية منتفية عنه وعن صفاته سبحانه، ولا سبيل إلى قياس ذلك على معتاده. وكل ما دلتنا الأفعال عليه من صفاته فهذا حكمه وللعقول حد تقف عنده وقد قال ـ عليه السلام ـ: «**فيلهمني محامد لا أقدر عليها الآن**»[2].

أتظن أن الذي يلهمه الله تعالى مجرد الألفاظ من غير زيادة معلومات؟ أم تظن أن قوله ﷺ «**لا أحصي ثناء عليك**»[3] ثناءً بألفاظ لا مدلول لها وهو قد أوتي جوامع الكلم؟ بل ذلك صريح في نفي النهاية، وما وجب لله سبحانه.

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (604) والبخاري (1313) ومسلم (2726) وأبو داود (5062)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن السيدة جويرية زوج النبيِّ ﷺ ورضي الله عنها، أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرةً حين صلّى الصُّبح، وهي في مسجدها. ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة. فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم. قال النبيُّ ﷺ: «**لقد قلتُ بعدكِ أربعَ كلمات، ثلاث مرّات. لو وُزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهنّ: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**».

(2) قطعة من حديث الشفاعة الطويل الذي رواه الإمام أحمد (12154) والبخاري (44) و(4476) ومسلم (193) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «... **فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه..**» الحديث. وقد تقدم.

(3) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (24366) ومسلم (486) وأبو داود (879)، وغيرهم من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ليلة من الفِراش، فالتمسته-

ومحمد رسوله ﷺ أعلم خلقه به، وهذا قوله، وكذلك كل ما يدل من أسماء اللّه الحسنى على جلاله وجماله وكماله تعداده بالضبط والحصر محال قد أخبر ﷺ عن أهل الجنة أنهم يزدادون حسناً إلى حسنهم وجمالاً إلى جمالهم[1] إلى غير غاية فجمالهم وحسنهم غير محصور في الجملة، وإن قدرته منحصراً في الحال ما ظنكم بمن لا تجوز

=فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» لفظ مسلم.

قال الإمام النووي ـ رحمه اللّه تعالى ـ قال الإمام أبو سليمان الخطابي ـ رحمه اللّه تعالى ـ: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ باللّه تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو اللّه سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه.

وقوله ﷺ: (لا أحصي ثناء عليك) أي لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به، وقال مالك رحمه اللّه تعالى: معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء عليك.

وقوله ﷺ: (أنت كما أثنيت على نفسك) اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء والتعيين، فوكل ذلك إلى اللّه سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه، لأن الثناء تابع للمثنى عليه، وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه، فقدر اللّه أعظم مع أنه متعال عن القدر وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ، وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة في جواز إضافة الشر إلى اللّه تعالى كما يضاف إليه الخير لقوله: (أعوذ بك من سخطك ومن عقوبتك) واللّه أعلم. «شرح صحيح مسلم» (297/3).

(1) روى الإمام أحمد (14037) ومسلم (2833) والدارمي (2841)، وغيرهم واللفظ لمسلم من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه؛ أنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة لسوقاً. يأتونها كلَّ جمعةٍ فتهبُّ ريحُ الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم. فيزدادون حُسناً وجمالاً. فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسناً وجمالاً. فيقول لهم أهلوهم: واللّه، لقد ازددتم بعدنا حُسناً وجمالاً. فيقولون: وأنتم، واللّه، لقد ازددتم بعدنا حُسناً وجمالاً**».

عليه التقديرات ولا تلحقه التكييفات وهو لا يتحدد ولا يتبدد ولا يتزيد، ولكنه في كمال لا يدخل تحت نهاية فيحاط به بل لا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء.

﴿ الفصل التاسع والثلاثون ﴾

قال ابن العربي: اعلموا وفقكم الله، أن أسماء الله تعالى في جواز الإطلاق والإخبار بها لفظاً عنه وعن العباد على أربعة أضرب:

ما لا يجوز أن يخبر بها عن العبد بحال كقولنا: الله، والرحمن، ولهذا قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: 110] على ما يأتي بيانه.

الثاني: ما يكون في صفة الله تعالى واجباً وفي صفة العبد جائزاً. كالعالم والقادر وقد تقدم هذا.

الثالث: ما يكون في حق الله حقاً وفي حق العبد باطلاً كقولنا: الجبار المتكبر، وإنما كان كذلك؛ لأن الجبرية والكبرياء تناقض حال العبد وتضاده فلم تكن له بحال وسيأتي بيانه.

الرابع: ما يخبر به عن الله تعالى وعن العبد كالخالق، فإنه جائز في حق الله بمعنى، ويكون في حق المخلوق جائزاً بمعنى آخر يستحيل ذلك المعنى على الله تعالى على ما يأتي بيانه قال: فهذه نكتة تكشف لك سراً عظيماً من أسرار أسماء الله تعالى، وتكشف لك عن دقيقة في حق افتراق الاشتراك في الإطلاق على الله سبحانه وعلى العبد في ألفاظ الأسماء ومعانيها.

﴿ الفصل الموفي أربعين ﴾

اعلم ـ رحمك الله ـ أن مناحي العلماء اختلفت في ترتيب الأسماء فمنهم من اقتصر على حديث الترمذي، ومنهم من زاد عليها، ومنهم من ذكر ما أجمع عليه منها، ومنهم من ذكر ما أجمع عليه واختلف فيه، ومنهم من قسّمها ورتبها وهو الحاكم أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ـ رحمه الله ـ في «منهاج الدين» له فقال: معاني أسماء الرب جلّ وعز تنقسم خمسة أقسام:

أحدها: في إثبات البارئ تعالى لتقع به مفارقة التعطيل.

والثاني: في إثبات وحدانيته لتقع به البراءة من الشرك.

والثالث: في إثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض لتقع به البراءة من التشبيه.

والرابع: في إثبات أن وجود كل ما سواه من قبل إبداعه واختراعه لتقع به البراءة من كل من يقول بالعلة والمعلول.

والخامس: في إثبات أنه مدبر ما أبدع ومصرفه على ما شاء لتقع به البراءة من قولة القائلين بالطبائع أو تدبير الكواكب أو تدبير الملائكة.

ثم قال: إن أسماء اللّه تعالى جده منقسمة بين العقائد الخمس، وقد يكون منها ما يلتحق بمعنيين ويدخل في بابين أو أكثر.

قلت: قد تقدم هذا، وأما ما ذكره من ترتيب الأسماء فيما يجب اعتقاده والإقرار به على قواعد خمس فحسن جداً، وقد تبعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي على ذلك، وعلى سننها نمشي وبهديها في القواعد الخمس نهتدي، وربما أذكر من الأسماء ما لم يذكراه فإن المقصود من كتابنا بيان ما اختلف فيه وأجمع عليه، ومما أجمع عليه فهو الحق، وهو الذي يدعى به على ما ذكرناه، وقدمنا على العلماء أن من الأسماء ما يدخل في قسم الدعاء، ومنها ما لا يجوز أن يدعى به وإن كان اسماً، ونذكر عقب كل اسم ما يلزم العبد التعبد به حتى يحصل له حظ من ذلك الاسم فيه تكمل العبودية ويترقى إلى عالم الملكوت والملكية، ويدخل تحت الوعد الكريم والثواب الجسيم.

جعلنا اللّه ممن استعمله لطاعته، وأوصلنا بذلك إلى جنته بفضله ومنه وكرمه ورحمته وجعل ما كتبناه خالصاً لوجهه ومقرباً من عفوه ومغفرته آمين آمين.



القسم الأول

في جماع ذكر الأسماء
التي تتبع إثبات البارئ
جلّ ثناؤه والاعتراف بوجوده

● منها:

1ـ شَيءٌ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أسماؤُهُ

قال الأستاذ ابن فورك وغيره: اعلم أن أول أوصافه سبحانه «شيء» وذلك أن أول درجة في أول أوصاف الإثبات «شيء» ومعناه: إنه موجود، وذلك هو حقيقة الشيء عندنا، وقد ورد الكتاب بتسميته شيئاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 19] قال المفسرون: إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت الآية. المعنى: الله أكبر شهادة، أي انفراده بالربوبية وقيام البراهين على توحيده أكبر شهادة وأعظم، فهو شهيد بيني وبينكم على أني قد بلغتكم وصدقت فيما قلته وادعيته من الرسالة(1).

قلت: وهذا الاسم لا يختلف فيه إن شاء الله، وإنما لم يأت في عداد الأسماء لأنه ليس من أسماء التضرع كما تقدم، فممن ذكره الشيخ أبو الحسن والقاضي أبو بكر بن الطيب وابن فورك وابن العربي، وغيرهم من أهل السُّنَّة، وذكره البخاري في الصحيح، وإنما خالف فيه جهم بن صفوان وشيعته فقالوا: لا يجوز أن يسمى الله شيئاً، وتابعوا في ذلك طائفة من الفلاسفة. وليس بشيء لما ذكرناه، ولأنه لو لم يكن الباري شيئاً ولا يجوز أن يسمّى به لجاز أن يقال: إنه ليس بشيء، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال: إنه ليس بموجود، وهذا محال لاتفاقنا على وصفه بالإثبات.

فإن قالوا: لو قلنا: إنه شيء، لأفضى ذلك إلى التشبيه بينه وبين خلقه وقد اتفقنا على نفي التشبيه.

قلنا: هذا يوجب أن لا يقال الباري واحد ولا أنه موجود؛ لأن غيره يشاركه في الوحدة والوجود فلما لم يثبت بذلك تشبيه مع الاشتراك في التسمية. فكذلك قول «شيء» وقد تقدم هذا المعنى في مقدمة الكتاب والحمد لله(2).

---

(1) ذكره القرطبي في «تفسيره» (3/ 310) بتحقيقنا.

(2) تقدم أن مقدمة الكتاب فُقد جزء منها.

واختلفوا هل هو مشتق أم لا؟ على قولين:

الأول: أنه اسم غير مشتق، موضوع للإثبات والوجود. ويقال «شيء» بمعنى موجود، كما يقال: لا شيء بمعنى معدوم.

الثاني: أنه مشتق. واختلفوا في اشتقاقه على قولين:

فمنهم من قال: إنه فعْل بإسكان العين مصدر شاء يشاء شيئاً، ثم سمي بالمصدر، كما قيل للذي يشرب: شرّاب. وللذي يكتب: كتّاب.

الثاني: أن وزنه فعيل، كنصيب وخميس، وكان أصله: شييء، وكثُر استعماله في الكلام، فاستثقل اجتماع الياءين مع كسرة. ويكون فعيل فيه بمعنى: مفعول. كجريح بمعنى: مجروح، وقتيل بمعنى: مقتول.

قالوا: وإنما قلنا ذلك، لأنا رأينا جمعه لا ينصرف، لأنه لو كان فعْلاً بإسكان العين وجمعه أفعال، لصرف الجمع، كما يُصرف أكلاب وأشياخ.

الثالث: أنه على وصفين: تارة يقع مشتقاً، وتارة يقع علماً موضوعاً للإبانة عن الوجود.

ابن العربي: والأشبه عندي أنه مشتق.

قلت: ولا يختص الله تعالى بهذا الاسم، أعني لا يجوز أن يسمّى به غيره، فقد يطلق على الكثير والقليل من الأشياء، ويصغر فيقال: شُييّ بضم الشين وكسرها، وشوي: لغة سمعتها من شيخنا أبي العلا إدريس بن موسى النحوي[1] رحمه الله.

● ومنها:




2. المَوْجُود
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْمَاؤُهُ




وهو اسم واقع على كل ذات في الوجود وكل ما يقال له شيء يقال له موجود. وقالت المعتزلة: «شيء» أعم من موجود. لأنهم جعلوا المُمْكِنَ المُقَدَّر وجوده: شيئاً.

---

(1) وهو أبو العُلا إدريس بن موسى الأنصاري القرطبي. من النحويين والمقرئين. أتى «سُبتَه» ودرَّس بها وتوفي فيها سنة (647)هـ. كان ـ رحمه الله تعالى ـ مشهوراً بأدبه وعطائه.

ونحن نقول: إن المُمْكِنَ معدوم حتى يخرج إلى الوجود، فإذا خرج سميناه: شيئاً. ووجود اللّه تعالى عن نفس ذاته. وقد عدّه بعض المتكلمين من الصفات، وأكثر المحققين منهم: على أنه عين الذات، والعلْمُ به عِلْمٌ بالذات.

وكذلك وجود الجوهر عندهم نفسه من غير مزيد، والتحيز صفة زائدة على ذات الجوهر، على ما يأتي الكلام عليه في اسمه «الواحد».

ابن العربي: ولفظ «موجود» لفظ أطلقه علماؤنا عليه سبحانه، وقالوا: إنما أطلقناه عليه لاجتماع الأمة. وهذا وهمٌ منهم فإن الأمة لم تجمع عليه لوجهين:

أحدهما: أنه لم يجرِ في ألفاظ الصحابة والتابعين إنما كان بين المتكلمين.

الثاني: أن من المتكلمين من خالف فيه. فقال: لا أقول إنه موجود.

والصحيح: أن علماءنا أطلقوه حين احتاجوا إليه لورود الشرع به، وذكر اللّه سبحانه في كتابه مخبراً عن نفسه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: 39] وهذا إذن صريح ونص صحيح في إطلاق اللفظ، وهو من قبيل المعبُود والمُستعان.

قلت: وفي صحيح السُّنَّة يقول اللّه تعالى: «**ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدتني عنده**»[1] الحديث صحيح.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا موجود على الإطلاق بالحقيقة إلا اللّه تعالى، وأنه هو الذي أوجد الموجودات، وأوجدها من غيابة العدم فظهرت بإظهاره،

(1) جزء من حديث تفرد به مسلم (2569) في البر والصلة من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ يقول، يوم القيامة: يا ابن آدم، مَرِضتُ فلم تعُدني. قال: يا ربِّ، كيف أعُودُك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما علِمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تعده. أما عَلِمتَ أنَّك لو عُدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتُك فلم تُطعِمني. قال: يا ربِّ، كيف أطعِمُكَ وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما عَلِمتَ أنَّه استطعمك عبدي فُلانٌ فلم تُطعِمهُ؟ أما عَلِمتَ أنَّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتُك فلم تسقِني. قال: يا ربِّ، كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تَسقِهِ. أما إنَّك لو سقيته لوجدت ذلك عندي**».

واستنارت بما أفاض عليها من أنواره، ثم الموجودات كلها في التقسيم النظري إما أن تكون غير مقطوعة بعدم أولاً وآخراً، وإما أن تكون مقطوعة بعدم أولاً لا آخراً، وإما أن تكون مقطوعة بعدم آخراً لا أولاً.

وهذا القسم محال، إذ ما ثبت قدمه استحال عدمه، والأقسام كلها الثلاثة صحيحة ثابتة، فأما الذي ليس مقطوعاً بعدم أولاً وآخراً؛ هو كل ما يفنى ويستحيل بعد وجوده، فإنه أخرج من عدم ويعود إلى عدم.

والذي هو مقطوع بعدم من طريق الابتداء ولا ينعدم بعد وجوده، هو عالم الآخرة الباقي. والمقطوع بعدم أولاً وآخراً محصى ومحاط به من جميع نواحيه. لأن الزمن يضمه ويحده، والحصر يأخذه، والإحاطة تكنفه. والذي هو مقطوع بعدم من طريق الابتداء، ولا ينعدم بعدم وجوده، فلم تفرق الأشعرية بينه وبين هذا، إلا أن اللّه تعالى أبقاه لا غير، وإلا فلا فرق عندهم بين عالم الدنيا وعالم الآخرة؛ لأن اللّه تعالى يبقي عالم الآخرة. ويقطع البقاء عن عالم الدنيا، وسيأتي لهذا مزيد بيان عند اسمه «الباقي» إن شاء اللّه تعالى.

• ومنها:




3. المَعْبُود
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْمَاؤُهُ

قال الأقليشي: لا اختلاف في وصف اللّه تعالى به، ولم أجده في أثر، وورد فعله في القرآن في غير مكان. وهو وصف ذاتي لله تعالى، فيه معنى الإضافة الخاصة طوراً، والعامة أخرى. أما إذا [كان] معنى العبادة طاعة اللّه تعالى بإرادة واختيار واكتساب ومعرفة حقيقية، فهو من قسم الإضافة الخاصة. إذ لا يعبده على هذا النحو من العالمين إلا خاصة، وهم الملائكة وجميع المؤمنين. على هذه العبادة يقع الثواب والجزاء، وفاعلها يُسمى عابد اللّه تعالى.

أما إذا كان معنى العبادة الخضوع والاستكانة، وإقرار الفطرة والشهادة بلسان الحال، فهو بمعنى الإضافة العامة، لأن كل موجود في الوجود هو لله في تسبيح وسجود بهيبة وجلال، وإن خالفه الكافر في اعتقاده ومقاله. وعلى هذا خرج قوله سبحانه:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد: 15] وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف، 87].

والكافر وإن كان بهيئته وحاله عابداً لله تعالى، فلا يطلق عليه هذا الاسم، إنما يقال: عاصٍ، لأن النظر فيه يقع بإرادته واختياره وكسبه الوارد عليه من ربه، وعلى ذلك هو الثواب، وأما شهادة الفطرة فلا تنجيه من العذاب. فيجب على كل مكلف أن يعتقد: أن لا معبود إلا اللّه وحده، فعليه أن يعبده كما أمره بقوله ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: 36] وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5] فإذا أدى العبادة على هذا الوجه قيل: عبد الرجل ربه، أي ذلَّ لَهُ، ومنه قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5].

وهذا الاسم ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في آخر الكتاب[1]، في ذكر أسماء الباريء التي وجبت له بفعل غيره، وأن الأمة أجمعت عليه.

قال: وهو فنٌّ من التحقيق تكع[2] عنه قلوب الشاذين وتشمئز منه نفوس الحاسدين، وتقشعر منه جلود القاصرين المتقاعدين، وهي رحمة يكثر تعدادها، لكن نشير منها إلى أسماء: الاسم الأول: «الوكيل» الاسم الثاني: «المؤيد» الاسم الثالث: «المستعان» الاسم الرابع: «المعبود» الاسم الخامس: «المذكور» الاسم السادس: «أهل التقوى وأهل المغفرة».

وإنما ذكرته هنا بعد «الموجود» لأن الموجود المطلق على الكمال الذي له الوجود من ذاته لذاته، وكان كل موجود صادراً عن وجوده، وهو الذي يستحق أن يُخضع له ويُعبد ويُقَرُّ له بالربوبية، لا يُجحَد ويعترف بوجوده حتى لا يقصر العابد في عبادة معبوده.

---

(1) يريد كتاب «الأمد الأقصى».

(2) قوله: تكع عنه قلوب الشاذين؛ أي تجبن وتخاف. يُقال: أكععته: جَبَّنْته وخوَّفْته، وحَبَسْتُه عن وجهه. «القاموس المحيط» مادة (كع) (ص ـ 981).

• ومنها:

4. المَذْكُور

جلّ جَلالُهُ وتَقَدّسَتْ أسْمَاؤُهُ

ورد فعلاً ولم يرد اسماً، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] وقال: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»(1) الحديث وسيأتي.

والذّكْرُ من أعظمِ العباداتِ وأشرفها، حتى لا تصح الصلاة إلا به. وأصل الذكر: التنبيه بالقلب للمذكور والتيقظ له. وسمي الذكر باللسان ذكراً، لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كَثُرَ إطلاق الذكر على القول باللسان، صار هو السابق للفهم. فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في ذِكْرِهِ، المُعظم لرَبّهِ.

والذّكْرُ ركنٌ قوي في طريق الحق سبحانه، ولا يصل أحد إليه إلا بدوام الذكر له. قال اللّه تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152].

المعنى اذكروني بالطاعة، أذكركم بالثواب والمغفرة. قاله سعيد بن جبير وقال أيضاً: الذكر طاعة اللّه، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن، دليله ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أطاع اللّه فقد ذكر اللّه وإن قلّ صلاته وصومه وصنيعه للخير ومن عصى اللّه فقد نسي اللّه وإن كثر صلاته وصومه وصنيعه للخير**»(2). فهو سبحانه مذكور بالطاعة واللسان والقلب والجنان.

ومن خصائص الذكر أنه غير مُؤَقت بوقتٍ ولا زمان قال اللّه تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10] وقال: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: 198] فما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر اللّه، إما فرضاً وإما ندباً. والصلاة

---

(1) رواه البخاري (7405) ومسلم (2675)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، بألفاظ متقاربة. وسيأتي.

(2) موضوع - أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (2/3559)، من حديث واقد، مولى رسول اللّه ﷺ، وتعقبه بقوله: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه: الهيثم بن جماز، وهو متروك.

وإن كانت أشرف العبادات، فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر بالقلب مُسْتَدامٌ في عموم الحالات، قال اللّه تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191].

قال الإمام القشيري ـ رضي اللّه عنه ـ: سمعت السلمي يقول: سُئل الأستاذ أبو علي الدقاق فقيل: الذكر أتم أم الفكر؟ فقال الأستاذ: ما الذي يقع للشيخ فيه؟ فقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: عندي الذكر أتم من الفكر، لأن الحق سبحانه يُوصَفُ بالذكرِ ولا يوصف بالفكر، وما وصف به الحق أتم مما اختص به الخلق. فاستحسنه الشيخ أبو علي.

والأخبار في فضل الذكر كثيرة جداً يكفيك منها قوله الحق: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] وقوله: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»[1] الحديث.

[و] معلوم أن ذكر اللّه للعبد لا يقوم له بشيء، ولذلك قال وقوله الحق: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45] المعنى ولذكر اللّه إياكم، أكبر من ذكركم إياه في الصلاة وغيرها.

وروى زياد بن أبي زياد عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا: وما ذاك يا رسول اللّه؟ قال: «ذكر اللّه عز وجل»[2].

وقال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى للعبد من عذاب اللّه من ذكر اللّه.

وهذا الاسم والذي قبله، معناهما مُتقارب وهما من معنى الاسم الذي قبلهما إذ لا يُعبد ولا يُذكر إلا موجود فلذلك ذكرناهما.

---

(1) تقدم ثمة من رواية البخاري (7405) ومسلم (2675) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه.

(2) رواه الإمام أحمد (21702) والترمذي (3377) وابن ماجه (3790) والحاكم (496/1) والبيهقي في «شعب الإيمان» (519) والبغوي في «شرح السُّنَّة» (1244) والطبراني في «الدعاء» (1872) وغيرهم، وإسناده صحيح.

• ومنها:

5ـ الكَائِنُ

جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أَسْمَاؤُهُ

ومعناه أيضاً: الموجود القائم قبل كل شيء وبعد كل شيء، وهو اسم فاعل من كان يكون فهو الكائن وأصله «كاون» لأنه من ذوات الواو، كقائم أصله: قاوم، لأنه من قام يقوم، وكذلك: خائف وخائن، الأصل فيه خاوف وخاون، قلبت الواو بعد الألف همزة.

قلت: وهذا الاسم لم يأت في عداد الأسماء، وكذلك «المُكَوِّنُ» بمعنى: الموجد للأشياء والخالق لها، إلا أن ابن أبي الدنيا خَرَّجَ في كتاب «الفرج» قال: حدثني أحمد ابن عبد الأعلى الشيباني قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الكوفي عن صالح بن حسان عن محمد بن علي أن النبي ﷺ علّم علياً دعوة يدعو بها عند كل ما أهمه فكان عليّ يُعلمها ولده ـ عليهم السلام ـ: يا كائناً قبل كل شيء ويا مكون كل شيء ويا كائناً بعد كل شيء، افعل بي كذا وكذا» هذا منقطع، وأسند البيهقي عن ابن السلماني محمد بن عبد الرحمن وهو ضعيف عن أبيه عن ابن عمر[1].

قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**يا كائن قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد ما لا يكون شيء أسألك بلحظة من لحظاتك الغافرات الواجبات المنجيات**» قال البيهقي: إن صح هذا فإنما أراد باللحظة النظرة ونظره في أمور عباده رحمته إياهم[2].

قلت: ويدل على صحة هذا ما أخرجه البخاري[3] عن عمران بن الحصين قال: [كنت] عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**»

---

(1) أورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ـ 25)، وتعقبه بقوله: هذا منقطع.

(2) المصدر السابق (ص ـ 25).

(3) في بدء الخلق (3190)، وأطرافه في (3191) و(4365) و(4386) و(7418). ورواه أحمد (19822) والترمذي (3951) والنسائي في «الكبرى» (6/11240) وابن أبي شيبة (13/203) والطبراني في «الكبير» (18/500-499) وغيرهم. والتصويب من صحيح البخاري.

قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قبلنا جئنا لنتفقه في الدين ولنسألك عن [أول] هذا الأمر ما كان؟ قال: «**كان الله عز وجل ولم يكن [غيره] وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء**» وذكر الحديث[1]. فيجب على كل مُكلف أن يعلم أن الله سبحانه الكائن الموجود، والرَّب المذكور المعبود، الأول الآخر، أوجد الموجودات وكوّن المكونات بكلمة ﴿كن﴾ لا إله إلا هو سبحانه الغني عن المكان والمنزه عن الأَيْنِ والزمان.

● **ومنها:**

6. القَدِيمُ
جلّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ

دلّ عليه معنى التنزيل في قوله الحق: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ [الحديد: 3] وجاء في حديث أبي هريرة من طريق موسى بن عقبة وعبد العزيز بن الحصين على ما ذكرنا وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي عياش قال: حدثني محمد بن طلحة عن رجل أن عيسى ــ عليه السلام ــ كان إذا أراد أن يحيي الموتى صلّى ركعتين يقرأ في الأولى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: 1] وفي الثانية تنزيل السجدة فإذا فرغ مدح الله وأثنى ثم دعا بسبعة أسماء: **يا قديم يا حفيّ يا دائم يا فَرد يا وِتْر يا أحد يا صمد**[2].

قال البيهقي: وليس هذا الحديث بالقوي.

قلت: إن لم يصح سنده فهو صحيح معنى لقوله: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ ولمجيئه في عداد الأسماء ولإطلاق الأئمة ذلك عليه.

---

(1) وتمامه: ثم أتاني رجلٌ فقال: يا عمران أدرك ناقتك، فقد ذهبت. فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وايمُ الله لوددتُ أنها قد ذهبت ولم أقم. لفظ البخاري (7418).

(2) لا يصح بحال. إسماعيل بن عياش ومحمد بن طلحة ضعيفان، والراوي مجهول! لا أراه إلا من الموضوعات.

قال ابن العربي: القديم لم يرد به قُرآن ولا سُنّة لكن علماءنا قالوا: إنه أجمعت عليه الأمة. ثم قال بعد هذا: اعلموا رحمكم الله أن علماءنا عظّموا هذا الاسم وأطنبوا فيه القول، وادعوا عليه الإجماع. ولقد كدح الصحابة والتابعون و لم يعرفوه ولا ذكروه، ولكن لما حدثت الأهواء ودخل في الشريعة كلام الفلاسفة والأطباء، استعملوا هذه اللفظة. فلما لحظها علماؤنا لم يمكن ردها وقد شاعت، ورأوا لها وجهاً سائغاً فاستعملوه ورتبوا له فصولاً وفروعاً وقالوا: التقدم في الوجود والعمر والله لو كان من الأسماء الواردة في الشرع لبسطنا فيه القول وتتبعنا متعلقاته بالبيان.

قلت: قد ورد في الشرع ذكره كما ذكرنا وهذا بسط القول فيه فنقول: قال علماؤنا: القديم في وصفه سبحانه من صفات السلب، ومعناه الذي ليس لوجوده ابتداء، فكأنه نظر إلى دوام وجوده في الأزل، كما أن الباقي نظر إلى دوام وجوده في المستقبل. وبالضرورة يُعلم أنه إذا كان قديماً كان باقياً على ما تقدم بيانه في التقسيم. وقال الحليمي معنى القديم: إنه الموجود الذي لم يزل وليس لوجوده ابتداء[1].

وأصل القديم في اللسان: السابق فقيل: لله عز وجل قديم، بمعنى أنه سابق للموجودات كلها و لم يجز إذا كان كذلك أن يكون لوجوده ابتداء لاقتضى ذلك أن يكون غير له، ولوجب أن يكون ذلك الغير موجوداً قبله. فكان لا يصح حينئذ أن يكون هو سابقاً للموجودات، فبان أنا إذا وصفناه بأنه سابق للموجودات، فقد أوجبنا أن لا يكون لوجوده ابتداء، فكان هو القديم في وصفه جلّ ثناؤه عبارة عن هذا المعنى[2].

قال ابن العربي: وقالت طائفة من المبتدعة: لا قديم في الحقيقة إلا الله تعالى؛ لأن المبالغة في القِدَم ليست إلا له؛ ونازعهم في ذلك علماؤنا وقالوا: إن أهل اللغة قالوا: بناءٌ قديم، وعرجون قديم، على طريقة واحدة.

قلت: قد بيّن هذا الإمام ابن فورك فقال: القديم؛ هو المتقدم في الوجود على شرط المبالغة ثم إن التقدم على قسمين:

---

(1) ذكره البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ـ 23).

(2) المصدر السابق.

أحدهما: تقدم بغاية وذلك كتقديم الحوادث بعضها على بعض نحو قولهم: دار قديمة وبناء قديم، وعرجون قديم، وإفك قديم، وفي التنزيل: ﴿هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: 11].

والثاني: تقدم لا بغاية، وذلك كتقدم الباري سبحانه وصفاته للحوادث كلها بلا غاية، وكل واحد منها يقال له قديم على الحقيقة.

والفائدة في ذلك أن تعلم أن وجوده سبحانه وجود أزلي، لا وجود عن عدم كوجود المحدثات، وذلك معنى القِدَمِ وهو التقدم في الوجود، وقدمه في الوجود هو تقدمه على كل موجود وحادث بلا مدة ولا ما يجري مجرى المدة.

والدليل على أن وصفه بذلك واجب؛ أنه لو لم يكن كذلك لم يكُنْ مُتقدماً بوجودِهِ على الحوادثِ كلها، وكان يجب أن يكون لوجوده ابتداء. ولو كان كذلك كان حادثاً واقتضى في وجوده مُحدثاً، وتعلق بغيره واحتاج إليه، وكان حكمه حكم المُحْدَثَاتِ. ثم كان مُحْدِثُهُ لا يخلو من أن يكون قديماً أو حادثاً، فإن كان حادثاً، اقتضى في حَدَثِهِ مُحدثاً واتصل ذلك بما لا يتناهى. وإن كان غير حَادِثٍ كان قديماً لم يزل. وهو ما قلناه: إن الحوادث لا بد لها من اتصال بما ليس بحادث يكون به حدوثها، وإليه ينتهي وجودها. وإذا كان كذلك فقد بان أن لا بد من القول بتقدم محدثها. وليس هذا الاسم مُختصاً به سبحانه إلا على معنى لا أول لَهُ.

قال الجوهري وغيره: يقال: قَدُمَ الشيء ـ بالضم ـ قدماً فهو قديم، وتقادم مثله. قال عنترة:

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الحَرْبِ رُكْنِي ... وَلَكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَمَانِي

والقِدَمُ بخلاف الحدوث، وقدم بالفتح يقدم قدماً، إذا تقدّم. قال اللّه تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [هود: 98].

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن اللّه عز وجل؛ القديم على الإطلاق، الأول بكُلِّ اعتبار، وأن الموجودات كلها صادرة عنه، كائنة بإيجاده وإذا أراد أمراً قال ﴿كُنْ﴾.

وحق [على] من علم أن لا قديم إلا اللّه وحده، وأن كل ما سِوَاهُ مُحدَثٌ وأن المُحْدَث مُفْتَقِرٌ إلى المُحْدِثِ في كلِّ حاله، فحقه أن لا يُعلق قلبه بالفقير، ويُعرضُ عن الغني، فإن ذلك دليل على جهله به.

ففكر في عظمة من ليس له ابتداء، ومن كان قائماً بذاته حين لا أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسي ولا ملك ولا إنسي وهو الآن على ما عليه كان، وتشرف لرؤية هذا العظيم، فإذا رأيت وجهه الكريم فقد فزت بالسعد الجسيم.

قال ابن العربي: ولا يوصف الباري تعالى بأنه أزلي؛ لأنها لفظة فلسفية لا يعضدها الاشتقاق ولا تشهد لها اللغة ولا تحتملها الشريعة.

• ومنها:

7-8. الأَوَّلُ والآخِرُ
جلَّ جَلَالُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ

وردا في التنزيل والحديث فقال وقوله الحق: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الحديد: 3] وقال ﷺ: «**اللّهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» الحديث وسيأتي بكماله إن شاء اللّه خرجه مسلم[1].

وأجمعت الأمة على التسمية بهما، فتضمنت أوليته سبحانه حدوث كل شيء وآخريته فناء كل ما سواه، فإنه إذا لم يكن لأوليته ابتداء فلا يكن[2] للموجودات قبل أو بعد، فكان هو الأول والآخر، فهو الأول بوجوده في الأزل وقبل الابتداء، والآخر في وجوده في الأبد وبعد الانتهاء، وعلى هذا يكونان من أسماء الذات وأنشدوا:

يا قبل القبل لا قبل قبله ... ويا بعد البعد والبعد ذاهب

---

(1) في الذكر والدعاء (2713) ورواه أحمد (8969) وأبو داود (5051) والترمذي (3400).. وغيرهم، واللفظ لمسلم، من طريق جرير، عن سهيل، قال: كان أبو صالح يأمرنا، إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن. ثم يقول: «**اللهمّ ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم. ربّنا وربّ كلّ شيء. فالق الحبّ والنّوى ومُنزل التوراة والإنجيل والفرقان. أعوذ بك من شرّ كلّ شيء أنت آخذ بناصيته. اللهمّ أنت الأوّل فليس قبلك شيء. وأنت الآخر فليس بعدك شيء. وأنت الظّاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنّا الدّين وأغننا من الفقر**». وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ.

(2) كانت بالأصل «فليكن» والأصوب: ـ فلا يكن ـ واللّه أعلم.

ويجوز أن يكونا من أسماء الأفعال، على معنى أوَّل الأول، وآخر الآخر في الوجود والنسب والمراتب، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «**أنت المقدم وأنت المؤخر**»[1].

قال ابن العربي: وأما من قال إنه آخر بمعنى آخر الأواخر فهذا إنما يصح لو كان المؤخر، فأما الآخر فليس يشهد له تصريف ولا معنى، ثم لفظ أول يقال على أنحاء من ذلك أولية التقدم وهي تنقسم إلى قسمين:

تقدم زمن وتقدم مرتبة، وينقسم تقدم المرتبة إلى قسمين:

تَقَدُّمُ شَرَفٍ وفضيلةٍ كقولك: الأنبياءُ والعلماءُ أوَّلُ الناس! أي أشرفهم. وتقدم مبدأ وسبب كآدم ـ عليه السلام ـ فإنه أول الخلق وسبب وجودهم فله سبحانه من أقسام الأولية القدم لا إلى أول. وله أولية الشرف والفضل؛ لأنه حاز الأسماء الحسنى كلها، وذلك بحقائقها، واتصف بصفات العُلى على كمالها، فله الأولية في المراتب كلها، وذلك ما عبّر عنه الحق بقوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: 15].

وقد سرد ابن العربي عن العلماء في الأول خمس عبارات.

الأولى: أنه الموجود قبل الخلق، كان ولا شيء قبله، ولا معه. قاله ابن عباس.

الثانية: أنه الذي لا ابتداء له.

الثالثة: أنه الذي له كل شيء، وبه كل شيء، ومنه كل شيء، كما يقال: فلان أول هذا الأمر وآخره.

الرابعة: أنه الأول بصفاته.

الخامسة: أنه الأول بمحبته لأوليائه.

---

(1) جزء من حديث رواه البخاري (6317) وغيره من طريق طاوس، عن ابن عباس كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال: «**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ومن فيهنّ ولك الحمد أنت قيم السّماوات والأرض ومن فيهنَ، ولك الحمد أنت الحقُّ ووعدك حق، وقولك حق ولقاؤك حق، والجنّة حق والنّار حق، والسّاعة حق والنّبيُّون حق، ومحمّد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكّلت، وبك آمنت وإليك انبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلاّ أنت أو لا إله غيرك**».

قال: والآخر مقابل الأول، ولهم في ذلك ست عبارات.

الأولى: أنه الموجود بعد الخلق فلا شيء بعده.

الثانية: أنه الذي لا انتهاء له.

الثالثة: أنه الذي يرجع إليه كل شيء.

الرابعة: أنه الذي آخر الأواخر، قاله الضحاك. يعني أنه الذي جعل لكل شيء آخراً.

الخامسة: أنه الآخر بقضائه وقدره.

قُلتُ: وكذا هو أيضاً أوَّل بقضائه وقدره، قَضَى وقدَّرَ في الأزل.

السادسة: أنه الآخر بإظهار محبته لأوليائه ونقمته لأعدائه.

واتفقت الأمة على أنه لا يجوز وصف المخلوق بهذين الاسمين معرّفاً على الإطلاق، ويجوز مُقيّداً ومضافاً أو مُنكراً بلا خلاف. تقول: جئتك أول أمس وعام الأول. وإن للزمان أولاً وآخراً وشبه ذلك.

وقال رسول الله ﷺ: «**نحن الأولون والآخرون**»[1].

قال بعض العلماء أراد بذلك الأولون في علم النبوة الآخرون في إظهار البعثة والرسالة؛ لأنه روي أنه سئل ـ عليه السلام ـ متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»[2] قال ابن العربي: ليس كذلك والحديث إنما نصه «**نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله له غداً لليهود وبعد**

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (7710) والبخاري (876) ومسلم (855) والنسائي (1366) وابن ماجه (1083)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غدٍ**» لفظ البخاري.

(2) رواه الإمام أحمد (20596) والحاكم (4265) والطبراني في «الكبير» (20/834) وابن سعد (7/60) والآجري في «الشريعة» (ص ـ 421) وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (410) وغيرهم، بإسناد صحيح، من حديث ميسرة الفجر رضي الله عنه، قال: قلتُ يا رسول الله، متى كُنتَ نبياً؟ قال ﷺ: «**وآدم بين الروح والجسد**» لفظ أحمد.

غدٍ للنصارى»[1] وأراد بقوله: نحن الآخرون زماناً السابقون ثواباً ومكاناً لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة 10-11] يوضحه قوله ـ عليه السلام ـ «**مثلكم ومثل من خلا من الأمم كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود ثم قال: من يعمل لي على قيراط فعملت النصارى إلى العصر ثم قال: من يعمل لي إلى غروب الشمس فعملنا فاوتينا قيراطين**»[2] الحديث خرجه البخاري.

وأوَّل: وزنه أفعل، فاؤه وعينه واوان. قال ابن العربي: لا خلاف بينهم في أن وزنه أفعل، لكن البصريون يقولون: أصله أول، من آل يؤول إذا ساس أو رجع. والآخرون يقولون: أصله أوأل من وأل أي: لجأ. قال: والصحيح قول البصريين، وأخذ يعلل ذلك.

قال الأقليشي: واشتقاقه من آل يؤول إذا رجع، والأول هو الرجوع. فكان الأول هو الذي يرجع إليه من بعده، ألا ترى أن الأعداد كلها ترجع إلى الواحد الذي هو أولها، وكل موجود في الوجود فمرجعه إلى اللّه الذي وجوده سابق على وجود الكل، وهو الأول على الحقيقة، أي السابق وجوده وجود غيره، فهو اسم عيني له مع إضافة إلى كل موجود في الوجود.

قال الزجاج: والدليل على أنه أفعل وليس بفوعل كما ذهب إليه بعض النحويين، اتصاله بمن ولا تتصل إلا بأفعل فيقال: أنا أول من فلان، كقولك: أفضل من فلان. تقول: الأول والأولان والأولون، كقولك: الأفضل والأفضلان والأفضلون، في جمع السلامة، وفي جمع التكسير: الأوائل، كقولك: الأفاضل، وأصله الأواول فأبدل من الواو همزة.

---

(1) تقدم من رواية البخاري (876) ومسلم (855) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه.

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (4508) والبخاري (557) وأبو يعلى (5838) والطيالسي (1820) والطبراني في «الأوسط» (1642) والبغوي في «شرح السنة» (4017)، وغيرهم من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما، بألفاظ متقاربة. وفي الباب عند البخاري (558) وغيره من حديث أبي موسى رضي اللّه عنه.

وأما الآخر فوزنه فاعل وتأنيثه الآخرة، كقولك: ضارب وضاربة. وقد قيل: إن أصله أخرياي لكنهم أماتوا هذا التصريف، ويقال: آخر بفتح الخاء في مقابلة أحد، كما أن آخر بكسر الخاء في مقابلة أول، تقول: جاء أحد الرجلين ثم جاء الآخر.

فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن اللّه سبحانه هو إله الأولين والآخرين، هو الأول في ذلك، والآخر لم يلحقه حول ولا تغيير، ثم يأخذ نفسه بالتقدم أو السبق إليه ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة 10-11].

• ومنها:

9ـ الباقِي
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

ورد في القرآن فعلاً فقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 27] وجاء في حديث أبي هريرة «الباقي» ولا يقال لغير اللّه الباقي إلا مُضافاً مُعلقاً بشيء، كقولك، زيد الباقي بعد عمرو، لأنه عاش من بعده، وبقاؤه إلى أمد ثم ينقضي، وبقاؤه سبحانه ليس كذلك، يقال: بقي الشيء يبقى بقاءً، إذا طالت مدة وجوده، وأبقاه اللّه فهو باقٍ، على وزن فاعل.

قال ابن العربي: وهذا الاسم لم يرد به قرآن ولا سُنّة، ولكن ورد في القرآن فعلاً واتفقت عليه الأمة. قلت: جاء في حديث الترمذي المفسر فكأنه لم يقرأه ـ رحمه اللّه ـ وخرجه ابن ماجه أيضاً[1]، فأما في القرآن فلم يرد إلا فعلاً كما ذكر. وبقاء اللّه سبحانه كناية عن استمرار وجوده وهو أمر معقول كالقِدَم. قاله القاضي ابن الطيب.

وقال الحليمي: وهذا أيضاً من لواحق قولنا: قديم؛ لأنه إذا كان موجوداً لا عن أول ولا لسبب لم يجز عليه الانقضاء والعدم[2].

---

(1) وقد تقدم من رواية الترمذي (3507) وابن ماجه (3861) وابن حبان (807) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، وفيه قوله ﷺ: «.. النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور».

(2) «الأسماء والصفات» (ص ـ 26).

وقد اختلف الأشعرية في البقاء، هل هو صفة للباقي زائدة على وجوده بمثابة العلم في حق العالم؟ أم البقاء يرجع إلى نفس الوجود المستمر من غير مزيد؟ فاختار الإمام أبو المعالي هذا المذهب الأخير، وهو الذي ذكرناه عن القاضي والحليمي.

قال أبو المعالي: لو لم نسلك هذا المسلك للزمنا أن نصف الصفات الأزلية بكونها باقية، ثم نثبت لها البقاء ويجر سياق هذا القول إلى قيام المعنى بالمعنى. ثم لو قدّرنا بقاءً قديماً للزمنا أن نصفه بقاءً ثم يتسلسل القول.

ورأى غير أبي المعالي من الأشعرية: أن البقاء صفة ذاتية كالعلم وشبهها من الصفات الذاتية، وأنه تعالى باقٍ ببقاء هو قائم به، وبقاؤه باقٍ لنفسه، لأنه في نفسه بقاء، وصفة ذاته باقية ببقائه. فعلى قول أبي المعالي والقاضي ومن تبعهما يكون البقاء صفة عينية راجعة إلى نفس الوجود من غير مزيد، وعلى قول غيره يكون البقاء صفة ذاتية كالعلم، وكلا المذهبين مشهور عند الأشعرية ولقد أحسن من قال:

لم يزلْ مولىً عظيماً ... قبلَ تعظيمِ العبادِ
في بقاءٍ مُستمرٍّ ... جلَّ عن حدِّ النّقادِ
في جَلالٍ وعُلوٍّ ... ونَوالٍ وإيادِ

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن اللّه سبحانه الباقي الذي لا يزول على إطلاق، وأنه لا بقاء لشيء سواه إلا بإبقائه، ويعرف نفسه بالفناء والزوال ووشيك الرحيل والارتحال، ويلاحظ الكون بعين الفناء فيزهد في حطام الدنيا، ولا يرغب في حلالها فضلاً عن حرامها ولقد أحسن من قال:

هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليكَ عَفواً ... أليسَ مَصيرُ ذاكَ إلى الزَّوالِ[1]

وقالت الحكماء: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لوجب على العاقل أن يزهد في الذهب الفاني، ويرغب في الخزف الباقي. فكيف والدنيا مدرة ومالها إلى الفناء، ولقد أحسن من قال:

لا تغرنّكَ دُنيا أقبلتْ ... إنّها لم تَنْشَأ إلا للفَناء

---

(1) البيت لأبي العتاهية انظر (قمع الحرص؛ القرطبي ص39).

وإذا حققت المقال علمت أنك خُلِقْتَ للبقاءِ لا للفناء، وإنما تُنْقَلُ من دار إلى دار لتُجزى بعملك فاعقل من أنت. وعبد من أنت. ولم خُلقت. وما الذي أريد منك؟ لقد أُهِّلْتَ لأمر عظيمٍ ومقام كريم لا يفنى، إن عملت له، وإن جعلته عنك بظهر ورغبت عنه فاعلم أنك لا بد باقٍ في عذاب أليم لا يبيد ولا يفنى لا تموت فيها ولا تحيا، فاللّه اللّه في نفسك التي لا نفس لك سواها، فعليها واللّه تدور هذه الدوائر بوعد حق وأمر محكم، فاضرع إلى ربك وسله به لا سواه أن يغفر لك ذنوبك، ويبقي عليك ما يُقربك إليه، فإنه لا يرد من لجأ إليه.

● ومنها:

10. الدَّائِمُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

جاء في حديث ابن ماجه [(3861)] ومعناه معنى «الباقي».

يقال: دام الشيء يدوم دواماً ودوماً وديمومة، فهو دائم وإدامه غيره، ودام الشيء: سكن ومنه الحديث «**نهي أن يبال في الماء الدائم**»(1) والديمة المطر يدوم يوماً وليلة لا يقلع. ودوّم الطائر إذا حلّق في الهواء ورفرف قائماً في الجو ـ في حقيقة ذلك ولم ينهض على وجهه(2) ـ ودوّمت الشمس إذا كانت في كبد السماء فلم يتبين سيرها، قال الشاعر:

---

(1) الحديث رواه الإمام أحمد (14783) ومسلم (281) والنسائي (35) وابن ماجه (343) والبيهقي (97/1) وغيرهم من حديث جابر رضي اللّه عنه، عن رسول اللّه ﷺ؛ أنه نهى عن أن يُبال في الماء الراكد.

ورواه الإمام أحمد (8566) والبخاري (239) ومسلم (282) وأبو داود (69) والترمذي (68) والدارمي (730) والنسائي (58) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن رسولِ اللّه ﷺ أنه قال: «**لا يبولنَّ أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه**» لفظ البخاري.

(2) هكذا في الأصل، ولعل هناك سقطاً في المخطوط. وقد حاولت أن أستدركه من كتب اللغة، فلم أوفق إلى ذلك.

والشمسُ حمـراء لهـا في الجـوّ تدويـمُ[1]

وقالوا: دومت الدوامة، سميت بذلك لأنها مستديرة في حركتها ولا تبرح عن مكانها. وقد قيل في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: 23] إنهم إذا قاموا إليها ثبتوا على أحكامها و لم تنبسط جوارحهم لشيء خارج عنها، كما روي عن بعضهم أنه إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد، وعن آخر كأنه جذع، وعن آخر كأنه ثوب ملقى، وقد يكون المراد بوصف الدوام عليها: المحافظة على أوقاتها وأحكامها.

فمعنى الدائم إذاً في وصفه سبحانه: عدم الحيلولة والزوال أي هو على ما لم يزل، ولا يزال على ما هو سبحانه وله الحمد.

قال الخطابي: الدائم الموجود الذي لم يزل الموصوف بالبقاء الذي لا يستولي عليه الفناء. قال: وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامها، وذلك أن بقاءه أبدي أزلي وبقاء الجنة والنار أبدي غير أزلي، وصفة الأزل ما لم يزل وصفة الأبد ما لا يزال. والجنة والنار مخلوقتان كائنتان بعد أن لم تكونا، فهذا فرق ما بين الأمرين.

فيجب على العبد أن يعلم: أن لا دائم على الإطلاق إلا الله سبحانه، ثم يجب عليه الدوام على عبادة ربه، والتحلي بأسمائه، ولزوم سبل محابّه. والقليل من العبادة خير من كثيرها مع القطع والسآمة قال رسول الله ﷺ: «**أحب العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قل**»[2] وقال: «**اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة فإن الله لا يمل حتى تملوا**»[3] وقد مدح الله ابن آدم على عمله فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: 23].

---

(1) قال في «تاج العروس» (254/16) مادة: دوم ـ وأنشد الجوهري لذي الرُّمَّة:

مُعْرَوْرِياً رَمَـضَ الرَّضْـرَاضِ يَرْكُضُـهُ   والشمسُ حَيْرى لها في الجَـوِّ تدويـمُ

وهي في ديوانه(ص-87)، وعجز في «الصحاح» و«الأساس» و«المقاييس» و«التهذيب» (2 ـ 315).

(2) روى البخاري (6465) وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أي الأعمالِ أحب إلى الله؟ قال: «**أدومها وإن قل**» وقال: «**اكلفوا من الأعمال ما تطيقون**».

(3) الحديث كما جاء عند الإمام أحمد (24995) والبخاري (6464) ومسلم (2818) وغيرهم من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها؛ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**سَدِّدُوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يُدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحبَّ الأعمالِ أدومها إلى الله، وإن قلَّ**» لفظ البخاري.

وأخبر عن الملائكة بأنهم ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20] وهم لا يسأمون، وكان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبته. وقالت عائشة: كان عمله ديمة[1].

فسدّد رحمني الله وإياك، وداوم واستعن بالله جلّ ذكره يغنك. واسأله ذاك تجده قريباً مجيباً.

• ومنها:

11. الأَبَدُ

جلّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

ومعناه معنى: «الآخر» و«الباقي» و«الوارث» وهو الذي لا يزال.

قال الجوهري: والأبد: الدائم، والأبد: الدهر. ومنه قولهم: أي أبد على لبد، والجمع آباد وأبود، ويقال: أبد آبد كما يقال: دهر داهر، ولا أفعله أبد الأبد وآبد الآبدين. كما يقال: دهر الداهرين، وغوص الغائصين.

أَبَدَ بالمكان يَأْبِدُ بالكسر أُبوداً: أقام به.

وهذا الاسم لم يذكره كثير من العلماء، وقد جاء ذكره في الأسماء خرجه ابن ماجه، كما ذكرنا وبالله التوفيق.

• ومنها:

12. الدَّهْرُ

جلّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

وهو اسم مُختَلَفٌ فيه، فمن مثبت له في جُملة الأسماء، ومن نافٍ، والذي أثبته أكثر.

وقالوا: معناه توالي وجود الملك الحق تبارك اسمه وتعالى جده، فيكون مفهومه مفهوم ما لا أول له ولا آخر من الأبد، وحقيقته واقعة على أبد الأزل الذي هو دوام

---

(1) رواه الإمام أحمد (24217) والبخاري (6466) ومسلم (783) وأبو داود (1370) وابن حبان (322) وغيرهم.

والدِّيمة ـ بكسر الدال وسكون الياء ـ بمعنى دائماً. قال ابن الأثير في «النهاية»: الديمة، المطر الدائم في سكون. شبهت عمله ﷺ في دوامه مع الاقتصاد، بديمة المطر.

بقاء الباريء عزَّ وجلَّ. فعلى هذا هو اسم حق لله جلّ ذكره كالأول والآخر. وفي الخبر عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «**سبحان الدهر الداهر**»[1] كما يقال الأحد الواحد فهو الدهر وهو الداهر.

وقيل: الداهر بمعنى دهر الدهر، كما يقال في اسمه الواحد أنه وحد الواحد، أو أحد الواحد. فيكون الداهر من أسماء الأفعال. وروي عن علي رضي الله عنه في خطبة له: مدهر الدهور ومن عنده الميسور.

فالدهر مفهومه وجود ديمومة بقائه كما ذكرنا والداهر عبارة عن إحداثه الدهر وقيل: معنى الدهر الداهر[2].

وقد احتج من جعل الدهر اسماً برواية مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر**» وفي رواية «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»[3] حملوا الحديث على ظاهره ونصه ثم تأولوا فيه حذفاً فقالوا: الدهر من أسماء الله تعالى.

قال أبو نعيم صاحب ابن المبارك في كتاب «العصمة» له: الدهر؛ من أسماء الله تعالى لم يختلفوا فيه. وساق الأحاديث الواردة فيه، وطوّل الكلام عليه.

أما أبو عبيدة، وابن فورك وجماعة من أهل الفقه والنظر، فحملوه على أن [في] الكلام حذفاً تقديره: مقلب الدهر ومصرفه.

ولا خلاف بينهم أن الدهر واقع على الزمان المخلوق، فمن قال: هو اسم من أسماء الله تعالى جعله من الأسماء المشتركة المنقولة، ومن لم يجعله من أسمائه قال: لم يرد في اللغة الدهر إلا اسماً للزمان، فكيف نجعله من الأسماء المشتركة والمنقولة دون دليل؟

---

(1) لم أعثر له على أثر.

(2) تمَّ إثبات هذه العبارة ـ وكانت في حاشية هذه الصفحة ـ ولعل الناسخ استدركها بعدما سقطت منه سهواً.

(3) الحديث بألفاظه وطرقه رواه الإمام أحمد (7249) والبخاري (4826) ومسلم (2246) وأبو داود (5274) والحميدي (1096) وابن حبان (5715) والبيهقي في «الكبرى» (3/365) والبغوي في «شرح السنة» (3389).

والحديث محتمل للتأويل. وقال جماعة من أهل العلم ممن جعل الدهر اسماً: أن معنى الحديث إنما خرج رداً على العرب في جاهليتها فإنهم كانوا يعتقدون أن الدهر هو الفاعل كما أخبر اللّه في كتابه عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24] فكانوا يعتقدون أن الدهر غير مفتتح الوجود، قديم غير متناهٍ، وأن الحادثات والكائنات بتأثيره وتحت تدبيره، وأن منه يصدر الخير والشر. فكانوا إذا أصابهم ضيم أو مكروه نسبوا ذلك إلى الدهر وسبوه، فنقل رسول اللّه ﷺ هذا الاسم لله تعالى إذ هو الصفة التي ذكروه من القِدَمِ وارتفاع العدم عنه أولاً وآخراً، ومن التدبير والتقدير، ثم قال لهم على ذلك: «**لا تسبوا الدهر فإن اللّه هو الدهر**»[1] فيرجع السب إليه سبحانه فنهوا عن ذلك وكان اسم الدهر بهذا المعنى حقيقة لله تعالى ونفي اسم الدهر واقعاً على الزمان مسلوباً عن هذا المعنى، وهو محتمل. ودلّ على هذا ما رواه أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال اللّه عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»[2] خرجه مسلم أيضاً.

وقد أحسن معن بن أوس بن زهير بن أبي سلمى حيث يقول:

الحرُّ والبرد مأمورانِ ما غلطا ... ولا هما أعجلا عن وقته بشرا

وقال آخر:

يا عاتبَ الدهر إذا نابَهُ ... لا تلُمِ الدهرَ على غدره
الدهرُ مأمورٌ له آمرٌ ... منتهى الدهرِ إلى أمرهِ[3]

فيجب على [كل] مكلف أن يعلم أن اللّه سبحانه هو الدهر حسب ما ذكرناه، وأنه خالق الدهر ومدهره ومدبره ومصرف الأمور فيه، فجانب الاعتراض ولا تتبرم

---

(1) تقدم تخريجه عند الحديث المتقدم.

(2) تقدم تخريجه عند الحديث المتقدم.

(3) قائلها هو أبو علي الثقفي، كما جاء عند القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (16 / 167) ولها تتمة فانظرها هناك أخي الكريم.

لمكروه أتى به القدر ولا تقل لشيء قد كان: لم كان هذا؟ ولا لشيء لم يكن: هلا كان هكذا؟ بل قل: لم يُقَدَّرْ وهكذا قَدَّرَ. كذلك كان رسول اللّه ﷺ يفعل روى مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى اللّه من المؤمن الضعيف. وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك واستعن باللّه، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنّي فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر اللّه. وما شاء فعل. فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**»[1].

---

(1) رواه الإمام أحمد (8799) ومسلم (2664) وابن ماجه (79) وابن حبان (5722) والبيهقي (10/89).

قال الإمام النووي ـ رحمه اللّه تعالى ـ في «شرح صحيح مسلم» (8/260ـ261):

قوله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف وفي كل خير**» المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات اللّه تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك.

وأما قوله ﷺ: «**وفي كل خير**» فمعناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات.

قوله ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن باللّه ولا تعجز**» أما احرص فبكسر الراء وتعجز بكسر الجيم وحكي فتحهما جميعاً، ومعناه احرص على طاعة اللّه تعالى والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من اللّه تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة.

وقوله ﷺ: «**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر اللّه وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**» قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعاً، فأما من رد ذلك إلى مشيئة اللّه تعالى بأنه لن يصيبه إلا ما شاء اللّه فليس من هذا، واستدل بقول أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه في الغار: لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا. قال القاضي: وهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه، قال: وكذا جميع ما ذكره البخاري في باب ما يجوز من اللو كحديث: «لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد=

وعليك بملازمة السُّنّة ومصاحبة الأيام والشهور والسنين بالموادعة وابتغاء مرضاة ربك. وإياك أن تُعظّم من الأيام غير ما عظمه الله من يوم الجمعة، وعرفة وعاشوراء والعيدين. ومن الشهور الأشهر الحرم. واجتنب ما أحدثه عبدة الأوثان والقمر والكواكب، من نيروز ومهرجان وغير ذلك. وكذلك ما أحدث بعض الأعاجم في شهورهم، وإنما جعل الله الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

• ومنها:

13. الحَقُّ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

ورد في التنزيل في غير موضع، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: 25] وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: 62] وقال: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾ [يونس: 30] وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: 66] وقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: 114] وجاء في حديث أبي هريرة: وكان عليه السلام - إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق ولقاؤك حق**» الحديث خرجه البخاري ومسلم وغيرهما من

=إبراهيم» و: «لو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذه» و: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك» وشبه ذلك، فكله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه، لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته، قال القاضي: فالذي عندي في معنى الحديث أن النهي على ظاهره وعمومه لكنه نهي تنزيه ويدل عليه قوله ﷺ: «**فإن لو تفتح عمل الشيطان**» أي يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان هذا كلام القاضي. قلت: وقد جاء من استعمال لو في الماضي. قوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي» وغير ذلك، فالظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم، فأما من قاله تأسفاً على ما فات من طاعة الله تعالى أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث والله أعلم.

حديث ابن عباس[1]، وأجمعت عليه الأمة. ولا خلاف في جريانه على العبد وغيره فيعرّف الخالق وينكّر المخلوق.

وهو في اللغة مصدر حقَّ الشيء يحق حقاً؛ إذا كان ثابتاً موجوداً غير معدوم ولا منفي. وإن كان من جنس الباطل، تقول: الشيطان حق، وتقول: هذا كذب حق، تريد أن الكذب ثابت كائن موجود متحقق، ومن هذا قول رسول الله ﷺ: «**العين حق**»[2]

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه الإمام أحمد (8352) والبخاري (5740) ومسلم (2187) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حقٌّ» ونهى عن الوشم.

وروى عبد الرزاق (19770) ومسلم (2188) والترمذي (2062) وابن حبان (6107) وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابق القدر، لسبقته العين، وإذا استغسلتم، فاغسلوا**».

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «زاد المعاد» (4 / 130 ـ 132) بتحقيقنا: لا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواصٌ وكيفياتٍ، مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكارُ تأثيرِ الأرواح في الأجسام، فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجهَ كيفَ يحمرُّ حُمرةً شديدة إذا نظر إليه من يحتشِمُهُ ويَستحي منه، ويصفرُّ صُفرة شديدة عند نظر من يخافُه إليه، وقد شاهد الناسُ من يسقم من النظر وتضعُف قواه، وهذا كُلُّه بواسطة تأثير الأرواح، ولشدة ارتباطها بالعين يُنسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح، والأرواحُ مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فروحُ الحاسد مؤذية للمحسود أذى بيِّناً، ولهذا أمر الله سبحانه رسوله أن يستعيذ به من شره».

وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمرٌ لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيَّفُ بكيفية خبيثة، وتُقابِلُ المحسود فتؤثِّرُ فيه بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى، فإن السم كامنٌ فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها، انبعث منها قوة غضبية، وتكيَّفت بكيفية خبيثةٍ مؤذية، منها ما تشتدُّ كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تُؤثر في طمس البصر، كما قال النبيُّ ﷺ في الأبتر وذي الطُّفيتين من الحيات: «**إنَّهما يَلتَمِسَانِ البصرَ، ويُسقِطَانِ الحبل**».

ومنها، ما تُؤثر في الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به، لشدة خُبثِ تلك النفس، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة، والتأثيرُ غيرُ موقوف على الاتصالات الجسمية، كما يظنُّه من قلَّ علمُه-

و«السحر حق» معناه كائن ثابت له وجود وحقيقة وإن لم يكن حقاً في نفسه فحق يجري على الباطل باعتبار اشتراكهما في الوجود، وبهذا الاعتبار يطلق على الاعتقادات والأقوال والأفعال.

و«الحق» في صفة الله تعالى معناه واجب الوجود كما ذكرنا. أي بالبقاء الدائم الدوام المتوالي الجامع للخير والمجد، والمحامد كلها والثناء الحسن والأسماء الحسنى والصفات العلى. ومعنى واجب الوجود؛ أنه اضطر جميع الموجودات إلى معرفة وجوده وألزمها إيجاده إياها. قال الله جلَّ وعزَّ وقد ذكر دلائله واستشهاده ببيناته: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: 6] إلى آخر الآيتين وقد أورد الناس في معنى الحق أحد عشر قولاً ذكرها ابن العربي:

الأول: الحق هو الله عز وجل ومنه قوله الحق: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: 71].

=ومعرفته بالطبيعة والشريعة، بل التأثير يكون تارةً بالاتصال، وتارةً بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يُؤثر فيه، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات، وتارة بالوهم والتخيل، ونفس العائن لا يتوقفُ تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى فيُوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية، وقد قال تعالى لنبيه: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: 51]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 1-5] فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائناً، فلما كان الحاسد أعم من العائن، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تُصيبه تارة وتُخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه، أثّرت فيه، ولا بد، وإن صادفته حَذِراً شاكي السِّلاح لا منفذ فيه للسهام، ولم تؤثر فيه، وربما رُدّت السهام على صاحبها، وهذا بمثابة الرمي الحسي سواء، فهذا من النفوس والأرواح، وذاك من الأجسام والأشباح. وأصله من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سمِّها بنظرة إلى المعين، وقد يَعينُ الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني، وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء: إن من عُرِفَ بذلك، حبسه الإمام، وأجرى له ما يُنفِقُ عليه إلى الموت، هذا هو الصواب قطعاً.

الثاني: أنه الموجود الذي ليس بمنتفٍ.

الثالث: أنه الحق ذو الحق، أي محق الحق، وعده حق، كما يقال للعادل: عدل أي ذو عدل.

الرابع: الحق القرآن من قوله سبحانه: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 8] وقوله: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: 29] وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: 18].

الخامس: الحق الإسلام، من قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: 81].

السادس: العدل، من قوله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: 25].

السابع: الحق المال في الذمة، لقوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 282].

الثامن: الصدق من قوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً﴾ [النساء: 122] وقوله عليه السلام: «**ووعدك الحق**»[1].

التاسع: الحق هو الواجب، من قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [الأعراف: 105] أي واجب علي. وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً﴾ [المائدة: 107] أي استوجبا وقد يكون من هذا ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 282] الذي وجب عليه، وفي الحديث «**الوتر واجب**»[2] أي مشروع، وكذلك قوله عليه السلام: «**حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده**»[3].

(1) تقدم تخريجه من رواية الشيخين.

(2) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (5/175) بسياقه من طرق سليمان بن بريدة عن أبيه ـ رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد (23019) وأبو داود (1419) والحاكم (1/306-305) والطحاوي في «مشكل الآثار» (1343) وغيرهم، بلفظ: «الوتر حق، فمن لم يوتر، فليس منا» قالها ثلاثاً. لفظ أحمد. وهو حديث حسن في الشواهد والمتابعات.

(3) رواه البخاري (897) ومسلم (849) والنسائي (1366) وعبد الرزاق (5297) والبيهقي (188/3 و189) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعاشر: الحق الملك، ومنه استحقاق الأملاك، وقد يكون منه ﴿**مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ**﴾ [المائدة: 107] أي الملك.

الحادي عشر: الحزم ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «**ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده**»[1].

قال ابن الحصار: وإذا كان هذا الاشتراك في لفظ الحق، فاعلم: أن المفهوم من وصف الخالق بالحق جلَّ جَلاَلُهُ لا يخلو أن يُراد به وجوده المطلق الغني عن كل شيء، المفتقر إليه كل شيء، وإلى هذا المعنى هي الإشارة في أول سورة «الحج» لما ذكر افتقار الموجودات إليه وتسخيرها على وفق اقتداره واختياره في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ**﴾ إلى قوله: ﴿**بَهِيجٍ**﴾[2]. قال بعد ذلك: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾ [الحج: 6-7] فنبّه سبحانه بهذا على أن [وجوده حق] وأما سواه وإن كان موجوداً حقاً فإنه لا حقيقة له من نفسه، لأنه مُسخرٌ مصرف، والحق الحقيقي هو الموجود المطلق، الغني الغنى المطلق، وأن وجود كل ذي وجود عن وجوب وجوده،

---

(1) رواه الإمام أحمد (4469) والبخاري (2738) ومسلم (1627) وأبو داود (2862) والترمذي (2118) والدارمي (3175) والنسائي (3617) ومالك في «الموطأ» (1492) والطيالسي (1841) وابن الجارود (946).

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقوله ﷺ: «ما حق امرئ ...» معناه: ما حقه من جهة الحزم والاحتياط، إلا ووصيته مكتوبة عنده، لأنه لا يدري متى يدركه الموت، فربما يأتيه بغتة، فيمنعه عن الوصية.

(2) والآية كما جاءت في التنزيل:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ [الحج: 5].

ولهذا قال في آخر السورة: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: 62] أي لا وجود له.

فإن علمتم أن هذه الموجودات حق ثابتة أدركتموها بحواسكم، فاعلموا أن الذي أوجدها وسخرها وصرفها تصريفاً تدركونه بحواسكم وبعقولكم هو الموجود الحق، وهو أحق بهذا الوصف من هذه المفتقرات إليه، أو يراد به أن الحق من عنده، وأنه هو الذي يحق الحق بأقواله وأفعاله وحكمه في العاجل والآجل، وإليه الإشارة بقوله الحق: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 82] أي أنه سبحانه ينفذ وعده ويظهر صدقه ويتم أمره وإن شاقه المشركون وصادّه وضارّه أهل الباطل.

فالمعنى الأول يرجع إلى ذاته سبحانه وما وجب لها. والثاني يرجع إلى أقواله وأفعاله فإذاً أحق الموجودات بأن يكون حقاً هو الله تعالى وأحق المعارف بأن يكون حقاً هي معرفة الله تعالى.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا حق على الإطلاق إلا الله تعالى، فإنه الموجود الذي لم يزل ولا يزال، وأن يرى نفسه باطلاً ولا يرى غير الله حقاً، كما قال لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلاَ اللّهَ باطلُ(1)

(1) روى البخاري (3841) ومسلم (2256)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمةُ لبيد: ألاَ كُلُّ شيءٍ ما خلا اللّه باطل. وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم**» لفظ البخاري.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «الفتح» (7 / 538 ـ 539): قوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر» يحتمل أن يريد بالكلمة البيت الذي ذكر شطره، ويحتمل أن يريد القصيدة كلها، ويؤيد الأول رواية مسلم من طريق شعبة وزائدة فرقهما عن عبد الملك بلفظ «إن أصدق بيت قاله الشاعر» وليس في رواية شعبة «إن» ووقع عنده في رواية شريك عن عبد الملك بلفظ «أشعر كلمة تكلمت بها العرب» فلولا أن في حفظ شريك مقالاً لرفع هذا اللفظ الإشكال الذي أبداه السهيلي على لفظ رواية الصحيح بلفظ «أصدق» إذ لا يلزم من لفظ «أشعر» أن يكون أصدق، نعم السؤال باق في التعبير بوصف كل شيء بالبطلان مع اندراج الطاعات والعبادات في ذلك وهي حق لا محالة، وكذا قوله ﷺ في دعائه بالليل: «أنت الحق=

=وقولك الحق والجنة حق والنار حق إلخ» وأجيب عن ذلك بأن المراد بقول الشاعر ما عدا الله أي ما عداه وعدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمته وعذابه وغير ذلك، فلذلك ذكر الجنة والنار، أو المراد في البيت بالبطلان الفناء لا الفساد، فكل شيء سوى الله جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما وخلق الدوام لأهلهما، والحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال، ولعل هذا هو السر في إثبات الألف واللام في قوله: «أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق» وحذفهما عند ذكر غيرهما والله أعلم.

وفي إيراد البخاري هذا الحديث في هذا الباب تلميح بما وقع لعثمان بن مظعون بسبب هذا البيت مع ناظمه لبيد بن ربيعة قبل إسلامه، والنبي ﷺ يومئذ بمكة وقريش في غاية الأذية للمسلمين، فذكر ابن إسحق عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عمن حدثه عن عثمان بن مظعون أنه «لما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن رد على الوليد جواره، فبينما هو في مجلس لقريش وقد وفد عليهم لبيد بن ربيعة فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» فقال عثمان بن مظعون: صدقت، فقال لبيد: «وكل نعيم لا محالة زائل» فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: متى كان يؤذى جليسكم يا معشر قريش؟ فقام رجل منهم فلطم عثمان فاخضرت عينه، فلامه الوليد على رد جواره فقال: قد كنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: إن عيني الأخرى لما أصاب أختها لفقيرة، فقال له الوليد: فعد إلى جوارك، فقال: بل أرضى بجوار الله تعالى. قلت: وقد أسلم لبيد بعد ذلك، وهو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر العامري ثم الكلابي ثم الجعفري، يكنى أبا عقيل. وذكره في الصحابة البخاري وابن أبي خيثمة وغيرهما. وقال لعمر لما سأله عما قاله من الشعر في الإسلام: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة. ثم سكن الكوفة ومات بها في خلافة عثمان، وعاش مائة وخمسين سنة وقيل: أكثر، وهو القائل:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس: كيف لبيد؟

وهذا يعكر على من قال إنه لم يقل شعراً منذ أسلم، إلا أن يريد القطع المطولة لا البيت والبيتين. والله أعلم.

وقوله ﷺ: «وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» اسم أبي الصلت ربيعة بن عوف بن عقدة ابن مغيرة ـ بكسر المعجمة وفتح التحتانية ـ ابن عوف بن ثقيف الثقفي، وقيل في نسبه غير ذلك، أبو عثمان. كان ممن طلب الدين ونظر في الكتب ويقال إنه ممن دخل في النصرانية، وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة.. انتهى مختصراً.

والعبد وإن كان حقاً، فليس هو في نفسه، بل هو حق بالله عزَّ وجلَّ، فإنه موجود به لا بذاته، بل هو باطل لولا إيجاد الحق سبحانه له.

ثم يجب عليه أن يمتثل كل ما أمر به ويتجنب كل ما نهى عنه، إذ كل ما أمر به ونهى عنه حق. ويعلم أنه لازم له ذلك كله في ظاهره وباطنه فيلتزم حق عبوديته بكليته، فلا يقول إلا حقاً كما قال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [الأعراف: 105] وأن لا يفعل فعلاً إلا حقاً.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال لحارثة: «**كيف أصبحت؟**» قال: اصبحت مؤمناً حقاً، قال له النبي ﷺ: «**لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟**» وذكر الحديث[1] فأشار بالحق إلى العقيدة وبالحقيقة إلى الأعمال والتقوى. كذا قال علماء الزهد: الحق ما كان من صفات القلوب من المعارف.

---

(1) الحديث بتمامه رواه الطبراني في «الكبير» (3367) وابن المبارك في «الزهد» (314)، وأورده ابن حجر في «الإصابة» (1/289-290) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (1/189) من طريق الحارث بن مالك الأنصاري أنه مرَّ بالنبيِّ ﷺ فقال له: «**كيف أصبحت يا حارثة؟**» قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: «**انظر ما تقول فإنَّ لكلِّ قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟**» قال: عزفت نفسي عن الدُّنيا فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري وكأنِّي أنظر عرش ربِّي بارزاً، وكأنِّي أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنِّي أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، قال: «**يا حارثة عرفت فالزم**».

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه: ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه.

وأورده بنحوه البزار ـ كما جاء عند الهيثمي (1/190)، من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ لَقِيَ رجلاً يقال له حارثة في بعض سكك المدينة فقال: «**كيف أصبحت يا حارثة؟**» قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: «**إنَّ لكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك؟**» قال: عزفت نفسي عن الدُّنيا فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي وكأني بعرش ربي بارزاً، وكأني بأهل الجنة في الجنة يتنعمون فيها، وكأني بأهل النار في النار يُعذبون. فقال النبي ﷺ: «**أصبت فالزم مؤمن نوَّر الله قلبه**».

رواه البزار، وفيه: يوسف بن عطية لا يحتج به.

والعقائد والحقيقة ما كان من أوصاف الجوارح والأعمال وروى سالم بن المغيرة أبو حنيفة الأزدي عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا اللّه الحق المبين. كن له بها أربع خصال وقي الفقر وأنس من وحشة القبر وسيجلب بها الغنى ويستنزع له باب الجنة**»[1].

● ومنها:

14 ـ المُبِينُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

ورد في الكتاب والسُّنة، وأجمعت عليه الأمة. ابن العربي: واختلف الضابطون له، فمنهم من ضبطه ـ بالتاء المعجمة باثنتين من فوقها[2] ـ من القوة. ومنهم من ضبطه ـ بالباء المعجمة بواحدة وبالياء بعدها باثنتين من تحتها[3] ـ من الإعراب والإبانة. وجاء في حديث أبي هريرة من طريق عبد العزيز بن الحصين مُفسراً مضبوطاً «المبين» بالياء الواحدة المعجمة.

قال الأقليشي: ويكون وصفاً ذاتياً، ويكون فعلياً. وكلاهما من: الإبانة التي هي الظهور وهذا الفعل يأتي على صيغة واحدة متعدياً وغير متعد. يُقال: أبان الشيء في نفسه؛ إذا ظهر، يبين إبانة. وأبان فلان الشيء: بينهُ إبانة فهو له مبين، إذا أظهره. والباريُ سبحانه في ذاته، ظاهر بصفاته، واضح بآياته، فهو على هذا وصف ذاتي له في سلب الاحتجاب عنه والغيبة. سواء شاهده غيره أو لم يشاهده. هذا إذا قلنا: إنه «المبين» في ذاته لذاته.

وإن قلنا إنه: المُبين لمن شاء من ملائكته وأنبيائه وأوليائه في دنياه وآخرته كان هذا الوصف ذاتياً وفيه معنى الإضافة الخاصة، وهو على هذا بمثابة الظاهر.

---

(1) لم أقف له على أثر.

(2) يريد: المتين.

(3) يريد: المبين. وأما قوله: من الإعراب والإبانة، أي من الإيضاح وبيان الأمر.

وقيل «المبين» معناه: الذي لا يخفى ولا يكتم. والمعنى واحد. يقال: بان الشيء وأبان: إذا ظهر، فهو بيّنٌ ومبين. وأنشد بيت لبيد بن ربيعة العامري يصف دياراً:

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صمّاً خوالد ما يبين كلامها

قال الزجاجي أبو القاسم[1]: يروى: يتبيَّن ـ بفتح الياء من ـ: بان ـ وبضمها ـ من أبانَ يبينُ. فاللّه سبحانه غير خافٍ ولا مُنْكَتِمٌ، لأن له الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى، فلا يوقف عليه ولا يدرى قاله الحليمي.

وإن قلنا إنه: المُبين لمن شاء من ملائكته وأنبيائه وأوليائه في دنياه وآخرته كان هذا الوصف ذاتياً وفيه معنى الإضافة الخاصة، وهو على هذا بمثابة الظاهر.

قلت: فعلى هذا يكون المبين من صفات الفعل وقد يرجع إلى معنى الكلام. قال الزجاجي: «المبين» اسم الفاعل من: أبان يبين، إذا ظهر. ويبين إما قولاً وإما فعلاً، فاللّه عزَّ وجلَّ المبين لعباده سُبل الرَّشادِ، المُوضح لهم الأعمال الموجبة لثوابه، والأعمال الموجبة لعقابه، والمبين لهم ما يأتونه وما يذرونه. يُقال: أبان الرجل في كلامه ومنطقه، فهو مبين. وأبان عن نفسه كذلك، فهو مبين والبيان: الكلام [وبه] فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4] قالوا: الكلام «البيان» وأما وصفه تعالى كتابه بالمبين في قوله: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: 1-2] فقيل معناه: مبين الحق من الباطل. وقيل معناه: الذي بان خيره وبركته فيجب على كل إنسان أن يكون على بينة من ربه بأن يستكثر من الشواهد في معرفته حتى يبين صفاته جلَّ وعلا من صفات خلقه. وقد رأيت ما نصب لك من البينات وأقامه من الشواهد وأرسله من الرسل، كل ذلك ليبين لعباده مراده، فبيّن أنت كما بيّن اللّه لك ورسوله ﷺ مما علمك اللّه ورسوله. وتأدب في ذلك بأدب اللّه ورسوله فإنه ما أخذ منك فيما علمك نوالاً[2] ولا ضرب عليك مغرماً، بل جعل أجر ذلك عائداً عليك، وثوابه راجعاً إليك لتُحشر في زمرة العلماء تلو الأنبياء، شاهداً على الناس الشهداء.

(1) صاحب كتاب «اشتقاق الأسماء الحسنى».

(2) نوالاً: أي أجراً.

• ومنها:

15. الظَّاهِرُ

جلّ جلالُهُ وتقدّستْ أسماؤهُ

ورد في التنزيل والسُّنَّة، وأجمعت عليه الأمة، خَرَّجَ مُسلم عن أبي هريرة قال: أتت فاطمة النبي ﷺ تسأله خادماً فقال لها: «قولي اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[1].

وخَرَّجَ البيهقي عن ابن عمر؛ أن عُثمان بن عفان سأل النَّبيَّ ﷺ عن تفسير ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: 63] فقال النبي ﷺ: «ما سألني عنها أحدٌ، تفسيرُها لا إله إلاَّ اللَّهُ واللَّه أكبرُ وسُبْحَانَ اللَّه وبحمدِهِ أستغفرُ اللَّه ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللَّه الأوَّل والآخِرِ والظَّاهِرِ والبَاطِنِ بيدِهِ الخيرُ يُحيي ويُميتُ وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ» خرجه صاحب «قوت القلب» وزاد: «من قالها عشر مرات حين يصبح وحين يمسي أُعطِيَ بها ست خصال: أول خصلة: يُحرس من إبليس وجنوده.

والثانية: يعطى قنطاراً[2].

والثالثة: يرفع له درجة في الجنة[3].

والرابعة: يزوجه اللَّه من الحور العين.

والخامسة: يحضرها اثنا عشر ملكاً[4].

---

(1) رواه الإمام أحمد (8969) ومسلم (2713) وأبو داود (5051) والترمذي (3400) والنسائي في «الكبرى» (10626) وفي «اليوم والليلة» (795) وابن ماجه (3873) وغيرهم.

(2) والقنطار: بمقدار جبل أُحد حسنات.

(3) وما بين الدرجة والدرجة، كما بين السماء والأرض.

(4) وذلك على عدد فقرات الحديث.

والسادسة: يكون له من الأجر كمن حج واعتمر»[1].

يُقال منه: ظهر يظهر، فهو ظاهر. وأصل ظهر: بدا، وهو ضد بطن. وله معانٍ تتفسر بحسب انقسام ما يظهر للحس، وما يظهر للعقل. تقول: ظهر لي الأمر، إذا علمته وتيقنته أو ظننته. وإن لم [يكُن] مُدركاً بالحواس. وتقول: ظهر لي الجبل والهلال والعلامة، وغير ذلك مما يُدرك بالحس.

ويقال للعالي على غيره والقاهر له: ظاهر. وقد قيل في حديث عروة بن الزبير: ولقد حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ (كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر)[2] أن معناه قبل أن ترتفع على الجدران ومنه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ

---

(1) أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: (عند تفسير الآية 63 من سورة الزمر) وأورده أبو يعلى ـ كما جاء في «مجمع الزوائد» (10/17000) عن عثمان بن عفان: أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر ـ 63] فقال: «ما سألني عنها أحدٌ قبلك، تفسيرها: لا إله إلاّ اللّهُ واللّه أكبرُ، وسُبحان اللّه وبحمدِهِ، وأستغفر اللّه، ولا حولَ ولا قُوّةَ إلاّ باللّه الأوّل والآخِرِ، والظّاهِرِ والباطن، وبيدِهِ الخيرُ، ويُحْيِي ويُميتُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ. من قالها إذا أصبح عشر مرّاتٍ أُعطِيَ عشر خصالٍ، أمّا أولاهُنّ: فحُرِزَ من إبليس وجُنُودِهِ. وأمّا الثانية: فيُعطى قنطاراً من الأجر. وأمّا الثّالثة: فيرفعُ له درجة في الجنّة. وأمّا الرّابعة، فيزوّج من الحُورِ العين. وأمّا الخامسة، فيحضرها اثنا عشر ألفاً من الملائكة. وأمّا السّادسة: فله من الأجر كمن قرأ القُرآن والتّوراة، والإنجيل، والزّبور وله مع هذا ـ يا عُثمان ـ كمن حجّ واعتمر، فقُبِلت حجّتُهُ، وعُمرتُهُ، وإن ماتَ من يومِهِ طُبِعَ بِطابِعِ الشُّهداء».

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه: الأغلب بن تميم، وهو ضعيف.

أقول: جاء هذا الحديث في أصل المخطوط. مقدماً ومؤخراً. ومنقسماً. فتمَّ ضبطه حسب الأصول.

(2) الحديث رواه الإمام أحمد (24150) والبخاري (545) ومسلم (611) وأبو داود (407)، من طريق ابن شهاب، قال: قال عروة: ولقد حدثتني عائشة رضي اللّه عنها؛ أن رسول اللّه ﷺ كان يصلي العصر والشمسُ في حجرتها قبل أن تظهر.

يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: 97] وقوله تعالى: **﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾** [الزخرف: 33] وقال الشاعر:

وتلكَ شكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها[1]

معناه زائل عنك عارها، وقول رسول اللّه ﷺ: «**ثُمَّ عُرِجَ بي حَتَّى ظهرتُ لِمُستوى أسْمَعُ فيه صريفَ الأقْلَام**»[2] معناه حتى ارتقيت وارتفعت ونحو هذا فنقول على هذا أظهر لي كذا وظهرت لك وفي الحديث: «**كان رسول اللّه ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثاً**»[3] ومعنى ظهر هنا: غلب وقهر، ومنه قوله تعالى: **﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾** [الصف: 14].

والركائب[4] تسمى ظهراً، ومنه قول عمر بن الخطاب في قصة الوباء: أنا مصبحٌ على ظهرٍ فأصبحوا عليه. أراد بالظهر الإبل ونحوها، مما يحمل عليه المسافر. والظهر في مقابلة البطن معلوم. وتقول: أظهرته على كذا إما على محسوس أو معقول إذا أطلعته على ما كان خافياً عنه، ومنه قوله تعالى: **﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾** [التحريم: 3].

والظاهر في وصفه تعالى، يكون بمعنى العالي على غيره، وبمعنى القاهر، فإن عاد إلى اقتداره في الأزل على قهر المقهورين، كان وصفاً ذاتياً. وإن عاد إلى نفس القهر كان وصفاً فعلياً قاله الأقليشي.

وقال ابن الحصار: والظاهر والباطن، يشعران بالإحاطة كإشعار الأول والآخر، إلا أن الإحاطة فيهما تختلف باختلاف معانيهما.

---

(1) قائله: أبو ذؤيب خويلد بن خالد. وصدره:

وعيَّرها الواشون أني أحبها

(2) جزء من حديث الإسراء الطويل الذي رواه البخاري (349) ومسلم (162) وغيرهما من حديث أنس رضي اللّه عنه.

(3) رواه البخاري (3065) في الجهاد ومسلم (2875) وغيرهما من حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي اللّه عنهما، عن النبي ﷺ؛ أنه كان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعرصة ثلاث ليال. لفظ البخاري.

(4) الركائب: يعني الإبل.

وقد سرد ابن العربي أقوال العلماء فيهما وهي كثيرة جداً فذكر في الظاهر خمسة أقوال:

الأول: الظاهر دلائله.

الثاني: الظاهر لعباده.

الثالث: الظاهر بقدرته.

الرابع: أنه الظاهر العالي.

الخامس: أنه الذي أظهر الظواهر.

قلت: وعبارة سادسة: الظاهر أي الذي ظهر فوق الظاهرين بقهره للمتكبرين، وعبارة سابعة: الظاهر الذي يعلم ما ظهر وما بطن، وحُكي في الباطن ست عبارات:

الأولى: أنه المحتجب عن أبصار الخلق.

الثانية: أنه الذي لا يُتوهم.

الثالثة: أنه المُطّلع على البواطن.

الرابعة: أنه [الرقيب].

الخامسة: أنه العليم.

السادسة: أنه خالق البواطن.

قلت: وعبارة سابعة أنه: «الخبير» وسيأتي.

قال الحليمي في معنى الظاهر: أنه البادي بأفعاله، وهو جلّ ثناؤه بهذه الصفة. فلا يمكن معها أن يُجْحَدَ وجوده وينكر ثبوته.

وقال الخطابي: هو الظاهر بحججه وبراهينه النيرة، وشواهد إعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته. ويكون الظاهر: فوق كل شيء بقدرته، ويكون الظهور: بمعنى العلو، ويكون بمعنى: الغلبة، من قولهم: ظهر فلان على فلان؛ أي غلبه.

قال ابن الحصار: وأنا أقول: وليس وراء بيان رسول اللّه ﷺ في هذه الأسماء بيان ولا يحتاج إلى شرح ولا تفسير وقد قال: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك**

شيء»[1] فهذه أسماء تشعر بالإحاطة، إلا أن إحاطة «الأول والآخر» ليست كإحاطة «الظاهر والباطن» وذلك مُبيّنٌ في الحديث فالأول والآخر: يقتضيان الإحاطة بالممكنات أولاً وآخراً للزوم التخصيص لها أولاً وآخراً، وبمثل ذلك يتعين ظهوره سبحانه فوقها، وأنه الباطن دونها بالحصر ودخول جميعها تحت قهره.

قال الله العظيم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 1-3]. فقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ليس المراد به ما وجد من الأشياء فقط، وكذلك فقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وإنما المراد دخول جميع الممكنات تحت علمه واقتداره واختياره وإحاطته وتصريفه. وليس المراد بالظهور والبطون: الجلاء والخفاء، كما زعم من تَقَدَّمَنَا من العلماء، ولو كان كما تأولوه لم يتنزل قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ منزلته مما تقدم. ولو كان كلاماً منقطعاً مستأنفاً وليس كذلك وإنما اتصل به لتمكين إحاطته بالممكنات بكل اعتبار في النفي والإثبات.

وتفسير ذلك أن المبتدأ منه والمصير إليه، وأن الكل في قبضته وتحت مشيئته واقتداره، وأن العلو والسفل بتقديره، ولا متقدم ولا متأخر [إلّا] بتأخيره وتقديمه، ولا مرتفع ولا عال إلا به ولا منخفض إلا بخفضه وأن كل ذلك متعلق بصفاته.

فيجب على كل مُكلَّف أن يعلم أن اللّه سبحانه هو: الأول والآخر والظاهر والباطن. ويعتقد ذلك ويعلم بأن: الواو زائدة وأنها لم تدخل لعطف متغايرات بعضها على بعض فالأول: هو الآخر والظاهر هو الباطن. فالباريْ: هو الأول بمعاني [الأولية]، وهو الآخر بعينه بمعاني الآخرية، وهو بعينه الظاهر بآياته وهو بعينه الباطن عن مخلوقاته.

وقد ضرب العلماء لذلك مثالاً قالوا: إن الروح موجودة بالجسم بأفعالها حتى لا يمكن [إخفاؤها]، وتخفى بذاتها حتى لا تعلم كيفيتها. فإن طلبها أحد بالحسّ لم يجدها، وإن أراد إنكارها صمته بأفعالها وصدته عن إنكارها! فيا عجباً لمن ينكر الباريْ لأجل

(1) تقدم من رواية أحمد (8969) ومسلم (2713) وغيرهما. وانظره أخي بتمامه في أول الباب.

خفائه مع ظهور أفعاله! ويقر بالروح في جسده وهي حجة الله في أرضه لوجوده على خلقه، قال الله سبحانه: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

ثم يجب عليه أن يرعى من أعماله ما تقدم وما تأخر، وترتيب مفترضاته ونوافله وما يقدم قبل مماته، وما يخلف من أعماله بعد وفاته، وما يستظهر به وما يستبطنه، فإن الله سبحانه مُطّلِعٌ على الظواهر والبواطن، وحافظ للأوائل والأواخر.

● ومنها:

16 ـ الوَارِثُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

جاء ذكره في الكتاب والسُّنَّة، وأجمعت عليه الأمة، ومعناه: معنى بعد الباقي ذهاب غيره يقال منه: ورث يرث فهو وارث وأصل يرث يورث فسقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة استثقالاً لذلك ومعنى الوارث في اللغة الخالف غيره في حالة وبذلك تسمي العرب المستحق للمال من بعد الميت وارثاً وأصله من الإرث وهو أصل الغنى ومنه قول النبي ﷺ: «**اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم**»[1] المعنى على بقية من شرعه أخذتموه منه فالوارث هو الكائن بصفة المستحق لحال الموروث، وربنا جَلَّ وعَزَّ بهذه الصفة، لأنه يبقى بعد ذهاب الأملاك الذين أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم، لأن وجودهم ووجود الأملاك كان به. ووجوده ليس بغيره بل له الوجود من ذاته لذاته سبحانه، فترجع الأمور كلها إليه جَلَّ وعَزَّ وهو معنى قوله

(1) رواه الإمام أحمد (17233) وأبو داود (1919) والترمذي (883) والنسائي في «الكبرى» (4010) وابن ماجه (3011) والبخاري في «التاريخ الكبير» (8 / 445 ـ 446) والحاكم (462/1) والبيهقي (115/5)، وغيرهم من طريق يزيد بن شيبان، قال: أتانا ابن مربع الأنصاري ونحن بعرفة في مكان يباعده عمرو عن الإمام، فقال: أما إني رسول الله ﷺ إليكم، يقول لكم: «**قفوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم**» لفظ أبي داود.

ويزيد بن شيبان ـ رضي الله عنه ـ صحابي جليل، وهو خال عمرو بن عبد الله بن صفوان وهو ابن أمية بن خلف.

تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾ [مريم: 40] وقال: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ [الحجر: 23] وقال: ﴿**وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾ [القصص: 58].

فإن قيل: هذا الاسم من صفات الذات والتنزيه، فكيف يكون وارثاً في الأزل وليس هناك موروث؟ قيل: لا ينكر أن يسمى وارثاً عند فناء الخلق، وهو وارث في الأزل بمعنى: أنه المستحق للإرث عند فناء الخلق، كما يقال الابن وارث الأب على معنى أنه المستحق لماله. وكما قال بعض علمائنا: إنه يسمى أمراً عند وجود المأمورين وإن كان كلامه لم يزل وليس له أول على ما يأتي.

فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الله وحده هو الوارث بالحقيقة لكل شيء، وأنه هو الذي يورث من يشاء في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105] وقال: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ [الأعراف: 137] يعني مصر والشام في قول الحسن وقتادة وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [فاطر: 32] الآية.

وقال تعالى: ﴿**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: 43]. فيجتهد العبد أن يكون وارثاً للجنة بالأعمال الصالحة، إذ لا بد أن يكون موروثاً فيقدم ماله بين يديه ليجده أحوج ما يكون إليه ولا يدعه لغيره يتصرف فيه بغير أمره.

روى النسائي والبخاري عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسولَ الله ما مِنّا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه. قال رسول الله ﷺ: «**ليس منكم من أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله. مالك ما قدمت ومال وارثك ما أخرت**» لفظ النسائي[1].

ولفظ البخاري: قال عبد الله: قال النبيُّ ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال: «**ماله ما قدم ومال**

(1) في الوصايا (3614) في فاتحته. الباب (1) الكراهية في تأخير الوصية.

وارثه ما أخر»[1]. وقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

اسعدْ بمالكَ في حياتِكَ إنّما ... يبقى وراءَك مُصلحٌ أو مفسدُ
وإذا تركتَ لمفسدٍ لم ينفه ... وأخو الصلاحِ قليله يتزيّدُ
فإن استطعت فكنْ لنفسكَ وارثاً ... إنّ المورث نفسه لمسدّدُ



(1) الحديث بألفاظه رواه الإمام أحمد (3626) والبخاري (6442) في «صحيحه» (6442)، وفي «الأدب المفرد» (153). ورواه أبو يعلى (5163) وابن حبان (3330) والشاشي (836) والبغوي في «شرح السنة» (4057) والبيهقي في «الكبرى» (3/568) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (4/129). وعبد الله: هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

القسم الثاني

فِي جِمَاعِ ذكرِ الأَسْماءِ
التي تتبع إِثْبَاتِ وحْدَانِيتِهِ
عزَّ اسمُهُ وتعَالى جَدُّهُ

• ومنها:

1. الواحِدُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

جاء في الكتاب والسُّنّة وأجمع عليه علماء الأمة، وهو من أعظم أسمائه الحسنى وأولها بالاختصاص به وعدم المشاركة فيه قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: 171] وقال: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: 163] وقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: 73] وقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: 65].

ولا يجوز إجراؤه على غير اللّه إلا مجازاً في المعقول، إذ لا يجوز في المعقول وجود حادث مفرد لأنه إن كان جوهراً يستحيل وجوده عارياً عن الأعراض، ولو كان عارضاً لاستحال وجوده قائماً بنفسه في غير محله، فكل موجود سوى اللّه تعالى يجوز وصفه بأنه واحد، ولكنه في حقيقة المعقول تجوز لا حقيقة له. وإنما الحقيقة لله الواحد الأول الأحد، والذي لا ثاني له ولا شريك ولا مثل ولا نظير لم يسبقه في أزله شيء. تبارك وتعالى وعزَّ وجلَّ عما يقول الظالمون.

ولذلك يقول أصحاب العدد: إن الواحد ليس بعدد، لأن العدد إنما هو يتركب [من أرقام] إذا أضيف بعضه إلى بعض والواحد لم يتركب من ضم شيء إلى شيء فيكون عدداً فكأنه عندهم مادة العدد. فاللّه سبحانه واحد من حيث إن ذاته لا يجوز عليها التكثر بغيرها. وهذه إشارة إلى أنه ليس بجوهر ولا عَرَضٍ، لأن الجوهر قد يتكثر بالانضمامِ إلى جوهرٍ مثله فيتركب منهما جسم، وقد يتكثر بالعَرَض الذي يحله، والعَرَضُ لا قوام له إلا بغير يحله.

والجوهر في اصطلاح المتكلمين عبارة عن المتحيز الذي لا ينقسم، وإنما سمي متحيزاً لأن له تحيزاً وحيزاً فحيزه عبارة عن جزئيته التي يمانع بها مثله على حيزه والحيز في اصطلاحهم (عبارة) عن الفراغ الذي يشغله ذات الجوهر، وذات الجسم. سواء قدرته: صاعداً أو نازلاً أو معتدلاً لا تنفك ذاته عن حيز يشغله. وليس المراد بالحيز: الجهة والناحية في اصطلاح المتكلمين، ولا يراد به أيضاً ما يستقر عليه الجسم. وإنما مرادهم به ما قدمناه.

والعَرَضُ: عبارة عن المعنى القائم بالجوهر، وسمي عَرَضاً لأنه يعرض في الجسم والجوهر، ويقوم به فيتغير به من حال إلى حال. والجسم هو المجتمع على ما تقدم، وأقل ما يقع عليه اسم الجسم جوهران مجتمعان.

فاللّه تعالى متعالٍ عن أن يشبه شيئاً من الحادثات، أو يمازجه شيء من الكائنات، بل هو بذاته منفرد عن جميع المخلوقات، وأنه ليس بجوهر ولا عَرَضٍ ولا جسمٍ، خلافاً للنصارى والمُجسمة تعالى اللّه عن قولهم وتسميتهم، وأنه لا تحله الكائنات ولا تمازجه الحادثات ولا له مكان يحويه، ولا زمان هو فيه، أول لا قبل له، آخر لا بعد له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] فهو سبحانه واحد من حيث إنه لا شريك له، فيجري عليه لأجله حكم العدد، وتبطل وحدانيته.

وقد نَبَّهَ سُبحانه على هذا بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: 51] فنبه على أن الإله الحق لا يتعدد، وأن كل من يتعدد فليس بإله، ولذلك اقتصر على ذكر الاثنين لأنه قصد نفي التعديد[1]. والشركة عبارة عن التعاون على الفعل لعدم استقلال أحد الشريكين بالفعل، فلو قدر شريك يكون إلهاً وقدر جرم ما فأراد تحريكه أحدهما والآخر تسكينه فإما أن تنفذ إرادتهما معاً أو لا تنفذ أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر. الأول: محال لقيام الحركة والسكون بمحل واحد. والثاني: يدل على عجزهما وخلو المحل. فبقي الثالث؛ فمن نفذت إرادته فهو القادر والثاني عاجز والعجز لا يكون إلا عن معجز عنهم. فَتَفَهَّمْ هذا فهو دليل التوحيد، وهو المسمى بدليل التمانع.

---

(1) قال الإمام الحليمي ـ رحمه اللّه تعالى ـ في «المنهاج في شعب الإيمان» (195/1): الأحد: وهو الذي لا شبيه له ولا نظير، كما أن الواحد هو الذي لا شريك له ولا عديل، ولهذا سمى اللّه عز وجل نفسه بهذا الاسم لما وصف نفسه بأنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وكان قوله عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ من تفسير قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ والمعنى لم يتفرع هو عن شيء، ولا تفرع هو عنه شيء كما تفرع الولد عن أبيه وأمه ويتفرع عنهما الولد، فإذا كان كذلك فما يدعوه المشركون إلهاً من دونه لا يجوز أن يكون إلهاً إذا كانت أمارات الحدوث من التجزؤ والتناهي قائمة فيه ولازمة له، والباري لا يتجزأ ولا يتناهى فهو إذاً غير مشبه إياه، ولا مشارك له في صفته.

فإن قيل: ما المانع أن يتفقا؟ قيل له: يجوز أن يختلفا، سلمنا الاتفاق لكن العالم جواهر وأعراض فمن وجد منه التأثير فهو الإله والثاني مستغنى عنه، كما ذكرنا إذ مقدورين قادرين محال وإذا تقدر هذا فاعلم: أن أهل اللغة قالوا: الواحد في كلام العرب له معنيان: أحدهما مفتتح الوجود.

والثاني: أنه الذي لا نظير له ولا مثل، كقولهم: فلان واحد قومه في الشرف والكرم والشجاعة. قال الشاعر:

يا واحدَ العربِ الذي ... ما في الأنامِ لَهُ نَظِيرُ
لو كانَ مثلَكَ آخرٌ ... ما كانَ في الدنيا فقيرُ

يريد أنه رئيسهم وعمدتهم، فاللّه تعالى هو الواحد الذي لا نظير له وهو الذي يعتمده عباده ويقصدونه، ولا يتكلون إلا عليه جلَّ وعزَّ. يُقال: رجل وحداني مُتفرد. قال النابغة:

كأنَّ رحلي وقد زالَ النهار بنا ... بذي الجليلِ على مُستأنسٍ وحدي

والوحدة: الانفراد، والواحد: المُنفرد. وله تسعة أبنية واحد، أحد، وحيد، وحِد بكسر الحاء من غير ياء، وحَد، بفتحه، وحْد بإسكانها، موحد على وزن مفعل، أحاد، أوحد ذكرها ابن العربي.

وقال الجوهري: يجمع الواحد وحدان وأحدان ورجل وحد ووحد ووحيد أي منفرد وتوحد برأيه تفرد به، واختلف الناس في الوحيد فمنهم من قال: إن الباريء تعالى لا يوصف به لأنه ورد مورد الذم قال اللّه تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ [المدثر: 11] يعني منفرداً فقيراً لا مال له ولا ولد ثم خلقت له المال والولد، ومنهم من قال: إن قوله: ﴿وَحِيداً﴾ وصف راجع إلى الباريء تعالى والتقدير ذرني ومن خلقت وحدي لن يشاركني فيه أحد فأنا أتولى عذابه يوم القيامة كما توليت خلقه.

ابن العربي: وحقيقة العبارة فيه على ألسنة العربية أن قوله: ﴿وَحِيداً﴾ على التأويل الأول حال من قولك من الذي يعود عليه ضمير المفعول المحذوف التقدير ذرني ومن خلقته وحيداً. وعلى التأويل الثاني يكون وحيداً حالاً من ضمير الفاعل وهو التاء

في قوله: (خلقت) وهذا منهج ضعيف لا تثبت بمثله أسماء البارئ وأوصافه والذم عليه أغلب وفيه أظهر.

وقال أهل العلم باللسان: إن الواحد يختص بالذات وأحد مختص بالصفات. وقال الأزهري: إن الأحد يبنى لنفي ما يذكر معه من العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد تقول: ما أتاني منهم أحد وجاءني منهم واحد وقيل: إن أحداً يستعمل فيما يعقل خاصة وواحد يستعمل فيهما فواحد في صفة الله معناه نفي المثيل والنظير والند.

قال أبو المعالي: معناه نفي التبعيض فهو سبحانه لا جزء لذاته ولا بعض وليس بمؤلف جل وتعالى.

قال الأسفرايني: وتحقيق الواحد أنه لا يتبعض في الوهم ولا يتجزأ بالفعل وهو تفسير الأحد لا يشبه شيئاً من المخلوقات وتحقيقه أنه لا يتصور في الوهم وما دونه يقبل هذه الصفة فيجب على [كل] مكلف اعتقاد هذا. ثم يجب عليه أن يطلب حقيقة معنى التوحيد ويتعرفها بالمداومة على الاستدلال بالآيات التي نصبها شواهد على ذلك من خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما مما خلقهما ليعرف بأسمائه وصفاته وليدان له بالتوحيد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ • إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة 163-164].

فذكر تعالى في هذه الآية بعد ذكر وحدانيته من آياته ما صار لذوي العقول مرشداً وإلى الحق قائداً فآية السماء: ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوّة.

وآية الأرض: بحارها وأنهارها وخروج الماء من أحجارها ومعادنها وأشجارها وسهلها ووعرها، وآية الليل والنهار واختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر من حيث لا يعلم.

ويحتمل أيضاً الاختلاف في الأوصاف من النور والظلمة والطول مرة والقصر أخرى ثم إنزاله الأمطار التي بها إنعاش العالم وإخراج النبات والأرزاق ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

وفي هذه الآية ونظائرها، دليل على إبطال من قال إن الفاعل: الطبيعة لأن اللّه جلّت قدرته نسب اختلاف طعوم ما في الأرض من سائر أنواع ثمراتها المختلفة باختلاف شجراتها إلى غير الطبيعة فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ [الأنعام: 141] وقال: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾.

فلو كانت الأرض والماء والهواء والشمس والقمر هي الفعالة لكان يجب أن تكون كلها جنساً واحداً في الطعم واللون والخِلْقَة والرائحة والمنظر والهيئة والشكل، فلما اختلفت أجناسها وتنوعت ألوانها وطعومها، لأنها تسقى بماء واحد، علم العقلاء العلماء أن اللّه جلّ وعزّ هو الخالق المختار القادر القهار لا إله إلا هو سبحانه، ولقد أحسن من قال:

ولا تُفكرنَّ في ذي العلاءِ عزَّ وجهُهُ — فإنّكَ تَرْدَى إنْ فعلتَ وتَخذَلُ
ودونَكَ مصنوعاتِهِ فاعْتَبِرْ بها — وقُلْ مثلَما قالَ الخليلُ المبجَّلُ

فإذا نظر الإنسان إلى هذه الآيات وتفكر فيها بقلبه واعترفها أرشدته إلى أن له رباً قادراً عالماً حكيماً: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185] ولقد أحسن من قال:

ملكٌ تعاظَمَ أن ينالَ بمطلبٍ — إلا بحقِّ العلمِ والإثباتِ
فإذا تقاصَرَ كلُّ فهمٍ دونَهُ — وعَلا عن الأوهامِ والطلباتِ
ألفاهُ طالبُهُ عزيزاً واحداً — ربَّ العبادِ وباعثَ الأمواتِ
فاعبُدْهُ فهو نصيبُ نفسِكَ عندَهُ — لا شيءَ كالتسبيحِ والصلواتِ

وقيل لبعض الأعراب: ما الدليل على أن للعالم صانعاً؟ فقال: إن البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير. فهيكل علوي وبهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على الصانع الخبير؟

وبعد هذا تعمل نفسك في تحقيق التعبد له بالتوحيد منك له بأن تعبده ولا تشرك في عبادتك إياه أحداً وتخلص له الشكر على ذلك ولا يغرنك كثرة الناس وما يأتونه فكل امرئ بما كسب رهين، فهو الواحد الذي لا يقبل من العمل إلا عملاً وحد له به وحده لا شريك له، فاعملوا على ذلك دون دَغَل على شيء من ذلك من رياء أو عُجب.

واحذر الدعوى ولا تقل: أنا وأنا وتبرأ من حولك وقوتك، فإن من أسقطها وجبت معرفته إن شاء الله على ما سواها وعصم ثم تعلم أنه سبحانه قد خص كل ملك من ملائكته بمقام، فقال مخبراً عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات، 164] وكذلك قد أفرد كل ملك منهم بصفة وميزة بعباده وكذلك رسله ـ عليهم السلام ـ تكرُّماً من الله تعالى وتفضلاً منه، كما تكرم عليهم بهبة العلم والإيمان وهدايتهم إياه إلى الإسلام. فينبغي إن كانت لك همة أن تتميز في عصرك بمزية في العمل حتى تكون وحيد زمانك وفريد أقرانك والله الموفق.

● ومنها:

2. الفَرْدُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

لم يأت في حديث الأسماء وقد ذكرناه من حديث إسماعيل بن عياش عند اسمه «القديم» وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: حدثني جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قرأ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186] فقال رسول الله ﷺ: «**اللّهم إنك أمرتَ بالدعاء وتوكلتَ بالإجابة لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملك لا شريك لك أشهدُ أنك فَردٌ أحدٌ صمدٌ لم تلدْ ولم تولد ولم يكن لك كفواً أَحَد وأشهد أن وعدَكَ**

حقّ ولقاءك حقّ والجنةَ حقّ والساعةَ آتيةٌ لا ريب فيها وأنّ اللّهَ يبعثُ من في القبور»[1] قال البيهقي: وليس بالقوي.

وقال ابن العربي: أما «الفرد» فيقال بإسكان الراء وفتحها وكسرها. ويقال: الفارد والفريد بمعنى واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ [الأنعام: 94] وهو جمعه كما يقال: أسارى في جمع أسير وقدامى في جمع قديم.

وقال الشاعر:

ربيتُهم تسعةً حتّى إذا اتّسقُوا ... أصبحتُ منهمْ كقرنِ الأعضبِ الفَردِ

بفتح الراء وكسرها ويروى الوحد بفتح الحاء وكسرها ومنه أيضاً قول النابغة:

كسيفِ الصَّيقَلِ الفَردِ[2]

وهو المنفرد الذي ليس له نظير ولا مشارك.

وقال الجوهري: «الفرد» الوتر والجمع أفراد وفرادى على غير قياس، كأنه جمع فردان وثور فرد وفارد وفرد وفريد كله بمعنى: منفرد. وظبية فارد: انقطعت عن القطيع، وكذلك السدرة الفاردة، انفردت من سائر السدر. ويقال: فرداً وفرادى منوناً وغير منون أي واحداً وأفردته: عزلته. وأفردت إليه رسولاً، وَأَفْرَدَتِ الأنثى: وضعت واحداً، فهي مُفْرِدٌ وموحد ومفرد. ولا يقال ذلك في الناقة لأنها لا تلد إلا واحداً. وفرد وانفرد: بمعنى قال الصمة القشيري:

ولم آتِ البيوتَ مُطَنَّباتٍ ... بأكْثِبَةٍ فَرِدتْ من الرَّغامِ

وتقول: لقيت زيداً فردين، إذا لم يكن معكما أحد قال:

متى نلتقي فَرْدَيْن تَرجُفُ ... رَوانِفُ أَليتيك وتُستطارا

عن غير الجوهري. وفردين: أي منفردين. وانتصب على الحال والروانف: الأطراف. واستفردته إذا انفردت به.

---

(1) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ـ 116) وإسناده واهٍ.

(2) البيت بتمامه كما جاء عند القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (6/224):

من وحش وجرة موشى أكارعه ... طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

وقال الهروي: وقوله تعالى جـدّه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ قال الفراء: قوم فرادى وفراد وفراد لا يجرونها تشبيهاً بثلاث ورباع. قال: وواحدها فـرد وفـرد وفريد وفردان لا يجوز فرد في هذا المعنى.

قلت: هذا بخلاف ما حكاه الجوهري وفي الحديث: «طوبى للمفردين»[1] قال أبو العباس عن ابن الأعرابي: فرد الرجل إذا انفرد واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي وقال القتيبي: هم الذين هلك لداتهم من الناس وذهب القرن الذين كانوا فيه وبقوا فهم يذكرون اللّه.

وقال الأزهري: هم المتخلون عن الناس بذكر اللّه تعالى. فالفرد في حق اللّه عزّ وجلّ معناه المنفرد المزامل لما سواه من كل الجهات، والمباين لما عداه بكل المعاني. والفرق بينه وبين «أحد» أن الأحدية تُفهم من غير توهم مغاير، ولا تُفهم معنى الفردية إلا مع توهم مغاير. كخالق ورازق، ولا يفهم معناهما إلا بتوهم معنى الخلق والرزق. كذلك الفرد لا يُفهم إلا بتوهم منفرد عنه.

وقد تقدم أن اللّه تعالى لا مثل له ولا شبيه ولا عدل ولا نظير. لا زوج له إذ الأزواج له فإذاً هو الفرد الحق إذ الانفراد هو البينونة لما بان به عما سواه فانفرد سبحانه

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (8297) ومسلم (2676) وابن حبان (858) والحاكم (1/1823) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، قال: كان رسول اللّه ﷺ يسيرُ في طريق مكة. فمرَّ على جبلٍ يُقال له: جُمْدان. فقال: «سيروا، هذا جُمدان، سبق المفرِّدون».
قالوا: وما المفردون يا رسول اللّه؟
قال: «الذاكرون اللّه كثيراً والذاكرات» لفظ مسلم.
وقد جاء في رواية أحمد لفظ: «قال: الذين يهترون في ذكر اللّه».
قال ابن قتيبة: وأصل المفردين: الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون اللّه تعالى.
وقال ابن الأعرابي: يقال: فرد الرجل؛ إذا تفقه واعتزل، وخلا بمراعاة الأمر والنهي.
وأما قوله ﷺ: «الذين يهترون في ذكر اللّه» أي يولعون بذكر اللّه تعالى. وقيل: هم الذين كبروا في طاعته تعالى، وهلكت أقرانهم. من قولهم: أهتر الرجل فهو مُهتر، إذا سقط في كلامه من الكبر، واللّه تعالى أعلم.

بالقدم والملك دون المملوك وبالربوبية دون المربوب وبالألوهية دون المألوه وبالإبداع والتدبير الذي ليس لسواه جل وعز فهو من صفات الذات.

وقد يكون من صفات الأفعال لأنه سبحانه أبدع المبدعات وأفرد كل مبدع بخلقه وخاصيته ليست للآخر أفرد الجنة والنار بخاصيتهما وما أوحد لكل واحدة منهما وأفرد العبادات بعضها من بعض فأفرد الصلاة من الصوم والصوم من الحج والحج من الزكاة فليس لك أن تجعل لها صفة ولا حداً سوى ما أفردها به الحق وأفرد المؤمنين بإكرامه والمجرمين بإهانته، أفرد كل ذي شكل بشكله وكل ذي صورة بصورته وخاصة بخاصته وحالة بحالته إفراداً منه للأشياء وتفرداً لذواتها وأحوالها.

ولولا ذلك ما انفرد شيء عن شيء ولا امتاز شكل عن شكل، ولكان الاختلاط والأشكال فكنا لا تعرف أبناءنا من أبنائنا ولا من غيرهم ولا أمهاتنا من أزواجنا ولا من غيرهن، ولا كان يمتاز لنا حلال فنبتغيه ولا حرام فنتقيه ولا كان يكون لأحدنا اختصاص بشيء سوى اللبس والعمى ولا علم ولا معلوم، ولله جل جلاله التقدير المبرم والقضاء المحكم جلَّ وعزَّ.

وقد قال بعض الناس: إنه لا يجوز أن يسمي الله فرداً لأنه نقص، وقد أخبر عن زكريا بقوله تعالى: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً﴾ [الأنبياء: 89] وهذا ليس بشيء فإن المخلوق وإن كانت الفردية في حقه ذماً ونقصاً لعدم استقلاله بجميع أحواله، فهي في حق الله تعالى صفة كمال ومدح، لاستغنائه وكماله جلَّ وعزَّ سبحانه لا إله إلا هو، المنفرد بالوحدانية والربوبية.

● ومنها:

3ـ الوِتْرُ
جَلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ

ومعناه: معنى «الفرد» على ما ذكرنا. ومعنى «الواحد» أيضاً.

وهو مذكور في الحديث الصحيح خرجه البخاري ومسلم أنه «وِتْرٌ يحبّ الوِتـرَ»[1]

---

(1) جزء من حديث رواه البخاري (2736) ومسلم (2677) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر» لفظ مسلم.

وقد تقدم في صدر الكتاب وقد قيل: إن الوتر في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: 3] هو الله جل وعز وقال ابن العربي: إنه ليس في القرآن ذكر.

فالوتر في كلام العرب؛ عبارة عن كل عدد لا زوج له، وهو الوتر، ومنه الحديث: «**والاستجمار وتر**»[1] وروي في الخبر عن النبي ﷺ «**أن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن**»[2] وقد احتج بعض أهل العلم بهذا في وتر الليل وأنه ركعة واحدة كما أن الله وتر واحد مع قوله ـ عليه السلام: «**الوتر ركعة واحدة**»[3]. وقيل: الثلاثة وتر والخمسة وتر والسبعة وتر لأن آخر العدد أوترها ومن هذا قول النبي ﷺ: «**إذا استجمرت أوتر**» أي استعمل الوتر في حجارة الاستنجاء.

وقيل: الجامع بين الشيئين اللذين هما: الشفع والوتر، هو العائد عليهما بفائدتهما، من ذلك: وتر القوس، لأنه جمع بين الشيئين، وهما طرفا القوس. فقامت الفائدة بذلك منه. ووتر البيت منه أيضاً؛ خشبة تجعل من قطر البيت إلى القطر الآخر تجمع بينهما ويقال: وِترٌ وَوَتَرٌ، وقرئ بهما ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: 3] والوتر لغتان.

وقال الجوهري: الوتر ـ بكسر الواو ـ الفرد. والوتر ـ بالفتح ـ الرحل، هذه هي لغة العالة، فأما لغة أهل الحجاز. فبالضد منهم وأما [لغة] تميم ـ فالكسر فيهما ـ فالباري سبحانه وتر، لأنه إذا لم يكن قديم سواه لا إله ولا غير إله لم ينبغ لشيء من الموجودات أن يضم إليه، فيعبد معه فيكون المعدود معه شفعاً، لكنه: وتر.

قال قتادة: الشفع الزوجان قال: وَخَلْقُ اللّهِ كله شفع؛ الليل والنهار شفع، والذكر والأنثى شفع، والبر والبحر شفع، والوتر: الله جلَّ وعزَّ، لأنه واحد لا شريك

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (12596) ومسلم (239)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استجمر أحدكم فليوتر**» لفظ مسلم.

(2) رواه الترمذي (453) والنسائي (1674)، بإسناد حسن، من حديث عليّ رضي الله عنه، قال: الوتر ليس بحتمٍ كصلاتكم المكتوبة، ولكن سنَّ رسول الله ﷺ وقال: «**إن الله وترٌ، يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**» لفظ الترمذي.

(3) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (50/6) ومسلم (752) والنسائي (1688) وابن ماجه (1175) وابن حبان (2625) والبيهقي (22/3) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الوتر ركعة من آخر الليل**» لفظ النسائي.

له. [وروى] مجاهد عن ابن عباس أنه قال: الوتر: آدم شفع بزوجته؛ أي جُعِلَ بزوجته شفعاً. والتعبد هذا الاسم والذي قبله تقدم في اسمه «الواحد» سبحانه فتفهمه.

● ومنها:

4. الكافي

جلّ جلالُهُ وتقدّستْ أسماؤُهُ

وهو مذكور في خبر الأسامي في غير الترمذي. وفي التنزيل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 63].

وروى مسلم(1) عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافي له ولا مؤوي**» وتكرر في القرآن فعلاً ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: 3] ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [الفتح: 28] فقال: «كفى» [أي] يكفي كفاية وكفاً فهو: «كافي» والكفاية: هي القيام بالأمر والاستقلال به، ومنه قول العرب: فلان كافيك من رجل، ورجلان كافياك من رجل. ومررت برجل كافيك من رجال. والكفاية: القوت وجمعها كفي. وقال بعض العلماء: الكفاية دفع المكروه والمخوف يقال: كفاه يكفيه إذا دفع عنه.

وقال الجوهري: كفاه مؤنته كفاية وكفاك الشيء يكفيك واكتفيت به أي اجتزيت، قال الله عز وجل: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [النساء: 6، الأحزاب: 39] ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾ [النساء: 45] ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ [النساء: 55] ويقال: رجل كاف وكفيّ، مثل: سالم وسليم.

فالباري سبحانه إذا لم يكن له في ألوهيته شريك، صَحَّ أن الكفايات كلها واقعة به سبحانه، فلا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، والرغبة إلا إليه، والرجاء إلا منه، ولا دفع شيء إلا به.

---

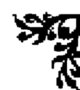
(1) في الذكر والدعاء برقم (2715) من حديث أنس رضي الله عنه، به. ورواه الإمام أحمد (12553) وأبو داود (5053) والترمذي (2396) والنسائي في «الكبرى» (6/10635).. وغيرهم.
وقوله ﷺ: «**فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**» أي فكم من لا راحم ولا عاطف عليه. وقيل: معناه: فكم من الخلق لا وطن له ولا سكن يأوي إليه. والله تعالى أعلم.

فالكافي معناه معنى: الحفيظ، والقائم بالأمر على ما يأتي. فيكون من صفات الذات ويكون من صفات الأفعال. فإذا كان ذاتياً: فهو من قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ [العنكبوت: 52] ومن قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: 3] وما جرى هذا المجرى. أي شهادة اللّه كافية، ووكالته للعبد كافية. فهو على هذا كاف للعبد الذي هو حسب الذي له في الكفاية عن غيره.

وإذا كان فعلياً فهو اسم الفاعل من كفى يكفي كفاية إذا منع وحفظ كما قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 63] ابن العربي: يحتمل أن يكون «الكافي» من كفى، أي قام بالأمر كقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [الفتح: 28] ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [النساء: 6، الأحزاب: 39] فيعود معناه إلى قوله: «القائم» و«القيوم» ويحتمل أن يكون من: كفاه إذا دفع عنه حاجة الكفية والمضرة. وعليه يدل قوله عليه السلام: «فكم من لا كاف له ولا مؤوي» فيعود إلى صفات الفعل.

فيجب على الإنسان أن يتحقق ويعلم: أن لا كافي على الإطلاق في جميع الأمور مهماتها وشدائدها حقيرها وجليلها إلا هو سبحانه، فيكتفي به عن ما سواه، فمن اكتفى به عن غيره فقد اكتفى بالمكتفي الحقيقي، ومن اكتفى بغيره عنه فلم يكتف بمكتف، بل بلوامع السراب، إذ لم يتخذ مكتفياً رب الأرباب. ثم عليه أن يكفي نفسه غيره ولا يكون كلاً عليه، ويكفي الناس شره بالعزلة عنهم وترك المخالطة لهم إن أمكنه ذلك، ويدفع عنها ما يضرها ويؤلمها، وكذلك عن غيره بما أمكنه من جاهٍ ومالٍ. فاعلم.

• ومنها:




5. العَلِيُّ




جلّ جلالُهُ وتقدّستْ أسماؤهُ

جاء ذكره في الكتاب والسُّنة وأجمعت عليه الأمة وله أربعة ابنية: العلي والعالي والأعلى والمتعالي؛ فأما العلي والأعلى والمتعالي فورد بها (الكتاب) وجاء «العالي» في حديث الترمذي وغيره. قال اللّه تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] وروى عبد اللّه بن قرط أن رسول اللّه ﷺ ليلة أسري به لما سمع تسبيحاً في السماوات العلى:

[«سبحان] اللّه العليّ الأعلى»[1] سبحانه وتعالى. وفي التنزيل ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255] ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9].

ولا خلاف في إجراء «العلي» على العبد من غير تعريف بـألف ولام، وعلي بن أبي طالب معلوم مكانه من رسول اللّه ﷺ.

والعلي: مُشتق من العلو، وأصله عليو، فعيل، لأنه من العلو، فلامه واو فاجتمعت الواو والياء وسبقت الياء ساكنة فقلبت الواو ياء، وأدغمت الأولى في الثانية، وذلك من حكم الواو والياء في كلام النحويين إذا اجتمعتا وسبقت إحداهما بسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الأولى في الثانية، وإنما صارت الياء هنا أغلب على الواو، لأنها أخف منها تقول: علا يعلو علواً إذا ارتفع وأعجز من رامه، واسم الفاعل علا مثل دنا يدنو فهو دان وغزا يغزو فهو غاز وهو اسم منقوص وعلى فعيل له معنيان:

أحدهما: علو المكان كعلو العرش على سائر المخلوقات وكعلو الجنة والنار.

والثاني: علو المكانة كعلو الرفيع والشريف على الوضيع، والعلم على الجهل والحق على الباطل، والحاكم على المحكوم ومثله كثير.

قال الحارث بن حلزة: أو منعتم ما تسألون فمن حدثتموه له علينا العلا. يقول: أو منعتم ما تسألون من النصفة فيما بيننا وبينكم فمن حدثتموه له علينا العلا في سالف الدهر. ويعني الرفعة والاعتلاء. ويقال: فلان عليّ: ذو علا إذا كان جليلاً عظيم الشأن.

قال الجوهري: علا في المكان يعلو علواً أو علي في الشرف بالكسر يعلى علاء ويقال أيضاً علا بالفتح يعلو. قال الشاعر:

لما علا كعبك بي عليت

فجمع بين المعنيين وحكاه الزجاجي أبو القاسم عن الخليل وغيره يقول: لا يقال عليت إلا في المكارم والشرف، وفلان علية الناس. وهو جمع رجل علي، أي شريف رفيع. وعلوت الرحل علية، وقال: جئت من عِلٍ ومن عَلٍ؛ أي من فَوْقٍ قال:

(1) أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (254/2) عند تفسير الآية (255) من سورة البقرة.

كجُلْمُودِ صخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[1]

وأنشد يعقوب في الرفع:

في كِنَاسٍ ظاهرٍ يَسْتُرُهُ ... من عِلِ الشَّفَّان هُدَّابُ الغَنَن[2]

ويقال للرأس العلاوة لعلوّه فوق الجسد.

قال الجوهري: والعلاوة الرأس من الإنسان ما دام في عنقه، والجمع: علاوى. يقال: ضربت علاوته أي رأسه. فاللّه سبحانه ليس فوقه فيما يجب له من المعاني الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه بالإطلاق.

قال الحليمي: وقيل المراد بالعلو: القهر والغلبة[3] كما قال سبحانه: ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: 91] أي غلبه وقهره، فاللّه سبحانه العلي العالي القاهر الغالب للأشياء كلها تقول العرب: علا فلان فلاناً أي غلبه وقهره، كما قال الشاعر:

فلمّا عَلَوْنا واستَوَيْنا عليهم ... تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسِرِ

يقول: غلبناهم وقهرناهم واستوينا عليهم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ [العنكبوت: 4] قالوا: معناه قهر أهلها وغلبهم واستولى عليهم فهو من صفات الذات ومن صفات الأفعال فاللّه سبحانه العلي العالي ذو العلاء والرفعة والجلال والثناء وهو القاهر الغالب للأشياء.

وقالت طائفة من العلماء: هو عالي بمعنى منزه عن صفات الحدوث والتشبيه والتحيز وهو قول حسن فإنه سبحانه علي بما هو من صفات الكمال متعال عن صفات

---

(1) البيت لامرئ القيس، وهو كما جاء في «تاج العروس» (696/18):

مكَرٍّ مفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً ... كجلمودِ صخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ

(2) والشَّفَّانُ: القطر القليل. والبيت ذكره الزبيدي في «تاج العروس» (18/ 697) مادة ـ علو ـ.

(3) ولفظ الحليمي ـ رحمه اللّه تعالى ـ كماء جاء في «المنهاج في شعب الإيمان» (190/1): العلي: قال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة ـ 255]، ومعناه: الذي ليس فوقه مما يجب له من معاني الجلال، أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه، لكنه العلي بالإطلاق، والرفيع في هذا المعنى. قال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر ـ 15]. ومعناه: هو الذي لا أرفع قدراً منه، وهو المستحق للدرجات المدح والثناء ـ وجميع أصنافها وأبوابها، لا يستحق لها غيره.

النقص أعلى من غيره من الخلق إن كان ليس لغيره علو فإن علو الخلق من علوه كما أن عزتهم من عزته.

وقالت المجسمة: فعلو المسافة وبعد المقدار ومحاذاة الأجرام تعالى الله عن قولهم.

ابن الحصار: وإنما اعتبار علوّه جلّ وعزّ طرفان، **أحدهما**: اعتبار علوّ مجده وكلماته وصفاته وملكوته. **والثاني**: اعتبار علوّ حزبه وما دعا إليه وأمر به.

فأما اعتبار صفته فبكمالها ونزاهتها عن النقائص والآفات والبعد عن إحاطة الإدراكات، وأما علو كلمته سبحانه فلأنها الحق وهي العالية في الدنيا والآخرة. وأما علو حزبه سبحانه فملائكته، وأعلاهم مكاناً ومكانة حملة عرشه وجبريل وميكائيل فهم المُنزهون عن الدنيات والأقذار، وهم أعلى المخلوقات أقداراً. ولذلك كان النبي المختار يقول: «**سبُوح قدُوس ربُّ الملائكة والروح**»[1]. وبذلك استحقوا القرب من الملك الحق، ومجاورة العرش وحمله.

فعلو مكانهم على قدر مكانتهم وكذلك سائر العلماء والمؤمنين، ولذلك قال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11] وقال: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُم مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾ [البقرة: 253].

ولما أسري برسول الله ﷺ عاين ذلك ومر بالنبيين في مقاماتهم. وكذلك سائر العلماء والمؤمنين والكل حزب الله. وأما الذي دعا إليه سبحانه فجنته ومجاورته في

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (24063) ومسلم (487) وأبو داود (872)، وغيرهم من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبُّوحٌ قدُّوسٌ، ربُّ الملائكة والرُّوح**» لفظ أحمد.

وقوله ﷺ: «سبوح قدوس» بضم السين والقاف وبفتحهما، والضم أفصح ـ قال الإمام ثعلب: كل اسم فعُّول فهو مفتوح الأول إلا السُّبُّوح والقُدُّوس فإن الضم فيهما أكثر، والمراد بالسُّبُّوح والقُدُّوس: المُسبَّح المُقدَّس، فكأنه قال: مُسبَّح مُقدَّس، والسُّبُّوح المبرأ من النقائص والشريك وكلِّ ما لا يليق بالإلهية، والقُدُّوس: المطهر من كل ما لا يليق بالخالق.

حضرة قدسه، ودعا إلى مكارم الأخلاق، والطيب والطيبات. وأمر بالطهارة والزكاة. والشيطان يدعو إلى نقيض ذلك كله.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن خالقه هو «العلي» بالمعاني التي تقدم ذكرها من معاني الجلال والكمال، ثم يجب عليه أن يستعلي على الكافرين. قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73] وقال: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: 4] وقال: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] وقال: ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139] ويتعاطى معاني الأخلاق في رفع الذكر وإعلاء المنازل والتقريب بعد التقريب من اللّه تعالى.

فعلى قدر الإيمان وكثرة الأعمال يكون كمال العلو في الدنيا والآخرة. قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: 18] فيجتهد الإنسان أن يكون من الأبرار المقربين، ليكون في عليين. وأصحاب عليين جلساء الرحمن. وهم أصحاب المنابر من النور في المقعد الصدق. وأما أصحاب اليمين ففي علو الجنان أيضاً، قال اللّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: 19-22] وجنات أصحاب اليمين جميعها عوالي، وجنات المقربين جميعها علالي، واحدتهن عليّة. أصل علية عليوة على وزن فعلية فأبدل وادغم. بعضهم يقول: علية ـ بكسر ـ فجعله مضافاً فقال:

ألا يا عين ويحك أسعديني ... بغزو الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي ... بخير الدار في تلك العلالي

● ومنها:

6- رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ

هو اسم ورد به القرآن قال اللّه تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: 15] ولم يرد في السُّنّة، لكن أجمعت عليه الأمة لكونه منصوصاً في كتاب اللّه المجتمع عليه صحة ونقلاً. وهذا الاسم معناه: من معنى اسم العلي جلَّ وعزَّ، أي رفيع درجاته. كما

يقال: حسن الوجه، أي حسن وجهه. وجزيل العطاء، أي جزيل عطاؤه. فيكون من صفات الذات لرفعته، وذاته على غيره شرفاً وجلالة. فيكون معناه معنى «عليٌّ» ويكون رفيع بمعنى: رافع. والله أعلم. كرحيم بمعنى راحم. فهو سبحانه رافع درجات أوليائه، فيكون من صفات الفعل. قال الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: 76] وقال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: 165] وقال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 163] وقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]. ورفع السماوات وبعضها فوق بعض ورفع العرش فوق ذلك.

وإذا كان من صفات الذات، فيكون معناه: الذي لا أرفع قدراً منه وهو المستحق لدرجات المدح والثناء، وهي أصنافها وأبوابها لا مستحق لها غيره. فهو سبحانه رفيع الدرجات أي رفيع الصفات فيما لها من كمال الذوات، وكثرة التعلقات والتنزه عن الآفات.

فيجب على كل مؤمن أن يعلم أن الله سبحانه الرفيع على الإطلاق، بما وجب له من صفات الكمال. وأن كل مرفوع برفعه. قال الله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: 55]، ثم يسعى في أسباب الرفع باستعمال ما أمر به واجتناب ما نهي عنه. قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رُفع له بها درجة وحُطّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد»** الحديث خرجه مسلم(1). وقال عليه السلام: **«ألا أدلكم على ما**

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (7434) والبخاري (477) ومسلم (649) وأبو داود (470) والترمذي (330) وابن ماجه (281) وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاة الرَّجل في جماعةٍ تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سُوقه، بضعاً وعشرينَ درجةً وذلك أن أحدهم إذا توضّأ فأحسن الوضوء ثمّ أتى المسجد. لا ينهزُهُ إلا الصّلاةُ. لا يريد إلا الصّلاة. فلم يخطُ خُطوةً إلا رُفِعَ له بها درجةٌ. وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ. حتّى يدخل المسجد. فإذا دخل المسجد كان في الصّلاة ما كانت الصّلاة هي تحبسه. والملائكة يصلّون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلّى فيه. يقولون: اللهمّ ارحمه، اللهمّ اغفر له، اللهمّ تُب عليه، ما لم يُؤذِ فيه. ما لم يُحدِثْ فيه».** لفظ مسلم.

يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا: بلى قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة**»[1].

وروى ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع النبي ﷺ. فآتيه بحاجته ووضوئه فقال: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: «**أو غير ذلك**» قال: هو ذاك. قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[2].

وروى معدان بن أبي طلحة قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل يدخلني به الجنة: أو قال بأحب الأعمال إلى الله فسكت. ثم سألته فسكت. ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة**»[3] قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال لي ثوبان. خرجهما مسلم.

فقد دلّك نبيك ﷺ على ما يرفع به الدرجات. ومن كان رفيق النبي ﷺ، كان في أعلى الغرفات، والله يرفع درجات من يشاء بفضله، ويخفضها لمن يشاء بعدله، فهو الرافع الخافض.

وفي التنزيل: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ وقرئ ﴿دَرَجَاتِ﴾ بالتنوين على معنى «نرفع من نشاء درجات» ومن رفع ارتفعت درجاته برفعه، كما أن من ارتفعت درجاته ارتفع برفعها فالقراءتان» بمعنى فاعلمه. والدرجات: عبارة عن مكان هذا أصله ويستعمل مجازاً في موضع بين يدي موضع، ومكان «أمام» مكان «كما» قال ذو النجادين يخاطب ناقة النبي ﷺ:

---

(1) رواه مالك في «موطئه» في قصر الصلاة (386) وأحمد (7213) ومسلم (251) والترمذي (51) و(52) والنسائي (143) وابن حبان (1038) وابن خزيمة (5) وغيرهم. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، به.

(2) رواه مسلم (489) وأبو داود (1320) والترمذي (3416) والنسائي (1137) وابن ماجه (3879) وأحمد (16578) وغيرهم.

(3) رواه الإمام أحمد (22433) ومسلم (488) والترمذي (388) والنسائي (1138) وابن ماجه (1423) وابن خزيمة (318) وابن حبان (1735)، وغيرهم.

تعرَّضِـــي مدارجـــاً وسُـــومي تعـــرّضَ الجـــوزاءِ للنجُـــومِ

هـــذا أبـــو القاســـم فاســـتقيمي

ويقال: رجع الرجل على أدراجه، أي على طريقه التي جاء عليها. وفي خطبة الحجاج: ليس هذا بعشك فادرجي. أي: تنقلي. يضرب مثلاً لمطمئن في غير ركنه، وكذلك أيضاً يستعمل لفظ الدرجات مجازاً في المكانات والمنازل العلية، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11] وقال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 163] أي طبقات في أحد القولين.

• ومنها:

7. ذو المَعَارِجِ
جلّ جلالُهُ وتقدّستْ أسماؤهُ

ورد به القرآن في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: 2-3] وجاء في حديث أبي هريرة من حديث عبد العزيز بن الحصين، وأجمعت عليه الأمة ومعناه: معنى رفيع الدرجات، وهو راجع إلى معنى اسمه «العلي».

قال ابن عباس: والمعارج: أي ذو العلو والدرجات الفواضل، ويكون من أوصاف الذات وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

قال الحليمي: هو الذي يرجع إليه الأرواح والأعمال(1).

قال ابن العربي: ذو المعارج: الذي يتولى المنازل ويصرف الأمور على المراتب، وينزل المأمورين على المقادير. فيكون من صفات الفعل. والمعارج: واحدها، معراج. وهو ما تعرض عليه الملائكة والروح. يقال منه: عرج بفتح الراء يعرج عروجاً ارتقى، وعَرِجَ بكسرها يعرجُ عَرْجاً: إذا مشى مشية الأعرج، وعرج: صار أعرجاً، ومنعرج الوادي حيثُ يميل.

---

(1) جاء في «المنهاج في شعب الإيمان» (210/1)، للحليمي ـ رحمه الله تعالى ـ: ذو المعارج: وهو الذي يعرج بالأرواح والأعمال. وهذا أيضاً يدخل في باب الإثبات والتوحيد والإبداع والتدبير. وبالله التوفيق.

فالمعارج: طرق الملائكة والروح عليهم السلام، فإذا كان منهم صعود كان فيهم عروج ولهم أيضاً تنزل. قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4] وقال: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [القدر: 4] وقال: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 8] وذكر التنزيل والعروج في القرآن كثير. وفي الحديث: «**ما من مؤمن إلا له بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه**»[1]. ولكل أمر معراج ولذلك جمعها في قوله [تعالى]: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: 4].

وينزل أيضاً أرواح بني آدم وأنفسهم لأنها من جملة التدبير، وقد تظاهرت الأخبار من طرق شتى بألفاظ مختلفة ومعانٍ متقاربة: أن روح المؤمن إذا خرجت عند الموت يعرج به فتنفتح له أبواب السماء سماء سماء حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله تبارك وتعالى وهو حديث صحيح سنده خرجه ابن ماجه في سننه[2] وقد ذكرناه في كتاب

(1) الحديث بتمامه رواه الترمذي (3255) من طريق موسى بن عبيدة عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مؤمن إلا وله بابان، باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه. فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾** [الدخان ـ 29].

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد ابن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

والحديث أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (130/16) عند تفسير الآية المذكورة وقد تقدم تعليقنا عليه هناك.

(2) برقم (4262) و(4268)، ورواه الإمام أحمد (8769) ومسلم (2872) والنسائي (1832) والحاكم (1/1302) وابن حبان (3014) والآجري في «الشريعة» (ص ـ 392) وغيرهم مطولاً ومختصراً، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيّبة كانت في الجسد الطيّب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان وربٍّ غير غضبان. قال: فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فيُستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان: فيقولون: مرحباً بالنّفس الطيّبة كانت في الجسد الطيّب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان وربٍّ غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها حتّى يُنتهى بها إلى السّماء التي فيها الله عزّ وجلّ.=

«التذكرة» وروح الكافر يعرج به فتغلق دونه أبواب السماء فترسله الملائكة ويخر من السماء. وقال: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: 40] وقد أتينا على هذا المعنى مبيناً في كتاب «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة».

وروى الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمرو قال: تعرج الأرواح إلى الله في منامها فما كان منها طاهراً سجد تحت العرش وما كان غير طاهر سجد قاصياً فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر. قال قتيبة: سألني جرير عن هذا الحديث فحدثته به فقال لابنه إسماعيل: اكتب هذا الحديث.

قال الترمذي: حدثنا عمر بن أبي عمر قال: حدثنا عبد الغفار بن داود عن ابن لهيعة عن عثمان بن نعيم عن أبي عثمان الأصبحي عن أبي الدرداء قال: إذا نام الإنسان عرج بنفسه حتى يؤتى بها تحت العرش فإن كان طاهراً أذن لها في السجود، وإن كان جنباً لم يؤذن لها في السجود.

وكذا في الأصل السابع والثلاثين والمائتين، وبهذا السند في الأصل الأربعين والمائتين، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن النفوس تعرج إلى الله في منامها فما كان طاهراً سجد تحت العرش وما كان غير طاهر تباعد في سجوده وما كان جنباً لم يؤذن له في السجود.

=وإذا كان الرجل السُّوء، قالوا: اخرجي أيَّتها النَّفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمةً، وأبشري بحميمٍ وغسَّاقٍ، وآخر من شكله أزواجٌ، فلا تزال تخرج، ثم يُعرج بها إلى السَّماء، فيُستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحباً بالنَّفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنَّه لا يُفتح لك أبواب السماء. فتُرسل من السَّماء، ثم تصير إلى القبر فيُجلَسُ الرجل الصَّالح» فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأوَّل «ويُجلس الرَّجل السُّوء» فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأوَّل. لفظ أحمد.

وقد أتيت على ذكر ألفاظ هذا الحديث في كتابنا «موسوعة الأحاديث القدسية» (141/2-143) في باب المرض والموت... وكذلك أتيت على تخريجه في «تهذيب التذكرة» للمؤلف - رحمه الله تعالى.

وللشياطين أيضاً سلم دون السماء لاستراق السمع، في مقابلة المعراج للملائكة والروح - عليهم السلام - قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 10] وقد وصف رسول الله ﷺ مسترقي السمع في مصافهم ذاك، فقرن بين أصابع يديه ونصبها، فجعل المسبحة أعلاهن وجعل الخنصر أسفلهن، وذكر أن المستمع يلقي الكلمة إلى وليه الذي في درجة السلم الأدنى إليه، ويرميه الشهاب، فإن ألقاها إلى وليه قبل أن يصيبه الشهاب، وإلا بطلت. ذكر معناه البخاري(1).

فيجب على كل مؤمن أن ينظر لنفسه ويُخلص العمل لربه. قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: 10-11] وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: 50].

فانظر يا مسكين، وكلنا ذاك المسكين ماذا تجالس به رقيبك! ما تودعه صحيفتك في ليلك ونهارك؟ ولا تهمل أمرك فلست بمهمل، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ [المؤمنون: 115]

---

(1) في «تفسير سورة الحجر» باب (1) قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: 8]، برقم (4701)، من طريق علي بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة يبْلُغ به النَّبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السَّماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً لقوله كالسِّلسلة على صفوان» قال عليٌّ: وقال غيره: «صفوان ينفذهم ذلك» فإذا ﴿فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ للذي قال: ﴿الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ - 23] فيسمعها مُسترقو السَّمع، ومُسترقو السَّمع هكذا واحد فوق آخر.
ووصف سفيان بيده وفرَّج بين أصابع يده اليُمنى نصبها بعضها فوق بعض، فربَّما أدرك الشهاب المُستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه وربَّما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربَّما قال سفيان: «حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم السَّاحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سُمعت من السَّماء».
والصفوان: الحجر الأملس.

﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36] فتخلق بأخلاق الملائكة الكرام إذ يسألهم الرحمن: «كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[1].

فكم يشاهدون من العباد ما لا يرضيهم فيثبتونه في صحائفهم لأداء الأمانة التي ائتمنوا عليها، فإذا سألهم جل جلاله أثنوا بخير ما يشاهدون وأضربوا عن غير ذلك ولا يفعلون إلا ما يؤمرون. فكذلك كن أنت رحمك الله إذا سئلت عن جملة الحال، فقل خير ما تعلمه، ولا تتخلق بأخلاق الذباب يجتنب صحيح البدن ويتوخى الموضع الدفر منه، فيقع عليه فاستحي أولاً من حفظتك الملازمين لك، ثم من الملائكة الكتبة ـ غيرهم[2] ـ الذين يكتبون فضائل الأعمال قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة فضلاً ـ أي عن الكتبة ـ يلتمسون حلق الذكر»[3] الحديث خرجه الترمذي والصحيحان وغيرهم.

---

(1) قطعة من حديث رواه البخاري (7429) ومسلم (632)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر. ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلون وأتيناهم وهم يصلون**» لفظ البخاري. وانظر أخي الكريم طرقه وألفاظه في كتابنا «الأحاديث القدسية من الصحيحين» ص21.

(2) يريد غير الحفظة من الملائكة الكرام.

(3) جزء من حديث رواه البخاري (6408) ومسلم (2689) وأحمد (7430) وغيرهما، واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: تَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ.**

قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ، مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً.=

وقال ﷺ في رجل جاء الصلاة وقد حفزه النفس فقال: «**اللّهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه**». فقال رسول اللّه ﷺ: «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرون أيهم يكتبون أول**». خرجه الأئمة أيضاً[1].

=**قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.**

قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ». لفظ البخاري.

(1) رواه البخاري في الأذان (799)، من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي اللّه عنه، قال: كنا يوماً نصلي وراء النبيّ ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سمع اللّه لمن حمده**» قال رجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

فلما انصرف قال ﷺ: «**من المتكلم**»؟ قال: أنا. قال: «**رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها، أيهم يكتبها أول**».

ورواه الإمام أحمد (12987) ومسلم (600) وأبو داود (763) والنسائي (900) وابن خزيمة (466) وابن حبان (1761) والطيالسي (2001) وعبد الرزاق (2561)، وغيرهم من حديث أنس رضي اللّه عنه؛ أن رجلاً جاء فدخل الصف، وقد حفزه النَّفَسُ فقال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما قضى رسول اللّه ﷺ صلاته، قال: «**أيكم المتكلم بالكلمات**»؟ فأرَمَّ القوم. فقال: «**أيكم المتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأساً**».

فقال رجل: جئتُ وقد حفزني النَّفَسُ، فقلتها.

فقال ﷺ: «**لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها، أيهم يرفعها**» لفظ مسلم.

ومعنى قوله: وقد حفزه النفس، أي ضغطه لسرعة مشيه.

وقوله: فأرمَّ القوم ـ بفتح الراء وتشديد الميم ـ أي سكتوا.

فلو لم يكن الشاهد لك إلا هؤلاء لوجب الحياء من فعل كل قبيح والاستباق إلى كل صالحة، فكيف والشاهد الأكبر والملك الأعظم رب العالمين؟ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، سبحانه لا إله إلا هو.

وكذلك ينبغي لك أن تستحي من أسلافك الذين مضوا قبلك، وصاروا في البرزخ. فإن أعمال ذويهم تُعرض عليهم فيسرون بالأعمال الصالحة ويتسيؤون بسيئها. ويُجزى الكافرون بأعمال من سلك سبيلهم بعدهم من ذويهم ومعارفهم، ويشتد ندمهم وأسفهم على فوات من أصلح بعدهم منهم.

ولذلك قال ابن عباس في المنتحلين سبَّ علي ـ رضي الله عنه ـ:

أحياؤهم خِزْيٌ على أمواتهم والميّتون فضيحةٌ للغابرِ

وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: 170] وكان رسول الله ﷺ آخى بين أبي الدرداء وبين عبد الله بن رواحة فكان أبو الدرداء يقول: إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤون قال: يقول أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك من عمل يخزي عند عبد الله بن رواحة. ذكره ابن المبارك في «رقائقه» وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة» والحمد لله.

• ومنها:

8 ـ ذُو العَرْشِ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدّستْ أسْمَاؤُهُ

قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: 15] وقال: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: 14-15] وهذا الاسم راجع إلى معنى «العلو» أيضاً، وهو الذي يقصد الصافون حول العرش تعظيمه، وعبادته فهو المعبود الواحد، والملك الواحد لا إله إلا هو، والعرش مخلوق عظيم شريف كريم ليس فوقه مخلوق. يلي صفحته العليا العدم[1]. ويلي صفحته السفلى الجنة. فإنه سقفها، كما في حديث أبي

(1) وقوله: يلي صفحته العليا العدم، فيه نظر وتكلف. ذلك أن كل ما لا نُخبر به من المغيبات، أمور مختصة بعلم الله تعالى. فمن الأفضل للمرء عدم الخوض فيها لئلا يتكلف ما لا يتحققه.=

هريرة عن النبي ﷺ وفيه «**فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تنفجر أنهار الجنة**» خرجه البخاري وابن ماجه وغيرهما[1].

وأما ماهيته فاختلف فيها. فمن العلماء من أمسك، ومنهم من تكلم. والمتكلمون على العرش على أقسام. منهم من قال: هو جسم لا حياة له كالسماء. ومنهم من قال: هو جسم له حياة كالإنسان والملك. واستشهد من قال: هو حي بقوله عليه السلام: «**اهتز العرش لموت سعد بن معاذ**»[2] قالوا: ومعنى الاهتزاز الفرح والاستبشار ولا يكون ذلك إلا من ذي حياة.

ومن قال: العرش ليس بحي، قال: إنما معنى الحديث اهتزت ملائكة العرش. وخلق الله في العرش حركة تعظيماً لأمر سعد.

وابن مسرة[3] فقال فيه ما ليس موافقاً لمذهب الأشعرية. وزعم ابن حزم: أنه الفلك التاسع وأن الثمانية الحاملين له المذكورة في القرآن هي الأفلاك الثمانية، السماوات السبع والكرسي الثامن، لكل سماء ملك، وكذلك الكرسي ملك، وعلى هذه الثمانية أبواب الجنة وجعل العرش جسماً ذا حياة، وكذلك الكرسي، وكل سماء من السماوات.

وقال ابن مسرة: إن العرش ليس بجسم، وكذلك الكرسي. بل هما نوران مخلوقان فوق السماوات، وأن العرش هو العرش الذي عبر عنه في الحديث «أنه أول ما خلق الله» ومنه تنفصل العقول الجزئية إلى الخلق وأن الكرسي هو الذي تنفصل منه نفوس كل حيوان ناطق وأعجم.

=ورحم الله المصنف، فهو شيخنا وأستاذنا وقد صحبت كتبه زمناً طويلاً ـ قراءة وتحقيقاً واختصاراً ـ وأفدت منها أيما إفادة رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وإنما أريد بكلامي هذا التنبيه على عدم الخوض في مثل هذه الأمور حتى لا يقع أحدنا بالخطأ. فيؤاخذ عليه. والله من وراء القصد. والله تعالى أعلم.

(1) وقد تقدم.

(2) رواه الإمام أحمد (14407) والبخاري (3803) ومسلم (2466) وابن ماجه (158) والطبراني (5335) وابن حبان (7031) وغيرهم من حديث جابر رضي الله عنه، به.

(3) نقص في أصل المخطوط لم أستطع استدراكه.

قال الأقليشي: وهذه كلها دعاوٍ معراة من البراهين وهي أمور مغيبة ليس يقطع عليها قطع يقين، فكل ما قالوه ظن وتخمين فوفق من سلم أو أطلعه اللّه على الحقيقة فلم يتكلم. وأصل العرش في كلام العرب: السرير، ومنه قوله تعالى: **﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾** [النمل: 23] وقال أمية بن أبي الصلت:

مجد اللّه وهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالنبأ الأعلى الذي سبق ... الخلق وسوى السماء سريرا

قال ابن برجان[1]: وليس السرير اسماً لله شرعياً فاعلم ذلك [و] لا يجوز أن نُسمّي اللّه جلّ جلالُه أو شيئاً من صفاته وأسمائه وخواصه، بغير اللفظ الذي جاء في الشرع. فلا يجوز أن يُقال من ذلك في العرش: سرير اللّه، ولا سطح اللّه، ولا في الكرسي: منبر ومقصد أو منزل أو مجلس، ولا يوصف بشيء من ذلك إلا بتوقيف من اللّه تعالى جلّ جلاله أو رسوله ﷺ.

وكذلك لا يجوز أن يُذكر اللّه بالعجمية. إلا أحد لا يحسن العربية فتُفتحُ له لضرورة الذكر بالعجمية، فيما أحاط علماً بمعناه إحاطة تامة يكونان معنى بمعنى، ولا يختلجن في خاطرك: أن الباريَ مُفتقر إلى شيء أو كرسي أو غيره، بل الأشياء مفتقرة له ومحتاجة إليه، ولا يحل شيئاً ولا تحله الأشياء.

قلت: وهذا هو الحق على ما نبينه هنا وفي آخر الكتاب عند قوله تعالى: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** [طه: 5] وإنما أضاف العرش إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، لكونه أكبر المخلوقات وأعظمها وأشرفها. وقد أضاف المساجد إلى نفسه وخاصة البيت الحرام فقال: **﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾** [الحج: 26] وفي حديث أبي ذر أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**» خرجه الآجري[2] وغيره.

---

(1) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي ـ له كتاب في تفسير القرآن، وكذا في «شرح أسماء اللّه الحسنى» توفي سنة (536هـ).

(2) في «الشريعة» (ص ـ 17).

وجاء في بعض الأخبار أن ملكاً من الملائكة قال: يا رب إني أريد أن أرى العرش فزدني في قوتي حتى أطير لعلي أدرك العرش فخلق الله تعالى له ثلاثين ألف جناح فطار ثلاثين ألف سنة فقال الله سبحانه: هل بلغت إلى أعلاه فقال: لم أقطع بعد قائمة من قوائم العرش، واستأذن أن يعود إلى مكانه. ذكره القشيري.

والعرش في كلام العرب يكون محسوساً، ومعنىً. وفي التنزيل: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23] ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: 41] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: 155] والعرش: سقف البيت. وعرش القدم: ما نشأ في ظهر القدم وفي الأصابع. وعرش السماك: أربع أنجم صغار أسفل من العواء، يقال لها عجز الأسد. وعرش البئر: طيها بالخشب بعد أن يطوى أسفلها بالحجارة قدر قامة فذلك الخشب هو العرش والجمع عروش.

وقال الشاعر(1):

ومـا لمثابـاتِ العـروشِ تقيـةٌ ... إذا استلَّ من تحتِ العروشِ الدعائمَ

والمثابة أعلى البئر حيث يقوم الساقي. قال الشماخ:

ولما رأيتُ العرشَ عرشَ هويةٍ ... تسليتُ حاجاتِ الفؤادِ بشمرا

الهوية موضع يهوي من عليه أي يسقط قاله الجوهري.

وقال غيره والعرش أيضاً: العريش يستظل به، والجمع عروش وعريشة وأعرشة. وبناء - ع ر ش - الرفعة والعلو وقوام الأمر ومنه قيل: ثل عرش [فلان] وهي عبارة عن دمار الحال والمنزلة. وقيل للبيت عرش؛ لأنه قوام لساكنه، ولهذا قيل لسقف البيت: عرش لعلوه. ويقال إن العرش: اسم المَلِك لرفعته وعلو منزلته على غيره، والجمع عروش. قال الشاعر:

عروشٌ تفانوا بعدَ عزّ وأمـة ... هووا بعد ما راموا السَّلامةَ والبقاءَ

أي ملوك، والعرش: الملك والسلطان. تقول العرب: ثل عرش فلان إذا ذهب ملكه وسلطانه قال زهير:

---

(1) هو عمير بن شيم.

تداركتما عبساً وقد ثلّ عرشُها   وذبيان إذا زلت بأقدامِها النعلُ

وقال آخر:

بعد ابن جمنة وابن مالك   عرشه والحارثين تؤملون فلاحا

وقال آخر:

قد نال عرشاً لم ينله نائلٌ   إنسٌ ولا جِنّ ولا ديار

ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] إن المعنى: الرحمن على الملك مستوٍ، بمعنى: غالب وقاهر. كما قال:

فلمّا علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسرِ

وأصل الاستواء: العلو. كما قال:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة   وقد خلق النجم اليماني فاستوى

أي ارتفع [و] علا. وللعلماء في مسألة الاستواء أربعة عشر قولاً هذا أحدها وسيأتي ذكرها. وهذا القول فيه نظر، وسيأتي، وهو ينفي الجهة وهو كما قال الآخر:

قد استوى بشر على العراق   بغير سيف ودم مهراق

وعلى نفي الجهة الأكثرون من المتقدمين والمتأخرين[1]، فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يلزم من ذلك عندهم من اختص بجهة أن يكون في مكان وحيز، ويلزم على المكان

---

(1) قال الشيخ محمد صالح العثيمين ـ رحمه اللّه تعالى ـ في كتابه «القواعد المثلى في صفات اللّه وأسمائه الحسنى» (ص 18-29).

قواعد في صفات اللّه تعالى:

القاعدة الأولى: صفات اللّه تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك. وقد دل على هذا السمع والعقل والفطرة.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: 60] والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وأما العقل فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة ولهذا أظهر اللّه تعالى بطلان-

-ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: 5] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: 21-22] وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم: 42] وعلى قومه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 66-67].

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى والصمم ونحوها لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58] وقوله عن موسى: ﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾ [طه: 52] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر: 44] وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: 80] وقال النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور» وقال: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً».

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64] وقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181].

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص فقال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180-182] وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91].

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً ولا تنفى عنه نفياً مطلقاً بل لا بد من التفصيل فتجوز-

-في الحال التي تكون كمالاً وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً وذلك كالمكر والكيد والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد وتكون نقصاً في غير هذه الحال ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها.

كقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30] وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً﴾ [الطارق: 15-16] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 182-183] وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142] وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 14-15].

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 71] فقال فأمكن منهم ولم يقل فخانهم لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان وهي صفة ذم مطلقاً.

وبذا عرف أن قول بعض العوام خان الله من يخون منكر فاحش يجب النهي عنه.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى وأفعاله لا منتهى لها كما أن أقواله لا منتهى لها قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: 27].

ومن أمثلة ذلك أن من صفات الله تعالى المجيء والإتيان والأخذ والإمساك والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22] وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: 210].

وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 11] وقال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: 65] وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: 12] وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] وقال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**».

فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها فلا نقول: إن من أسمائه الجائي والآتي والآخذ والممسك والباطش والمريد والنازل ونحو ذلك وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.-

=القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية.

فالثبوتية ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والوجه واليدين ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136] فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله وهو الله عز وجل.

وأما العقل فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بها من غيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من غيره فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ بحيث لا يفصح بما يريد وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عز وجل فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله تعالى فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادة وأفصحهم بياناً فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

والصفات السلبية ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب.

فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً كما في قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذي حسب
ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

-مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58] فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: 49] نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر: 44] فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإما قصور القدرة عنه فلكمال علم اللّه تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر اللّه بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم.

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4].

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [مريم: 91-92].

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ [الدخان: 38] وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38].

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:

فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن اللّه تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً. وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى =

=شاء بما شاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]. وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته. وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الإنسان: 30].

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين.

أحدهما: التمثيل. والثاني: التكييف.

فأما التمثيل فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات اللّه تعالى مماثل لصفات المخلوقين وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17] وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4].

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله؟ وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟ فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل وله قوة ليست كقوة الجمل مع الاتفاق في الاسم فهذه يد وهذه يد وهذه قوة وهذه قوة وبينهما تباين في الكيفية والوصف فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات والتشبيه التسوية في أكثر الصفات لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11].

وأما التكييف فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات اللّه تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.=

-أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: 110] وقوله: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: 36] ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبرنا عنها و لم يخبرنا عن كيفيتها فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له أو بالخبر الصادق عنه وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها.

وأيضاً فإننا نقول: أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها لأنه لا علم لك بذلك.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان أو تقريراً باللسان أو تحريراً بالبنان.

ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العَرَق) ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وروى عن شيخه ربيعة أيضاً الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول. وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان.

وإذا كان الكيف غير معقول و لم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته فالجأ الى ربك فإنه معاذك وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36].

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث (انظر القاعدة الخامسة في الأسماء).

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوها.-

والحيز الحركة والسكون للمتحيز والمتغير والحدوث، وقد كان السلف الأول رضي اللّه عنهم لا يقولون بنفي الجهة وينفون التكييف وقال بعضهم:

إن الاستواء أمر خبري لا مجال للعقل فيه فالواجب أن نتوقف في ذلك وعلى نحو هذا قال بعضهم في فوقية الإله: إنها خبرية لا بيان لها أكثر مما ورد به الخبر. هذا مذهب سلف أئمة الحديث فيؤثر عن أم سلمة ـ رضوان اللّه عليها أنها قالت: الاستواء ثابت بلا كيف، وهذا مذهب مالك بن أنس وغيره، قال مالك رضي اللّه عنه ـ الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وذكر عبد اللّه بن وهب قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد اللّه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استواؤه قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما وصف نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه قال: فأخرج الرجل.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: أثبته مستوياً على عرشه وأنفي عنه كل استواء يوجب حدوثه، وله قول آخر: إنه فعل في العرش فعلاً سمى به نفساً مستوياً. قال علماؤنا: وبقوله الأول قال الطبري وابن أبي زيد وعبد الوهاب وجماعة من شيوخ الفقه والحديث.

قال البيهقي: وعلى هذه الطريقة مذهب الشافعي ـ رحمه اللّه ـ وإليه ذهب أحمد ابن حنبل والحسن بن الفضل البلخي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي. قلت: وهو قول القاضي أبي بكر بن الطيب في كتاب «تمهيد الأوائل» والأستاذ أبي بكر بن فورك في «شرح أوائل الأدلة».

=الثاني: تضمن الاسم له مثل: الغفور متضمن للمغفرة والسميع متضمن للسمع ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين الدال عليها ـ على الترتيب ـ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] وقول النبي ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» الحديث. وقول اللّه تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: 22] وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 22].

قال القاضي: باب فإن قال قائل: فأين هو؟ قيل: له الأين سؤال عن المكان وليس هو ممن يحويه مكان ولا تحيط به أقطار، غير أنا نقول: إنه على عرشه لا على معنى كون الجسم على الجسم بملاصقة ومجاورة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قلت: وهذا قول أبي عمر بن عبد البر وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم من الأندلس فمن تأول على أبي عمر بن عبد البر وفهم من كلامه في كتاب «التمهيد» «والاستذكار» أن: الله تعالى مستقر على عرشه استقرار الجسم على الجسم فقد أخطأ وتقوّل عليه ما لم يقل وحسبه الله.

قال أبو عمر ـ رحمه الله ـ قال نعيم بن حماد: ينزل بذاته وعلى كرسيه وهذا ليس بشيء عند أهل العلم من أهل السُّنة. لأن هذه كيفية وهم يفرعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً وقد جل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً. واحتج بأن الله تعالى فوق عرشه من غير تحديد ولا ممارسة ولا تكييف، بآيات وأخبار احتج بها قبله الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتاب «الموجز» قال بعدها.

وقد زعمت المعتزلة بأن الله في كل شيء، فلزمها قول النصارى وأكثر وأخذ بردها على المعتزلة، ثم ذكر قولين في معنى استوى على العرش. أحدهما: إن قال قائل: فما الاستواء عندكم؟ قلنا: هو فعل كان به مستوياً على عرشه. ثم ذكر قولاً ثانياً.

ثم قال أبو الحسن: وجوابي [على] الأول: وهو أن الله سبحانه مستوٍ على عرشه وأنه فوق الأشياء وأنه بائن منه. بمعنى أنه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها.

وقال أبو الحسن في آخر الفصل بعد كلام كثير مع المعتزلة وعلى الآيات ومما يدل على أن الله فوق الأشياء، وأنه مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه عن نفسه: أن المسلمين يشيرون بالدعاء إلى السماء وإلى جهة العلو ولا يشيرون إلى جهة الأرض وهذا إجماع منهم.

قلت: هذا كلام الشيخ أبي الحسن وهو الذي نقله أبو عمر واحتج به غير واحد من العلماء أن: الله فوق عرشه كما ذكرنا، وإنما حملني على ذكر هذا لأن كثيراً من الأصوليين وجهلة المتفقهين يتأول على أبي عمر أنه حشوي قاعد ومجسم ظاهر. حتى إن بعض أشياخي أخبرني عمن لقيه أنه كان يقول ينبغي أن تقطع تلك الأوراق من كتبه أو تطمسه.

وهذا كلام فيه تحامل لا يصدر مثله إلا عن تجاهل بما قالته قبله العلماء، وسطرته في كتبها الأئمة الفضلاء. وإنما كان عليه أن يُبين ويوضح ويعلم. هذا الترمذي أبو عيسى قد ذكر في كتابه عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث يريد أحاديث الصفات أقروها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة.

وقال الخطابي في «شعار الدين»: هذه المسألة سبيلها التوقف المحض، ولا يصل إليه الدليل من غير هذا الوجه، وقد نطق به الكتاب في غير آية، ووردت به الأخبار الصحيحة. فقبوله من جهة التوقف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز. ثم أخذ يذكر الآيات والأخبار.

قال الخطابي: وقد جرت عادة المسلمين وعامتهم بأن يدعوا ربهم عند الابتهال والرغبة إليه، ويرفعوا أيديهم إلى السماء، وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن المدعو في السماء سبحانه. قلت: لما كانت السماء محلاً كريماً ومكاناً شريفاً وهو موضع التفضيل والتقدير ومهبط الوحي والتنزيل، كان التوجه بالدعاء إليه كالصلاة إلى القبلة. والله أعلم.

وأما الآيات والأخبار الواردة في معنى الفوقية والعلو فمتأولة على ما يأتي ذكرها في «تضاعيف الأسماء» وفي «باب ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: 8]» ومن علم أن الله سبحانه الغني على الإطلاق نزهه عن المكان والزمان والجهة، فأما من سلك مذهب السلف فالذي يليق به الإضراب عن تفسيره، وتأويله وترك الاحتجاج به. وعلى هذه الطريقة انقرض أئمة السلف.

وكان شيخنا عامر بن يحيى بن ربيع الأشعري نسباً ومذهباً رحمه الله يقول: وكل ما يوهم الخطأ في حق الله تعالى فهو ممنوع إلا أن يرد به سمع بعد أن نفرق بين ما يجوز ويمتنع. ولا يحملنك التنزيه على التعطيل فتبالغ في النفي كما فعلت الباطنية، أو طوائف منها قالوا: لا نقول في الباري: إنه موجود لأنا إذا قلنا ذلك شبهنا! فإذا سُئِلُوا عن ذلك قالوا: ليس بمعدوم؟ وفي مثل هذا قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [النساء: 171].

قال شيخنا: فإذا قلنا: استوى على عرشه بالمعنى الذي يليق بجلاله من غير تحيز ولا تشبيه، بل فعل في عرشه فعلاً سمى نفسه مستوياً. وأخبر بذلك عن نفسه بأنه: الرازق والخالق، ولم يلزم من ذلك تحيز ولا يلزم بحمد الله. وإذا كان بعض مخلوقاته لا يحد ولا يدرك كنه حقيقته كما قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] وقال ﷺ: «**يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[1] فإذا كان هذا البعض مخلوقاته فكيف بخالق ذلك، رب الكل سبحانه أن يخطر على قلب بشر، أو يتوهمه أحد جلَّ سُبحانه عن كل نظير وشبيه وشريك. وقد سُئِلَ بعضهم عن ذلك فقال قولاً آخر فيه، فقال: كل ما تصور في قلبك أو وهمك، فالله تعالى بخلافه.

وخرَّجَ الترمذي عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله ﷺ: «**هل تدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذه العنان هذه روايا أهل الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه**» ثم قال: «**هل تدرون ما فوقكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف**» ثم قال: «**هل تدرون ما بينكم وبينها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**بينكم وبينها خمس مائة عام**» ثم قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**سماء بعد ما بينهما خمس مائة سنة**».

ثم كذلك حتى عد سبع سماوات ما بين كل سماءين بعد ما بينهما خمس مائة سنة ثم كذلك حتى عد سبع سماوات ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض. ثم قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين**» ثم قال: «**هل تدرون ما الذي تحتكم؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها الأرض**» ثم قال: «**هل تدرون ما تحت الأرض؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمس**

---

(1) رواه البخاري (3244) ومسلم (2824)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفيه زيادة. قال أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

مائة سنة» حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمس مائة سنة. ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم على الأرض السفلى لهبطتم على الله ثم قرأ ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾» [الحديد ـ 3] قال أبو عيسى: قراءة رسول الله ﷺ الآية تدل على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وهو على عرشه كما وصف نفسه في كتابه. قال: هذا حديث غريب والحسن لم يسمع من أبي هريرة(1).

قال الفقيه أبو بكر بن برجان: فالعرش مخلوق عظيم، وهو أرفع المخلوقات وأعظمها، وهو قوام كل شيء إذ من أعلاه يقضى القضاء كله ويدبر الأمر كله، ومن فوقه تنبعث الأحكام والحكمة التي بها كون كل شيء، وبها يكون الإيجاد والتدبير، وبها يكون الخلق كله والأمر كله، وعنها يوجد الروح العلي الذي عليه مدار كل شيء، وبه ثبات كل شيء، وبقاؤه وصلاحه، ومن بعده فساد كل شيء ودماره، والله جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه، فوق ذلك كله لا إله إلا هو، فعرشه موضع التدبير.

---

(1) الحديث بتمامه وطوله رواه الإمام أحمد (8828) والترمذي (3298) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص 399-400) وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (578)، كلهم من طريق الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن البصري، عن أبي هريرة. وهذا إسناد ضعيف. فالحكم بن عبد الملك، مجمع على تضعيفه، وقتادة: مدلس ولم يصرح بسماعه من الحسن البصري، والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة!

قال الترمذي عقب روايته للحديث: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

قال: ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد. قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وفسَّر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقالوا: إنما هبط على عِلْمِ الله وقدرته وسلطانه، عِلْمُ اللهِ وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف في كتابه. انتهى.

والعنان ـ بالفتح ـ: السحاب، جمع عنانة.

وروايا الأرض: هي الروايا من الإبل الحوامل للماء.

والرقيع: اسم لكل سماء، أو للسماء الدنيا.

ومكفوف: أي ممنوع من السقوط، يحفظه الله تعالى بحفظه، وهو من باب التشبيه بالموج المكفوف، في كون السماء معلقة بغير عمد. والله أعلم.

قال اللّه عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [يونس: 3] إن ما دون العرش موضع التفصيل قال اللّه عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2] وما دون السماوات موضع التصريف قال اللّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الفرقان: 50].



القسم الثالث

في جماع أبواب ذكر الأسماء
التي تتبع نفي التشبيه
عن الله تعالى جده

● ومنها:




1 ـ الأَحَدُ

جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ




وأصله وحد قلبت الواو همزة وفي التنزيل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] وروي في خبر الأسامي وأجمعت عليه الأمة. وقد مضى الفرق بين «الواحد» و«الأحد» عند اسمه «الواحد» ومن أهل اللسان من ساوى بينهما، ومنهم من فرق بينهما. فمن ساوى بينهما اثنين، جعلهما مترادفين. فمنهم من قال: أصل «أحد» واحد وسقطت منه الألف على لغة من يقول: وحد للواحد، وأبدلت الهمزة من الواو المفتوحة. هذا مذهب ابن الأنباري.

ومنهم من قال ليس أصل «أحد» واحد، وإن كانا بمعنىً؛ بل أصله «وحد» وأبدلت الواو همزة وقد جاء على أصله في قول النابغة.

على مستأنس وحد[1]

وروى البخاري[2] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: ليس يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**».

---

(1) وشطره:

كَأَنَّ رَحْلي وَقَدْ زَالَ النَّهار بِنَا

وقد تقدم.

(2) في بدء الخلق (3193) وفي «التفسير» (4974) و(4975)، ورواه أيضاً أحمد (8220) والنسائي في «الكبرى» (6/11338) وابن حبان (848) والبغوي في «شرح السنة» (41) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص 208، و506)، وغيرهم.

قال ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ الصمد: هو السيل الذي انتهى إليه السودد. وقيل: هو الدائم الباقي. وقيل: الذي يُصْمَدُ في الحوائج إليه. أي يُقصد. «النهاية» (52/3).

وروى الطبري في كتاب «آداب النفوس» عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كتب الله له ألفي ألف حسنة ومن زاد زاده الله»**[1]. قال الأقليشي: فأما وصف الله تعالى بالأحد، فالفرق بينه وبين «الواحد» أن: الأحد هو الذي ليس بمنقسم، ولا متحيز. فهو على هذا اسم لِعَيْنِ الذات، فيه سلب الكثرة عن ذاته. وأما «الواحد» فهو وصف لذاته فيه سلب الشريك والنظير عنه فافترقا. ولذلك ورد في القرآن: (الواحد الأحد)[2] فتعدد الاختلاف معناهما بهذه التفرقة الرفيعة.

قلت: قد ذكر هذا المعنى قبله في «الأحد» الحليمي رحمه اللّه فقال: الأحد هو الذي لا شبيه له ولا نظير كما أن الواحد هو الذي لا شريك له ولا عديل ولهذا سمى اللّه سبحانه نفسه بهذا الاسم لما وصف نفسه بأنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ فكان عزَّ وجلَّ لم يلد ولم يولد من تفسير قوله «أحد» والمعنى: لم يتفرع عنه شيء ولا تفرع هو عن شيء، كما يتفرع الولد عن أبيه وأمه ويتفرع عنهما الولد أي فإذا كان كذلك فيما يدعوه المشركون إلهاً من دونه، لا يجوز أن يكون إلهاً إذا كانت أمارات الحدوث من التجزؤ والتناهي قائمة فيه لازمة له والباري لا يتجزأ ولا يتناهى، فهو إذاً غير مشبه إياه ولا مشارك له في صفته[3].

قلت: إذا ثبت هذا وتقرر فيجب على كل مُسلم: أن يعتقد أن اللّه واحد أحد ليس له صاحبة ولا ولد. أي لا يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء فسبحانه أن يتخذ ولداً من مخلوقاته وهو لا يشبهه شيء. وقد قال: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي

(1) موضوع. أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (420/2)، وعزاه للطبراني. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/16827)، كلاهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، كتب الله له ألفي ألف حسنة».
قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه فائد أبو الورقاء. وهو متروك.

(2) وهل ورد في القرآن لفظ «الواحد» أو لفظ «الأحد»؟

(3) «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (195/1)، وقد تقدم بلفظه.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم: 93] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [التوبة: 116] أي بالإيجاد والاختراع كما قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: 107] فالولدية تقتضي الجنسية والحدوث، والقِدَم: يقتضي الوحدانية والثبوت، فهو سبحانه القديم الأزلي الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. باين بأحديته سبحانه جميع الموجودات، فوجوده عين ذاته، وليست صفاته مغايرة لذاته إذ الوحدة تنافي المغايرة فإنها كثرة فحقت له حقيقة الأحدية، وانتفت عنه ذات الاثنينية.

ثم إن البنوة تنافي الرق والعبودية فكيف يكون ولد عبداً؟ هذا محال وما أدى إلى المحال محال، ولقد كفرت النصارى بما وقع في كتابهم من قوله تعالى لعيسى ـ عليه السلام ـ: أنت بني وأنا ولّدتك فبدلوا وقالوا: أنت بني وأنا ولدتك فخفف اللام.

• ومنها:

2 ـ العَظِيمُ

جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْمَاؤُهُ

جاء في الكتاب والسُّنّة وأجمعت عليه الأمة. روى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا اللّه العظيم [الحليم] لا إله إلا اللّه رب العرش العظيم لا إله إلا اللّه رب السماوات ورب العرش الكريم**»(1).

ولا خلاف في إجرائه على العبد وغيره يقال: عَظُمَ الشيء عظماً: كبر فهو عظيم. والعُظام ـ بالضم ـ مثله: والعظيم فينا، ضد الحقير. وأعظم الأمر: أي فخمه. والتعظيم: التبجيل. واستعظمه: عدّهُ عظيماً. واستعظم وتعظم: تكبر. والاسم: العظم. وتعاظمه أمر كذا. وتقول: أصابنا مطر لا يتعاظمه شيء؛ أي لا يعظم عنده شيء. والعظمة: الكبرياء. وعَظْمَةُ الذراع أيضاً: مستغلظها. فالعظيم يطلق لمعنيين:

أحدهما: عظم الأجسام وكثرة أجرامها.

---

(1) رواه الإمام أحمد (2012) والبخاري (6345) ومسلم (2730) والترمذي (3435) والنسائي في «الكبرى» (10487).. وابن ماجه (3883) والطيالسي (2651).

والثاني: بمعنى العلو والقدر ورفع المنزلة. فيستعمل للمحسوس والمعقول. تقول العرب: مَنْ عظيم بني فلان اليوم؟ أي من له العظمة والرياسة منهم. وفيه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] أي رئيس، ولم يريدوا به عظم الخلقة.

وقال زهير يمدح رجلين عظيمين:

في عليـاءِ معـدٍ هديتمـا   من يستبحْ كنزاً من المجدِ يعظُمُ

معنى يستبح يجد ويعظم أي يصير عظيماً في الناس جليلاً وفي التنزيل ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23] أي رفيع جليل. وقال في حق نفسه: ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255] أي الرفيع، والفعل منه: عَظُم بفتح الفاء وضم العين، والمستقبل يعظم فهو عظيم في اسم الفاعل، مثل كرم يكرم فهو كريم. ولا يُشعر بإضافة ولا بشبه ولا تعلق وإنما هو وصف ذاتي في المحدثات وعظمها: كثرة أجزائها، وتراكم أجرامها، وتعدد أحيائها وأقطارها. وذلك دليل حدوثها وافتقارها. وعظم خالقها: عبارة عن كماله وجلاله ودوام بقائه وقدمه أولاً وآخراً، فهو من صفات الذات. «كالعلي» وقد تكون من صفات الأفعال مضافاً إلى من عظم ذاته جلالة وقدراً؛ كالأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء. ومن عظم [حجماً] واتساعاً كالعرش والكرسي والسماوات. قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

وقد يكون العظيم أيضاً في وصفه بمعنى: المعظم. فيكون وصفاً ذاتياً له، بمعنى ثنائه على نفسه، وثناء المثنين عليه من خلقه المعظمين له بواجب حقه. فهو المعظم والعظيم حقاً. والعظمة والعظم صفة له والإعظام والتعظيم حال المعظم له، يصيبه عند مشاهدته معاني الجلال والعلاء والعظمة والجلال، فيحل قلبه إكباراً له وإجلالاً ومهابة.

فالعظيم إذاً هو: المهيب المهول لأنه المتناهي في الشرف والسودد. وصفته التي هي العظمة تبدو فيما أوجده من عظائم مخلوقاته؛ كإيجاده السماوات العلى والأرضين السفلى، وما بين ذلك إلى تحت الثرى، ثم إلى المنتهى علواً وسفلاً.

قال الحليمي في معنى العظيم: إنه الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق، لأن عظيم القوم، إنما يكون مالك أمورهم، الذي لا يقدرون على مقاومته ولا مخالفة

أمره[1]، إلا أنه وإن كان كذلك فقد يلحقه العجز بآفات تدخل عليه فيما بيده فتوهنه وتضعفه حتى يستطاع مقاومته، بل قهره وإبطاله والله جل ثناؤه: قادر لا يعجزه شيء ولا يمكن أن يُعصى كُرهاً أو يُخالف أمره قهراً فهو العظيم إذاً حقاً وصدقاً وكان هذا الاسم لمن دونه مجازاً.

وقال الخطابي: العظيم هو ذو العظمة والجلال. ومعناه ينصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدر، دون العظم الذي هو نعوت الأجسام.

قال ابن الحصار: والأجسام وإن عظمت أقدارها، وتباعدت أقطارها، فخالقها سبحانه محيط بها، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة: 255] وعرشه محيط بالجميع. قال الله العظيم: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ [النساء: 126] وإذا وصفت الأجسام والأجرام بالعظم لفخامتها واتساعها، فالمحيط بها أولى بهذا الوصف. وفي التنزيل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67] فأخبر سبحانه أن الأجسام العظام في قبضته، ونزه نفسه عن تنزيل ذلك على المعتاد بقوله: ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255، الشورى: 4] وعلى مثل ذلك إحاطته سبحانه بجميع مخلوقاته وبعرشه وكرسيه، فهو المحيط بكل عظيم المقدار متباعد الأقطار.

ثم قد يظهر اسمه العظيم جلَّ جلاله في أفعال يحدثها، وأحكام في هذه الجملة يظهرها، كتجليه للجبل فصار دكاً من جلاله وما شاهده من عظمته[2]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يسجدان لموت أحد ولا لحياته**»[3] ولكن إذا تجلى الله لشيء من مخلوقاته خضع له.

---

(1) في «المنهاج في شعب الإيمان» (195/1): ومخالفة أموره.

(2) قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ [الأعراف: 143].

(3) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (15022) ومسلم (904) وأبو داود (1178) والنسائي (1477) والطيالسي (1754) وابن خزيمة (1380).. وغيرهم من حديث جابر رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد (25367) والبخاري (1044) وأبو داود (1191) والدارمي (1529) وابن حبان (2845) وغيرهم من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

ثم من المخلوقات من يَعْظُم بنفاسة الذات وشرف الصفات، وهم الأنبياء والأولياء على ما تفضل به عليهم ربهم ووهبهم، وأنفسهم ذاتاً وأشرفهم صفةً محمد ﷺ ففي الحديث: لما نزلت الملائكة استخرجوا قلب رسول الله ﷺ وغسلوه ثم أعادوه فقال: زنوه بمائة فوزنوه فرجحهم وقال في آخره: «دعوه فلو وزن بمائة لرجحهم»[1]، وهذا يدل على عظيم قدره عند ربه ﷺ ويدل على عظم قدره أيضاً عند ربه: مقامه المحمود، وتقدمه للشفاعة، وتأخر آدم وذريته عن مقامه. وذلك أعظم قدراً وصل إليه. لكن كل عظيم يُفرض لغير الله فهو ناقص، وليس بعظيم مطلق لأنه إنما يظهر بالإضافة إلى شيء دون شيء سوى عظمة الله تعالى، فإنه العظيم المطلق لا بطريق الإضافة.

فيجب على كل مُكلَّف أن يعلم وجوب العظمة لله وأن يتواضع لعظمته، كما يجب عليه أن يخضع لعزته. وفي «صحيح مسلم»: أنَّ رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها ساد أعظم خلق ما بين المشرق والمغرب له ست مائة جناح[2].

فهال رسول الله ﷺ ما رآه من خلقته واستعظمه. فقال: كيف لو رأيت إسرافيل وإن العرش لعلى كاهله وإن رجله لتحت تخوم الأرضين وإنه لعلى ذلك ليتضاءل أحياناً من عظمة الله حتى يصير كالوصع»[3] يعني العصفور الصغير.

قلت: الوصع ـ بالصاد والعين المهملين ـ ذكره الجوهري و لم يذكره الهروي، وهو مما أغفله. فهذا عبد من عباده. فما ظنك بخالقه العظيم رب العرش العظيم! فلذلك فاعبده كما أُمرت ولا تطغ، وميز صفاته العلى من صفاتك الحقيرة، فصفاته العظمة

(1) لم أعثر له على أثر.

(2) إلى هنا انتهى حديث مسلم في كتاب الإيمان (174) ورواه أيضاً البخاري (3232) والترمذي (3277) والطيالسي (358) وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح.

ورواه الإمام أحمد (26099) والبخاري (3234) ومسلم (177) وغيرهم من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها وفيه قوله ﷺ: «**إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عِظَمُ خلقه ما بين السماء والأرض**» الحديث لفظ مسلم.

(3) هذه الرواية مدرجة بالحديث وليست هي من أصله في شيء إنما هي من الموضوعات. فتنبه لذلك أخي الكريم حفظك الله تعالى. وانظر صحيح البخاري (3232) و(3233) و(3235).

والعلاء والألوهية والكبرياء، كما أخبر عن نفسه جلَّ وعزَّ «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته**»(1).

فاقتضى هذا تحريم التغاضي عن كل من سواه ولزوم هذه الأوصاف للخالق الإله فعظِّم قدره جلَّ ذكره، وعظِّم أسماءه وصفاته، فلا تذكره عند لهوك ولعبك وأباطيلك، إلا ذكر تعظيم لشأنه، وتوقير لمقامه، وهيبة له، حتى ينهاك ذكره عن الفحشاء والمنكر. وكذلك عَظِّم كتبه وعَظِّم رسله وملائكته وأولياءه، وعظِّم المؤمنين وعظِّم حرماته، وعظِّم مناسكه ومشاعره وشعائره، وكل ما عظَّمه ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج: 32].

واعمل في ذلك كله بما يرضي العظيم الحق جلَّ وعزَّ. وقدِّم من ذلك كله ما قدمه، وأخر منه ما أخره وعظِّم حدوده أن تتعداها ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة: 229] وكذلك فحقِّر ما حقَّر الله [و] تعاظم على أعدائه ومشاقيه على السبيل التي يرضاها، وقابل كلاً على قَدْرِ جُرْمِهِ وخروجه عن الهدى واتباعه مسالك الردى، تكن بذلك من حزبه وأوليائه وكان رسول الله ﷺ يقول: «**اللّهم اجعلني حرباً لمن حاربت سلماً لمن سالمت**»(2) وقال عليه السلام: «**البغض في الله والحب في الله من أوثق عرى الإيمان**»(3).

---

(1) رواه الإمام أحمد (7382) والبخاري في «الأدب المفرد» (552) ومسلم (2620) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بألفاظ متقاربة وقد تقدم الكلام عليه في «الفصل السادس والعشرون» فانظره هناك أخي الكريم. هداك الله تعالى.

(2) روى الترمذي (3870) والطبراني (2620) وابن ماجه (145) وابن حبان (6977) وغيرهم، بإسناد فيه مقال، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لفاطمة والحسن والحسين: «**أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم**».

(3) الحديث بتمامه رواه أبو داود في كتاب السنة (4681) بإسناد صحيح من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**من احب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**».

وفي الباب عن أحمد (15617) والترمذي (2521) بإسناد حسن، من طريق معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحبّ لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل الإيمان». لفظ الترمذي.

• ومنها:

3. العَزِيزُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدّسَتْ أسْماؤُهُ

جاء في الكتاب والسُّنَّة، وأجمع عليه علماء الأمة. وجاء معرَّفاً ومنكراً في غير ما آية، ولا خلاف في جواز إجرائه على غير الله تعالى، كما قال في كتابه: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: 51] ويحتمل أن يكون وصفاً.

قال ابن الحصار: ولا أعلم خلافاً في جواز التسمي به منكراً، وإجرائه وصفاً ولا أجيزه مُعَرَّفاً، لأن الألف واللام في أسماء الباري تعالى؛ إما للحصر فيما لا مشاركة فيه، وإما للمزية، يقال منه: عزَّ ويعزُّ ـ برفع العين في المستقبل ـ فهو عزيز، إذا غلب، ومنه قول الحق: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23] أي غلبني، والمعازة المغالبة، ويقرأ «وعازني» على معنى: وغالبني. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

هناك إمّا تعز الهوى وإما إثرهم تكمد

وفي المثل: من عزّ بزّ. أي من غلب سلب. وينشد للخنساء:

وكنا قديماً حمى نتقى إذ الناس إذ ذاك من عزَّ بزّا

ويقال أيضاً: عزَّ يعز ـ بفتح العين في المستقبل ـ فهو عزيز والمراد منه: القوة والشدة، ومنه قوله الحق: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14] أي قوينا وشددنا، وتعزز فلان: صار عزيزاً. ويقال للأرض القوية الصلبة: عزاز، لامتناعها على من أراد أن يحفرها. وقد عزز المطر الأرض؛ إذا لبدها فاشتدت لذلك.

وقالوا: العزاء للسنة الشديدة. والعزوز في أسماء فرج المرأة البكر، وقيل للشاة الضيقة الإحليل عزوز أيضاً. لامتناع خروج الدر عنها إلا بجهد وعسر وشدة على متناوله. ومن أمثال العرب: (إذا عزّ أخوك فهن). ـ بكسر الهاء ـ معه إذا اشتد فلن، ويقال أيضاً: عز يعز ـ بكسر عين المستقبل ـ عزّاً وعزازة: إذا قل لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وعز فلان يعز عزّاً وعزة وعزازة أيضاً: صار عزيزاً، أي قوي بعد ذلة. هذه الثلاثة هي الأصول واسم الفاعل من جميعها: عزيز، وجمعه: عزاز. مثل كريم وكرام.

وحكى أبو إسحاق الزجاج[1]: والعزيز؛ الجليل الشريف ومنه قولهم: إذا عز أخوك فهن. وقولهم: فلان يعزز بفلان، أي يتحالل به ويتشرف ويتكبر، وكذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8] أي ليخرجن الجليل الشريف منها الذليل. وقيل العزيز: الممتنع الذي لا يُنال ولا يُدرك، فقول العرب: حصن عزيز؛ إذا كان لا يوصل إليه. ومنه قول الهذلي يصف العقاب:

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلى فِرَاشِ عَزِيزَةٍ   سَوْدَاءَ رَوْثَةُ أَنْفِهَا كَالمِخْصَفِ

وقيل: العزيز هو المعز لغيره، فعيل بمعنى: مفعل، كأليم بمعنى: مؤلم. وقيل: هو بمعنى مُعز ومعزوز، فيكون فعيل بمعنى مفعول، كقولهم: كفٌّ خضيب بمعنى مخضوب، ورجل قتيل، بمعنى: مقتول. وقيل: المعنى عزيز عليه أولياؤه، فحذف.

قلت: فهذه ثمانية معان يجوز وصف الله تعالى بها كلها في قول علمائنا. يقال الله العزيز: بمعنى الغالب القاهر، فهو من صفات الأفعال، ومنه قوله تعالى: ﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: 1-2] أي: من الله القاهر المحكم خالق الأشياء.

وإذا قيل في العزيز: إنه من القوة، فهو صريح في الدلالة على الاقتدار، ويتضمن سائر الصفات التي لا تصح القدرة إلا بها، كالحياة وغيرها.

وإذا قيل في العزيز: إنه لا مثل له ولا نظير، فهو يدل في حق الله تعالى على وجود تكامل، حتى لا يماثل.

---

(1) وجاء في «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج (ص 33-34):

العزيز: أصل «ع ز ز» في الكلام: الغلبة والشدة. ويقال: عزَّني فُلان على الأمر: إذا غلبني عليه. وقال الله تعالى ذكره: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14]، أراد ـ والله أعلم ـ قوينا أمره، وشددناه. وقال تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23]، أراد: غلبني... وقال جرير:

يَعُزُّ على الطريقِ بمنكبَيْهِ   كما ابْتَرَكَ الخليعُ على القِداحِ

ويقال: عزَّه، يعزه. والله تعالى هو الغالب على كل شيء، فهو العزيز الذي ذلَّ لعزته كلُّ عزيز.

وقال أبو كبير الهذلي، ووصف عُقاباً، واعتظلت في جبل:

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة   سوداء روثةُ أنفها كالمخصف

وإذا قيل إنه: الجليل، فهو يدل في حق الله تعالى على شرف الذات، وكمال الصفات.

وإذا قيل إنه: الممتنع الذي لا يرام فهو يدل صريحاً على الملك الأعلى القاهر الصمد، ويتضمن ذلك: قهر من سواه ومعجز من دونه.

وإذا قيل معناه: المعز فهو صريح في ترفيعه من يشاء وهو من صفات الفعل، فيتضمن جميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها، ويتضمن الإرادة وذلك يقتضي أن يخفض من يشاء ويذل من يشاء.

وإذا قيل إنه: معز فيدل على عبادة العابدين وحرمة المتحرمين له سبحانه رجاء رضوانه وخوف عقابه، وهو أيضاً من الصفات المشعرة بالأفعال.

وإذا قيل إنه: بمعنى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128] فيدل على كرامته سبحانه لأوليائه وأهل طاعته، ويكون أيضاً من صفات الأفعال.

فهو سبحانه المختص في كل معنى من هذه المعاني بما يجب له ويستحيل على غيره، فهذا الاسم له بكل اعتبار، ولغيره مجاز بكل اعتبار. وإذا عزَّ المخلوق فوصف بالعزة فهذا الاسم له مستعار، وحقيقته للواحد القهار. فهو العزيز الذي لا يُضام جاره ولا يذل أنصاره، وهو الممتنع الذي أمنع عن الأبصار أن تدركه، وعن الأوهام أن تكيفه، وهو القوي الذي لا يُغالب، والقوي الذي لا يُناهض، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، المعز لأوليائه المانع لهم وعنهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38] وقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251].

وقال أبو حامد: العزيز: هو الخطير الذي يقل وجوده، وتفتقر الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه، فمتى لم تجتمع هذه المعاني الثلاثة لم يطلق اسم العزيز عليه، فكم من شيء يقل وجوده ولكن إذا لم يعظم خطره، ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزاً، كالشمس مثلاً فإنها لا نظير لها، والأرض كذلك. والنفع عظيم في كل واحدة منهما والحاجة شديدة إليهما ولكن لا يوصفان بالعزة، لأنه لا يصعب الوصول إلى

مشاهدتهما، فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة[1].

وقال الحليمي: العزيز معناه الذي لا يوصل إليه، ولا يمكن إدخال مكروه عليه. فإن العزيز في لسان العرب؛ من العزة. وهي الصلابة فإذا قيل لله: عزيز، فإنما يراد به الاعتراف بالقدم الذي لا يتهيأ معه تغييره عما لم يزل عليه من القدرة والقوة، وذلك عائد إلى تنزيهه عما يجوز على المصنوعين لإعراضهم بالحدوث في أنفسهم بالحوادث أن تصيبهم وتغيرهم[2].

وقال الخطابي: وقد يكون بمعنى نفاسة القَدْرِ، يقال منه: عز يعز ـ بكسر العين ـ فيتناول معنى العزيز على هذا، إذ لا يُعادله شيء، وأنه لا مثل له، والله أعلم.

وقال ابن العربي: اختلف علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ في شرح العزة، فمنهم من قال: إنَّ العزَّةَ صفة خاصة له، زائدة على الذات. بها كان عزيزاً، كالعلم [وهي] صفة خاصة، ومعنى زائدة على الذات [أي] كان به عالماً. ومنهم من قال: إنَّ العزَّة عبارة عن مجموع [ما] حصل إحاطة علمه، وعموم قدرته. وإنه لا يخرج ممكن عن إرادته. قال: وهذا هو القول الصحيح. وعندي كما أشرنا إليه في «القدوس» فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن العزة لله جميعاً بكل اعتبار كما تقدم قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر: 10] وظاهر هذا إيئاس السامعين من عزته وتعريفهم أن ما وجب له من ذلك مطمع فيه لغيره، فتكون الألف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه وبما وجب له من ذلك، وهذا هو المفهوم من قوله الحق في سورة «يونس»: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [الآية: 65] وفي سورة «سبأ»: ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [الآية: 6].

فمن علم أنه لا إله إلا هو، وأنه الملك الحق، عَلِمَ أن الذي وجب له من العزة، يستحيل أن يتصف بها غيره (ويحتمل أن يريد سبحانه أن ينبه ذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة ومن حيث تستحق فتكون الألف واللام للاستغراق، وهو المفهوم من آيات «فاطر».

(1) «المقصد الأسنى» للغزالي (ص 87-88).

(2) «المنهاج في شعب الإيمان» (1/195-196) مختصراً.

فمن طلب العزة من الله، وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع، وجدها عنده إن شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه. قال ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله**»[1] وقال: «**من اعتزل بالعبيد أذله الله**»[2] فمن طلبها من غير الله، وكله الله إلى من طلبها عنده. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر: 10] وذكر قوماً طلبوا العزة عند من سواه فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: 139] فأنبأك صريحاً لا إشكال فيه، أن العزة له، يعز من يشاء ويذل من يشاء. وقال ﷺ مفسراً لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر: 10] «من أراد عز الدارين فليطع العزيز»[3] ولقد أحسن من قال:

وإذا تذلّلتِ الرّقابُ تخضعاً ... منّا إليكَ فعزُّهَا في ذلّها

فيجب على الإنسان أن يخضع لعظمة الله ويتذلل لعزته، فينقاد مُسَلّماً له خاضعاً لقضائه مُسْتَسْلِماً ومُسَلّماً لأمره، يرجو بذلك العزّ الدائم والملك الأبدي وأن يقول في الجنة لما يريده: كن فيكون. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان: 20].

واعلم أن على قدر ركوعك خاضعاً، وسجودك خاشعاً، يكون عزك في الدنيا والآخرة. قال ﷺ لمن سأله مرافقته في الجنة: «**أعنّي على نفسك بكثرة السجود**»[4] وقد تقدم.

---

(1) جزء من حديث رواه مسلم في البر والصلة (2588) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**».

وفي الباب عند أحمد (11724) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(2) موضوع، أورده العقيلي في «الضعفاء» (271/2) والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (ص: 152) وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2409)، وعزاه لأبي نعيم والقضاعي من حديث عمر رضي الله عنه.

(3) هو كسابقه، وقد ذكره المصنف رحمه الله تعالى في «الجامع لأحكام القرآن» (295/7) عند سورة فاطر الآية (10) وعلقت عليه هناك.

(4) تقدم من رواية مسلم وغيره.

فمن استمسك بعزة الله وأعزّ نفسه بطاعته، نال العزة في دنياه وأخراه. فإن أكسب الخلق مع ذلك عزة بأن دعاهم إلى الدخول في عزة الله، وجنبهم طريق الشيطان فهذا هو: عزيز بمعنى مُعز. وإن عكس هذه الحالة فهو ذليل مُذَل. ألا ترى ما أعد الله سبحانه لمن تكبر وتعزز عليه. قال الله العظيم مُخبراً عن مخاطبة المؤمنين للكافرين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: 42-43] الآية وقال في تنكيل من تعزز عليه: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ [الدخان: 43-44] إلى قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ [البقرة: 206].

وقال رسول الله ﷺ مخبراً عن الله جل وعز: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته»[1] وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً﴾ [القصص: 83].

[و] عليك أيضاً أن تتذلل لأوليائه وأهل طاعته، ولا تعتز عليهم فبذلك أمر الله نبيه ـ عليه السلام ـ حيث يقول: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88] ومدح أقواماً فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 54] وأن تعز من أعزه الله بطاعته وتواليه، وتهين من أهانه بمعصيته وتباعده وتعاديه. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8] وقال: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: 88، 143] فله العزة بكل اعتبار، وهي صفته ومنعته لأوليائه وهي فضله لرسوله بتأييده وعصمته وإعانته ونصرته وجميع قلوب العاملين على طاعته والموت بين يديه قبل أن يصل أحد إليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: 54] وقال: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: 139] فيخلع من قلبه عزة المخلوق، ومن لسانه تعظيمه. وعن يديه خدمته إلا ما حضّ الشرع عليه كما ذكرنا.

---

(1) تقدم أكثر من مرة من رواية الإمام أحمد ومسلم وغيرهما. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ابن العربي: وأرشق عبارة في ذلك قول بعض علماء الإشارة: **حقيقة المعرفة أن يحقر الأقدار سوى قدره ويمحو الأذكار سوى ذكره.** وفي الحديث: «**من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه**»[1] قال بعض العلماء: إنما قلنا ثلثا دينه لأن المرء بثلاثة أيضاً بقلبه ولسانه ويديه فإذا استخدم اللسان والبدن في تعظيم الغني، ذهب الثلثان وبقي الثلث، وهو أثر قلبه. وما أصدق قول من [قال:]

ليس العز بالماءِ والطينِ والتكبر على المساكينِ
إنّما العِزُّ بطاعة رب العالمين

• ومنها:

4 ـ المُتَعَالي
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤهُ

جاء به الكتاب والسُّنَّة وأجمع عليه علماء الأمَّة. قال اللّه تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9] و«العلي» و«الأعلى» أسماء لله تعالى كلها في كتاب اللّه، ولم يرد عند الترمذي «الأعلى» إنما ورد «العلي» و«المتعالي».

فالأعلى: هو الذي له العلو المطلق في ذاته دون إضافة إلى موجود من موجوداته.

والعلي: هو العالي على غيره شرفاً ورفعة.

والمتعالي: هو الذي تعالى عما نسبه إليه أهل الإلحاد من النظراء والأنداد.

فذاته عن هذه متعالية، كما هي كل ذات عالية، ولذلك يقال: تعالى اللّه عن كذا، إذا نسب إليه ما لا يليق به جلَّ وعلا. ويقال: سبحانه العلي الأعلى المتعالي. فتجمع بين هذه الأوصاف لما جمعت من المعاني التي ذكرنا. والمتعال: اسم الفاعل من قولك: تعالى اللّه، وهو تفاعل من ـ العلو ـ كما يقال: تعاطى زيد كذا وكذا، هو متعاطٍ. وتقاضى: فهو متقاضٍ. قال الفراء: يقال: تعالى اللّه، واللّه المتعالي.

---

(1) موضوع، ذكره القاري في «الأخبار الموضوعة» (339) وأورده العجلوني في «كشف الخفا» (2444) وعزاه للبيهقي من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه، بألفاظ متقاربة، وأطال الكلام عليه. فانظره هناك أخي الكريم.

قال الشاعر[1]:

تعالى اللّه يا سلم بن عمرو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

ولا يستعمل المصدر من «تعالى» لأن العرب لم تتكلم به.

وقال غيره: لو استعمل لكان يجب في القياس أن يقال: يتعالى تعالياً، ولكن لم يستعمل ذلك ولذلك يقال: تعالى اللّه. وتبارك اللّه. وتبارك: تفاعل من البركة، كما يقال: تعالى، تفاعل من العلو. ثم قيل: اللّه المتعالي. و لم يستعمل اسم الفاعل من تبارك اللّه، فلم يقل: هو متبارك لم يُسْمَعْ ذلك. وإنما ينتهي في صفاته إلى حيث أطلقت الأمة أو جاء في التنزيل. فإن جاء مثل هذا عن الرسول ﷺ أو أطلقته الأمة، كان سائغاً في العربية. قاله الزجاجي[2].

وقال الحليمي: المتعالي معناه المرتفع عن أن يجوز عليه ما يجوز على المحدثين من الأزواج والأولاد والجوارح والأعضاء، واتخاذ السرير للجلوس عليه، والاحتجاب بالستور عن أن تنفذ الأبصار إليه، والانتقال من مكان إلى مكان. ونحو ذلك، فإن إثبات بعض هذه الأشياء توجب النهاية، وبعضها يوجب الحاجة، وبعضها يوجب التغير والاستحالة، وشيء من ذلك غير لائق بالقديم، ولا جائز عليه[3]. وقد تقدم في اسمه «العلي» ما يلزم العبد من التعبد بهذا الاسم إذ يتضمنه فتأمله هناك.

● ومنها:




5 ـ البَاطِنُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤهُ




وورد به التنزيل، وجاء في السُّنة، وأجمعت عليه الأمَّة. وهو مأخوذ من: بطن الشيء، يبطن إذ أُخفيَ. ومنه سُمِّيَ البطن. وقد مضى فيه من أقوال العلماء ما ذكرناه عند اسمه «الظاهر».

---

(1) هو أبو العتاهية. والبيت في ديوانه (ص: 176)، وسلم بن عمرو المذكور هو أحد معاصريه، كان قد باع مصحفاً، واشترى بثمنه ـ آلة عزف ـ تسمى طنبوراً ـ فسمي: الخاسر.

(2) في كتابه «اشتقاق أسماء اللّه الحسنى».

(3) «المنهاج في شعب الإيمان» (196/1).

فهو سبحانه: الباطن لأنه غير مُدْرَك بالحواسِ كالأشياء المخلوقات التي تُدْرَكُ بالحواس نحو: اللمسِ والحسِّ والنظرِ والمشاهدة، وأشباه ذلك. وإنما يُدرك جلَّ وتعالى بآثاره وأفعاله.

والباطن: خلاف الظاهر، والباطن أيضاً في كلام العرب: الخبير العالم بما بَطُنَ من أمور من يصحبه ويداخله. كقولك: قد بطن فلان أمر فلان؛ إذا اختبر باطنه ووقف عليه ما لم يقف عليه غيره.

وقال الخطابي: وقد يكون بمعنى الظهور والبطون تجلية لمصائر المتفكرين واحتجابه عن أبصار الناظرين. وقد يكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، المطلع على ما بطن من العيوب.

وقيل: الباطن الذي لا يفوته علم شيء ولا يبعد عنه شيء إذا أراده. ويقال: بطن فلان الدابة فهو باطن إذا ضرب بطنها. والبطن معروف. والبطن: المكان الخافض من الأرض. وباطن كل شيء خلاف ظاهره. وقد تقدم التعبد بمعنى هذا الاسم في اسمه «الظاهر» فتأمله هناك.

• ومنها:

6. الكَبِيرُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

ورد في التنزيل فقال: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: 12] وقال: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9] وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة.

وروي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الأوجاع والحمى «**باسم الله الكبير نعوذ بالله العظيم من شرّ عرق نعّار ومن شرّ حرّ النّار**»[1]. ويجوز إجراؤه

---

(1) رواه الإمام أحمد (2729) والترمذي (2075) وابن ماجه (3526) وعبد الرزاق (19771) والطبراني في «الكبير» (11563) وغيرهم. وإسناده ضعيف.

قال الإمام السندي ـ رحمه الله تعالى ـ: قوله ﷺ: «من شر عرق نعار» ـ بالنون وتشديد العين ـ هو الذي يرتفع دمُه ويزيد فيحدث فيه الحرّ.

على العبد وصفاً مُنكراً كما تقدم. فأما «الله أكبر» وإن ورد مطلقاً فهو يتضمن الإبانة وذلك دليل جريانه على العبد. وكبير: على وزن فعيل. مثل طريف. والماضي منه: كَبِرَ ـ بكسر العين ـ يكبَر ـ بفتحها في المستقبل ـ إذا أريد به كِبَرُ السنّ ومنه قوله ـ عليه السلام ـ ليتيمة أم سُليم: «**لقد كَبِرْتِ لا كَبِرَ سِنُّكِ**»[1] رواه مسلم. وقال الشاعر:

جميل كَبِرتَ وأودى الشَّبابُ فقلتُ مُجيباً لها فافتدي

فمن سبق صاحبه في الوجود فهو أكبر منه، تقول: فلان أكبر من فلان سناً، وفلان أسنّ من فلان. وقد روي في الأثر أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ سأله قباب بن أشيم أخو بني يعمر بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد.

والكِبَر ـ بكسر الكاف وفتح الباء ـ مصدر الكبير. والكبار. تقول: رجل كبير، وكبار بَيِّنُ الكِبَرِ. وفي التنزيل: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: 23] والكبر والكبرياء؛ ما يجده المتكبر منا في نفسه، وهو جماع يعروه تعاظم مع استصغار

---

(1) في البر والصلة (2603) ورواه ابن حبان (6514)، من طريق إسحاق بن أبي طلحة قال: حدثني أنس بن مالك قال: كانت عند أمّ سليم يتيمةٌ. وهي أمُّ أنس. فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة. فقال: «آنتِ هِيَهْ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ، لا كَبِرَ سِنُّك» فرجعت اليتيمة إلى أمّ سليم تبكي.

فقالت أمُّ سليم: ما لك يا بُنَيَّة؟ قالت الجارية: دعا عليَّ نبيُّ الله ﷺ أن لا يكبر سنّي. فالآن لا يكبر سنّي أبداً. أو قالت: قرني.

فخرجت أمُّ سليم مُستعجلةً تلوث خِمارها. حتى لقيت رسول الله ﷺ. فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما لك يا أمّ سُليم؟**».

فقالت: يا نبيَّ الله، أدعوت على يتيمتي؟ قال: «**وما ذاك يا أمّ سُليم؟**» قالت: زعمتْ أنكَ دعوتَ أن لا يكبر سنُّها ولا يكبر قرنها.

قال: فضحك رسول الله ﷺ. ثم قال: «**يا أمّ سُليم، أما تعلمين أنّ شرطي على ربّي، أنّي اشترطت على ربي فقلت: إنّما أنا بشرٌ. أرضى كما يرضى البشر. وأغضب كما يغضب البشر. فأيُّما أحد دعوت عليه، من أمّتي، بدعوة ليس لها بأهل، أن تجعلها له طهوراً وزكاةً وقُربةً يقرِّبه بها منه يوم القيامة**». لفظ مسلم.

لمن تكبر عليه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: 56] وكبر الشيء أيضاً: معظمه. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور: 11]. وقال قيس بن الخطيم.

تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويداً تكاد تنعرف

ويروى: تنقصف. ويقال أيضاً: فلان كبرة ولد أبيه، إذا كان آخرهم. قال ابن السكيت: يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث.

وقال أبو عبيد: هو كمثل قولهم: فلان عجزة ولد أبيه. وقد يكون كبير من كبر بضم العين في الماضي والمستقبل وله معنيان:

أحدهما: كبر القدر والعظمة ويرجع ذلك إلى كمال الصفات وعظمة الذات والتقدم في المرتبة وبالمنزل والرتبة والسبق في الفضل وإلى الرفعة، كتقدم الآمر على المأمور، والمالك على المملوك، والفاضل على المفضول. ومنه قول العرب: فلان أكبر قدراً وأعظم سلطاناً من فلان. وهذا المعنى هو الذي يليق بجلال الله سبحانه من كبر القدر والخطر والرتبة في الأسماء الحسنى واستحقاق الصفات العلى، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45].

والمعنى الثاني: كبر الحجم وعظم الجرم والجثة، تقول: هذا الجسم أكبر من هذا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: 57].

وهذا محال في حق الله تعالى. وإنما الذي يليق بجلال الله سبحانه، المعنى الأول. فالكبير على هذا وصف ذاتي له بالإضافة إلى رتب الموجودات كلها وأقدارها المعنوية، فكل موجود في الوجود سوى الله تعالى فهو صغير القدر والرتبة، والله سبحانه الكبير على الإطلاق وحده، أي الموصوف بالعظمة والجلال وكبر الشأن، فَصَغُرَ دون جلاله وعظمته كلُّ كبير.

والكبير والكبرياء والتكبر إخبار عن استحقاقه سبحانه نعوت الجلال والمعالم القدسية المنزهة عن الآفات والنقائص، وكل ذلك إعلام بوجود ذاته كذلك. فاعلم

ذلك، إذ ليست معاني الأسماء مدركة إلا ببصائر القلوب، وأما مدارك الأبصار التي في الرؤوس فإنما تقع على الأماكن وجلَّ ربنا وتعالى عن ذلك.

قال أبو حامد: والكبير هو ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، وأعني بكمال الذات كمال الوجود، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين:

أحدهما: دوامه أزلاً وأبداً.

الثاني: أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه كل وجود وكل مولود[1].

وقيل: الكبير الذي كبر عن شبه المخلوقين. وقيل: الكبير المصرف عباده على ما يريده دون أن يريدوه، وعلى هذا يكون من أسماء الأفعال.

فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن الله سبحانه هو الكبير على الإطلاق الذي لا شيء أكبر منه، وينزهه عن صفة الأجسام والأجرام كما نَزَّهَ تعالى بقوله الحق: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9] فأخبر أنه الكبير واقتضت الألف واللام الحصر، ثم قال: ﴿الْمُتَعَالِ﴾ فَنَزَّهَ نفسه سبحانه عما تكبر به الأجسام، وتعظم به الأجرام. ومن اعتقد ذلك فهو مشبه بجسم، مشرك.

ثم عليه أن يتخلق بالأخلاق الحسنة الجميلة والسجايا الرفيعة الكريمة الجليلة، حتى يكون كبير قومه وشريف أهل زمانه وقرنه، ويتصاغر لكبريائه ويترك الإباء عن المسارعة في طاعته وترك الاستكبار على ما يأتي بيانه عند اسمه «المتكبر» إن شاء الله، ثم يثني عليه بهذا الوصف بلسانه متابعاً بذلك عقد جنانه، فحينئذ ينشرح بنور الله صدره ويكبر قدره، فيكون كبيراً في الأرض والسماء بما رزقه من معرفة حقائق الأسماء.

فصل

ويقال: «الله أكبر» وتأويله: الله أكبر من كل شيء، أي أعظم وأجلُّ. فَعُرِفَ موقعه فَأُضْمِرَ لذلك. ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال «الله أكبر» حتى قال شاعرهم[2]:

(1) «المقصد الأسنى» (ص: 134) مختصراً.

(2) هو خداش بن زهير.

رأيتُ اللّه أكبرَ كلَّ شيءٍ   مجاورةً وأكثره جنودا

وقيل في تأويل «اللّه أكبر» أي اللّه أكبر، كما قيل: إني لأوجل، أي وجل.

قال الشاعر[1]:

لعمرُكَ ما أدري وإنّي لأوْجَلُ   على أيّنا تعدو المنيَّةُ أوَّلُ

وقال الفرزدق[2]:

إنَّ الذي سمكَ السَّماء بَنى لنا   بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطولُ

قلت: والقول الأول هو المعتمد وبه تعبدنا في الصلاة لا بغيره من الألفاظ، كما يقوله المخالف، والدليل عليه ما ذكرنا وهو المنقول عن النبي ﷺ: قال للأعرابي لما علمه الصلاة: «**إذا قمتَ إلى الصلاة فأسبغِ الوضوءَ ثم استقبل القبلة فكبّر أي قُل اللّه أكبر**»[3] ومثله حديث علي قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم**» أخرجه الترمذي[4] وصححه. وقالت عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ: كان رسول اللّه ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير. رواه مسلم[5].

(1) وهو: معن بن أوس.

(2) في «ديوانه» (ص: 714).

(3) جزء من حديث رواه البخاري (6251) ومسلم (397) وغيرهما من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبريّ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنَّ رجلاً دخل المسجد ورسول اللّه ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلّى، ثم جاء فسلّم عليه فقال له رسول اللّه ﷺ: «**وعليك السلام، ارجع فصلِّ فإنّك لم تُصلِّ**» فرجع فصلّى ثم جاء فسلّم فقال: «**وعليك السّلام فارجع فصلِّ فإنّك لم تُصلِّ**» فقال في الثانية أو في التي بعدها: علّمني يا رسول اللّه فقال: «**إذا قمت إلى الصّلاة فأسبغ الوضوء ثمّ استقبل القبلة فكبّر، ثمّ اقرأ بما تيسّر معك من القرآن ثمّ ارجع حتّى تطمئنّ راكعاً، ثم ارفع حتّى تستوي قائماً، ثمّ اسجد حتى تطمئنّ ساجداً، ثم ارفع حتّى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتّى تطمئنّ جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلّها**» لفظ البخاري.

(4) في أبواب الطهارة (3) باب (3) ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور. وتعقبه الترمذي بقوله: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب.

(5) في الصلاة (498) باب (46) ما يجمع صفة الصلاة.

وقال محمد بن عمرو بن عطاء سمعت أبا حميد الساعدي يقول: كان رسول الله ﷺ «**إذا قام إلى الصلاة استقبل القبلة ورفع يديه وقال: الله أكبر**» وهذا نص رواه ابن ماجه في سننه(1) وكذا أخرجه البخاري(2) أنه ـ عليه السلام ـ كان إذا قام بين الركعتين رفع يديه وقال: «الله أكبر» وفي صحيح مسلم من حديث عائشة في صلاة كسوف الشمس: وكان إذا ركع قال: «الله أكبر»(3).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: وأجمعت الأمة على قولهم: «الله أكبر» في الأذان والصلاة. قلت: سمعت بعض علمائنا يقول: إن لفظ «الله أكبر» يتضمن القدم وليس يتضمنه كبير ولا عظيم فكان أبلغ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في مقدمة الكتاب.

قال علماؤنا: وهذا الباب يردّ قول من قال: إنه لا يجوز أن يُطلق في حق الله؛ أفعل، لأن أفعل لا يطلق إلا على مشتركين في شيء، ثم تظهر مزية لأحدهما على الآخر فيه فيخبر بما فعل عنه. واستحالة الاشتراك بين الباري وسواه ثابتة لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، فالتفضيل فيه «بأفعل» غير جائز. قال: فأفعل بمعنى فاعل وفعيل كثير في اللغة واحتج بأبيات منها البيتان المتقدم ذكرهما.

والجواب ما ذكره ابن العربي في كتاب «الأمد» له من أن: لفظة «أفعل» قد وردت في حق الباري سبحانه في مواضع كثيرة من العلم وغيره، وقد اتفق المؤمنون على

---

(1) في فاتحة إقامة الصلاة والسنة فيها (803)، باب (1) افتتاح الصلاة.

(2) في الصلاة (377) باب (18) الصلاة في السطوح والمنبر والخشب.

(3) رواه الإمام مسلم (901) وأبو داود (1177) والنسائي (1469) وغيرهم، من طريق عطاء، قال: سمعت عُبيد بن عُمير يقول: حدَّثني من أُصدِّق ـ حسبته يريد عائشة ـ أنَّ الشمس انكسفت على عهد رسول الله ﷺ، فقام قياماً شديداً، يقوم قائماً ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ركعتين في ثلاث ركعات، وأربع سجدات، فانصرف وقد تجلَّت الشمس. وكان إذا ركع قال: «**الله أكبر**». ثم يركع، وإذا رفع رأسه قال: «**سَمِعَ اللّه لمن حَمِدَهُ**». فقام فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إنَّ الشمس والقمر لا يَكْسِفان لموت أحدٍ ولا لحياتِهِ، ولكنَّهما من آيات الله يُخوِّفُ الله بهما عباده، فإذا رأيتم كُسُوفاً، فاذكروا الله حتى ينجليا**». لفظ مسلم.

أن من تمام التوحيد أن يقول المسلم: الله ورسوله أعلم. ونحن وإن كنا ننزه الباري في لفظ الشركة والاشتراك لما فيهما من إيهام الفساد فنقول: إنه لا خلاف ولا شك في أنا نطلق الوجود والقدرة والكبر ونحو ذلك من الصفات على الباري تعالى، وعلى المخلوق.

ونقول: إنها في الله سبحانه كاملة مقدسة، وفي العبد ناقصة. فهي في الله أجلُّ وأكبر، وإن كانت متساوية في الإطلاق، فإنها تختلف في الجلال والكمال. والحكمة في خلقها في المخلوق الاستدلال بها على الخالق، وفي كونها ناقصة الاستدلال بها على كمال الخالق. ولا يصح مخلوق كامل بنفي الآفات واستيفاء الجلال أبداً، فقد صحت المفاضلة على بابها، وهو كمال التوحيد وغاية المعرفة.

قال: ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا التوصل إلى هذا [الحدّ] لكفى لكل أحد. وقد قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ: إن الحكمة في فعل ذلك في الأذان والصلاة تنبيه المكلف على أن ما دعاه إليه المؤذن في الصلاة ودخل هو فيه منها أجلُّ وأعلى من كل شيء، وهو فيه من أمر الدنيا فيحضه ذلك على المبادرة إليه والإقبال عليه. وهذا صحيح جار على أسلوب اللغة المهيع، فكيف يَصحّ أن يُهدم باب من أبواب الأبنية بجهالة لا تصحّ ويستشهد عليه بشواهد من الشعر محتملة، والتوحيد محفوظ في كل وجه وما قاله الفرزدق هو الحجة لأنه أراد أعزّ وأطول من غيره من بيوت العرب، أو الناس أو بنيانها.

فصل

قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يجوز أن يطلق في حق الله أكثر بالثاء المثلثة إجماعاً واتفاقاً لأنه لم يرد بذلك أثر فيه. قلت: قد جاء ذكره في حديث صحيح ذكره أبو عمر في «التمهيد»[1] حدثنا أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يكفّ عنه من الشر مثلها**» قالوا: يا رسول الله إذن نكثر قال: «**الله أكثر**».

---

(1) (5/344) ورواه الإمام أحمد (11133) والبخاري في «الأدب المفرد» (710) وأبو يعلى (1019) والبزار (3144) والحاكم (1829) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1130) وغيرهم، وإسناده جيد.

أخرجه من طريق البغوي ورواه أيضاً من حديث ابن أبي شيبة عن أبي سعيد قال نبي الله ﷺ: «**ما من مسلم يدعو**» وذكر مثله حرفاً بحرف إلى آخره إلا أنه قال: «**يكفر عنه من السوء مثلها**» قالوا: يا رسول الله إذن يكثر قال: «**الله أكثر**»[1].

وأخرجه أبو محمد عبد الحق من حديث ابن أبي شيبة وصححه. قلت: ومعنى الله أكثر ـ والله أعلم ـ أي أكثر إجابة ومغفرة وفضلاً.

فصل

ويقال: «كَبُرَ» ـ بالضم ـ يَكْبُرُ: أي عَظُمَ، فهو كبير. والجمع كُبراء، كما قيل: عظيم وعظماء، وكريم وكرماء، وفي التنزيل: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ [الأحزاب: 67] وقد قيل: كبار كما قيل: صغير وصغار، وكريم وكرام، ويقال: كَبيرٌ وكُبَارٌ وكُبَّارٌ بالتخفيف والتشديد كما قيل: طويلٌ وطُوَالٌ وطُوَّالٌ، وفي التنزيل: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: 22] وكَبَّرتُ الله: أي وصفته بالكبرياء والعظمة، كما قيل: كَبَّرتُ تكبيراً، وعظمت تعظيماً. أي وصفته بالكبرياء والعظمة، ومنه قيل في قصة يوسف: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: 31] أي هالهن أمره فأعظمنه ـ والله أعلم ـ وقيل معناه: حِضْنَ. وينشد:

نأتي النساءَ على أطهارهنّ ولا ... نأتي النساءَ إذا أكْبَرنَ إكبارا[2]

وأنكر هذا أبو عبيدة وغيره وقالوا: ليس ذلك في كلام العرب لكن يجوز أن يكون حِضْنَ من شدّةِ إعظامهنّ له وإجلالهن ـ والله أعلم.

وفي الحديث: «**البركة مع إكباركم**»[3] وهو حديث حسن، ومقصوده الحثُّ

---

(1) ورواه ابن أبي شيبة (10/201) وعبد بن حميد في «المنتخب» (937). وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (6/612) والمزي في «تهذيب الكمال» (21/75) وقوله: إذن نكثر، من الإكثار، أي من الدعاء.

وقوله ﷺ: «الله أكثر» أي فضل الله وعطاؤه لعباده أكثر من دعائهم مهما بلغ. والله تعالى أعلم.

(2) «لسان العرب» (مادة ـ كبر).

(3) رواه ابن حبان (559) والحاكم (1/62) والقضاعي في «مسند الشهاب» (36) و(37) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (8/171-172) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. به. وإسناده صحيح.

على طلب البركة والنجح في الحاجات بالبداية فيها بالأكابر، والمراجعة لهم والاسترشاد برأيهم ونظرهم ومشاورتهم والقرب منهم، وترك الاستبداد بالأمور دونهم. لما خصَّهم الله به ممن سبق الوجود، وتجربة الأمور، وسالف عبادة المعبود سبحانه. ألا ترى كيف مدح الأكبر من إخوة يوسف ـ عليهم السلام ـ ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ﴾ [يوسف: 80] الآية، وكان في يد رسول الله ﷺ سواك فأراد أن يعطيه لبعض من حضره فقال له جبريل ـ عليه السلام ـ: «كَبِّر كَبِّر» فأعطاه الأكبر فلما أتاه ﷺ حويّصة ومحيّصة في شأن قتيلهم بدأ محيصة ليتكلم فقال النبي ﷺ: **«الكُبْرَ الكُبْرَ»**[1] أي ليتكلم الأكبر وقال ﷺ: **«يؤمّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنّة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم سناً»**[2].

وقد يكون الكبر في العلم والفضل والمنصب والقدر فيكون أحق بالتقدم في الأمور لموضعه من العلم وفضله ودينه وكمال عقله على غيره، وإن كان سنه دون سنه

(1) الحديث بتمامه وبطوله رواه الإمام أحمد (17276) و(16091) والبخاري (6142) ومسلم (1669) والترمذي (1422) وأبو داود (4520) وغيرهم واللفظ لأحمد من طريق سفيان، قال: هذا حديث ابن حارثة يُخبِرُ عن سهل بن أبي حثمة: ووُجِدَ عبد الله بن سهل من الأنصار قتيلاً في قليبٍ من قُلُبِ خيبر، فجاء عمَّاه وأخوه إلى رسول الله ﷺ، أخوه عبد الرحمن ابن سهل، وعماه حُوَيِّصة ومُحَيِّصة، فذهب عبد الرحمن يتكلَّم عند رسول الله ﷺ فقال: «الكُبْرَ الكُبْرَ». فتكلَّم أحد عمَّيه، إما حَوَيِّصة وإما مُحَيِّصة. قال سفيان: نسيتُ أيُّهما الكبير منهما، فقالا: يا رسول الله، إنَّا وجدنا عبد الله قتيلاً في قَلِيبٍ من قُلُب خيبر. ثُمَّ ذكر يهود وشرَّهم وعداوتهم. قال: «لِيُقسِم منكم خمسون: إنَّ يهود قتلته» قالوا: كيف نُقسم على ما لم نر؟ قال: «فتبرئكم يهود بخمسين يحلفون أنهم لم يقتلوه» قالوا: كيف نرضى بأيمانهم وهم مُشركون؟ قال: فوَدَاه رسول الله ﷺ من عنده، فركضتني بَكرةٌ منها.

(2) رواه الإمام أحمد (17063) وأبو داود (582) والطيالسي (618) وغيرهم، بإسناد صحيح على شرط مسلم واللفظ لأحمد من طريق أوس بن ضمعج، قال: سمعت أبا مسعود الأنصاري البدريَّ عن النبي ﷺ قال: «يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمَّهم أقدمهم هجرةً، فإن كانت هجرتهم سواء، فليؤمهم أكبرهم سناً، ولا يُؤَمُّ الرجل في أهله، ولا في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا أن يأذن لك، أو إلا بإذنه».

وفي الباب عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال ﷺ: «**ليلني منكم أولو الأحلام والنهى**» الحديث. أخرجه مسلم[1]. وبعث ﷺ سرية فقدّم عليهم أحدثهم سناً لحفظه سورة البقرة وقال: «**اذهب فأنت أميرهم**» أخرجه الترمذي[2] وغيره وكان يقدم في اللحد أكثرهم قرآناً[3]. وهذا ما لا خفاء به.

• ومنها:

7 ـ السَّلَامُ

جلّ جَلَالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤُهُ

نطق به التنزيل في آخر سورة «الحشر» اسماً مُعرفاً، وفي سورة «يونس» في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25] على ما يأتي، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمَّة، ولا يجوز أن يتسمى به أحد لما رواه مسلم عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» قيل للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال:تقول: «**أستغفر الله أستغفر الله**»[4].

---

(1) في الصلاة (432) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم ـ ثلاثاً وإياكم وهيشات الأسواق**».
ورواه الإمام أحمد (18454) ومسلم (673) وأبو داود (674) والترمذي (228) والنسائي (806) والدارمي (1266) والحميدي (456) والطبراني في «الكبير» (586) والطيالسي (612) وابن خزيمة (1542) وابن حبان (2172) وعبد الرزاق (2430) وابن الجارود (315) وغيرهم.

(2) في «فضائل القرآن» (2876) باب ما جاء في فضل سورة البقرة.. ورواه ابن ماجه في المقدمة (16) وابن خزيمة في «صحيحه» (1509) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده أكثر من مقال. وتعقبه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن.

(3) رواه البخاري (1347)، وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن» فإذا أُشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء» وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصلِّ عليهم، ولم يُغسِّلهم.

(4) رواه مسلم (592) وأبو داود (1513) والترمذي (300) والنسائي (1336) وابن ماجه (928) وأحمد (22428) وابن حبان (2003) وغيرهم.

فاسمه السلام من الأسماء التي اختصّ بها سبحانه كاسمه «اللّه» و«الرحمن» و«القدوس» وشبهها، ويجوز أن يتسمى المخلوق بسليمان وسلمان وهي بنية أخرى، وفي التنزيل: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: 30] والسلام: لفظ مشترك.

قال الزجاجي والمبرد وابن الأنباري والجوهري، وغيرهم من أهل اللغة: السلامة في اللغة على أربعة أضرب: «السلام» من أسماء اللّه جلَّ وعزَّ كقوله: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: 23] والسلام: السلامة، أي البراءة من العيوب. والسلام: التسليم، من قولك: سلام عليكم. قال الشاعر:

فمِنّي علينا بالسَّلامِ فإنّما ... كلامُك ياقوتٌ ودُرٌّ منظَّمُ

والسلام: شجر عظام، الواحدة سلامة. قال الأخطل:

عفى واسط من آل رضوى فنبتل ... بمجتمع الحرين الصبر أجمل

فرابية السكران قفر فما بها لهم ... سبح إلا سلام وحرمل

الزجاجي: وسمي بذلك لسلامته مما يلحق ما دق من الشجر من الكسر والدق، كذلك السلم. إنما سمي بذلك لأنه يسلم المرتضي إلى مقصده. قال: ولذلك قيل للدلو التي بها عروة واحدة نحو دلو السقائين: السلم، لسلامتها مما يلحق غيرها لإحكام علمها. وقيل للصلح: سَلْمٌ وسِلْمٌ لما ينال به من السلامة في الأبدان والأموال للصلح. والعرب تؤنث السلم، قال اللّه تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61] يقال: سَلْمٌ وسِلْمٌ. وحكى الجوهري: سَلام وسِلام في الشجر.

وقال ابن الأنباري وغيره: والسِلاَمُ ـ بكسر السين ـ الصخور، واحدتها سِلَمة، سميت بذلك لصلابتها وللتفاؤل بالسلامة منها. وقالوا في قول اللّه عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25] السلام: اللّه تعالى وداره الجنة، فأضافها إليه للاختصاص كإضافة البيت إليه والروح وغيرهما. وجائز أن يكون التأويل: واللّه يدعو إلى دار السلامة، لأن السلام والسلامة سواء، فسمي الجنّة: دار السلام. لأن الصائر إليها يسلم فيها من كل ما يكون في الدنيا، من المرض والضعف والهرم، والموت وما أشبه ذلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: 127].

وقوله في التسليم: «السلام عليكم» معناه: السلامة عليكم ولكم، وإلى هذا المعنى ذهب من قال: سلام الله عليكم.

وأما قوله: ﴿فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 91] فقيل: تأويله لكنهم أي نخبرك عنهم بسلامه[1]. وسمي الصواب من القول سلامة، لأنه سَلِمَ من العيب، ومنه السُّلامى، وهي عظام الأصابع من اليدين والرجلين سميت بذلك لسلامتها من التحويف الموجود في غيرها. وقد يقع السَّلامُ بمعنى المتاركة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ [الفرقان: 63] معناه تبرأنا منكم وتاركناكم متاركة [لأنهم غير مأمورين] بالتسليم حينئذٍ على المشركين وهـذا أيضاً راجع إلى معنى السلامة لأن في متاركتهم السلامة.

فالله تعالى «السلام» أي: الذي سلم الخلق من ظلمه، قاله الخطابي. وعليه يكون صفة فعلٍ، وعلى أنه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات.

---

(1) هكذا في الأصل. وجاء في «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (211/9) بتحقيقنا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 90] أي ﴿إِنْ كَانَ﴾ هذا المتوفى ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 91] أي لست ترى منهم إلا ما تحبّ من السلامة فلا تهتم لهم، فإنهم يسلمون من عذاب الله. وقيل: المعنى سلام لك منهم؛ أي أنت سالم من الاغتمام لهم. والمعنى واحد. وقيل: أي إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلّي الله عليك ويسلم. وقيل: المعنى إنهم يسلمون عليك يا محمد. وقيل: معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين؛ فحذف إنك. قيل: إنه يُحيَّا بالسلام إكراماً؛ فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند قبض روحه في الدنيا يسلّم عليه مَلَك الموت؛ قاله الضحاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء مَلَك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام. وقد مضى هذا في سورة «النحل» عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [الآية: 32].

الثاني: عند مساءلته في القبر يسلّم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تسلّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

قلت: وقد يحتمل أن تسلّم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام. والله أعلم. انتهى.

قال ابن الأنباري: «السلام» فيه قولان؛ قال قوم: السلام: المسلم لعباده. وقال آخرون: معناه: ذو السلامة، أي صاحب السلامة. قالوا: فحذف المضاف وأقيم السلام مقامه، وكما قال: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: 93] أي حب العجل. وكما قال الشاعر:

يوماً بِأجودَ منهُ سيب نافلة ... ولا يحولُ عطاءُ اليومِ دونَ غَدِ

أراد دون عطائه فحذف. وأنشد أبو العباس:

قليلٌ عيبُه والعيبُ جمٌّ ... ولكن الغنى ربٌّ غفورُ

أراد: ولكنه الغني رب غفور، فحذف الغني وأقام الغنى الذي بعده مقامه.

وقال أبو إسحاق الزجاج: الله عز وجل «السلام» وتأويله: ذو السلام مما يلحق المخلوقين من الفناء والموت والنقص والعيب، فالله ذو السلام من ذلك، أي ذو السلامة منه. قال الشاعر:

تَحيّي بالسَّلامةِ أمَّ عمروٍ ... فهل لك بعدَ قومِك مِن سَلامِ

أي هل لك بعدهم من سلامة مما أصابهم.

وقيل: «السلام» بمعنى السلامة كاللذاذ بمعنى اللذاذة، والرضاع بمعنى الرضاعة، ومعناه يعود إلى تنزيهه عن الأمة وتقديسه عن سمات المخلوقين، فهو بمعنى «القدّوس» و«السبّوح» وعلى هذا يكون قوله في كتابه: ﴿الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: 23] تقدس ذاته عن العدم الذي تقدم كل موجود في الوجود سواه، وسلامة ذاته عن العدم الذي يلحق بعض الموجودات وقوعاً وجميعها تقديراً، فتكون الصفتان سلبيتين ويكون لهما معنيان.

وقال ابن العربي: اتفق العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ على أن معنى قولنا في الله تعالى: «السلام» النسبة تقديره: ذو السلامة، والنسبة في كلام العرب على ثلاثة أوجه:

أحدها: بالياء كقولك: أسدي وبكري.

الثاني: بالجمع كقولك: المهالبة والصقالبة والأزارقة.

الثالث: بذي وذا وذات، كقولك: رجل مال، وكبش صوف، وامرأة عاشق، وناقة ضامر؛ أي رجل ذو مال، وكبش ذو صوف، وامرأة ذات عشق، وناقة ذات ضمر، قال امرؤ القيس:

وليس بذي رُمحٍ فيطعنُني بهِ   وليس بذي سَيفٍ وليس بنبالِ

قال: ثم اختلفوا في توجيه النسبة على ثلاثة أقوال:

الأول: معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل آفة ونقص.

الثاني: معناه ذو السلامة، أي المُسَلِّمُ على عباده كما قال: ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾ [يس: 58].

الثالث: الذي سَلِمَ الخَلْقُ من ظلمه.

قلت: فعلى الأول: يكون من صفات الذات، وعلى الثاني: يكون راجعاً إلى معنى الكلام، وعلى الثالث: يكون من صفات الفعل. وقد قيل: إن السلام من [الله] بمعنى ذو السلام أي: منه السلام لعباده حتى يسلمهم، وهذا في الدنيا كما قال: «**وإني أعطيت لأمتك أن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم**» الحديث أخرجه مسلم[1].

فيجب على كل مسلم أن يعلم: أن الله سبحانه هو «السلام» على الكمال بكل اعتبار تقدم بيانه في حقه سبحانه. ثم يجب على من عَلِمَ أن الله سبحانه هو السلام أن يتضرع إليه ويسأله السلامة في الدنيا والآخرة. أما سلامة الدنيا فمنها ظاهرة وباطنة، فالظاهرة: العافية من الآلام والأسقام وجميع ما تكرهه النفس من المحن التي استعاذ منها النبي ﷺ، وأما السلامة الباطنة في الدنيا: فسلامة دينك، وسلامة يقينك عن الكفر

(1) في الفتن (2889) والإمام أحمد (22458) وأبو داود (4252) والترمذي (2176) وابن ماجه (3952) وابن حبان (6714) والبغوي (4015) وغيرهم، واللفظ لمسلم من طريق حمّاد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله زوى لي الأرض. فرأيت مشارقها ومغاربها. وإنّ أمّتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمّتي أن لا يهلكها بسنة عامّة، وأن لا يُسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإنّ ربّي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنّه لا يُردُّ، وإنّي أعطيتك لأمّتك أن لا أُهلكهم بسنةٍ عامّة. وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم. يستبيح بيضتهم.ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال: من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً**».

والبدع والعصيان، حتى تقدم عليه بأوثق عرى الإيمان، فتنال منه السلامة المؤبدة في دار السلام وتنجو من العذاب والآلام التي لحقت الكفار في إدراك النار، وأن يسلم وجهه لله سبحانه، كما قال: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: 22].

وقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: 256] ويسالم أولياءه، ويحارب أعداءه، ومنه الحديث: «**اللهم اجعلني سلماً لأوليائك حرباً لأعدائك**»[1] ويسلم قلبه من الصفات المذمومة حتى يأتي اللّه بقلب سليم، ولسانه عن الأقوال المكروهة وأفعاله عن المخالفات فيلقاه متقياً.

وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة بقوله عليه السلام: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[2] وأقوى من ذلك أن يسلم منه من آذاه، فهو يرى ربه تعالى قد سلم الكافرون معاجلتهم في الدنيا بالعقوبة مع ما يأتيه من الكفر.

وقد روي أن رسول اللّه ﷺ لم ينتقم لنفسه قط، وقد روي أن بعض العلماء سمع رجلاً يغتاب آخر فقال له: هل غزوت العام؟ فقال: لا. قال: فكيف سلم منك الكفار ولم يسلم منك المسلمون؟ فإذا صفا قلبه من الغش والحقد وإرادة الشر، وتحرز بجوارحه من الوقوع في المحظورات، فهو الذي يسلم منه العباد، وقرب في وصفه من السَّلام المطلق، سبحانه وتعالى.

ثم عليه أن يُسَلِّم على من لقيه ويرد على من سَلَّم عليه، فإن السلام سبب الأمان ومنه الحديث: «**السلام تحية لملتنا وأمان لذمتنا**»[3] وقال عليه السلام: «**صلوا أرحامكم**

---

(1) جزء من حديث طويل تقدم من رواية الترمذي في الدعوات (3419)، من حديث عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما، عن النبي ﷺ، وفيه قوله ﷺ: «**اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك وعدواً لأعدائك...**» الحديث.

(2) رواه الإمام مسلم في الإيمان (40)، من حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص قال: إن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ، أي المسلمين خير؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

(3) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (262)، وإسناده ضعيف.

ولو بالسلام»[1] أي صلوها ولو لم تجدوا إلا السلام وطيب الكلام. وقال عليه السلام: **«يجزي من الصرم السلام»**[2].

وقال ابن عباس: «السلام»: اسم من أسمائه سبحانه وضعه في الأرض فأفشوه بينكم، ومن فضل السلام الوصول به إلى دار السلام وقال ﷺ: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»** رواه أبو هريرة أخرجه مسلم[3].

● **ومنها:**

8. الغَنِيُّ
جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ

نطق به التنزيل فقال وقوله الحق: **﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾** [محمد: 38] وقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** [لقمان: 26] وتكرر في القرآن وفي الأحاديث، وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة. ويجوز إجراؤه على العبد وصفاً مقيداً ولا يجوز مطلقاً، لقوله تعالى: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾** [آل عمران: 181].

---

(1) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (13460)، من حديث أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلوا أرحامكم بالسلام»** وعزاه للطبراني، وقال: وفيه راوٍ لم يسم.
ورواه البزار (1877)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام»** وفيه محمد بن يونس الكديمي، مُتهم بالكذب.
قال الهيثمي: رواه البزار، وفيه البراء بن عبد الله بن يزيد الغنوي، وهو ضعيف.
أقول: ولكن للحديث شواهد يحسن بها. والله أعلم.

(2) لم أجده.

(3) في الإيمان (54) ورواه الإمام أحمد (9095) والبخاري في «الأدب المفرد» (260) وأبو داود (5193) والترمذي (2688) وابن ماجه (68) و(3692) وابن منده (328)... وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، به.

ويقال منه: غني يغنى فهو غني، إذا كان له مال. وغني أيضاً: حي من غطفان، فهو مشترك، وتغنى الرجل: إذا استغنى وأغناه الله. وتغانوا: أي استغنى بعضهم عن بعض. قال الشاعر[1]:

كلانا غنيٌّ عن أخيهِ حياته ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانيا

وغني في المكان: أقام. والمغنى: واحد المغاني وهو المواضع التي كان بها أهلوها، وغني: أي عاش. والغَنَاء ـ بالفتح ـ النفع، واحد المغاني. والغِناء ـ بالكسر ـ من السماع. والغنى ـ مقصور ـ اليسار، وقد جاء ممدوداً في الشعر، وأنشد الكوفيون:

سيُغنيني الذي أغناكَ عنّي فلا فَقْرٌ يدومُ ولا غَنَاءُ

قال الزجاجي: وجائز عند الكوفيين مد المقصور ولا يجيزه البصريون. والغني في كلام العرب: الذي ليس بمحتاج إلى غيره، وكذلك الله عزَّ وجلَّ ليس بمحتاج إلى أحد، فإن كان الغني من له عَرَضٌ من الدنيا محدود، فالغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض أولى باسم «الغني» وأحق به، بل هو غني عن السماوات والأرض وعن جميع المخلوقات، فإنه لم يخلقها سبحانه عن حاجة عرضت له، ولا ليسد [حاجة] نزلت به، وإنما خلقها [لحكمة]، وإن كان من دام مدة من الزمان يسمى: غنياً فهو دائم الوجود، غني عن الأمكنة والمخلوقات، فهو الغني حقاً.

و«الغني»: وصف ذاتي له سبحانه فيه معنى السلب، لأنه بريء من الاحتياج إلى غيره، والكل مُحتاج إليه فهو الغني على الإطلاق، فله الغنى المطلق. وكذلك ورد في القرآن غير مقيد وكذلك في حديث أبي هريرة، فهو مُشْعر باستقلاله سبحانه بما وجب له من صفات الجلال والكمال، والنزاهة وافتقار كل ممكن إليه، فله الحياة الدائمة، والإرادة العامة، والمُلك الدائم وفي ضمن ذلك افتقار الجميع إليه سبحانه.

وفي التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: 15-17] وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ

(1) هو المغيرة بن حبناء التميمي.

وَلا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: 14] وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: 31]. وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [فاطر: 3].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: إذا فُهِمَ حقيقة «الغني» ومعنى تسميته تعالى به، فقد تحققتم أنها صفة تنزيه، لأن ذلك راجع إلى الغنى عن الخلق، أو إلى الدوام. وكلاهما صفة نفي للآفات لا إثبات شيء من الصفات.

فإنه قيل: فهل يكون غنياً من الغنى وهي الكفاية بالشيء؟ فالجواب أن نقول: أما ذلك فتصريف، فعله يغني بمعنى غناء فهو مغنٍ، فيكون هذا مفعلاً، وذلك فعيل من فاعل وهو غانٍ، فبان أن تصريفهما مختلف ومعناهما متغاير فلا يجوز أن يكون معناهما واحداً. والباري تعالى له الغناء والغناء، كما قال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 32]. ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: 130] لكن لم يأت فيه اسم «المغني» جاء فيه اسم «الغني» فوقفنا على المورد كما ورد، وطردنا المعنى كيفما اطرد.

قلت: عجباً له كيف أغفله وكأنه ـ رحمه الله ـ لم يقرأ حديث أبي هريرة الذي أخرجه الترمذي وفيه «المغني» وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فيجب على العبد أن يعلم أن الغني المطلق إنما هو الله وحده، وأن غنى العبد من فضله، وأفضله غنى القلب كما قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس**»[1] فبين ﷺ: أن الغنى قد يكون بغير المال، وأن من وضع الله الغنى في قلبه، فقد أغناه. ولقد أحسن من قال:

كم من فقيرٍ غنيّ النفسِ تعرفُهُ وكم من غنيٍّ فقيرِ النفسِ مسكين

وقال آخر[2]:

---

(1) رواه الإمام أحمد (7320) والبخاري (6446) ومسلم (1051) والترمذي (2373) وابن ماجه (4137) والحميدي (1063) وابن حبان (679) وغيرهم. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، به.

(2) هو عثمان بن سعد الموصلي.

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي

فليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس وقد أشبعنا القول في هذا في كتاب «قمع الحرص بالزهد والقناعة» فمن رضي بقسم الله تعالى له كان به غنياً ولديه حفياً ومن لم يسأل الله يغضب عليه وسيأتي. وقال ﷺ مخبراً عن ربه تعالى: «**يا بن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك**»[1] رواه أبو هريرة أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب وفي الصحيح: «**ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله**»[2] وسأل ابن عيينة عن قول رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»[3].

[وفي التنزيل] قول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ [الحجر: 87] ﴿**لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ**﴾ [الحجر: 88] فإن قيل: فقد يوجد كثير من الصالحين فقراء ليس بأيديهم شيء من عرض الدنيا؟ قيل له: نعم قد يمنعه الأعراض الدنيوية ويدخر له النفائس الأخروية، وذلك هو الغنى الحقيقي، فمن افتقر إلى الله الافتقار الحقيقي، وسأله العز الباقي لا العَرَض الدنيوي، أغنى نفسه الفقيرة بعلومه المنيرة، فاستفاد وأفاد، وأنفق مما لا يخاف عليه النفاد، فهو الغني في الدنيا وفي المعاد، والباقي بغناه أبد الآباد، ومن حرمه هذا الغنى، فلو نال جميع ملك الدنيا فهو فقير. ولذلك قيل: من جهل الله فذاك الفقير.

---

(1) رواه الإمام أحمد (8696) والترمذي (2466) وابن ماجه (4107) وابن حبان (393) والحاكم (2/443)، وهو حديث حسن.

(2) رواه البخاري (1427) ومسلم (1053)، وغيرهما من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**اليد العُليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله**» لفظ البخاري.

(3) رواه الإمام أحمد (1476) وأبو داود (1470) والحميدي (77) والحاكم (1/569) وابن حبان (120) وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، به. وإسناده صحيح.

• ومنها:

9. السُّبُّوحُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤُهُ

لم يرد لفظه في القرآن ولا في خبر الأسامي إلا أنه ثبت في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «**سُبُّوح قدُّوسٌ ربُّ الملائكةِ والروح**»[1] وجاء على فعول غريب البناء لم يأت على بنائه إلا «قدوس» على ما يأتي.

قال الحليمي في «السبوح»: إنه المُنزه عن المعايب والصفات التي تعتري المحدثين من ناحية الحدث والتسبيح[2] [أي] التنزيه من السوء على جهة التعظيم، ومنه قول أعشى بني ثعلبة.

أقول لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر[3]

أي براءة من علقمة. وفي التنزيل: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: 30] أي ننزهك عما لا يليق بصفاتك، أي نذكر جلالك وجمالك وكمالك وما وجب لك.

وهكذا يجب على كل مكلف اعتقاد: بُعْدِهِ ونزاهته جلَّ وعزَّ؛ من المكروهات وبراءته من نقائص المُحْدَثَاتِ لا إله إلا هو عالم الغيب والشهاداتِ. وهو مُشتق من «السبح» وهو الجري والعوم والذهاب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: 7] فالمسبح جارٍ في تنزيه الله تعالى وتبرئته، متباعد بسبحه ذلك عن المكروه من الغرق والهلاك، ونحو هذا. يقال: سبح يسبح فهو سابح. وكذلك: فرسٌ سابح، إذا كان خفيف الوطر حسن الجري، سابق إلى غايته، فهو مساهر بسبحه ذلك في موضع ابتداء جريه ليقرب من غايته، ويباعد بذلك في جريه الصفات التي توجب وصف الجنة.

---

(1) وقد تقدم تخريجه.

(2) «المنهاج في شعب الإيمان» (197/1).

(3) والبيت في ديوانه (ص: 106)، وذكره ابن منظور في «لسان العرب» مادة (سبح).

فتسبيح اللسان إذا صدر عن سكينة حسن، لكنه ليس كتسبيح صدر عن قلب سابح في بحار عوالم الملكوت، لا سيما إذا لم تتلاطم عليه أمواج السفه، ولم تزعزعه رياح الفتن والبدع، فإنه يصل بفضل الله ورحمته إلى جواهر العلوم ولطائف الفهوم. وأسند النحاس والبيهقي وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير «**سبحان الله**» فقال: «**هو تنزيه الله عن كل سوء**»[1] فيجب على كل مكلف تنزيه خالقه عن نقائص الموجودات، ومقصور المحدثات، ويعتقد بعده ونزاهته عن المكروهات وبراءته عن نقائص المحدثات وافتقار المكونات، وما أضيف إليه من الأنداد والصاحبة والأولاد، ويُكثر في تسبيحه من قول: «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[2] وقال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض**».

الحديث خرجه مسلم[3] عن أبي مالك الأشعري، وروى الترمذي[4] عن جابر عن النبي ﷺ وقال: «**من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

فقول المسبح: «سبحان الله وبحمده» تسبيح له بمحامده وتنزيه بتعرف جلاله وعلو صفاته وأسمائه عما لا يجوز في وجوده، ثم اعلم أنه لا يصح لمسبح حقيقة التسبيح حتى يتنزه عن أوصافه الذميمة، فينزه نفسه عن الشهوات ومطعمه عن الحرام والشبهات، وأعماله عن التزين والتصنعات، فإذا كان كذلك كان عابداً، وفي الدنيا

---

(1) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: 55) وإسناده لا يصح.

(2) رواه البخاري (6406) ومسلم (2694) وغيرهما.

(3) في فاتحة كتاب الطهارة (223) ورواه الإمام أحمد (22965) والترمذي (3517) والنسائي (3436) وابن ماجه (280) والدارمي (653) وغيرهم.

(4) في الدعوات (3475) وهو حديث صحيح بشواهده.

زاهداً، ومتى صفا مالكَ عن الحرام والشبهات، وكان ما قَلَّ وكفى خير عندك مما كثر [وألهى] وإذا صفت نفسك وأحوالك عن الأغيار، وصلت إلى ما تريده من الاختيار إن شاء الله. والسلام.

• ومنها:

10. القُدُّوسُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

جاء في القرآن والسُّنَّة، وأجمعت عليه الأُمَّة. ولا يجوز أن يُقال في مخلوق «القدوس» هكذا مطلقاً من غير إضافة ولا تقييد، لا اسماً ولا صفة، ولا يجوز إذا أُضيف أو نُكّر أن يقع وصفاً. ويجب على ذلك [التنبه] والاحتياط.

ولا يختلف أحد من أهل اللغة فيما ذكر أبو الحسن بن الحصار وغيره أن «القدوس» الطهارة. ومنه قوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30] أي ننسبك إلى الطهارة ونقدسك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ونسبحك ونسبح لك، بمعنى واحد.

قال الجوهري وغيره: القدس والقدُس: الطهر، اسم ومصدر ومنه قيل للجنة: حظيرة القدس لأنها مُقَدَّسَةٌ ومُقَدِّسَةٌ. وروح القدس: جبريل ـ عليه السلام ـ لأنه متقدس في ذاته بتقديس الله ومُقَدِّسٌ لمن اتصل به بما يفيده من الطهارة. وقيل: سمي جبريل روح القدس، لأنه روح الله. فالقدس على هذا هو الله لطهارة ذاته. وقُدْسٌ بالتسكين جبل بأرض نجد، والتقديس التطهير، ونقدس نطهر، والأرض المقدسة المطهرة ومنه قيل: بيت المقدس يخفف ويشدد والنسبة مَقْدِسيّ مثل مَجْلِسيّ ومُقدّسِي، قال الشاعر:

كما شَبْرَقَ الوِلْدانُ ثوبَ المُقَدّسِ

يعني يهودياً عابداً.

ويقال: إن القادسية دعا لها إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالقدس وأن تكون محلّة الحاج. و«قدوس» اسم من أسماء الله تعالى.

وهو فعول من: «القدس»، وهو الطهارة. وكان سيبويه يقول: قدوس وسبوح ـ بفتح أولهما. وقال ثعلب: كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول مثل: سفود وكلوب وتنور وسمور وشبوط، إلا السُّبوح والقُدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وكذلك الذروح، بالضم لواحد الذراريح. وقد يفتح.

والقَدَسُ بالتحريك: السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر به. ومنه: القادوس لواحد الأواني الذي يستخرج به الماء من البئر بالسانية. والقُداس ـ بالضم ـ شيء يعمل كالجماز من فضة. قال الشاعر يصف الدموع:

كنظم قداس سلكه منقطع أمه

وفي الحديث: «**لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها حقه من قويها**»[1] يريد كما طهرها الله. وقيل: إن القدس يكون لمعنى البركة ومنه، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ**﴾ [المائدة: 21] وقال: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ [الأنبياء: 71] [أي الأرض الطاهرة المباركة].

قال ابن الحصار: لا ينبغي أن يختلف أحد من أهل اللغة أن: القدس الطهارة، ولكن المفعول قد يراد به اسم الفاعل بمعنى أنه لغيره، وقد يراد به اسم المفعول بمعنى: أنه المطهر في نفسه. وقد أوردوا هذا الخلاف في «الأرض المقدسة» فقيل: سميت بذلك لأن الله سبحانه قد كان أخرج منها الكافرين وعَمَّرها بالمؤمنين. وهذا يقتضيه

(1) قطعة من حديث صحيح رواه ابن ماجه في الصدقات (2426) باب (17) لصاحب الحق سلطان، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه. فاشتدَّ عليه، حتى قال له: أُحرِّج عليك إلاَّ قضيتني. فانتهره أصحابه وقالوا: ويحك! تدري من تكلّم؟ قال: إنّي أطلب حقّي. فقال النبيُّ ﷺ: «**هلاَّ مع صاحب الحقّ كنتم؟**» ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها: «**إن كان عندك تمر فأقرضينا حتّى يأتينا تمرنا فنقضيك**» فقالت: نعم. بأبي أنت يا رسول الله. قال: فأقرضته. فقضى الأعرابيَّ وأطعمه. فقال: أوفيت. أوفى الله لك. فقال: «**أولئك خيار النّاس. إنّه لا قُدِّست أمّة لا يأخذ الضعيف فيها حقّه غير مُتعتعٍ**».

ومعنى قوله ﷺ: «غير متعتع» أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه أو يزعجه، والله تعالى أعلم.

الاشتقاق لأن «الْمُقَدَّسَةَ» بفتح الدال اسم المفعول من «التقديس» وإنما اسم الفاعل بكسر الدال، ولا يصح أن يكون بفتحه اسم الفاعل ولكن القرآن نطق بفتح الدال، فالأظهر أن يكون سمّي بالمقدس لأنه يُقدس غيره، أي: يُطهره فيكون المقدس ـ بفتح الدال ـ وهو اسم مفعول قد يراد به ما يراد باسم الفاعل.

والدليل على هذا ما رواه النسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً: سأل الله حكماً يُصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه. فأُعطي جميع ذلك»[1]. فهذا الحديث دليل: على أنه المطهر لغيره فمن قصده ليتطهر به تصديقاً بالله وبرسله وصلى فيه على موافقة الشرع خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولذلك تعمل إليه المطي، كما تعمل إلى الكعبة المشرفة، ومسجد النبي ﷺ.

وقد جعل الله لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض، كما جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض، ولبعض الحيوان كذلك، و لله أن يفضل ما شاء لا اعتبار بكونه مقدساً بإخراج المشركين وإسكان المؤمنين، فقد شاركه في ذلك غيره، و لم يستحق اسم التقديس بذلك وإذا كان اسم المفعول يراد به ما يراد باسم الفاعل؛ فالقدوس: أولى بالله جلّ ثناؤه [من كونه] قدوساً على الإطلاق، فهو طاهر في نفسه، مُنزه مُطهرٌ لغيره، فهو اسم يتضمن جميع صفات الكمال، ونفي كل نقيصة لا تليق بجلاله، وإيصال التطهير لغيره كملائكته وأنبيائه ومن شاء من خلقه. فهذا الاسم يكون من صفات الذات ويكون من صفات الأفعال، فهو الْمُنَزَّهُ الْمُنَزِّه والْمُطَهَّرُ الْمُطَهِّر وفي ضمن هذا أن من لم يكن طاهراً في نفسه فلا يطهر غيره. والشيطان رَجِسٌ نجس، وكذلك حزبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28] وقال رؤبة:

دعـــوتُ رَبَّ العِـــزَّةِ القُدُّوسَـــا　　　دُعَـــاءَ مَـــنْ لاَ يَقْـــرَعُ النَّاقُوسَـــا

---

(1) رواه الإمام أحمد (6644) والنسائي (692) وابن ماجه (1408) والحاكم (1/83) والدارمي (2091)، وغيرهم مطولاً ومختصراً. وإسناده صحيح.

حتّــى أرانــا وَجْهَــكَ المَرْغُوسَــا

الرغس[1]: البركة والنماء.

قال ابن العربي: ونعته تعالى «بالقدوس» وتعيين التقديس له يوجب له أوصافاً عشرة:

الأول: تقديسه عن الشركاء.

الثاني: تقديسه عن النظراء.

الثالث: تقديسه عن الأضداد.

الرابع: تقديسه عن الأولاد.

الخامس: تقديسه عن الأوهام.

السادس: تقديسه عن التحديد.

السابع: أنه لا تدركه الأبصار بالتصوير.

الثامن: تقديسه عن الحاجة إلى الخلق.

التاسع: أن تطهير غيره إليه.

العاشر: وهو فائدتها أن له الكمال في كل وصف لاستحالة النقص عنه.

قلت: ولقد أحسن من قال:

تَبــارَكَ مَــنْ أخفــى القبيــحَ بفضلــهِ وعــمَّ جميــعَ العــالمينَ نوالُــهُ

هــو الواحــدُ القهَّــارُ فــاسمعْ ثنــاءَهُ هــو الملــكُ القــدُّوسُ جــلَّ جلالُــهُ

---

(1) قال في «تاج العروس» (8 / 309) مادة (رغس):

الرَّغْسُ ـ بالفتح ـ النعمة، جمع أرْغَاس.

قال: والرغس، أيضاً: الخير والبركة والنماء والكثرة. وقد أرغسه الله رغساً.

والمرغوس: المبارك الميمون. يقال: وجه مرغوس؛ أي طَلْقٌ ميمون، وهو مرغوس الناصية، أي مباركها.

قال رؤبة يمدحُ أبان بن الوليد البجلي:

دعــوت رب العــزة القدوســا دعــاء مــن لا يقــرع الناقوســا

حتــى أرانــي وجهــك المرغوســا

تعاظَمَ عن ذكرِ العبادِ و لم يزل يقدّسُهُ قبلَ العبادِ كمالُهُ

وقال الحليمي: «القدوس» معناه [الممدوح] بالفضل والمحاسن. والتقديس مضمن في صريح التسبيح، والتسبيح مضمن في صريح التقديس، لأن نفي المذام إثبات للمدائح كقولنا: لا شريك له ولا شبيه، إثبات أنه واحد، وكقولنا: لا يُعجزه شيء، إثبات أنه: قادر قوي، وكقولنا: إنه لا يظلم أحداً، أنه عَدْلٌ في حكمه. وإثبات المدائح له، نفي للمذام عنه، كقولنا: إنه عالم نفي للجهل عنه، وكقولنا: إنه قادر، نفي للعجز عنه.

إلا أن قولنا: هو كذا ظاهرة التقديس. وقولنا ليس بكذا ظاهرة التسبيح [لأن التسبيح موجود في ضمن التقديس، والتقديس موجود في ضمن التسبيح] وقد جمع [الله] تبارك وتعالى بينهما في سورة الإخلاص، فقال عزَّ اسمه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 1-2] فهذا تقديس ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 3-4] فهذا تسبيح والأمران راجعان إلى إقراره وتوحيده ونفي التشبيه والشريك عنه[1].

ومما قدس الله سبحانه به بني آدم، ما أنزله في كتبه وأودع قلوب رسله من حكمته، وما شرع لهم من الطهارة بالماء الطهور، وما شرع لهم من مناجاته في صلاتهم. ثم جعل سبحانه كل شيء يسبح بحمده فهو «السبوح القدوس» بكل اعتبار و«الطاهر المطهر» لكل طاهر، وكل طهارة وطهور فهي منه وإليه، تعود في جنته وحظيرة قدسه. فإذا علمت أن كل طهارة ونزاهة وقدس من قدسه وطهارته ونزاهته، فكذلك كل نور من نوره، وكل علم من علمه، وكل قوة من عزته، إلى منتهى أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فلا مناقضة بين هذا الاسم وبين سائر الأسماء لاحتوائه عليها.

فيجب على كل مخلوق أن يعلم: أن الله سبحانه هو «القدوس» بكل اعتبار وأنه المُنزّه على الإطلاق، وأن طهارته منه وبه.

ثم يجب عليه أن يُقدس نفسه عن الشهوات، وماله عن الشبهات، وقلبه عن الغفلات، وجوارحه عن المخالفات، ومطامعه عن الملاحظات، وذلك بامتثال أوامر ربه

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» (1 / 197)، والتصويب منه.

واحتناب نواهيه، والتأدب بآدابه. فإنه قد يعبر بالتقديس عن الصلاة، ثم عن سواها من الأعمال. من ذلك قولهم: إن أرضاً لا تقدس صاحبها، إنما يقدس الإنسان عمله. فإذا فعل ذلك استنار قلبه وخشع، وظهر ذلك على ظاهره وتعدى ذلك لغيره، فيطهر بطهارته أهله وولده. ثم كذلك على قدر طهارته وطهوريته يطهر غيره.

● ومنها:

11. الزَّكِيُّ
جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

لم يرد في الكتاب ولا في عداد الأسماء، لكن ذكره بعض العلماء، ولم يذكره بعضهم. ووزنه من الفعل: فعيل زكيو، لأنه من الواو، مثل «علي» وقد تقدم.

وأصل الزكاء: استواء صفات الشيء الموصوف به في الخير، فإذا استوى في ذلك ظاهره مع باطنه، وشماله مع يمينه، وآخره مع أوله، فذلك الزكاء الموصوف به «زكي» وقيل للفرد: خسي، فإذا قسم ذلك الفرد فصار زوجاً قيل: هو زكا. وقيل: أصل الزكاء: النمو، يقال منه: زكا الزرع يزكو زكاء، ممدود أي: نما. وأزكاه الله. وهذا الأمر لا يزكو لفلان: أي لا يليق به، وغلام زكي: أي زاكٍ وقد زكا يزكو زكواً وزكاً عن الأخفش.

ويقال للرجل التقي: زكي ومنه: رجال أزكياء. وقيل: أصل الزكاء الطهارة، من ذلك الزكاة المفروضة إذا أعطيت طهرت المال وطيبته، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ [التوبة: 103] وقيل: أصلها: الثناء الجميل، من ذلك زُكِّيَ فلانٌ عند القاضي؛ أي أُثنِيَ عليه.

فالزكي: معناه الطاهر والنامي بالصلاح في وصف المخلوق، وعليه قوله تعالى: ﴿مَا زَكَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ [النور: 21] وقوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾ [الكهف: 73] وقوله: ﴿غُلاماً زَكِيّاً﴾ [مريم: 19] وما أشبه هذا. فإذا وُصِفَ العبد بأنه زكي، فمعناه أنه: طاهر النفس عن أدناس الرذائل، وزاكي العقل بالفضائل أي تام، لأن الزكاة تارة تطلق على التطهير والبراءة عن الأدناس المحظورة وتارة تطلق على النمو والزيادة من

الفعائل المحمودة، وكلاهما في القرآن. ولذلك جمع بينهما تعالى في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة: 232] أي أزكى لعقولكم وأطهر لنفوسكم.

قال الأقليشي: تأمل هذا ما ألطفه وأشرفه فلا يقال لموصوف زكي؛ حتى تجتمع فيه جهات الخير وخصالها ظاهراً وباطناً، وذلك لا يكون حقيقة إلا لله تعالى وحده. فهو سبحانه الزكي على الإطلاق، القدوس السلام الطاهر الطيب في جميع صفاته، المحمود من كل أسمائه. ومن سواه من المتصفين بها فمجاز، وهذا الاسم راجع إلى اسمه «القدوس» وهو يحتمل أن يكون من أسماء الذات، ويحتمل أن يكون من أسماء الأفعال، بأن يزكي أولياءه ويطهرهم ويثني عليهم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 49] أي من غير عمل، وأما من عمل بطاعته واستقام على أمره ونهيه، [وأدى] فرضه ونفله، فذلك الممدوح. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: 14] وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9] وقال: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: 14] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [النساء: 49] يقتضي الغض من المزكي لنفسه بلسانه.

فيجب على كل مسلم أن لا يزكي نفسه ولا يثني عليها، وإنما العبرة تزكية من زكاه [الله تعالى] كرسله وأنبيائه، ففي «صحيح مسلم» عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم. وسُميت برة فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم» قالوا: بم نسميها؟ فقال: «سموها زينب»[1].

فقد دل الكتاب والسُّنَّة على المنع من تزكية الإنسان نفسه. قال علماؤنا: ويجري هذا المجرى ما قد كثر في الديار المصرية، وغيرها من بلاد العراق من نعتهم أنفسهم

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام مسلم (2142) وأبو داود (4953).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ ومعنى هذا الحديث، تغيير الاسم القبيح أو المكروه إلى حسن، وقد ثبتت أحاديث بتغييره ﷺ أسماء جماعة كثيرين من الصحابة. وقد بين ﷺ العلة في النوعين وما في معناهما، وهي التزكية أو خوف التطير، «شرح صحيح مسلم» (244/7) بتحقيقنا.

بالنعوت التي تقتضي التزكية، كزكي الدين، ومحيي الدين، وشبه ذلك لكن لما كثرت قبائح المسمين بهذه الأسماء ظهر تخلف عن النعوت عن أصلها، فصارت لا تفيد شيئاً.

فأما تزكية الغير ومدحه له ففي البخاري: من حديث أبي هريرة؛ أن رجلاً ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي ﷺ: «**ويحك قطعت عنق صاحبك**» يقوله مراراً «**إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسبه الله ولا يزكي على الله أحداً**»[1] فنهى ﷺ عن أن يُقرظ في مدح الرجل بما ليس فيه فيدخل في ذلك الإعجاب والكبر، ويظن أنه في الحقيقة بتلك المنزلة فيحمله ذلك على تضييع العمل وترك الازدياد من الفضائل. ولذا قال ﷺ: «**ويحك قطعت عنق صاحبك**» وفي الحديث الآخر: «**قطعتم ظهر الرجل**»[2] حين وصفوه بما ليس فيه وعلى هذا تأول العلماء قوله عليه السلام: «**احثوا في وجوه المداحين التراب**»[3] رواه المقداد وهذا ثابت في الصحيح.

---

(1) الحديث بطرقه وألفاظه رواه الإمام أحمد (20484) و(20490) و(20506) والبخاري في «صحيحه» (2662) و(6061) و(6162) وفي «الأدب المفرد» (333) ومسلم (3000) وأبو داود (4805) وابن ماجه (3744) وعبد الرزاق (20967) وابن حبان (5766) و(5767) والبغوي (3572) والبيهقي في «السنن الكبرى» (10/242) وفي الأدب (511)، من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه. به. وليس من حديث أبي هريرة كما أشار إلى ذلك المصنف رحمه الله تعالى.

(2) رواه الإمام أحمد (19712) والبخاري (2663)، ومسلم (3001) من حديث أبي موسى رضي الله عنه، قال: سمع النبيُّ ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال: «**لقد أهلكتم ـ أو قطعتم ظهر الرجل**» لفظ مسلم.

(3) رواه الإمام أحمد (23884) والبخاري في «الأدب المفرد» (339) ومسلم (3002) وأبو داود (4804) والترمذي (2393) وابن ماجه (2742) وغيرهم، من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب**» لفظ مسلم.

• ومنها:

12. النَّظِيفُ
جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أَسْمَاؤُهُ

ذكره في الحديث من حديث خالد بن إلياس أو يقال ابن إياس عن صالح بن أبي حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول: «**إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يحب الطيب، نَظيفٌ يُحِبُّ النَّظافة، كريمٌ يُحِبُّ الكَرَم، جَوَادٌ يحبُّ الجُود، فنظفوا ـ أراهُ قال ـ أفنيتكم، ولا تَشَبَّهُوا باليهودِ**» قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ مثله، إلا أنه قال: «**نظفوا أفنيتكم**» خرجه أبو بكر البزار في «مسنده» والترمذي في «جامعه»[1] وقال فيه: حديث غريب، وخالد بن إلياس يُضعف.

قلت: لم يذكره كثير ممن تكلم على الأسماء، وذكره بعضهم، وحجته هذا الحديث ومن عوّل على ما في الصحيح من الأسماء لم يذكره منها.

والنظافة ضدها الوسخ، كما أن الطهارة ضدها النجاسة، فالنظافة معناها قريب من معنى الطهارة، فهي راجعة إلى معنى: التقديس. وقد تنزه ربنا جلَّ وتعالى بسبحات قدسه وَعَليّ جوده عن كل ما يُضاد النظافة والطهارة والخير كله منه وإليه وبيده، والشر ليس إليه. فالنظافة: مباعدة لعيوب خارجة عن عين الموصوف غير لاصقة بذاته، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «**نظفوا أفنيتكم ونظفوا ساحاتكم ولا تشبهوا باليهود**» وقال: «**اليهود أنتن خلق الله عذرة**»[2] يريد أفنية فالنظافة فينا إماطة التفث ومباعدة الشعث والقلح وافتقاد العين من الرمص، وغسل ظاهر الجسد وباطنه من الدنس.

---

(1) في كتاب الأدب (2799) باب (41) ما جاء في النظافة. وإسناده ضعيف.

(2) موضوع رواه وكيع في «الزهد» (1-65/2) من طريق إبراهيم المكي عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر مرفوعاً.

وإبراهيم المكي ـ متروك الحديث، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» والحديث أورده الكحال في «الأحكام النبوية في الصناعة الطبية» (16/2).

فيجب على كل مُسلم أن يُقدس ربَّه ويطهره وينزهه عما لا يليق به، ثم عليه أن يتفقد نفسه ويزيل عنه درنه ظاهره وباطنه. قال رسول اللّه ﷺ: «**خمس من الفطرة الاختتان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط**»[1]. رواه أبو هريرة في رواية «**عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنتيف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء**». قال مصعب بن شيبة: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. قال وكيع: انتقاص الماء يعني: الاستنجاء[2]، روته عائشة أخرجهما مسلم. وفي التنزيل: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: 120].

روى ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها اللّه هباءً منثوراً**» قال ثوبان: يا رسول اللّه، صفهم لنا، حلهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: «**إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم اللّه انتهكوها**»[3] روى شداد بن أوس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن أخوف ما أتخوف على أمتي الإشراك باللّه أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير اللّه وشهوة خفية**»[4] وروى أبو سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قال: فقلنا: بلى يا رسول اللّه قال: «**الشرك الخفي أن يقوم**

(1) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (1709) في صفة النّبيّ ﷺ وأحمد (7142) والبخاري (5889) ومسلم (257) وأبو داود (4198) والترمذي (2756) والنسائي (9) و(10) و(11) وابن ماجه (292) وغيرهم.

(2) رواه الإمام أحمد (25114) ومسلم (261) وأبو داود (53) والترمذي (2757) والنسائي (5055) وابن ماجه (293) والبغوي (205) وغيرهم من حديث السيدة عائشة رضي اللّه عنها.

(3) رواه ابن ماجه في الزهد (4245) باب (29) ذكر الذنوب وإسناده صحيح.

(4) رواه ابن ماجه في الزهد (4205) باب (21) الرياء والسمعة. وإسناده حسن.

الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»[1] خرج هذه الأحاديث الثلاثة ابن ماجه ـ رحمه الله ـ فواجب على كل مسلم تنظيف أعماله وتنقيتها من الرياء، وأمواله من الربا. جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه بمنه.

• ومنها:

13. الطَّاهِرُ

جلّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

لم يرد في حديث الأسامي ولا في الكتاب اسماً وجاء فعلاً فقال: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: 11] وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: 33] وروى ابن ماجه عن [السيدة] عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أسألك باسمك الطهر الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت وإذا استرحمت به رحمت وإذا استفرجت به فرجت**» قال: فقال ذات يوم: «**يا عائشة هل علمت أن الله قد دلني على الاسم الذي إذا دُعي به أجاب؟**» قالت: فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فعلمنيه قال: «**إنه لا ينبغي لك يا عائشة**» قالت: فتنحيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت: يا رسول الله علمنيه قال: «**إنه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلمك إنه لا ينبغي أن تسألي به شيئاً للدنيا**» قالت: فقمت وتوضأت ثم صليت ركعتين ثم قلت: «**اللهم إني أدعوك الله وأدعوك الرحمن وأدعوك البر الرحيم وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت وما لم أعلم أن تغفر لي وترحمني**». قالت: فاستضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «**لفي الأسماء التي دعوت بها**»[2].

---

(1) رواه ابن ماجه في الزهد (4204) وإسناده ضعيف.

(2) رواه ابن ماجه في الدعاء (3859) باب (9) الاسم الأعظم، وتعقبه الإمام البوصيري في «الزوائد» بقوله: في إسناده مقال، وعبد الله بن عكيم، وثقه الخطيب وعدَّه من الصحابة، ولا يصح له سماع، وأبو شيبة لم أر من جرّحه ولا من وثقه، وباقي رجاله ثقات.

يقال منه طَهَر الشيء وطَهُر أيضاً بالضم يطهر طهوراً وطهارة فيها. والاسم: الطهر، وطهرته أنا تطهيراً وتطهرتُ بالماء ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82] أي يتنزهون من الأدناس، ورجل طاهر الثياب: أي منزه. وثياب طهارى، نقية على غير قياس أنهم جمعوا طهرانَ. قال امرؤ القيس:

ثيابُ بَني [عَوْفٍ] طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُم عِنْدَ المَشَاهِدِ غُرَّانُ[1]

والطهر: نقيض الحيض، والمرأة طاهر من الحيض، وطاهرة من النجاسة ومن العيوب، والطَهَر: بالفتح ما يتطهر به كالفطور والسحور والوجور[2]، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ [الفرقان: 48] والمَطهرة والمُطهرة: الإداوة والفتح أعلى. والجمع: المطاهر سميت بذلك، لأنها تزيل درن من يتطهر بها.

فالله سبحانه الطاهر على الإطلاق، والمقدس عن الأدناس، البريء عن النقائص والمعائب، والمُنزه عن الآفات والشوائب، المُطهر لمن شاء من عبيده بما منحهم من توفيقه ورزقهم من طاعته وتوحيده. فكل طهارة منه فضل، وغيرها منه عدل. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28].

قلت: فيجب على كل مُكلف أن يعلم أن الطهارة الكاملة لله، والنزاهة المطلقة له، وأن كل طهارة منه وبه، كما تقدم في اسمه «القدوس» ثم يجب عليه أن يُطهر نفسه من درن الذنوب والأقذار، ويزيل عنها كل ما يشينها ويوقعها في العراء، قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**» روته عائشة وأخرجه النسائي وغيره[3].

وقال ﷺ: «**إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب، يمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم**

---

(1) «تاج العروس» (148/7) مادة ـ طهر ـ والتصويب منه.

(2) الوجور: جمع وجرة، وهي الكهف أو الحفرة تكون في الجبل. «تاج العروس» (585/7) مادة ـ وجر ـ.

(3) رواه الإمام أحمد (24203) و(24925) والنسائي في الطهارة (5) باب (5) الترغيب في السواك. وأورده البخاري في «صحيحه» تعليقاً في الصوم باب (27). وهو حديث حسن.
وفي الباب عند أحمد (7) وغيره من حديث أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

خمس مرات فما ترونه يبقي من درنه؟» هذا لفظ الموطأ[1]. وروى أبو هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» أخرجه البخاري ومسلم[2].

● ومنها:

14. الطَّيِّبُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

لم يأت في خبر الأسامي ولا في الكتاب.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: واجتنبه كثير من الناس لأنهم لم يُقَدِّرُوا قدرهُ ولا علموا صحته. قلتُ: قد جاء ذكره في حديث عائشة وقد ذكرناه في اسمه «الطاهر» و«النظيف» وخرَّج مُسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إنَّ اللَّهَ طيبٌ لا يقبلُ إلا طَيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [المؤمنون: 51] وقال:

---

(1) (174/1) بلاغاً عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، به. ووصله الإمام أحمد (1534) وابن خزيمة (310) والحاكم (200/1) وابن عبد البر في «التمهيد» (24/224) واللفظ لأحمد من طريق عبد الله بن وهب، قال: حدثني مخرمة، عن أبيه، عن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص، قال: سمعت سعداً وناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كان رجلان أخوان في عهد رسول الله ﷺ وكان أحدهما أفضل من الآخر، فتُوفِّي الذي هو أفضلُهما، ثم عُمِّرَ الآخر بعده أربعين ليلة، ثم تُوفِّي، فذُكِرَ لرسول الله ﷺ فضل الأول على الآخر، فقال: «**ألم يكن يُصلِّي؟**» فقالوا: بلى يا رسول الله، فكان لا بأس به. فقال: «**ما يُدْرِيكُم ماذا بلغت به صلاته؟**» ثم قال عند ذلك: «**إنَّما مثل الصَّلاة كمثل نهرٍ جارٍ بباب رجلٍ، غمرٍ عذبٍ، يقتحم فيه كلَّ يومٍ خمس مرات، فماذا ترون يُبقي ذلك من درنه؟**» وإسناده على شرط مسلم.

(2) الحديث بألفاظه وطرقه رواه الإمام أحمد (8933) والبخاري (528) ومسلم (667) والترمذي (2868) وأبو عوانة (2/20) والدارمي (1183) والنسائي (461) وابن حبان (1726) والبغوي (342) وغيرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]». ثم ذكر الرجل «**يُطِيلُ السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام فأنى يُستجاب لذلك**»[1].

ولا خلاف في جريانه على غير اللّه تعالى، كما قال: **﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾** [النور: 26] وقال النبي ﷺ لعمار: «**مرحباً بالطيب المطيب**»[2] يعني الطاهر. وقال علي: لما غسّل رسول اللّه ﷺ بأبي أنت وأمي طيب حياً وميتاً. وذلك أنه لم يجد منه ما يوجد من الميت حين تناول سفلته. وقال النبي ﷺ في المدينة: «**طابة وطيبة**»[3] يعني تنفي الخبث والخبيث.

فالطيب ضده الخبيث، فكأن الطيب مُباعد لعيوب هي ملاصقة بأصل الخلقة، تضاد الصفات المحمودة. والنظافة مباعدة لعيوب خارجة كما ذكرنا.

وهذه الأسماء كلها: «زكي» «نظيف» «طيب» «جميل» يحمل على أنها من أسماء السلب في حق اللّه تعالى، فمعنى «أن اللّه طيب» أي منزه عن النقائص والخبائث فيكون بمعنى «القدوس» وقيل: طيب الثناء، ومستلذ الأسماء عند العارفين بها، وعلى هذا «فطيب» من أسمائه الحسنى ومعدود في جملتها المأخوذة من السُّنَّة «كالجميل» و«النظيف».

---

(1) رواه الإمام أحمد (8356) ومسلم (1015) والترمذي (2989) وقد تم تصريبه من «صحيح مسلم».

(2) رواه الإمام أحمد (1033) والترمذي (3798) وابن ماجه (146) وابن حبان (7075) وغيرهم بإسناد صحيح من حديث علي رضي اللّه عنه، قال: جاء عمار يستأذن على النَّبيِّ ﷺ فقال: «**ائذنوا له، مرحباً بالطَّيِّب المُطَيَّب**».

(3) روى الإمام أحمد (21653) والبخاري (1884) ومسلم (1384) وغيرهم من حديث زيد بن ثابت رضي اللّه عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنها طيبة** - يعني المدينة - **وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة**».

وروى الإمام أحمد (20953) ومسلم (1385) والطبراني (1892) وغيرهم من حديث جابر ابن سَمُرة رضي اللّه عنه، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إن اللّه تعالى سمى المدينة طابة**». لفظ مسلم.

قلت: فطيب على هذا من صفات الذات، ويكون من صفات الأفعال، بأن طَيَّبَ أولياءه وطَيَّبَ لهم الجنة. قال الله تعالى مُخبراً عن الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر: 73] أي طبتم في الدنيا، وطابت أعمالكم. وقال: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 4] قيل: المعنى طيبها لهم، ومنه طعام مُعرف، أي مُطَيَّب. والتعريف: التطييب، من العرف.

قال الجوهري: ثم على العبد أن يجتهد في أن يكون طَيِّباً، أي عفيفاً كريماً، لا تتعلق به ريبة ولا يتهم بها. قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ يريد العفائف، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ [النور: 26] أي منزهون. وقال النابغة:

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

يريد أنهم أعفاء للزوج. يقال: فلان طيب الحجزة، وطيب معقد الإزار إذا كان عفيف الفرج نقياً من الدنس. ثُمَّ لا يُنفق إلا طيباً، ولا يأكل إلا طيباً كما جاء في الحديث[1]. وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 267] ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276] أي ما كان حلالاً طيباً تقبل، وما كان حراماً خبيثاً، محق وأبطل. فاختر لنفسك ما تجده يوم فقرك، فلا يصحب المرء إلى القبر إلا ما قَدَّمَ من صالح عمله.

• ومنها:

15. الجَمِيلُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ

وذكره الكثير من العلماء وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال الكبر**

(1) المتقدم ثمة من رواية مسلم (1015) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً...**» الحديث.

بطر الحق وغمط الناس»[1].

---

(1) في الإيمان (91) باب (39) تحريم الكبر وبيانه. ورواه الإمام أحمد (3789) وأبو داود (4091) والترمذي (1999) وابن ماجه (4173) وغيرهم. ومعنى قوله ﷺ: «وغمط الناس» يعني: احتقارهم.

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في «شرح صحيح مسلم» (2/ 162-163)، بتحقيقنا: وقوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» اختلفوا في معناه. فقيل: إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل، وله الأسماء الحسنى، وصفات الجمال والكمال. وقيل: جميل بمعنى مجمل، ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع. وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: معناه جليل. وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة، أي مالكهما. وقيل: معناه جميل الأفعال بكم، باللطف والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل، ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل، ويشكر عليه.

واعلم أن هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح، ولكنه من أخبار الآحاد، وورد أيضاً في حديث الأسماء الحسنى وفي إسناده مقال، والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى، ومن العلماء من منعه.

قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين رحمه الله تعالى: ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالى وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من إطلاقه منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع، ولو قضينا بتحليل أو تحريم لكنا مثبتين حكماً بغير الشرع، قال: ثم لا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به في الشرع، ولكن ما يقتضي العمل، وإن لم يوجب العلم، فإنه كاف؛ إلاّ أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل، ولا يجوز التمسك بها في تسمية الله تعالى ووصفه. هذا كلام إمام الحرمين، ومحله من الإتقان والتحقيق بالعلم مطلقاً، وبهذا الفن خصوصاً، معروف بالغاية العليا.

وأما قوله: لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم. لأن ذلك لا يكون إلاّ بالشرع، فهذا مبني على المذهب المختار في حكم الأشياء قبل ورود الشرع، فإن المذهب الصحيح عند المحققين من أصحابنا أنه لا حكم فيها لا بتحليل ولا تحريم ولا إباحة ولا غير ذلك، لأن الحكم عند أهل السنة لا يكون إلاّ بالشرع.

وقد قال بعض أصحابنا: إنها على الإباحة، وقال بعضهم: على التحريم، وقال بعضهم: على الوقوف لا يعلم ما يقال فيها، والمختار الأول، والله أعلم.=

ولا خلاف في إجرائه على العبد وصفاً وفعلاً، يقال منه: جَمُل الشيء يجمُل فهو جميل، كما يقال: قَبُحَ يَقْبُحُ فهو قَبيحٌ. فالجمَّالُ مأخوذٌ من الجملة، وهو اجتماع أشياء إلى شيء واحد، يكون ذلك الشيء عماداً لها. ومنه قيل للشحم المذاب: جميل، لأنه جَمُلَ، أي أذيبَ فتجمعت أجزاؤه واختلطت، فعاد بذلك شيئاً واحداً. ويقال من ذلك: اجتمل فلان إذا ادهن بالجميل وقيل: امرأة جميلة؛ إذا اجتمع لها صفات الحسن. وينطلق عليها اسم حسناء: إذا كانت محسنة الصفات ولا ينطلق عليها اسم جميلة حتى تكون مع ذلك عبلة الجسم.

ابن العربي: والجمال قد يكون عاماً في جميع أجزاء الصورة، وقد يكون خاصاً في أكثرها، أو في بعضها. فللشعر أوصاف الأسود الأسبط أحسنه، وللون أوصاف الأبيض المشرب أحسنه، وللعين أوصاف الكحل أحسنه، وللأنف أوصاف الشمم أحسنه، وللعنق أوصاف الجيد أحسنه، وهكذا في جميع الأجزاء. فإذا كانت الصورة على وصف الجمال في بعض الأعضاء فأدركها البصر، فألقى إلى النفس ما أدرك، مالت النفس إليها بحسب ذلك المقدار، إن كان كثيراً فكثيراً، وإن كان قليلاً فقليلاً. حتى لو اتفق أن يكون كل جزء من الصورة مخصوصاً بوصف جمال، فيكون الجمال عاماً فيها لكانت النفس متعجبة منها مستغربة فيها. وذلك لما لم يكن في المخلوقات وإنما هو في الحور العين ما خلا يوسف ﷺ فقد روي أنه أُعطي شطر الحسن.

واختلف العلماء في تأويله فمنهم من قال: معنى الشطر النصف. ومنهم من قال: معناه أوتي الحسن كله. أخذه من معنى الشطر في اللغة، وهو القصد والنحو أي جُعل

=وقد اختلف أهل السُّنَّة في تسمية الله تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه، فأجازه طائفة ومنعه آخرون إلاّ أن يرد به شرع مقطوع به، من نص كتاب الله أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه، فإن ورد خبر واحد فقد اختلفوا فيه، فأجازه طائفة وقالوا: الدعاء به والثناء من باب العمل وذلك جائز بخبر الواحد، ومنعه آخرون لكونه راجعاً إلى اعتقاد ما يجوز أو يستحيل على الله تعالى، وطريق هذا القطع. قال القاضي: والصواب جوازه لاشتماله على العمل، ولقول الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: 180]، والله تعالى أعلم.

أحسنه على قصد واحد، ونحو واحد، لم يخصّ به عضو دون عضو. وكأنه قد أوتي جميع وجوه الجمال في جميع الأجزاء، وهو الأصح في تأويله. فقد رأيت صوراً أوتيت أكثر وجوه الجمال.

قال الجوهري: والجمال الحسن، وقد جمل الرجل، فهو جميل. والمرأة جميلة وجملاء، عن الكسائي. وأنشد:

وهي جملاء كبدر طالع بذت الخلق جميعاً بالجمال[1]

وقول أبي ذؤيب:

جَمَالَكَ أيُّها القلبُ الجريحُ[2]

يريد الزم تجمُّلَكَ وحياتك[3] ولا تجزع جزعاً قبيحاً، والجُمَّال ـ بالضم والتشديد ـ أجمل من التجميل. فجمل الله سبحانه عبارة عن أسمائه الحسنى وصفاته العلى، لأن القبائح إذا لم تلق به لم يجز أن يشتق اسمه من أسمائها وإنما تشتق أسماؤه من صفاته التي هي كلها مدائح، ويتعالى عن جمال الصورة التي هي تُناسب الحسن في الأجزاء لأنه ليس بمركب، ولا بمتجزئ، ولا متصور، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فإن قيل: إذا أحلتم جمال الصورة وحسنها في خلق البارئ، فما معنى قوله في الحديث: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»[4]؟ فالجواب من وجهين:

---

(1) ذكره في «لسان العرب» مادة ـ جمل ـ والزبيدي في «تاج العروس» (121/14) مادة ـ جمل ـ.

(2) وصدره كما جاء في «تاج العروس» (121/14) مادة ـ جمل:

ستلقى من تُحِبُّ فَتَسْتَرِيحُ

(3) في «تاج العروس»: وحياءَك بدلاً من حياتك.

(4) جزء من حديث رواه الطبراني في «الكبير» كما جاء في «مجمع الزوائد» (1/1222)، من حديث أبي رافع رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسولُ الله مشرق اللون يُعرف السرور في وجهه، فقال: «**رأيت ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: يا ربي في الكفارات. قال: ما الكفارات؟ قلت: إبلاغ الوضوء أماكنه على الكريهات، والمشي على الأقدام إلى الصلوات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة**».

قال الهيثمي: وفيه عبد الله بن إبراهيم بن الحسين، عن أبيه، ولم أر من ترجمهما.

أحدهما: أن يكون ذلك عائداً إلى الرائي، أي وأنا في أحسن صورة.

والثاني: أن يكون المعنى رأيته في أحسن صفة، أي راضياً والله أعلم.

وقال الخطابي: الجميل هو المجمل المحسن، فعيل بمعنى مفعل. وقاله القشيري. وقد يكون الجميل معناه ذو النور والبهجة أي مالكهما. وقال القشيري أيضاً: معناه معنى الجليل. وقيل: المعنى جميل الأفعال بكم والنظر لكم يكلفكم اليسر ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه، فهو يحب الجمال منكم، أي: التجمل في قلة إظهار الحاجة إلى غيره. قاله أبو بكر الصوفي.

قلت: فهذا الاسم من أسماء الذات ومن أسماء الأفعال وفي «صحيح مسلم»[1] عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال:

«إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور» وفي رواية: **«النار لو كشفها لأحرقتْ سُبحاتُ وجهِهِ كل ما انتهى إليه بصره من خلقه»**[2].

---

(1) في كتاب الإيمان (179) ورواه الإمام أحمد (19547) وابن ماجه (195) و(196) والطيالسي (491) وابن حبان (266) وابن منده (775).. وغيرهم.

(2) قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح صحيح مسلم» (2/293-294):

قوله ﷺ: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، وفي رواية: النار، لو كشفه لأحرقتْ سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» أما قوله ﷺ: «لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» فمعناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه يستحيل في حقه النوم، فإن النوم انغمار وغلبة على العقل، يسقط به الإحساس، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو مستحيل في حقه، جل وعلا. وأما قوله ﷺ: «يخفض القسط ويرفعه» فقال القاضي عياض: قال الهروي: قال ابن قتيبة: القسط الميزان، وسمي قسطاً؛ لأن القسط العدل، وبالميزان يقع العدل. قال: والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه ما يوزن من أعمال العباد المرتفعة، ويوزن من أرزاقهم النازلة إليهم، وهذا تمثيل لما يقدر تنزيله، فشبه بوزن الميزان. وقيل: المراد بالقسط الرزق، الذي هو قسط كل مخلوق، يخفضه فيقتره ويرفعه فيوسعه، والله أعلم.=

قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ السبحات: جمع سُبحة وأصلها جمال الصورة وبهاؤها، ثم يُعبر بها عن العظمة والجلال. في «العين» و«الصحاح» سبحات وجه ربنا جلاله والهاء في «بصره» عائد على الله تعالى وهو الذي عاد عليه ضمير «وجهه» وكذلك ضمير «خلقه» ومعنى الكلام: أن الله تعالى لو كشف عن الخلق ما منعهم من رؤيته في الدنيا لما أطاقوا رؤيته ولهلكوا من عند آخرهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: 143] وفيه قول غير هذا وسيأتي إن شاء الله.

فيجب على كل مُكلَّف أن يعتقد أن الجمال كله لله تعالى، على ما وصفنا. وأن كل جمال منه وبه، ثم يجب عليه أن يتجمل بالطاعات والأعمال الصالحة، ويُجمِّل باطنه كما يجمل ظاهره، وذلك بتصفيته من الأوضار، كالغل والحسد والشماتة وسوء الظن إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة، والبدع الضالة المضلة، فيكون قلبه موافقاً ظاهره فيجمل به أهله وولده ومن عاشره وخالطه، ثم إن تفضل الله تعالى على عبده

=وأما قوله ﷺ: «يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل» وفي الرواية الثانية: «عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار» فمعنى الأول، والله أعلم، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده، وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده. ومعنى الرواية الثانية: يرفع إليه عمل النهار في أول الليل الذي بعده، ويرفع إليه عمل الليل في أول النهار الذي بعده، فإن الملائكة الحفظة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار، ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل، والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» فالسبحات، بضم السين والباء ورفع التاء في آخره، وهي جمع سبحة، قال صاحب «العين» والهروي وجميع الشارحين للحديث [14/3] من اللغويين والمحدثين: معنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر، وحقيقة الحجاب، إنما تكون للأجسام المحدودة، والله تعالى منزه عن الجسم والحد. والمراد هنا المانع من رؤيته، وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما، والمراد بالوجه الذات، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات، لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات. ولفظة «من» لبيان الجنس لا للتبعيض، والتقدير: لو أزال المانع من رؤيته، وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً، وتجلى لخلقه، لأحرق جلالُ ذاته جميع مخلوقاته، والله أعلم.

بجمال في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ ليتم عليه نعمته وفضله، فالواجب إذاً شكر ذلك للمنعم المتفضل. ولا يخال لأجل ذلك ولا يتكبر ولا يزهو على غيره، فيكون كفر نعمة اللّه عليه. ولهذا ما جاء في الحديث: «**وآفة الجمال الخيلاء**» وكذلك لا يتعرض بجماله لمعصية ربه، وهذه الآفة ربما اعترضت نعمة الجمال فعرضتها للزوال والنقص والاضمحلال ﴿**وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ**﴾ [سبأ: 17].

• **ومنها:**

16. 17. المَجِيدُ والمَاجِدُ
جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

وقد ورد المجيد بعد اسمه «الودود» في «سورة البروج» وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة. وفي صحيح الحديث: «**إنك حميد مجيد**»[1] ويجوز إجراؤه على العبد إذا كان له مجد ولا خلاف في ذلك.

قال الجوهري: المجدُ: الكَرَمُ، والمجيد: الكريم. وقال: مجد الرجل ـ بالضم ـ فهو مجيد، وماجد. ويقال: ظريف من ظرف، وكريم: من كرم، لكنه لم يرد ظارف ولا كارم. وورد ماجد، من مجد. قال النابغة:

لهم لواء بيدي ماجدٍ بطلٍ ... لا يقطع الخرق إلا طرفه سامي

ويقال المجيد: الشريف. قال اللّه تعالى: ﴿**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾ [ق: 1] معناه واللّه أعلم: والقرآن الشريف. وكذا قوله الحق: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ**﴾ [البروج: 21] لأن

---

(1) روى الإمام أحمد (18127) والبخاري (3370) ومسلم (406) وأبو داود (976) وغيرهم من طريق ابن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة رضي اللّه عنه، فقال: ألا أهدي لك هدية؟ خرج علينا رسولُ اللّهِ ﷺ، فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» لفظ مسلم.

قال العلماء: البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: هي بمعنى التطهير والتزكية. واللّه تعالى أعلم.

كلام الله جلَّ وعزَّ غير مخلوق. والمجدُ في كلام العرب: الشرف الواسع. يقال: رجل ماجد، إذا كان سخياً مُفْضِلاً، كثير الخير. ومجيد للمبالغة.

قال ابن العربي: والمجيد والماجد وردا معدودين في حديث أبي هريرة المفسر، ولو صح تعديدهما اسمين مع أن المجيد فعيل من فاعل لصح تقدير العالم والعليم والعلام، ثلاثة أسماء، وقد ورد القرآن بجميعها وهذا ما لا يصح في معقول ولا يقوله أحد من أهل المعرفة بالأصول، اللهم لو أراد عادّ عدّ الأسماء كلها لصح له ذلك إذ هي من جملة أسمائه، فأما إن أراد بالإحصاء التسعة والتسعين وكرر منها صيغتين في اسم ليكمل له بذلك العدد المقصود، لزمه أن يكرر أبنية سائر الأسماء والأركان متحكماً تحكماً محضاً لا وجه له، وهذا يدل على أن ذلك التفسير إنما هو من قول بعض الرواة لا يلحقهم التقصير ويجوز عليهم التناقض في أقوالهم.

قلت: فيما قاله نظر وقد تقدم القول في ذلك وإذا كان الله عزَّ وجلَّ أخبر عن نفسه بأنه عالم الغيب، وعليم، وعلام، ومالك، وملك، ومليك، فمعلوم أن كل اسم له مزية على الآخر، إما من جهة المبالغة، أو المعنى فلا يكون ذكرهما تكراراً من غير فائدة كما ذكرنا.

قال الأقليشي: وردت الصفتان عند الترمذي فلا بد أن نحملهما على التعدد فبهما تكتمل الأسماء تسعة وتسعين، وحملها على التعدد يكون من وجهين:

أحدهما: أن يكون الماجد من صفات الذات، ويكون «المجيد» بمعنى: الممجد فيكون من صفات الأفعال.

والوجه الثاني: أن يكون «الماجد» و«المجيد» معاً من صفات الذات، وتكون المبالغة في «المجيد» تعطي مزية معنى. فيكون «الماجد» الذي له المجد من ذاته لذاته، ويكون «المجيد» الذي له مع المجد الذاتي تمجيد لنفسه، وتمجيدٌ من عباده له بما هو عليه من المجد.

وقال أبو القاسم الزجاجي: واشتقاق «المجيد» من قول العرب: أمجدت الدابة علفاً، إذا أكثرته لها. فكان «المجيد» المبالغ في الكرم المتناهي فيه.

وقال ابن السكيت: الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال: رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف. قال: والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن لهم آباء لهم شرف.

الهروي: قول ابن السكيت: يكون بالآباء خطأ، لأنه قد جاء في صفات الله تعالى «المجيد» كما جاء الكرم، والله يتعالى عن الآباء والأبناء، وقد يوصف بالمجد القرآن وغيره ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: 21-22] وقال: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: 15] فخفض الدال نعتاً للعرش وقيل: (لربك) أي أن: بطش ربك المجيد لشديد. وبه قرأ الكوفيون إلا عصاماً. وزعم ابن العربي في «الأمد» له أن القراء اتفقوا عليه «المجيدُ» برفع الدال اتباعاً لقوله: ﴿مَجِيدٌ﴾ وهو الله.

قلت: وهذا سهو منه وغفلة ونسيان منه ووهلة، وما قاله ابن السكيت يعقوب من أن الشرف والمجد يكونان بالآباء صحيح، وذلك بالنسبة إلينا لا فيما كان صفة لله تعالى ومختصاً به والله أعلم.

والمجد في كلام العرب: عبارة عن اجتماع أوصاف مع الاتساع والكثرة في جميعها وفي المثل: في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار[1]. أي استكثر كأنما أخذا

(1) قال الزبيدي في «تاج العروس» (311/4) مادة ـ مرخ ـ:

المرخ من شجر النار، معروف، سريع الوري كثيره، وفي المثل: «في كل شجرة نار، واستمجد المرخ والعفار» واستمجد: استفضل. قال أبو حنيفة: معناه اقتدح على الهُوينى فإن ذلك مُجزئ إذا كان زنادك مرخاً. وقيل: العفار: الزَّند وهو الأعلى، والمرخ الزَّندة، وهو الأسفل. قال الشاعر:

إذا المَـرْخُ لم يُـورِ تَحْـتَ العَفَـارِ
وضُـنَّ بقِـدْرٍ فلـم تُعْقَـبِ

وقال أبو حنيفة: المرخ من العضاه، وهو ينفرش ويطول في السَّماء حتى يُستظلَّ فيه، وليس له ورقٌ ولا شوكٌ، وعيدانه سلبة قضبان دقاق، وينبت في شعبٍ وفي خشب، ومنه يكون الزِّناد الذي يُقتدحُ به، واحدتُه مرخة. وقول أبي جُنْدَبٍ:

فـلا تَحسَبَنْ جَاري لـدَى ظِلِّ مَرْخـةٍ
ولا تَحْسَـبَنْه فَقْـعَ قـاعٍ بقَرْقَـرِ ـ

من النار وهو حسبهما. وقال: لأنهما يسرعان الوري. فشبها بمن يكثر العطاء طالباً للمجد. ومن كلام العرب: مجدت الإبل تمجد ـ بفتح العين في المستقبل وضمها في الماضي ـ إذا وقعت في مرعى كثير واسع. وأمجدها الراعي أيضاً. ورجل ماجد: مفْضَال كثير الخير. ومجيد في المبالغة. فالمجد أصله في كلامهم: السعة يقال: رجل ماجد؛ إذا كان سخياً واسع العطاء. والقوم في مجد أي في سعة وخصب. ورجال أمجاد إذا كانوا كرام الأفعال، ذوي أحساب وسعة.

وقد يراد بالمجد التعظيم. قال أمية بن أبي الصلت:

مجدوا اللّه وهو للمجد أهل

وقال النابغة:

لهم لواء بيدي ماجدٍ بطل

وقد تقدم جميعه. وإذا تقرر أن المجد راجع إلى معنى: الكثرة، فمجد الباريء تعالى كثرة تخرج عن طريق البشر في العد والإحصاء، كما قال النبي ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1] فلا كمال إلا وهو له، ولا نقص إلا وهو منزه عنه، فهو سبحانه المجيد بالحقيقة والشريف على الإطلاق.

-حصُّ المَرْخَةَ لأنّها قليلة الورق سخيفة الظل. وقال أبو زياد: ليس في الشجر كلّه أورى ناراً من المرخ. قال: وربما كان المرخ مُجتمعاً مُلتفاً وهبَّت الريح وجاء بعضه بعضاً فأورى فأحرق الوادي، ولم نَرَ ذلك في سائر الشجر.

قال الأعشى:

زِنَادُكَ خَيرُ زِنَادِ المُلو
لِكِ خالَطَ فيهنّ مَرْخٌ عَفَارَا
ولو بِتَّ تَقْدَحُ في ظُلْمَةٍ
حَصَاةً بنَبْعٍ لأوْرَيْتَ نارَا

(1) أخرجه مسلم في الصلاة (486) وأخرجه أحمد (24118) و(24684) و(24897) و(25200) و(25218) و(9/25489) و(25663) و(25696) و(26129) و(26130) و(9/26353) وأبو داود (872) والنسائي في «المجتبى» (1047) و(1133) وفي «الكبرى» (1/636) و(1/720)-

قال الحليمي: المجيد المنيع المحمود، لأن العرب لا تقول لكل محمود مجيد، ولا لكل منيع مجيد، وقد يكون الواحد منيعاً غير مجيد. كالمخامر الخليع الجائر، أو اللص المتحصن ببعض القلاع، وقد يكون محموداً غير منيع كأمير السوقة، والصابرين من أهل القبلة. فلما لم يقل لكل واحد منهما مجيد، علمنا أن المجيد من جمع بينهما فكان منيعاً لا يرام، وكان في منعته حسن الخصال جميل الفعال. والبارئ تعالى جلَّ ثناؤه يُجلُّ عن أن يرام

=و(7693) و(7723) و(6/11687) وابن حبان (1899) وابن خزيمة (606) وعبد الرزاق (2884) وأبو عوانة (167/2) والبغوي في «شرح السنة» (625) والبيهقي (87/2 و109/).

حديث أبي هريرة، عن السيدة عائشة رضي الله عنهما، قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» لفظ مسلم.

وقولها: وهو يقول «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه.

وقوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك» أي لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به، وقال مالك رحمه الله تعالى: معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء عليك.

وقوله ﷺ: «أنت كما أثنيت على نفسك» اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء والتعيين، فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه، لأن الثناء تابع للمثنى عليه، وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه، فقدر الله أعظم مع أنه متعال عن القدر وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ، وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة في جواز إضافة الشر إلى الله تعالى كما يضاف إليه الخير لقوله ﷺ: «أعوذ بك من سخطك ومن عقوبتك» والله أعلم. «شرح صحيح مسلم للنووي» (297/3).

وأن يوصل إليه. وهو مع ذلك مُحسنٌ مُفضلٌ لا يستطيع العبد أن يحصي نعمته ولو استنفد فيه مدته فاستحق اسم المجيد وما هو أعلى منه[1].

وقال بعض العلماء: للمجد أربعة أركان، ولا يكون ماجداً موجوداً وجود كمال، إلا باجتماعها وهي: الملكُ والسلطان وكثرة الجدة وكرم الأفعال. فإذا كان الملك قد تمكن سلطانه، وكثرت مماليكه، وازدحمت حوائج العبيد عليه، مع رفعة منزلته صفوحاً عن الجاني، كثير العفو عن المسيء، غافراً للزلات قابلاً للمعاذير، حسن الإجابة للصريخ، مكسباً للمعدوم، يكرم الوفود. ويغيث الملهوف. ويحمي البيضة ويَذُبُّ[2] عن الحريم فهو ماجد. وقد مُجِّدَ بكرم فعله وشريف مرتبته وعلو منزلته، فكيف بملك لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسن وصفه. فهو الماجد على الإطلاق والمجيد. فالمجد إذاً: كرم الأفعال، وتمكن الملك والسلطان، وكثرة الأفضال. ولهذا قال بعض المَسُودِينَ لقومه: إنما سدتكم ببذل المال وحماية الحريم والكف عنكم مع الإفضال عليكم، فمن فعل فعلي فقد ساواني ومن سبقني فقد سادني، ومن زدت عليه فقد سدته.

ابن العربي: وقال بعض الأشياخ: «المجيد» هو الشريف ذاته الجميل فعاله الجزيل نواله[3]. وذلك لأن أشرف الذات إذا قارنه حسن الفعال، وكثرة العطاء، كان مجداً. وكأنه يجمع اسم «الجليل» و«الوهاب» و«الكريم».

ابن العربي: وهو بعيد من أربعة أوجه: أحدها أنه ـ دوي لا تشهد لها لغة ولا يعضدها أثر، وليس لدليل العقل فيها مدخل.

والثاني: أن التعين لمعاني الأسماء إنما تكون بالنظر إلى اشتقاقها ومقتضاها في اللغة، وإما أن يكون بما يرد في تفسيرها في الآثار. وهذا البعض الذي ذكره لا تعطيه اللغة ولا ورد به أثر.

---

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (197/1)، وقد تم التصويب منه.

(2) يذب: أي يدافع ويحمي ويمنع العدوان.

(3) نواله: أي خيره وعطاءه.

الثالث: أنه يعارض بوجوه منها ـ وهو أقواها ـ أن يقال لـه بـل المجيـد: الشـريف الذات، الكامل الصفات، الجميل الأفعال، فلم حذفت ركن كمال الصفات؟ وهو أولى وأعظم من جمال الأفعال.

الرابع: أن يقال: بل المجيد: الشريف الذات، الكـامل الصفـات الغفـور، للخطايـا الموبقات[1]، المضاعف للثواب والحسنات. وهـذه معارضـات لا جـواب عنهـا، وتكـثر أمثالها في معنى لهذا التعيين بحال.

ثم قال ـ رحمه الله ـ: واختلف علماؤنا في كون هذا الاسم من صفات الـذات أو من صفات الأفعال فقـال: قـال بعضهـم: اتفـق معظـم أصحابنـا علـى أن «المجيـد» مـن صفات الأفعال، إذ هو عبارة عن كثرة العطاء. وقال بعض الأشياخ: هو شرف الذات، وكثرة النوال على ما قدمنا.

قال ابن الحصار: شرف الذات يجمعه: شرف الجلال والكمـال، والنزاهـة المطلقـة عن جميع النقائص. وذلـك يتضمـن كـرم الأفعـال وشـرفها أيضـاً. و«مجيـد» أبلـغ مـن «ماجد» وهذا لا يتصور فيه اختلاف ممـن يعقـل اللسـان العربـي. فـإذا كـان هـو أولى بالمبالغة كان أولى باستيعاب معاني المجد. وقد قدمنا أن المجـد يتضمـن أوصافـاً وأفعـالاً. فإذا كملت للماجد استحق المبالغة، واتصف بوصف يميز به عمـن لم تتكـامل لـه تلـك الصفات. وبذلك يكون مذلاً فيما يأتي ويذر من أفعاله، لا يلحقـه نقـص ولا يستدرك عليه فعل لتكامل العلم والحلم والرضـا والغضـب والإعطـاء والمنع، إلى غـير ذلـك مـن الصفات المتعلقات بهذا الاسم. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**فإذا قال العبـد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾** [الفاتحة: 4] **قال الله: مجدني عبدي**»[2]. وذلك لما يكون من يوم الديـن مـن

---

(1) الموبقات: جمع موبقة، وهي التي ترمي بصاحبها في النار.

(2) جزء من حديث قدسـي رواه الإمـام مـالك في «موطئـه» في الصـلاة (189) وأحمـد (7410) ومسـلم (395) وأبـو داود (821) والـترمذي (2953) والنسـائي (908) وابـن ماجـه (838) والحميدي (973) والطيالسي (2561) وغيرهم. واللفظ لمسلم من طريق العلاء، عن أبيه، عـن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى صلاةً لم يقرأ فِيهَا بِأُمِّ القُـرآنِ فَهِـيَ خِـداجٌ**» ثلاثـاً، غير تمام.-

الرضا الدائم والغضب الدائم، والإعطاء الذي لا ينقطع والمنع المتصل والفضل التام، مع الإنعام والانتقام، فتأمل ذلك فإن العبارات لا تأتي عليه.

قلت: فإذا علم العبد أن مجد ربه سبحانه كما سبق وضوحه، وهي كثرة الخصال ونفي النقائص فليجتهد في أن يكثر خصاله، ويجتنب ما نُهيَ عنه. وحينئذ يكون ماجداً. ثم عليه تمجيد الخالق سبحانه بكل اعتبار، ولا خلاف في ذلك. فيمجده بقوله: لا إله إلا الله هو الملك القدوس، تبارك الله الذي لا إله إلا هو العزيز الجبار، السبوح القدوس. تبارك الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، تبارك الله الذي لا إله إلا هو الخالق البارئ المصور. تبارك الله الذي لا إله إلا هو السلام المؤمن المتكبر. [ونحو] هذا [و] ما كان مثله. ثم يجب على ذوي الأقدار اكتساب المجد، ولا يجب ذلك على [العامة] ويتقرب إليه موقناً بالجزاء عليه، ثم يعقب المجد بالثناء فيقول: هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الطول والآلاء والإحسان والنعماء. وهو الله الذي لا إله إلا هو المغيث في الأنواء، والمعين في البأساء. وهو الله الذي لا إله إلا هو الثقة والرجاء والكفيل بما يشاء هكذا إلى آخر الثناء.

● ومنها:

18. القَرِيبُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

وفي التنزيل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186] وقال: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: 50] وقال [الله تعالى إخباراً عن نبيّه] صالح: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61] وثبت في السُّنَّة، وأجمع عليه علماء الأمة.

=فقيل لأبي هريرة: إنّا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمتُ الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدِّين. قال: مجّدني عبدي. (وقال مرّةً: فوّض إليّ عبدي). فإذا قال: إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدِنا الصِّراط المُستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالِّين.قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

خَرَّجَ مسلم عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير - وفي رواية - فجعل رجل كلما علا ثنية نادى لا إله إلا الله والله أكبر، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم لستم تدعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**» قال وأنا خلفه، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا باللّه فقال: «**يا عبد اللّه بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**» قلت: بلى يا رسول اللّه قال: «**قل لا حول ولا قوة إلا باللّه**» وفي رواية: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**»[1].

ويجوز إجراؤه على العبد من غير خلاف منكراً لا معرفاً وفي التنزيل: ﴿**وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ [سبأ: 51] ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً**﴾ [التوبة: 42] ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: 56] أي عفوه وإحسانه وإنعامه. ولذلك لم يقل: «قريبة» ولأن ما لا يكون تأنيثه حقيقياً، جاز تذكيره. يقال منه: قرب يقرب قرباً؛ إذا دنا. فهو قريب. والقرب: خلاف البعد، ويستعمل في الأجسام والمعاني فاستعماله في الأجسام بأن يكون بينهما بعد، فإن كان يسيراً كان ذلك قرباً. وإن كان كبيراً، كان ذلك بعداً. ثم نقل ذلك إلى قرب المعاني مجازاً، فيقال: فلان قريب من فلان بالمودة، وفلان بعيد من فلان بالعداوة، وفلان قريب من هذا بالعلم، وبعيد من هذا بالجهل. وإذا تقرر هذا فوصف البارئ سبحانه بقرب المساحة وبعدها محال، لأنه ليس بجسم مؤلف. وأما وصفه بقرب العلم والمحبة فصحيح. وعلى قرب العلم يدل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: 186] يعني بالعلم، وقيل بالمحبة، وقد يقال في المخلوق: إنه قريب من اللّه بمعنى: قربه من تعلق القدرة، كما روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا رأى المطر أبرز له ذراعيه الكريمتين ووجهه الشريف [وقال]: «**هذا قريب**

---

(1) الحديث بألفاظه وطرقه رواه الإمام أحمد (19616) والبخاري (2992) و(4205) و(6384) و(6409) و(6610) و(7386) ومسلم (2704) وأبو داود (1526) والترمذي (3461) والنسائي في «الكبرى» (7680) وفي «عمل اليوم والليلة» (542) وابن ماجه (3824) وابن حبان (804) وابن أبي شيبة (10/376).

عهد بربه»[1].

فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ولا يخفى عليه حالهم كيفما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم ولذلك قال: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[2] فمثل بما بين أيديهم فيما يحسونه ويدركونه، فهي مغية وقرب الاطلاع والمشاهدة، لا بالمكان والزمان ولذلك قال وقوله الحق: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: 7] وقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69] وبين المعنيين بون فهي مع المحسنين بالهداية والرعاية والنصرة، وهي مع غيرهم بالإحاطة والعلم والقدرة.

قال ابن العربي: أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أنه سُئل: هل الباري في جهة؟ فقال: لا هو متعال عن ذلك. قيل: ما الدليل عليه؟ قال: الدليل عليه قول النبي ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»[3] فقيل له: ما وجه الدليل من الخبر؟ قال: لا أقوله حتى يأخذ هذا ألف دينار يقضي بها ديناً. فقام رجلان فقالا: هي علينا. فقال: لا يتبع بها اثنين لأنه يشق عليه. فقال واحد: هي عليّ. فقال: إن يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ونادى ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

(1) رواه الإمام أحمد (12365) والبخاري (571) ومسلم (898) وأبو داود (5100) والنسائي في «الكبرى» (1837) وابن حبان (6135) والبغوي (1171) والبيهقي (3/359) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه، قال: مُطِرنا على عهد رسول الله ﷺ، قال: فخرج فحسر ثوبه حتى أصابه المطر. قال: فقيل له: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: «**لأنه حديث عهد بربه**». لفظ أحمد.

(2) تقدم ثمة.

(3) رواه الإمام أحمد (1757) والبخاري (3413) ومسلم (2377) وأبو داود (4671) وابن حبان (6241) وغيرهم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**» نسبه إلى أبيه. لفظ مسلم.

الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] كما أخبر الله عنه ولم يكن محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقى به صعداً حتى انتهي به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى إليه ما أوحى، بأقرب إلى الله من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر.

ويقال أيضاً: فلان قريب المنزلة عند فلان؛ أي محله عنده قريب في الرفعة والمكان. والقرب في غير هذا، القريب الدار والمكان على ما بيّنا، والقريب أيضاً: نسيب الرجل، فهو مشترك. لا يقال فقد جاء في صحيح الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً فإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(1).

فإنا نقول: هذه كلها أمثال ضربت لمن عمل عملاً من أعمال الطاعات قصد بها التقرب إلى الله تعالى، يدل على أن الله تعالى لا يضيع عمل عامل وإن قل، بل يقبله ويجعل له ثوابه ويسرع إليه رحمته، ولا يفهم من هذا الحديث نقل الخطا بالأقدام إلا من ساوى بين الخمر وغيرها في الأفهام، واستولى عليهم يخدعهم الشيطان، وأحاط بهم الخذلان ولا يعصمهم التوفيق ولا استنقذهم التحقيق. قال ﷺ مخبراً عن الله تعالى: «**ما تقرب إلي عبدي بأحب من أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً**»(2) الحديث. وهذا من لطيف التمثيل عند ذوي التحصيل البعيد من التشبيه المكين من التوحيد وهو أن يستولي الحق على المتقرب بالنوافل حتى لا يسمع شيئاً إلا منه، ولا ينطق إلا عنه نشراً لآلائه وذكراً لنعمائه

---

(1) تقدم أكثر من مرة من رواية الشيخين وغيرهما.

(2) الحديث بتمامه رواه البخاري (6502) وغيره من طريق عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنتهُ بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُهُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتى أُحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعه الذي يسمعُ به، وبصرهُ الذي يُبصرُ به، ويدهُ التي يبطشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّهُ، ولئن استعاذ بي لأُعيذنَّهُ، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُهُ تردُّدي عن نفس المؤمن يكرهُ الموت، وأنا أكره مساءتهُ».

وإخباراً عن منته المستغرقة للخلق. فهذا معنى «يسمع به وينطق» ولا يقع نظر منظور إليه إلا رآه بقلبه موحداً، وبلطائف آثار حكمته ولمواقع قدرته من ذلك المرئي، الشاهد يشهده بعين التدبير وتحقيق التقدير وصديق التصوير. ولقد أحسن بعضهم حيث قال: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت اللّه معه.

وفي كل شيء له آية تدل على أن اللّه واحد

وقال أبو عثمان الحيري: وقد سُئِلَ عن معنى هذا الخبر فقال: معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه في سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي.

قلت: فيجب على كل مُكَلَّف أن يعلم؛ أن اللّه سبحانه قريب من عباده المؤمنين وشاهد لأحوالهم كلها، ليس بالغائب عنهم ولا بالعازب عنه شيء في السماوات ولا في الأرض. ثم عليه أن يتقرب إليه بفرائضه ونوافله ويتقرب إلى عباد [اللّه] بقضاء حوائجهم والمبادرة بقضاء أمورهم. ومن علم أن ربه قريب يعلم السر وأخفى وأخفى مما هو أخفى، فما فائدة رفع الصوت بالذكر والدعاء، وكما يفعل بعض الجهال الأغبياء الذين يأمرون أتباعهم بذلك ويحضونهم على ذلك وفي التنزيل: ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 1-3] فأثنى عليه ومدحه، وقال وقوله الحق: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55] وهذا أمر وقال عليه السلام: «أربعوا على أنفسكم»[1] أي ارفقوا. ومنه قولهم: أربع على نفسك؛ أي ارفق بها واثبت.

وقال قيس بن غبار: كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث عند القتال وعند الجنائز وعند الذكر. وذكر الحسن البصري عن أصحاب رسول اللّه ﷺ أنهم يستحبون خفض الصوت عند الجنائز وعند قراءة القرآن وعند القتال. وهو قول العلماء إلا ما قام الدليل عليه من التلبية والحج والأذان والخطبة وكان لغرض صحيح كما رُوي في الحديث أن أبا بكر كان يخفض صوته بالقراءة ويجهر عمر بها فقال لهما النبي ﷺ في ذلك، فقال أبو بكر رضي اللّه عنه: أسمعت من أناجي. وقال عمر أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان وأذكر الرحمن. وكلاهما غرضان حسنان.

---

(1) تقدم قبل قليل من رواية الشيخين وغيرهما.

فأما ما يفعله الوعاظ على المنابر، والمشاؤون على البلدان والمناهل، كما شاهدناه من بعضهم كان إذا خرج من البلد الذي بات فيه أمر من معه فكبروا فإذا أبعدوا سكتوا وإذا قربوا من موضع آخر هللوا ورفعوا هكذا. فذلك حدث في الدين وخلاف ما عليه علماء المسلمين، وذلك أقرب إلى الرياء منه إلى الإخلاص، ليستأكل به الأموال ويرى بعين المهابة والإحلال. والله يعلم بالنية يوم تبلى السرائر ويظهر ما في الضمائر. أصلح الله قلوبنا بمنه وفضله ورحمته آمين.

• ومنها:

19. المُحِيطُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

نطق به التنزيل فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54] ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: 126] ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: 20] ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19] وجاء في عداد الأسماء وأجمع عليه العلماء. وأصله: محيط نقلت حركة الياء إلى الحاء فسكنت. يقال منه: أحاط يحيط إحاطة وحيطة. ومن ذلك حائط الدار الذي يحيط بها ويحوط أهلها، وأحاطت الخيل بفلان فاحتاطت به. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: 42] وهذا الاسم أكثر ما يجيء في معرض الوعيد، وحقيقته: الإحاطة بالشيء واستئصال المحاط به، كما بينا. فالله سبحانه محيطٌ بجميع مخلوقاته، أي هي في قبضته وتحت قهره وقدرته، كما تقدمت الإشارة إليه في اسمه «العظيم».

قال الخطابي: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً. فيجب على كل مُكلّف أن يعتقد أن الإحاطة بالحقيقة إنما هي لله عزَّ وجلَّ [وهي راجعة إلى كمال العلم والقدرة، وانتفاء العجز والغفلة، وهي لغيره بالمكان][1] فيخضع لعظمته وجلالته، ويستسلم لأمره وينقاد لحكمه، خوفاً من عذابه وعقابه، ويعلم أنه محصور مقهور محاط به.

---

(1) استدراك من حاشية المخطوط.

• ومنها:

20. الفَعَّالُ

جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤهُ

وهو اسم عظيم نطق به التنزيل فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107] وقال: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 15-16] ولم يأت في الأسماء ذكره. وهو مُجمعٌ عليه. وجاءت هذه الصيغة «فعال» بكسر الفاء جمع فِعل بكسر الفاء، وهو الاسم مثل: قدح وقِداح والمصدر فعل، وقرئ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: 73] وفَعَال ـ بفتح الفاء وتخفيف العين ـ الكرم. قال هدبة:

ضروباً بلحييه على عظم زوره   إذا القوم هشوا للفعال تكرما

«الفَعَّال» أيضاً: مصدر، مثل ذهب ذهاباً ويقال بفتح الفاء وتشديد العين، مثل ضَرَّاب وقتّال، للمبالغة في تكرار الفعل.

قال الزجّاجي أبو القاسم: فهو يجري في ضروب من صفاته جلَّ وعزَّ، نحو «جبّار» و«علاّم» و«خلاّق» و«رزّاق» و«وهّاب» و«فتّاح» و«منّان» وما أشبه ذلك، لأن وزن كل هذا ـ فعال ـ وإنما يراد به المبالغة في الفعل فيجوز أن يوصف «بالفعّال» من كل فعل أصله على ثلاثة أحرف على ما اطلعت عليه الأمّة، وجاء في التنزيل نحو «خلاّق» من خلق و«علاّم» لأنه من علم و«جبّار» لأنه من الجبرية فهو ثلاثي الأصل، وإن لم ينطق منه بفعل غير مزيد فيه. ولا يجوز أن يُوصف بما زاد على ثلاثة أحرف، لأنه إذا بني منه «فعّال» سقط منه حرف فاصل. ألا ترى أنه لو قيل لك: كيف تبني من دحرج وقرطس وسرهف مثل فعّال؟ كان الجواب أن هذا غير جائز بناؤه، لأنه رباعي، وفعّال ثلاثي الأصل. وإنما ضُوعف عينه فلو بني من الرباعي ثلاثي لوجب حذف حرف منه، فكل يختل لأنه إنما كمل معناه بكمال حروفه. ألا ترى أنه لو تكلف بناء ذلك لقيل في مثل: «فعّال» من دحرج دحّار أو دحّاح، فكان يبطل المعنى المقصود منه، لاختلاف بنائه فهكذا يجرى هذا في كلام العرب. فأما في صفة الله عزَّ وجلَّ فإنه لا يجوز أن يُبنى فعّال من شيء من صفاته، إلا ما جاء منه في التنزيل،

وأطلقته الأمَّة وإن كان أصله ثلاثياً. ألا ترى أنه لا شيء في صفاته جلَّ وعزَّ من قدير فعّال فيقال: قدّار ولا من حكم، فيقال: حكّام ولا من باسط، فيقال: بسّاط ولا من عفو، فيقال: عفّاء ولا من مقيت، فيقال: مقّات لا أنه في العربية فاسد في التقدير، بل هو صحيح في مقاييس العربية. ولكن لا يُطلق في صفاته جلَّ وعزَّ شيء بقياس اللغة، إلا ما جاء في التنزيل، وأطلقته الأمَّة لا تتجاوز ذلك.

وإن كان صحيح القياس في العربية فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا فعّال ولا فاعل في الوجود على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له، وأن كل مُحدَثٍ من العرش الأعلى، إلى الفرش الأسفل، وما فيهما وما بينهما، مفعول لله تعالى كائن بعد أن لم يكن. روى أبو نضرة عن جابر وأبي سعيد وبعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال: هذه الآية تقضي على القرآن كله ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107] وقال المعتمر بن سليمان: أي على كل وعيد في القرآن.

قال البيهقي: وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أنه فعال لما يريد فإذا أراد أن يعفو عن المسيء ما أوعد على إساءته فعل، غير أنه قد قيده في آية أخرى بما دون الشرك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]. فهو فيما دون الشرك على كل وعيد في القرآن والله أعلم.

• ومنها:

21. 22. 23. القَادِرُ والقَدِيرُ والمُقْتَدِرُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

اتفقت عليها الأمَّة وجاءت في الكتاب والسُّنَّة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20] وقال: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55] وقال: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ [الأنعام: 65] وجميعاً من القدرة، وهي القوة. ولا خلاف في إجرائها على العبد وَصْفاً. يقال: رجل قادر، إذا كان قوياً على الشيء مستطيعاً له وقال النبي ﷺ لأبي ذر وقد شاهد سطاه: «يا أيها القدير الله أقدر منك» ذكره ابن العربي. و«القدير»: أبلغ في الوصف من «القادر» قاله الزجاجي.

الهروي: «القدير» و«القادر» بمعنى واحد، يُقال: قدرت على الشيء أقدر قدراً وقُدراً ومقدرة وقدراناً. ومنه يقال: اقدر بدرعك. قال زهير:

فـاقدر بذرعـك وانظـر أيـن ينسـلك

ويُروى فاقدر بدرعك، وهو في معنى الرواية الأولى أي؛ اقصد في الأمور بمقدار ما عندك من الاستقلال.

الجوهري ويقال: ما لي عليك مقدرة ومقدرة أي قدرة، ومنه قولهم: المقدرة تذهب الحفيظة، ورجل ذو قدرة: أي ذو يسار والاقتدار على الشيء: القدرة عليه. فالله جلَّ جلاله قادر مقتدر على كل شيء ممن يقبل الوجود والعدم، و«القدير» اسمه، والقدرة صفته، والاقتدار فعله.

قال الحليمي: «القدير» المُظْهر قدرته بفعل ما يقدر عليه، وقد كان ذلك من الله تعالى فيما أمضاه، وإن كان يقدر على أشياء كثيرة لم يفعلها، ولو شاء لفعلها. فاستحق بذلك أن يسمى مقتدراً[1].

وقال الخطابي: «المقتدر» هو التام الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه شيء بمنعة وقوة. ومقتدر: وزنه مفتعل من القدرة، إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور، فهو المقتدر يظهر بقدرته على المقدورات؛ ويعلو عليها فيغلبها. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 54-55] فوصف سبحانه نفسه بأنه الملك المقتدر عند البلوغ من مراده من عباده، وأشعر ذلك بدوام اقتدار إلى ما لا نهاية. وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾ [الكهف: 45] مُشْعِرٌ بالأوائل والأواخر. فالقدير: التام القدرة الذي لا يلابس قدرته عجز بحال، وهو الله عزَّ وجلَّ. فقدرته سبحانه لإيجاد الموجودات من الممكنات، وقوته وأمره لاستغنائه عن الاكتساب والمحاولات واستعمال الجوارح والآلات، التي تمس من يستعملها في الاكتساب التعب

---

(1) وقد جاء في «المنهاج لشعب الإيمان» للحليمي (198/1)، أثناء تفسيره لمعنى «القدير» قال: هو تام القدرة، لا يلبس قدرته عجز بوجه. اهـ.

والنصب واللغوب والضجر. فالقادر يدل على من له قدرة وتتضمن الحياة وجميع صفات الأفعال.

ولهذا قال بعضهم: إنه اسم الله الأعظم، وأجمعت الأمة من أهل السُّنَّة: أن الله قادر على كل شيء مقدور عليه موجوداً كان أو معدوماً، خيراً كان أو شراً، حسناً كان أو قبيحاً، لم يشركه في خلق ذلك شريك ولم يستظهر عليه بظهير، وما كان جلَّ جلالُه ليتخذ المضلين عضداً، بل هو الغني الحميد، خلق القادرين سواه، المتصفين بالقدرة. وخلق قَدَرهُم، فهو سُبحانه الموصوف بالقدرة على الإبداع كله، والإيجاد كله، والخلق كله، والقادرون سواه غير موصوفين بالقدرة على شيء من ذلك كله، إلا على مقدور يسمى: الكسب. وكل ذلك مقدور للقادر الحق. خلقهم وخلق قَدَرَهُم وعملهم وما يعملون، على هذا انعقد إجماع المهتدين، وأصفق عليه إصفاق العالمين.

ثم خرق الإجماع عقلٌ قاصر، وذهن خاسر، فقالوا يخلق أفعالهم من أنفسهم بقدرة يحدثها الله تعالى لهم.

ابن العربي: والخلاف بيننا وبينهم في أصل واحد، وهو أن الله تعالى خالق أعمال العباد عندنا بقدرته، وخيرها وشرها، وهم يقولون: إن الله قَدَّرَ الخير والشر، ولكنه لم يَخْلُقْهُ ولا أوجده، وإنما خلق للعباد قدرة يخلقون بها ما يشاؤون، ولهذا سمّوا ـ قدرية ـ لأنهم جعلوا القدرة والخلق لأنفسهم. ويقولون كما نقول: آمنتُ بالقدر خيره وشره. [و] عِلْمُ الله للأشياء عندهم. وخلقه لها عندنا. أما علمه بها فاتفاق منا ومنهم. وأما خلقه لها بقدرته وإرادته إياها، فخلقها بقدرته عندنا ولم يخلقها عندهم. وأرادها عندنا، ولم يردها عندهم.

فالخلاف بيننا وبينهم في تعلق القدرة والإرادة بالشرور والمعاصي، تعالى الله عن قولهم. فأثبتوا له شركاء قالوا: الله يخلق وهم يخلقون. تعالى الله عما يصفون. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49] وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: 1-2].

فيجب على كل مُكلّف أن يعلم: أن الله سبحانه قادرٌ له قدرة واحدة، بها فعل ويفعل ما يشاء من المقدورات على وفق علمه واختياره، كما هو يعلم المعلومات بعلم

واحد، ويريد المرادات بإرادة واحدة، وليس من صفاته قصور، ولا في أسمائه نقص ومَيْن. البريءُ من كل عيبٍ وشَيْن.

ثم يجب عليه أن يعلم: أن للعبد قدرة يكتسب بها ما أقدره اللّه عليها على مجرى العادة قال اللّه تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72] ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 39] إلا أن قدرة أحدهم ناقصة، تشغل قدرة أحدهم مقدوراً واحداً، وكذلك يشغل علمه معلوماً واحداً، وإرادته مراداً واحداً، وهي مع ذلك طارئة على محلها لا يوجدها القادر الحق للقادر بها الذي هو محلها إلا وقت ما يفعل، لا قبل ذلك ولا بعده. وهي عَرَضٌ من الأعْراضِ لا تبقى. وإذا علم العبد أن ربه عزَّ وجلَّ قادرٌ وأنه لا يعجزهُ مَقْدُورٌ، ولا يجوز أن يخرج مقدور عن قدرته، فيخاف عذابه وأنه قدير على أنواع العذاب والعقوبات، فلا يأمنه، وكذلك فلا ييأس من رحمته. وارجه رجاء من يعلم أنه قادر على توصيل كل مرجو، وإنالة كل محبوب على أحسن المآخذ وألطف المسالك، واسأله بملأ قلبك رجاء له ومخافة منه.

• ومنها:




24- الغَالِبُ




جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

لم يأت في عداد الأسماء، وورد في التنزيل فقال: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: 21] وهو من صفات الأفعال، ولا خلاف في إجرائه على العبد مُنكراً لا مُعرَّفاً، تقول فيه: غَلَبَ الرَّجلُ يَغْلِبُ غلباً، وغلبة وغَلَباً أيضاً. قال اللّه تعالى: ﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: 3] وَغَالَبه مُغَالَبَةً وغلاباً. والغلاّبُ الكثير الغلبة. قال حسان:

وليَغلبنَّ مغالِبُ الغلاّبِ[1]

---

(1) جاء في «تاج العروس» (293/2) - مادة غلب -

قال كعب بن مالك:

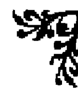
هَمَّتْ سخينةُ أن تُغَالِبَ ربَّها ... وليُغْلَبَنَّ مغالِبُ الغَلاّبِ

والمُغَلَّبُ: المغلوب مراراً، والمُغَلَّبُ أيضاً: من الشعراء: المحكومُ لَهُ بالغلبةِ على قِرْنِـهِ كأنَّـهُ غُلِّـبَ عليـه. وهـو مـن الأضـداد. ورجـلٌ غُلبـةٌ: يغلـبُ الرجـال. وهـذا مجـاز في المخلوق، حقيقة في الخالق. فاللّه سبحانه لا يُغالبه شيء، بل هو الغالبُ البالغ مراده مـن خلقه، أحبوا أو كرهوا. وهذا أيضاً إشارة إلى كمال القدرة والحكمة وأنـه لا يُقْهَـرُ ولا يُخْدَعُ ولا يُغْلَبُ. قاله الحليمي.

ومعنى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: 21] أي اللّه سبحانه غالبُ الخَلْقِ على أمر يوسف فيكون له النصر[1]. قالـه الهـروي. وفي التـنزيل: ﴿كَتَبَ اللَّـهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: 21] فمن تمسك باللّه تعالى فهو الغالب ولو أن [كل] من [في] الأرض له طالب.

فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن الغلبـة علـى الإطـلاق إنمـا هـي لله وحـده، ويجب عليه أن يستعمل الغلبة لأعدائه، قال اللّـه تعـالى: ﴿وَاغْلُـظْ عَلَيْهِـمْ﴾ [التوبة: 73] وأكبر عدو له نفسه التي بين جنبيه، وهواه الذي يدعوه إلى ما لا يحل له، وشيطانه الذي يُزين له شهواته، ونفسه التي تحمله على محبوباته. فعليه أن يستعمل بجميع ذلك المجـاهدة بالإعراض، والمخالفة مستعيناً باللّه تعالى.

● ومنها:



25. الطَّالِبُ



جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

قال الحليمي[2]: وهذا الاسم جرت عادة الناس باسـتعماله في اليمـين مـع الغـالب ومعناه: المتتبع غير المهمل، وذلك أن اللّه تعالى يُمْهل ولا يُهْمل، وهو على الإمهال بالغ

---

(1) وقد جاء في «الجامع لأحكام القرآن» (5/141) للمصنف ـ رحمه اللّـه تعـالى ـ قولـه تعـالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: 21]، الهاء راجعة إلى اللّه تعالى؛ أي لا يغلب اللّه شـيء، بل هو الغالب على أمر نفسه فيما يريده أن يقول له: ﴿كُنْ فَيَكُـونُ﴾ [البقـرة: 117]. وقيـل: الهاء ترجع إلى يوسف، أي اللّه غالب على أمـر يوسـف يدبِّره، ويحوطـه ولا يكلـه إلى غـيره، حتى لا يصل إليه كيدُ كائد. انتهى.

(2) في «المنهاج لشعب الإيمان» (1/198).

أمره. كما قال: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾ [آل عمران: 178] وقال: ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: 84] وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق: 3].

قلت: لا خفاء في جريان هذا الاسم على المخلوق اسماً مُنكراً ووصفاً، كما تقدم. فيجب على كل مُكلّف: أن يعتقد أن اللّه عزَّ وجلَّ هو الطالب على الإطلاق، الذي لا يفوته من أراده أمهله وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: [قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يُملي للظالمِ، فإذا أخذهُ لم يُفلتهُ» ثمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]][(1)]».

● ومنها:

26 . 27 . الوَاسِعُ المُوسِعُ

جلّ جَلالُهُ وتَقَدّستْ أَسْماؤُهُ

جاء في الكتاب ذكرهما، وأجمعت عليهما الأمَّة، فقال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية: 247، 261، 268] وقال: ﴿وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: 32] وقال: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

---

(1) تم استدراك النقص من «صحيح مسلم» (2583)، حسبما جاء في «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص-53). والحديث رواه البخاري (4686) أيضاً والترمذي (3110) والنسائي في «الكبرى» (6/11245) وابن ماجه (4018) وابن حبان (5175) والبغوي (4162) والبيهقي في «السنن الكبرى» (6/94).

فائدة: قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في «المفهم» (6/558-557): وقوله ﷺ: «إن الله عز وجل ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته» يملي: يطيل مدته ويصحُّ ويكثر ماله وولده، ليكثر ظلمه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: 178] وهذا كما فعل الله بالظلمة من الأمم السالفة، والقرون الخالية، حتى إذا عمَّ ظلمهم وتكامل جُرمهم أخذهم الله أخذةَ رابية، فلا ترى لهم من باقية، وذلك سنة الله في كل جبار عنيد، ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102] بتصرف يسير.

[الذاريات: 47] وليس في حديث أبي هريرة الموسع وفيه «الواسع» وقالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [غافر: 7].

ويجوز إجراؤه على العبدِ وصفاً تقول: فلانٌ واسعُ الصدر، واسع الجود. وفلانٌ ذو سعة، إذا كثر ماله. ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: 7] فهو يستعمل في الأجسام والمعاني. فسعة الجسم: هو أن تبعد أطرافه بعضها من بعض، فتكون سعته على قدر تباعد أطرافه وحواشيه، وسعة الباب: ما بين مصراعيه، وهكذا القول في سائر الأجسام، وسعة الصدر: على قدر الاحتمال في الصبر والحلم، وسعة العلم في المخلوق: كثرة علومه في جودة الذهن، ومنه قوله تعالى في وصف طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]. فالواسع: من له سعة، أي غنى. يقال: فلان يُعطي من سعته؛ أي من جدةٍ وغنى. وقال الخليل: الوسع؛ جدة الرجل وقدرة ذات يده. يقال: أَنفق على قَدْرِ وِسْعِكَ. والسعة: مصدر قولك: وسع يسع سعة.

المازني: أصل قولهم: يَسَعُ يُوسِع بكسر السين في المستقبل، فسقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، كما سقطت في: يعد ويزن. وهو مُختصٌ بعدم النهاية في متعلقات صفات الخالق سبحانه، وهو الذي وسع بقدرته وإرادته وكلامه كل شيء، ووسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، كما قال [تعالى إخباراً عن ملائكته]: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [غافر: 7] وانتصبا على التميز. قال ابن الأنباري: الواسع الذي يسع ما يُسأل، ويقال: الواسع: المحيط بكل شيء.

وقال الحليمي: معناه الكثير مقدوراته ومعلوماته [والمنبسط فضله ورحمته] واعتراف له بأنه لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ورحمته وسعت كل شيء[1].

وقال الخطابي: الواسع الغني الذي وسع غناه بفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه. وقيل في «الموسع»: إنه بمعنى: ذو سعة وهو الغني، وعليهما يكونان من صفات التنزيه، وإذا قيل: «الموسع» بأنه وسّع على غيره، أو خلق الأجسام ذات سعة، فهما من صفات الأفعال. وعليه جاء قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

---

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (198/1) والاستدراك منه.

ابن العربي: ويكون «الواسع» من صفات الذات إذا كان بمعنى قادر أو عالم، ووهم فيه حبر عظيم وهو الأستاذ أبو إسحاق، فعده من جملة صفات الأفعال وحمله منها. وقال بعد أن عدّه فيها: هو الذي لا يتعذر عليه عطية. وهذا هو الحجة عليه فإنه أشار إلى عمود القدرة. فإن قيل: إذا كان «الواسع» بمعنى «الغني» فما الوجه في تكريرهما؟ قيل له: «الواسع» الذي يتضمن من المعاني ما لا يتضمنه «الغني» ويتصرف فيما لا يتصرف فيه «الغني» كقولنا: يا واسع الفضل، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة، إلى غير ذلك.

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «**إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخّر اللّه تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**»[1] وعن سلمان قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض وإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**»[2].

فيجب على كل مُكَلّفٍ أن يعلم: أن اللّه سُبحانه هو المتفرد بما ذكرناه من الإحاطة والسعة. ثم يجب عليه أن يوسع صدره لقضاء ربه والتزام ما تعبده به، ولاحتمال الأذى فيه. ويكتسب العلم ما استطاع ففيه تنال هذه المراتب، وبه تُكسب المناقب. فارغب إليه في جميع ذلك، وتعرض لنفحات ربك بفراغ من قلبك، وجدة من عزمك، تصل إلى مرغوبك إن شاء اللّه تعالى.

ثم إذا وسّع اللّه عليك فوسع على نفسك وولدك وأهلك ومن شئت من إخوانك وأقاربك. قال مالك بن نضلة: قلت: يا رسول اللّه الرجل أَمُرُّ به فلا يُقْرِيني ولا يضيفني

(1) رواه الإمام أحمد (9615) والبخاري في «صحيحه» (6000) وفي «الأدب المفرد» (100) ورواه مسلم (19/2752) والترمذي (3541) وابن ماجه (4293) والدارمي (2785) والطبراني في «الأوسط» (995) والبغوي (4180) وغيرهم.

(2) رواه الإمام أحمد (23781) ومسلم (2753) والطبراني في «الكبير» (6126) وابن حبان (6146).

فيمر بي أفأجزيه؟ قال: «**لا أقرِهْ**» وقال: ورآني رثّ الثياب. فقال: «**هَلْ لكَ من مال**»؟ قلت: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم. قال: «**فلير عليك**» خرجه الترمذي[1] وقال: حديث حسن صحيح.

• ومنها:

28ـ الوَاجِدُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

ورد في القرآن فعلاً، وفي الحديث اسماً. قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾ [الضحى: 6-8] وأجمع عليه العلماء. ويجوز إجراؤه على العبد. يقال: فيه: وجدته أجده وجداناً، واسم الفاعل: واجد. ووجد مطلوبه يجده موجوداً ويَجُدُه بالضم لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال، ووجد ضالته وجداناً، وَوَجَد عليه في الغضبِ مُوجَدةً وَوِجدَاناً أيضاً، حكاه بعضهم. ووجد في الحُزْنِ وجَداناً بالفتح، ووجد في المال وُجداً ووَجداً يوجده، أي استغنى. وأوجده الله مطلوبه أي: أظهره. وأوجده أي: أغناه يقال: الحمد لله الذي أوجدني بعد فقر، ولا يقال أوجده. ولقد أحسن من قال:

أَنْـتَ الَّـذي أَوْجَدْتَـنِي وَكَفَيْتَـنِي وهَدَيْتَـنِي

---

(1) في البر والصلة (2006) ورواه الطبراني في «الكبير» (19/606) وابن حبان (3410) و(5392) و(5393) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

ومعنى قوله ﷺ: «لا أقره» أي: بل أضفه ولا تجازه وتعامله وفق معاملته لك. والقِرَى: هو الضيافة.

وقوله ﷺ: «فلير عليك» أي فَلْتَرَ عليك نعمة الله تعالى. وهو نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى: 11]، ونحو ما رواه البيهقي في «الكبرى» (271/3)، من طريق الفضيل بن فضالة عن أبي رجاء العطاردي؛ قال: خرج علينا عمران بن حصين، وعليه ـ مطرف خز ـ فقلنا: يا صاحب رسول الله ﷺ، تلبس هذا؟

فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يُحبُّ إذا أنعم على عبدٍ نعمة، أن يرى أثر نعمته عليه**».

أَنْتَ الَّذي بَعْدَ الإِسَاءَةِ بِالجَميلِ سَتَرْتَني
أَنْتَ الَّذي قَبْلَ البَرِيَّةِ في الحَشَا رَبَّيْتَني
أَنْتَ الَّذي بَجميلِ صُنْعِكَ في الوَرَى جَمَّلْتَني
لا أَسْتَطيعُ وإِنْ جَهِدتُ أُعُدُّ ما أَوْلَيْتَني

فاللّهُ سُبحانهُ الموجود الواجد على الإطلاق، الذي لا يضل عليه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يعجزه شيء. وأن جميع الموجودات من إيجاده. وهو سبحانه له الوُجود من ذاته لذاته في الأزل.

وقيل: «الواجد» الغني الذي لا يفتقر والموجود المغني، ذكره الخطابي. فيكون على هذا من صفات الذات إذ هو الغني عن غيره بما له في ذاته من الكمال، إذ الواجد من الخلق بما له من الموجود والجدة هو الغني

وقال السالمي: الواجد له معنيان: **أحدهما**: العالم. **والثاني**: الغني. **قال تعالى**: **﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾** [الطلاق: 6].

وقال ابن الحصار: هذا الاسم عندي يرجع لاستغنائه سبحانه بذاته وصفاته الغني المطلق، فلم يزل واجداً بهذا الاعتبار، ولا يزال واجداً أوجد الأفعال أو لم يوجدها فهو واجد.

قلت: فيجب على كل مُكَلّفٍ أن يعلم: أن الله تعالى هو الواجد الموجود على الإطلاق، وما عداه وإن كان واجداً فهو فاقد لأشياء، فلا يكون واجداً إلا بالإضافة، ثم عليه إن وجد ضالاً عن الطريق أرشده وهداه، وإن وجد صغيراً مُهْمَلاً ضَمَّهُ إليه وآواه، وإن وجد فقيراً ضعيفاً أو مسكيناً أعطاه وأغناه إن كان ذا فضل. قال تعالى لنبيه ﷺ: **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾** [الضحى: 6-8] وكذلك إن وجد مالاً لمسلم حفظه، فإن عرّفه أعطاه إياه وإلا عرَّفه، فإن جاء من يُعرّف عفاصه وعدده أعطاه إياه، وإلا كان وديعة عنده. فإن احتاج إليه استنفقه وكان في ذمته، لقوله عليه السلام في اللقطة: «**واستنفقها ولتكن وديعة عندك**

فإن جاء صاحبها يوماً من الدهر فأدها إليه»[1] وأما الحيوان فيختلف فيه بحسب اختلافه على ما هو مبين في كتب الفقه وشرح الحديث وليس هذا موضع ذكره.

• ومنها:

29. المُحْصِي

جلَّ جلالُهُ وتقدَّستْ أسماؤُهُ

ورد في القرآن فعلاً وفي الحديث اسماً فقال: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: 28] وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ: 29] وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12] وأجمعت عليه الأمة، يقال منه: أحصى يحصي إحصاءً فهو مُحصٍ. وأَحْصَيْتُ الشيءَ؛ عددته وقولهم: نحن أكثر منهم حصى. أي عدداً.

قال الأعشى يفضل عامراً على علقمة:

ولست بالأكثر منهم حصىً ... وإنما العزة للكاثر

والحصو: المنعُ قال الشاعر:

ألا تخاف الله إذ حصوتني حقي ... بلا ذنب وإذ منعتني

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (17034) والبخاري (2436) ومسلم (1722) وأبو داود (1706) والترمذي (1373) والنسائي في «الكبرى» (5811) وابن ماجه (2507) وغيرهم، واللفظ للبخاري من طريق يزيد مولى المنبعث عن زيد بن خالد الجُهنيِّ رضي الله عنه: أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن اللُّقطة قال: **«عرِّفها سنةً ثمَّ اعرفْ وكاءَها وعِفاصَها، ثم استنفق بها، فإن جاء ربُّها فأدِّها إليه»**. فقال: يا رسول الله فضالَّةُ الغنم؟ قال: **«خُذْها، فإنما هي لك أو لأخيك أو للذِّئب»**. قال: يا رسول الله فضالةُ الإبل؟ قال: فغَضِبَ رسول الله ﷺ حتَّى احمرَّتْ وجنتاهُ ـ أو احمرَّ وجههُ ـ ثم قال: **«ما لَكَ ولها؟ معها حِذاؤها وسِقاؤها حتَّى يلقاها ربُّها»**.

وقوله ﷺ: «ثم اعرِف وكاءَها وعفاصها» المراد تعرف على صفاتها لتعلم صدق واصفها من كذبه. والوكاء: هو الخيط الذي يشد به غطاء الوعاء. والعفاص: الجلد يكون على رأس القارورة. ويطلق أيضاً على الوعاء الذي تحفظ به الدراهم، وتسمى: محفظة. والله أعلم.

قال ابن الحصار: وقد اختلف الناس في مفهوم هذا الاسم، فقيل: الإحصاء وهو العلم، والمحصي هو العالم. ومنه قوله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6] وقال: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ [الجن: 28] وقال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34] وقال: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾ [مريم: 94] هذا كله بمعنى العلم ومنه قوله عليه السلام: «**من أحصاها دخل الجنة**»[1] في أحد التأويلات وقيل: هو العد ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ وقال عليه السلام لأصحابه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة: «**احصوا لي كم يلفظ بالإسلام وكم شهد بشهادة الإسلام**» قال: فألفيناهم ما بين الست مائة إلى السبع مائة[2].

وقيل: معناه القوي، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: 20] وقال رسول الله ﷺ: «**استقيموا ولم تحصوا**»[3] معناه ولن تطيقوا القيام بكل ما كلفتموه أو بكل حق عليكم. واختار أبو بكر العربي ـ رحمه الله ـ أن علم الله تعالى إذا تعلق بالمعلومات كشفاً وإيضاحاً فهو علم، وإذا تعلق بها من حيث حصرها وعددها من غير

---

(1) جزء من حديث رواه البخاري (2736) ومسلم (2677) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» قد تقدم أكثر من مرة.

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (23319) والبخاري (3060) ومسلم (149) وغيرهم من حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «**أحصوا لي كم يلفظ الإسلام**»؟ قال: فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: «**إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا**».

قال: فابتلينا، حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً. لفظ مسلم.

(3) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (22378) والدارمي (655) وابن ماجه (277) والطيالسي (996) والطبراني في «الصغير» (8) وفي «الأوسط» (1011) والبغوي في «شرح السنة» (155) وغيرهم، بإسناد حسن، من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» لفظ أحمد.

ذهول فهو عد وإحصاء. والإحصاء: الإحاطة بجميع المعلومات وتفاصيلها على السواء مع حفظ ما يزيد فيها وينقص، وحفظ أحوالها في الوجود والعدم وسائر تغيراتها.

وقال الإسفراييني: المُحصي: يختص بأنه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واستمداد المديح وتساقط الأوراق فيعلم عند ذلك عدد أجزاء في كل ورقة وكيف لا يعلم هو الذي خلق وقد قال: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

وقال الحليمي: المحصي: العالم بمقادير الحوادث، ما يحيط به منها علوم العباد وما لا يحيط به منها علومهم، كالأنفاس والأرزاق والطاعات والمعاصي عدد القطر والرمل والحصى والنبات، وأصناف الحيوان، والموات، وعامة الموجودات في المخلوقين وما يبقى منها أو يضمحل ويفنى[1].

قلت: وقد أتى على هذا المعنى قوله الحق: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59] فيجب على كل مُكلف أن يعلم: أن الله سبحانه هو المُحصي لكل شيء جملة وتفصيلاً، ويجب عليه أن يعلم أنه يُجازي على كل دقيق وجليل من أقواله وأعماله واعتقاداته، المقصودة له وخواطر قلبه المعزوم عليها، وأنه يحصي عليه كل ذلك ويجزي به. قال الله العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12] وقال: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: 49] ويجب عليه أن يحصي ما له وعليه ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: **«ما حق امرئ مسلم [له شيءٌ يوصي فيه] يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده»**[2].

---

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» (1/198-199)، بزيادة: وهذا راجع إلى نفي العجز الموجود في المخلوقين عن إدراك ما يكثر مقداره، ويتوالى وجوده، وتتفاوت أحواله عن اسمه.

(2) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (1492) في الوصية. ورواه أحمد (4902) والبخاري (2738) ومسلم (1627) وأبو داود (2862) والترمذي (974) والنسائي (3617) وابن ماجه (2702)=

• ومنها:

30. القَوِيُّ
جلّ جلالُهُ وتقدّست أسماؤهُ

نطق به الكتاب والسُّنة وأجمعت عليه الأمّة قال الله تعالى: ﴿الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: 66] وقال: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] ولا خلاف في إجرائه وصفاً على العبد وفي التنزيل: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: 39] يقال منه: قوي والضعيف يقوى قوة وتقوى مثله وقويته أنا تقوية وقاويته فقويته أي غلبته وقوي المطر إذا احتبس والقوة خلاف الضعف والقوة الطاقة من الحبل وجمعها قُوىً وقِوىً يقال: فتل فلان حبله على أربع قُوى وقِوى يعني على أربع طاقات ورجل شديد القُوى والقوى أي شديد أسر الخلق وقريٌ شديد القوى بالضم والكسر، وأقوى إذا كانت دابته قوية يقال: فلان قوي مقوٍ في نفسه والمقوي في ذاته عن الجوهري وغيره.

وقال الزجاجي: ووزن القوي من الفعل فعيل بمنزلة كريم وقدير وأصله قويو قلبت الواو التي بعد الياء وأدغمت الياء الأولى في الثانية فقيل: قِوى وذلك أن من حكم الياء والواو إذا اجتمعتا وسبقت إحداهما سكون انقلبت الواو ياء على كل حال فلما اجتمعت في هذه الياء والواو وسبقت الياء بالسكون وجب قلب الواو ياء وهو في القلب نظير قولهم: سيد وميت وأصله سيود وميوت فقلب كما ذكرت لك. وقِوى من القوة وهي ما يجد به القادر نفسه مستطيعاً على تقدير المراد وإن كان لم يفعله ولا انتهض إليه فالقوة والقدرة هي ما يقتدر به المراد من جهة الإيجاد فهذا فرق بينهما، فالقوة والقدرة صفتان للموصوف بهما والقادر والقوي اسمان للمسمى بهما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ [الأحزاب: 25] ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾ [الكهف: 45] فهما اسمان

=وابن الجارود (946) والدارمي (3175) والطيالسي (1841) وغيرهم، من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حق امرىءٍ مسلم له شيءٌ يوصي فيه، يبيت ليلتين، إلا ووصيته عنده مكتوبة**» لفظ مالك.

تميز كل واحد منهما من صاحبه بصفة وقد يراد بالقوة كثرة الأسباب التي يستظهر بها الموصوف من الجند والمال والسلاح والأرزاق وغير ذلك منه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60] وقال عليه السلام: «ألا وإن القوة الرمي» ثلاثاً(1).

وقد وصف بعضهم القوة بمعنى القدرة، وليس بشيء. لكن [إن] أريد بها الاقتدار تضمنت الحياة، وإن أريد بها كثرة الأسباب، فيتضمن الملك وجميع الصفات. قال الله تعالى مخبراً عن قوم عاد ومجاوباً لهم: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: 15].

قال الخطابي: القوي يكون بمعنى القادر، ومن قوي على شيء فقد قدر عليه. ويكون معناه التام القدرة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، والمخلوق وإن وصف بالقوة فإن قوته متناهية عن بعض الأمور قاصرة.

وقيل: «القوي»: المقوي لغيره، فيكون من صفات الفعل. فيجب على كل مُكلف أن يعلم: أن القوة لله كما أخبر في كتابه فقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165] والجواب محذوف [أي] لعلموا. وأن يتبرأ من الحول والقوة لنفسه، وأنه إن قواه الله [فهو] قوي. وقد تَعَبَّدَنَا جلَّ جلالُه بقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ولقد أحسن بعضهم حيث قال:

بكَ يا ذا الجلالِ والإفضالِ ... أتقي من نوائبِ الأحوالِ
بكَ أسطو إذا سطوتَ ولولاك لما استمسكتُ قوى أوصالي
لا تكلني إليّ طرفةَ عينٍ ... إنّ بعضَهُ لبعضهِ لا يُوالي

(1) رواه الإمام أحمد (17437) ومسلم (1917) وأبو داود (2514) والترمذي (3083) والدارمي (2404) وابن ماجه (2813) وغيرهم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» لفظ مسلم.
وانظر أخي الكريم كلامنا عليه في كتابنا «الانتصار».

وإذا ما رجعت منه إليه نلت منه بالقرب كل منالِ

فاجعل اللّه عدةً وملاذاً فهو أولى بالعبد في كلّ حالِ

ثم يجب عليه أن يقوى في دين اللّه قال رسول اللّه ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير»**[1] الحديث خرجه مسلم وقد تقدم، وأولى ما يتقوى به المؤمن العلم ثم العمل ثم الصبر وحسن الخلق. قال رسول اللّه ﷺ: **«ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»**[2].

● ومنها:

31. الشَّدِيدُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

جاء ذكره في حديث موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة خرجه ابن ماجه[3] ومعناه معنى «القوي» وقد يقال للقوي من الآدميين: شديد إذا كان صلباً

---

(1) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (8799) ومسلم (2664) وابن ماجه (79) وابن حبان (5722) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان»** لفظ مسلم.

(2) رواه مالك في «موطئه» في كتاب حسن الخلق (1681) باب (3) ما جاء في الغضب. ورواه أحمد (7223) والبخاري (6119) ومسلم (2609) والطيالسي (2525) وعبد الرزاق (20287) والبغوي (3581) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه. به.

(3) في كتاب الدعاء (3861)، من طريق أبي المنذر ـ زهير بن محمد التميمي قال: حدثنا موسى ابن عقبة، حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي اللّه عنه؛ أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحداً، إنه وترٌ يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة. وهي: اللّهُ، الواحدُ، الصمدُ، الأوّلُ، الآخر، الظّاهرُ، الباطنُ، الخالقُ، البارئُ، المصورُ، المَلِكُ، الحقُّ، السَّلامُ، المؤمنُ، المُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الرَّحْمنُ، الرَّحِيمُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْعَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْبَارُّ، الْمُتَعَالِ، الْجَلِيلُ، الْجَمِيلُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْقَادِرُ،-

جَلْداً. والشديد: خلاف الضعيف، والشدة من نعت الشيء الشديد، كما أن القوة من نعت الشيء القوي. وقد يراد بالشديد في وصفه جلَّ وتعالى أنه شديد العقاب، وشديد المحال، وشديد العذاب، فيرجع المعنى في ذلك في الحقيقة إلى عذابه وعقابه ومحاله: شديد كما قال: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] وقد يقع الشديد في صفات الآدميين بمعنى البخيل، يقال: فلان شديد، أي بخيل ممسك، وكذلك فسروا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8] أي لحب المال لبخيل، أي هو من أجل حب المال بخيل، ويكون بمعنى المالك لنفسه كما قال ـ عليه السلام ـ: «**ليس الشديد بالصرعة**»[1].

قلت: فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن الشدة لله تعالى بكل اعتبار كالقوة، فيخاف سطوته وشدة أخذه، قال ﷺ: «**إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102][2] ثم يكون هو شديداً في دينه، قوياً فيه شحيحاً عليه لا تأخذه في الله لومة لائم. قال ﷺ:

-الْقَاهِرُ، الْعَلِيُّ، الْحَكِيمُ، الْقَرِيبُ، الْمُجِيبُ، الْغَنِيُّ، الْوَهَّابُ، الْوَدُودُ، الشَّكُورُ، الْمَاجِدُ، الْوَاجِدُ، الْوَالِي، الرَّاشِدُ، الْعَفُوُّ، الْغَفُورُ، الْحَلِيمُ، الْكَرِيمُ، التَّوَّابُ، الرَّبُّ، الْمَجِيدُ، الْوَلِيُّ، الشَّهِيدُ، الْمُبِينُ، الْبُرْهَانُ، الرَّؤُوفُ، الرَّحِيمُ، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْبَاعِثُ، الْوَارِثُ، الْقَوِيُّ، الشَّدِيدُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، الْبَاقِي، الْوَاقِي، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، الْمُقْسِطُ، الرَّزَّاقُ، ذُو الْقُوَّةِ، الْمَتِينُ، الْقَائِمُ، الدَّائِمُ، الْحَافِظُ، الْوَكِيلُ، الْفَاطِرُ، السَّامِعُ، الْمُعْطِي، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْمَانِعُ، الْجَامِعُ، الْهَادِي، الْكَافِي، الأَبَدُ، الْعَالِمُ، الصَّادِقُ، النُّورُ، الْمُنِيرُ، التَّامُّ، الْقَدِيمُ، الْوِتْرُ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ».

قال زهير: فبلغنا من غير واحدٍ من أهل العلم؛ أنَّ أوّلها يُفتح بقول: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له. له المُلكُ وله الحمد، بيده الخير وهو على كلِّ شيءٍ قدير. لا إله إلاّ الله له الأسماء الحُسنى.

قال في «الزوائد»: لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره، غير ابن ماجه والترمذي. مع تقديم وتأخير. وطريق الترمذي أصح شيء في الباب. قال: وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف، لضعف عبد الملك بن محمد.

(1) متفق عليه، وقد تقدم ثمة.

(2) متفق عليه، وقد تقدم قبل قليل.

«**لا يمنعن أحدكم هيبة أحد من الناس أن يقول أو يقوم بالحق حيث كان**»[1]. ويصبر إن أوذي. قال الله تعالى مُخبراً عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17]، وكذلك يكون شديداً على أهله وولده ومن يقوم به بأن يأمرهم ويعلمهم ويؤدبهم إن احتاجوا إلى ذلك قال ﷺ: «**علق سوطك حيث يراه أهلك**»[2]، وفي التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ [التحريم: 6] قال أهل التأويل: أي علموهم وأمروهم.

● ومنها:




32. المَتِينُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤُهُ




ورد به التنزيل فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمّة، وتأوله بعض العلماء على أن المعنى «المتين» قوته. وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش: (المتين) بالخفض على أنه نعت للقوة. وذكرها لأن تأنيثها غير حقيقي.

قال الأقليشي: وإنما قال من مال إلى هذا التأويل والقراءة من حيث رأى أن الله تعالى لا يُوصف بأنه متين، كما لا يوصف بأنه جلد. فجعل «المتين» من صفات القوة،

---

(1) رواه الإمام أحمد (11017) والبيهقي في «شعب الإيمان» (7573) وإسناده صحيح على شرط مسلم، من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول في الحق إذا رآه، أو شهده، أو سمعه**» لفظ أحمد.
قال: وقال أبو سعيد: وددت أني لم أسمعه وذلك لصعوبة العمل به على وجهه والله أعلم.

(2) رواه الطبراني في «الكبير» (10/10672) والبزار (2077) من حديث ابن عباس رضي الله عنها، قال: قال رسول الله ﷺ: «**علّق سَوْطك حيث يراهُ أهلُك**» لفظ الطبراني.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (13217)، بلفظ: «**علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم**».
وتعقبه بقوله: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه والبزار، وقال: «**حيث يراه الخادم**». وإسناد الطبراني فيها حسن. وهو كما قال.

وهذا لا يلزم. لأن الشريعة قد جاءت بأسماء من هذا القبيل «كالمصور» في أسماء الله تعالى وما أشبهه، فعلى هذا يكون متين وصفاً لله تعالى، ووزنه «فعيل» من المتانة يقال منه: متن الشيء متانة، فالمتانة في المُحْدَثِين: تظاهر القوى وتضافر الأبعاض حتى إذا تحصل عن ذلك تلذذ الأعضاء، وحسن البنية والصلابة كملت المتانة. تقول العرب: هذا أمتن من هذا؛ أي أصلب منه وأقوى. [و] منه سمي الصلب؛ متيناً لأن القوة فيه أكثر. وبالجملة فالمتانة في الأجسام غالباً، والقوة والشدة في الصفات. وقد قيل: إنما سُمي الظهر متناً لأنه موضع القوة، وعنه تتفرع أنواع القوة التي هي القوى.

ابن العربي: قال علماؤنا: لولا ورود الشرع بتسمية المتين ما سميناه به فإنه بمطلق اللغة يوجب الصلابة وذلك عنه منفي، ومنهم من قال: إن المراد به تأكيد الوصف بالقوة ولذلك أتبع في قوله ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] ومن الناس من قال: إنما سُمِّيَ به اتساعاً ومجازاً. وقد اختُلِفَ في ضبطه في حديث شعيب بن أبي حمزة، فمنهم من ضبطه بالتاء المعجمة باثنين وياء بعدها وردوه إلى القوة، ومنهم من ضبطه بباء معجمة بنقطة من تحتها[1]. قال: وهو الصحيح وكذلك جاء من طريق عبد العزيز بن الحسين من حديث أبي هريرة. وإنما قلنا: إنه أصح لأن «المتين» قد أفاده القوي فكان «المبين» لفائدة زائدة فلذلك كان أولى.

قال ابن العربي: والصحيح من رواية أبي هريرة المتقدمة من رواية شعيب بن أبي حمزة «المتين» بالتاء باثنين من فوقها. وروايتها بالباء المعجمة من تحتها، تقصير ومن تعلق بذلك فقد وهم، فإن «المُبين» بواحدة قد تقدم في قوله «المبين» فلا بد أن يكون هذا غيره.

قلت: روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] يقول: الشديد.

وقال الزجاجي[2]: مجاز «المتين» في صفاته تعالى أن يراد به القوي، وليس بمحمول على حقيقته في اللفظ، وإنما هو مجاز. كأنه حمل قوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

---

(1) يريد: المبين.

(2) في كتابه «اشتقاق أسماء الله الحسنى».

عبارة عن وصفه جلّ اسمه بالقوة البالغة في ذلك و«المتين» في غير صفات الله يذهب به إلى الغلظ والثخن، وهذا ممتنع في صفاته جلّ وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. ويقال: هذا ثوب متين وكساء متين، أي غليظ.

وقال الحليمي: هو الذي لا تتناقص قوته فيه ويفتر إذ كان يحدث ما يحدث في غيره لا في نفسه [وذلك أن] التغيير لا يجوز عليه[1].

وقيل: هو الذي لا تلحقه مشقة، دليله: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38] وقال ابن الحصار: «المتين» مبالغة في القوة فإذا قلنا: إن أفعال الخلق جند له وأنه بالقوة فعل ذلك، فقد علمنا أن مقدوراته لا تتناهى، فقد يراد بالمتانة هذا المعنى. وقد يرجع ذلك أيضاً لتعظيم ما يمتنع به من اعتصم بحبله، وتمسك بعروته الوثقى التي لا انفصام لها، فهو «المتين» لمن تعلق به وامتنع بجنابه لا يخاف ولا يُغلَبُ.

● ومنها:

33. المُسْتَطِيعُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أسْماؤُهُ

ذكره ابن العربي وقال: لم يرد في قرآن ولا سنة اسماً وقد ورد فعلاً فقال: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: 112] وقد رُوي عن عائشة رضي الله عنها: ـ أنها قالت: كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بالياء والصحيح قراءة التاء[2].

---

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (199/1)، والتصويب منه.

(2) قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تفسيره» (280/3-281) عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ على ما تقدّم من الإعراب. ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾. قراءة الكسائيّ وعليّ وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد (هَلْ تَسْتَطِيعُ)=

=بالتاء ﴿رَبَّكَ﴾ بالنصب. وأدغم الكسائيّ اللام من ﴿هل﴾ في التاء. وقرأ الباقون بالياء، ﴿رَبُّكَ﴾ بالرفع، وهذه القراءة أشكل من الأولى؛ فقال السدي: المعنى هل يعطيك ربك إن سألته ﴿أَنْ يُنَزِّلَ﴾ فيستطيع بمعنى يطيع؛ كما قالوا: استجاب بمعنى أجاب، وكذلك استطاع بمعنى أطاع.

وقيل المعنى: هل يقدر ربك؟ وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم باللّه عز وجل؛ ولهذا قال عيسى في الجواب عند غلطهم وتجويزهم على اللّه ما لا يجوز: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي لا تشكوا في قدرة اللّه تعالى.

قلت: وهذا فيه نظر؛ لأن الحواريين خلصان الأنبياء ودخلاؤهم وأنصارهم كما قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]. وقال عليه السلام: «لكل نبي حواري وحواري الزبير». ومعلوم أن الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم جاؤوا بمعرفة اللّه تعالى وما يجب له وما يجوز وما يستحيل عليه وأن يبلغوا ذلك أممهم؛ فكيف يخفى ذلك على من باطنهم واختص بهم حتى يجهلوا قدرة اللّه تعالى؟ إلا أنه يجوز أن يقال: إنّ ذلك صدر ممن كان معهم، كما قال بعض جهال الأعراب للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكما قال من قال من قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138] على ما يأتي بيانه في (الأعراف) إن شاء اللّه تعالى.

وقيل: إن القوم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه لأنهم كانوا مؤمنين عارفين عالمين، وإنما هو كقولك للرجل: هل يستطيع فلان أن يأتي وقد علمت أنه يستطيع؛ فالمعنى: هل يفعل ذلك؟ وهل يجيبني إلى ذلك أم لا؟ وقد كانوا عالمين باستطاعة اللّه تعالى لذلك ولغيره عِلم دلالة وخبر ونظر فأرادوا علم معاينة كذلك؛ كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: 260] على ما تقدّم، وقد كان إبراهيم عَلِمَ لذلك عِلْمَ خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة، لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك؛ ولذلك قال الحواريون: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [البقرة: 113] كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260].

قلت: وهذا تأويل حسن؛ وأحسن منه أن ذلك كان من قول من كان مع الحواريين؛ على ما يأتي بيانه. وقد أدخل ابن العربي المستطيع في أسماء اللّه تعالى، وقال: لم يرد به كتاب ولا سنة اسماً وقد ورد فعلاً، وذكر قول الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾. ورده عليه ابن الحصار في كتاب شرح السنة له وغيره.=

والاستطاعة: هي القدرة والقوة [و]هي استفعال من: طاع، إذا انقاد. فكأنه بما هو من القدرة يطيعه كل موجود كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11] وقال علماؤنا رحمة اللّه عليهم ـ: لا يوصف الباري سبحانه بأنه مستطيع، لأن أسماءه لا تؤخذ إلا توقيفاً. ولم يرد فيه «مستطيع» ويلزمهم أن لا يصفوه «بالضار النافع» لأنه لم يرد اسماً توقيفاً وإنما ورد فعلاً، ولكنه لما كان عندهم فعل كمال ذكروه اسماً. وكذلك يلزمهم في الاستطاعة فإنها وصف كمال.

قلت: هذا الإلزام لا يلزم فإن «الضار» جاء اسماً في حديث أبي هريرة المفسر مع «النافع» فكأنه ما قرأه ـ رحمه اللّه ـ ولم يرد فيه «المستطيع» فافترقا ولو رعي الاشتقاق [من] الأفعال لتعددت الأسماء إلى ما لا يحصى كثرة. والصحيح التوقيف كما قالوا.

قال ابن العربي: فإن قيل: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء؟ فقيل: إن ذلك كان قبل أن يكونوا مؤمنين، وهذا ضعيف بقوله: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: 113].

=قال ابن الحصار: وقوله سبحانه مخبراً عن الحواريين لعيسى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ليس بشك في الاستطاعة، وإنما هو تلطف في السؤال، وأدب مع اللّه تعالى؛ إذ ليس كل ممكن سبق في علمه وقوعه ولا لكل أحد، والحواريون هم كانوا خيرة من آمن بعيسى، فكيف يظنّ بهم الجهل باقتدار اللّه تعالى على كل شيء ممكن؟! وأما قراءة (التاء) فقيل: المعنى هل تستطيع أن تسأل ربك، هذا قول عائشة ومجاهد ـ رضي اللّه عنهما؛ قالت عائشة رضي اللّه عنها: كان القوم أعلم باللّه عز وجل من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [قالت]: ولكن (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ). وروي عنها أيضاً أنها قالت: كان الحواريون لا يشكون أن اللّه يقدر على إنزال مائدة ولكن قالوا: (هل تستطيع ربك).

وعن معاذ بن جبل قال: أقرأنا النبي ﷺ (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) قال معاذ: وسمعت النبيّ ﷺ مراراً يقرأ بالتاء (هل تستطيع ربك). وقال الزجاج: المعنى هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله. وقيل: هل تستطيع أن تدعو ربك أو تسأله؛ والمعنى متقارب، ولا بد من محذوف؛ كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] وعلى قراءة الياء لا يحتاج إلى حذف. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اتقوا معاصيه وكثرة السؤال؛ فإنكم لا تدرون ما يحل بكم عند اقتراح الآيات، إذ كان اللّه عزّ وجلّ إنما يفعل الإصلاح لعباده ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين به وبما جئت به، فقد جاءكم من الآيات ما فيه غنى. انتهى.

قلت: فيه نظر لأن الحواريين خلصان الأنبياء ودخلاؤهم وأنصارهم ومعلوم أن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ جاؤوا بمعرفة الله تعالى وما يجب له، [وما] يجوز، [وما] يستحيل، وأن يُبلّغوا ذلك أممهم، فكيف يخفى ذلك على من باطنهم واختصَّ بهم حتى يجهلوا [قدرة] الله تعالى؟ إلا أنه يجوز أن يقال: إن ذلك صدر ممن كان [معهم] كما قال بعض جهال الأعراب للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. وكما قال من قال من قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138] والله أعلم وقد جاء هذا المعنى مبيناً في التفسير حسب ما ذكروه في سورة المائدة[1].

ابن العربي: وقيل: معناه استكشاف تأتي الفعل، كما تقول لرجل: هل تستطيع أن تنهض معي في كذا؟ وأنت تعلم أنه مستطيع، ولكنك تريد استكشاف ما عنده.

قلت: فعلى هذا كان الحواريون عارفين بالله عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره علم دلالة وخبر، فأرادوا علم معاينة، لذلك قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ [البقرة: 260] وقد كان إبراهيم عَلِمَ ذلك علم خبر ونظر، ولكن أراد المُعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة، لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المُعاينة لا يدخله شيء من ذلك، ولذلك قال الحواريون: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ كما قال إبراهيم: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260] وهذا تأويل حسن.

ابن العربي: والصحيح أن معناه: هل يقدر ربك، أي هل تتعلق قدرته بهذا الفعل إيجاداً وخلقاً، وإن كانت قد تعلقت صحةً وتقديراً فليس كل ما يصح أن تتعلق به القدرة يقع.

قلت: فعلى هذا يكون ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ تلطف في السؤال وأدب مع الله تعالى إذ ليس كل ممكن سبق في علمه وقوعه ولا لكل أحد والله أعلم.

وقرأ علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والكسائي «هل تستطيع» بالتاء إلا أن الكسائي أدغم اللام في التاء (ربك) بفتح الباء نصباً وعن معاذ بن جبل قال: أقرأنا النبي ﷺ (هل تستطيع) بالتاء ومعناه هل تستطيع أن تدعو ربك أو تسأله فلا بد من

---

(1) وانظر أخي الكريم ما تقدم في الحاشية السابقة. وقد تم تصويب الألفاظ منها.

حذف، وعلى قراءة الياء لا يحتاج إلى حذف وبها قرأ جماعة القُراء ما عدا الكسائي وفيها إشكال وقد بيناه. والله أعلم.

ومنها:

34. السَّمِيعُ
جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أسْماؤُهُ

جاء في الكتاب في غير موضع مُنكَراً ومُعرّفاً وثبت في السُّنَّة وأجمعت عليه الأمَّة.

ويجوز إجراؤه على العبد يقال فيه: سمع يسمع على الأصل واسم الفاعل سامع وسميع للمبالغة، وحاسة السمع فينا قوة باطنة موجودة في الجارحة المسماة بالأذن، من شأنه تأدية معانٍ ظاهرة وهي الأصوات كلها على اختلافها دون ما سوى ذلك إلى قوى باطنة أخر.

وأما السمع في صفة الله تعالى فهو على ثلاثة أضرب؛ يكون صفة ذات ويُخالف في هذا الوجه السّامع لأن السامع لا بد له من متعلق بمسموع موجود، والسميع غير متعلق بمسموع، كالعليم والقدير فيكون مدحاً للذات. وأن المسموعات إذا وجدت لا تخفى عليه.

الثاني: أن يكون «سميع» بمعنى مسمع أي يسمع غيره فيتعلق بمفعول. قال عمر ابن معدي كرب يتشوق أخته وكان أسرها الصمة أبو دريد بن الصمة:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

الوجه الثالث: أن يكون سميع بمعنى سامع فيتعلق بالمفعول.

وهذه ثلاثة أَوْجُهٍ في «السميع» يجوز وصف الله تعالى بها من أنه يكون من مدح الذات في حال، أو يكون بمعنى المسمع «كعليم» بمعنى: عالم و«قدير» بمعنى: قادر، وكذلك فعيل وفعول وفعال ومفعال وفعل بمعنى: فاعل. وقد يكون السامع في صفات الله تعالى بمعنى المُجيب. يقال: سمع دعاءك أي؛ أجابه، كما يقال: سمع الله لمن حمده، أي أجابه.

وقد قال الشاعر:

دعوتُ اللّهَ حتى خفتُ أن لا ... يكونَ اللّهُ يسمعُ ما أقولُ

أي لا يجيب دعائي. ومن هذا استعاذة رسول الله ﷺ من دعاء لا يُسْمَعُ معناه [أي] لا يستجاب له، ويبينه الحديث الآخر قال فيه عليه السلام: «**أعوذ بك من دعوة لا يستجاب لها**»[1] وقد يرد السماع بمعنى: العلم، والأصل في السماع، إدراك المسموعات [وما سوى ذلك تَجَوُّز وتوسع وهو اختيار الشيخ أبي الحسن أن السمع: إدراك للمسموعات.

وقال ابن فورك: إنه إدراك المسموع. أنه «سميع» لسائر المسموعات «بصير» لسائر المبصرات بسمع وبصر منزهين عن الأصمخة والآذان والحدق والأجفان، بل هما صفتان قائمتان من صفاته يدرك بهما سائر المسموعات والمرئيات [و] الموجودات، كما يعلم بعلمه سائر المعلومات الواجبات والجائزات والمستحيلات][2].

وقال الحليمي في معنى «السميع»: إنه المدرك للأصوات التي يدركها المخلوقون بآذانهم من غير أن تكون له أذن وذلك راجع إلى أن الأصوات لا تخفى عليه وإن كان غير موصوف بالحس المركب في الأذن كالأصم من الناس لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلاً لإدراك الصوت[3].

وقال الخطابي: «السميع»: بمعنى السامع، إلا أن السميع أبلغ في الصفة، وبناء فعيل للمبالغة، وهو الذي يسمع السر وأخفى[4].

قلت: وأخفى مما هو أخفى، فيسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وتحت الأرض السفلى. روى البخاري[5] عن [السيدة] عائشة [رضي

---

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (2270) من حديث جرير رضي الله عنه؛ أن النبيَّ ﷺ كان يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمع، وقلبٍ لا يخشع، ونفس لا تشبع**».
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/17173) وعزاه للطبراني، وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(2) استدراك من حاشية المخطوط.

(3) «المنهاج في شعب الإيمان» (1/199).

(4) أورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص62) بزيادة: سواء عنده الجهر والخفت، والنطق والسكوت.

(5) في كتاب التوحيد، باب (9) قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ تعليقاً من طريق الأعمش عن تميم، عن عروة عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: الحمد لله الذي وَسِعَ سمعهُ الأصوات. فأنزل الله تعالى على النبيِّ ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1].

الله عنها] قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1][1]. وفي «الصحيحين»، عن ابن مسعود. قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفرٍ. قُرشيَّان وثقفيٌّ. أو ثقفيَّان وقُرشيٌّ. قليلٌ فقهُ قُلوبهمْ. كثيرٌ شحمُ بُطُونِهِمْ. فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا. ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فهو يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: 22] الآية[2].

وفي «صحيح مسلم» من حديث حارثة بن وهب ـ رضي الله عنهُ ـ أنه سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقول[3]: «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره» [ثُمَّ قال] «ألا أخبركم بأهل النار كل عُتل جوّاظ مُستكبِرٍ» خرّجه البخاري

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (24195) وابن ماجه (188) والنسائي في «الكبرى» (5654) وفي «المجتبى» (3460) والآجري في «الشريعة» (ص: 291) وأبو يعلى (4780) والبيهقي في «الكبرى» (7/382) وغيرهم، وإسناده صحيح على شرط مسلم.
والمجادلة: هي خولة بنت ثعلبة، وزوجها هو أوس بن الصامت رضي الله عنهما. وانظر أخي الكريم ما جاء حول هذ المسألة في كتابنا «الوحي الآخر».

(2) تمَّ استدراك هذا الحديث ـ بعدما كان سقط من المخطوط ـ حسبما أشار إلى ذلك ـ المصنف رحمه الله تعالى، بعد باب واحد، عند تأويله للفظ الجلالة ـ الله ـ والحديث أخرجه الإمام أحمد (3614) والبخاري (4816) ومسلم (2775) والترمذي (3248) والنسائي في «الكبرى» (6/11468) وغيرهم.

(3) زيادة لم تكن في أصل المخطوط، وقد جاء مكانها: وروى البيهقي عن أبي سعيد أو عن حجيرة الأكبر، عن أبي هريرة، أن أحدهما حدثني عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم حار، ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، ما أشدّ هذا اليوم، اللهم أجرني من حرِّ جهنم، قال الله عزَّ وجلَّ لجهنم: إن عبداً من عبادي ـ وانتهى الكلام عند هذا الحدّ، وقد جعلت هذه الفقرة في الحاشية لعدم تمامها ولضعف روايتها، واستكملت نص المصنف رحمه الله بما يناسب الكلام، والله الموفق.

أيضاً[1] [و] العُتل: الشديد الخصومة الجافي اللئيم، وقيل: الفظّ الغليظ الذي لا ينقاد لخير. والجواظ: الجموع المنوع، وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيه. وروى حارثة بن وهب عن رسول اللّه ﷺ قال: «**لا يدخل الجَنةَ الجَوَّاظُ، ولا الجَعْظَريُّ**»[2] قيل: الجعظري؛ الفظ الغليظ. وجاء تفسيره في بعض الأحاديث: «هم الذين لا تُصْرعُ رؤوسهم» وقد قال رسول اللّه ﷺ: «**من تواضع لله رفعه**»[3] فأضاف الرفعة إلى اللّه، وذلك مما لا يُكْتسبُ إلاّ بالتذلل ونقيض التكبر.

قال الحسن: التواضع أن تخرج من بيتك فلا تلقى مُسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.. وقيل لبعضهم: ما التواضع؟ قال: هو أن تخرج من بيتك فإذا رأيت من هو أكبر منك، قلت: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك، قلت: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني.

وقيل: أصبح النجاشي يوماً جالساً على الأرض وعليه التاج، فأعظم ذلك كبراء دولته وسألوه عن السبب الذي أوجب جلوسه على الأرض؟ فقال: إني وجدت فيما أنزل اللّه على المسيح عليه السلام: «**إذا أنعمت على عبدي نعمة فتواضع فيها أتممتها عليه**» وإنه وُلِدَ لي في هذه الليلة ولد ذكر، فتواضعت شكراً لله تعالى.

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (18753) والبخاري (4918) ومسلم (2853) والترمذي (2650) وابن ماجه (4116) وأبو يعلى (1477) والطيالسي (1238) وغيرهم بألفاظ متقاربة، وقد أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (216/18) ـ بتحقيقنا ـ في تفسير سورة «القلم».

(2) الحديث رواه أبو داود في الأدب (4801) باب (8) في حسن الخلق. وإسناده صحيح.

(3) رواه الطبراني في «الأوسط» (8/8307) من حديث عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «من تواضع لله رفعه...» الحديث وفي إسناده سعيد بن سلام العطار، وهو كذاب.

لكن معنى الحديث صحيح، فقد رواه الإمام أحمد (309) والبزار (185)، وأبو يعلى (187) أيضاً، بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من طريق يزيد بن هارون ـ بإسناده عن ابن عمر، عن عمر رضي اللّه عنهما ـ قال: لا أعلمه إلا رفعه إلى النّبيّ ﷺ قال: «قال اللّه تبارك وتعالى: من تواضع لي هكذا ـ وأومأ يزيد بكفه إلى الأرض ـ رفعته هكذا ـ وأشار يزيد ببطن كفه إلى السماء» لفظ أبو يعلى.

القسم الرابع

في جَماعِ أبوابِ ذِكْرِ الأسْماءِ الَّتي تَتْبَعُ إثْباتَ الإبْدَاعِ والاخْتِرَاعِ لَهُ سُبْحَانَهُ

• أولها:

1. الله

جلَّ جلالُهُ وتقدَّستْ أسماؤهُ وعزَّ سُلطانهُ

وهذا الاسمُ أكبر الأسماء وأجمع لمعانيها، وبه افتتح سبحانه كتابه الكريم فقال: ﴿باسم اللّه﴾ و﴿الحمد لله﴾. واقتدى بذلك رسول اللّه ﷺ فكان يفتتح كتبه إذا كتب «باسم اللّه» ويفتتح خطابه «باسم اللّه» و«الحمد لله». ثم اقتفى ذلك جميع العلماء فلا أحد منهم يبدأ كتاباً ولا يفتتح خطاباً إلا «بباسم اللّه والحمد لله». وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] فأضاف جميع الأسماء إلى هذا الاسم وكذلك قال رسول اللّه ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وتر يحب الوتر هو اللّه**»[1] فبدأ به.

ثم لا يَخفَى عليكَ كثرة ترداد هذا الاسم في الكتاب والسُّنَّة، وخاصة في آخر سورة «الحشر» وآية الكرسي، وسورة ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ فإنه مذكور فيها في كل آية إلا آية أو آيتين، ولا خلاف بين العلماء أن هذا الاسم من أعظم الأسماء الحسنى. لأنك إذا أخبرت بسائر أسمائه عنه رجعت في التفسير إليه فتقول: الملك هو اللّه، القادر هو اللّه، العالم هو اللّه، الخالق هو اللّه، وهكذا إلى آخر الأسماء. ولم تُنكِرهُ أمة من بني آدم في الدنيا، بل هو دائر على ألسنتهم من عهد أبيهم إلى انقضاء الدنيا، وقد قال قوم نوح: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 24] وقال قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: 70] وقالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [المؤمنون: 38].

وأخبر سبحانه في آخر سورة «غافر» عمن أهلك من الأمم المكذبين فقال وقوله الحق: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ الآية [غافر: 84]، فما من أمة قصَّ اللّهُ

---

(1) متفق عليه، وقد تقدم من رواية البخاري (2736) ومسلم (2677) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه. به.

علينا نبأها إلاّ وهذا الاسم مُتعارفٌ عندهم، جارٍ على ألسنتهم لا ينكرونه إلا أفذاذاً من الناس، كفرعون ونمرود ومن دَانَ بدينهما من الدَّهْرية[1]. وإنما أبقى الله سبحانه هذا الاسم الأعظم متواتراً فيهم ودائراً على ألسنتهم، ليكون أبلغ في الحجة. وبذلك قرر الله سبحانه حجته وحجة رسله على المكذبين الجاحدين الكافرين بآياته البينات، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: 25] [و] غير ذلك مما قد جرى من التقرير على المكذبين بمحمد ﷺ خاتم المرسلين، ولمن قبله من المرسلين.

ثم لا يدل هذا على معرفتهم بمدلول هذا الاسم كما زعم بعض الناس، وإنما كان المعلوم المتداول عندهم التسمية ولا علم عندهم بمدلوله، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106] فهذا هو الأغلب على الأمم. ويشهد لك أكثر آي القرآن وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثلاثة [نفر] قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي الحديث[2]، وقد تقدم في اسمه «السميع». ولو

---

(1) الدهرية: من فِرَقِ أهل الغلو، نفت الربوبية وجحدوا الصانع المدبّر العالِم القادر، وزعموا أن العالِم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع، و لم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، وكذلك كان، وكذلك يكون أبداً.

وهم ينكرون النبوة والبعث والحساب، ويردّون كل شيء إلى فِعْل الأفلاك، ولا يعرفون الخير والشر، وإنما اللذة والمنفعة.

والطبيعيون الدهريون خلاف فلاسفة الدهريين، والأولون يقولون بالمحسوس وينكرون المعقول، بينما يقول الآخرون بالمحسوس والمعقول معاً، وينكرون الحدود والأحكام، ويصفهم القرآن فيقول: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 23]. موسوعة الفرق والجماعات (ص: 347).

(2) الحديث تقدم قبل قليل من رواية أحمد (3614) والبخاري (4816) ومسلم (2775) وغيرهم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفرٍ، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي. قليلٌ فقه قلوبهم، كثيرٌ شحم بطونهم فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمعُ إن جهرنا ولا يسمعُ إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فهو يسمعُ إذا أخفينا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: 22]. الآية. لفظ مسلم.

علموا مدلول هذا الاسم لم ينكروا تسميته: بالرَّبِّ والرحمن. ولما قال شعيب ـ على نبينا وعليه السلام ـ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: 90-91] [وقال سبحانه في حقّ كُفَّار قريش:] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [الفرقان، 60] وفي «الصحيحين» أن سهيل بن عمرو في قصة يوم الحديبية قال للنبي ﷺ: أما الرحمن فما نعرف ما الرحمن ولكن اكتب: «باسمك اللهم»[1].

وإذا جهلوا مدلول اسم الرب مع ظهور آياته وعظيم بيناته، وهم في كفالته وتربيته، وجهلوا «الرحمن» وهم يتقلبون في نعمته ورحمته ويتأخر عنهم العذاب برحمته، فكيف بمدلول اسم «الله» مع غموض مفهوماته وجهلهم بمقتضياته؟ إذ هذا الاسم لا يشير في دلالته إلى صفة بعينها، ولا يقتضي متعلقاً وإضافة يتعرف بها أو أثراً مخصوصاً من الأفعال يستدل به. وإنكارهم «الرحمن» دليل على جهلهم بمفهوم هذا الاسم، وإنما تداولوه تقليداً وتناقلوه تلقيناً، وحفظه الله سبحانه وتعالى في الأرض حكمة بالغة منه، وأجراه على ألسنتهم يقرون به مع غموض مفهوماته وينكرون ما يدل على ما وجب له من صفاته العلى وأسمائه الحسنى، وآثارها في أفعاله بينة ودلالتها عليه شاهدة. حتى إذا أراد الله تعالى زوال الدنيا، قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين وفجأهم عند ذلك الحق اليقين وفي الصحيح: «**لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول الله**»[2] كما بيناه في آخر «كتاب التذكرة».

---

(1) جزء من حديث صلح الحديبية الطويل والذي رواه الإمام أحمد (4480) و(4595) و(5165) والبخاري (1639) ومسلم (1230) والنسائي في «الكبرى» (3842) وفي «المجتبى» (2932) والحميدي (678) وغيرهم مطولاً ومختصراً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، به.

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (12043) ومسلم (148) والترمذي (2207) وعبد الرزاق (20847) وأبو يعلى (3526) وابن حبان (6848) والحاكم (8511) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**» لفظ مسلم.

وفي لفظ آخر لمسلم: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله**».

ولم يتسم أحد بهذا الاسم الشريف، وهو مما اختصَّ به الجليل وقد قبض اللّه أفئدة الجاهلين وألسنتهم عن التسمي به من غير مانع ولا وازع، لأن أكثر من تداوله من الجاهلين إنما تداولوه على أنه اسم يختص بالخالق رب العالمين، وأنه ليس باسم لمخلوق. فعلى هذا تداوله معظم الخليقة تقليداً وبين ذلك قوله الحق: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: 25].

فاللّه اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوحدانية لا إله إلا هو، الواجب الوجود والربُّ المعبود، المُنزَّهُ عن النقائص والشوائب، والمبرأ عن الآفات والمعايب، لا شريك له ولا شبيه له ولا ند له ولا نظير له ولا مُعين له ولا وزير. نحمد اللّه ولا ند له، عنده الخير وما شاء فعله، سُبحانه له العظمةُ والكبرياءُ والعزُّ والمجدُ والثناءُ والقدرة على ما شاء، والبطش والقهر للأعداء. وله العطف والرحمة والجود والامتنان والرأفة والعفو والبر والإنعام على الأولياء، وله الأمر والنهي والحكم والقضاء لا إله إلا هو سبحانه.

واختلفوا في هذا الاسم هل هو عَلَم للذات موضوع له تبارك وتعالى يجري في العبارة عنه مجرى الأسماء الأعلام في المخلوقين وهي قولنا: زيد وعمرو والألف واللام لازمة له لا لتعريف ولا لغيره، وهو اختيار الشافعي والحليمي وأبي المعالي والخطابي والغزالي والقاضي أبي بكر بن العربي وأبي الحسن بن الحصار وكثير من المحققين وهو مذهب أبي عثمان المازني وأبي الحسن بن كيسان والمفضل وعن الخليل قولان حكاهما عنه سيبويه.

ثم اختلفوا فيه على وجهين، **أحدهما**: أنه عربي ابتدأت العرب بوضعه. **الثاني**: عبراني نقلته العرب إلى لغتها. وذهب كثير من أهل العلم أيضاً إلى أنه مشتق فروى سيبويه عن الخليل وأصحاب سيبويه أيضاً عن سيبويه أن الأصل «الإلاه» مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة. قال سيبويه: مثال الناس، أصله أُناس. ولسيبويه قول آخر وهو اختيار أصحابه، وذهب إليه بعض الكوفيين أن الأصل «لاه» ثم دخلت الألف واللام للتفخيم والتعظيم وأنشدوا:

لاهِ ابنَ عمّكَ لا أفضلتَ في حَسَبٍ عنّي ولا أنتَ ديّاني فتخزوني[1]

أراد إله ابن عمك، ومعنى تخزوني ـ بالخاء المعجمة ـ تسوسني، خزاه يخزوه وساسه يسوسه. وأنكر هذا القول حذاق النحويين وقالوا: لم نجد في كلام العرب اسماً فُخّم وعُظّم بدخول الألف واللام عليه فنقيس هذا عليه وما وجد من ذلك في الشعر كقول الراجز:

باعد أم العمر من أسيرها

وقول آخر:

يا ليت أم العمر كانت صاحبي

فليس بحجة لأن ضرورة الشعر تبيح ما لا يجوز في الكلام، وأجيبوا بأن قيل: إنا وجدنا لاسم اللّه تعالى خصائص لا يشاركه فيها غيره من الأسماء ولا يبعد أن تكون الألف واللام للتفخيم فيه ويكون من جملتها، على ما يأتي بيانه. وقيل: هو مشتق من: أله الرجل إلى الرجل يأله إليه، إذا فزع إليه من أمر نزل به. أي أجاره وآمنه. فسمي «إلهاً» كما يسمى الرجل: إماماً إذا أمّ الناس فائتموا به، ثم لما كان اسماً لعظيم ليس كمثله شيء، أرادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الألف واللام لأنهم أفردوه لهذا الاسم دون غيره فقالوا: «الإلاه» واستثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استعمالهم إياها وللهمزة في وسط الكلام ضغطة شديدة فحذفوها، وأدغموا اللام في الأخرى فصار الاسم كما نزل به القرآن. قاله أهل الكوفة.

وقال بعضهم: إن أصله «ولاه» فأبدلت الواو همزة فقيل «إلاه» كما قالوا: وسادة وأسادة، ووشاح وإشاح. واشتق من: الوله لأن قلوب العباد توله نحوه كقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53] وكان القياس أن يقال:

---

(1) قاله: حرثان بن الحارث بن عدول، من شعراء الجاهلية، كان يُلقب بذي الإصبع العدواني. والبيت من قصيدته التي مطلعها:

لي ابن عم ما كان من خلق مختلفان فأقليه ويقليني

وقد أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (98/1).

مألوه، كما قيل: معبود، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون اسماً علماً فقالوا «إلاه» كما قالوا للمكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب.

وقيل: أصله من: أله يأله، إذا تحير وذلك لأن القلوب تأله عند التفكر في عظمته سبحانه، أي تتحير وتعجز عن بلوغ كنه جلاله.

وحكى بعض أهل اللغة أنه يقال: أله يأله إلاهة بمعنى عبد يعبد عبادة. ويروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ﴾[1] [الأعراف: 127] أي عبادتك[2]. قال: والتأله: التعبد، فمعنى «الإلاه» المعبود وقول الموحدين: لا إله إلا اللّه. معناه لا معبود غير اللّه «وإلا» في الكلمة بمعنى «غير» لا بمعنى الاستثناء. وزعم بعضهم: أن الأصل فيه الهاء التي هي الكناية عن الغائب، وذلك لأنهم أثبتوه في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية ثم زيدت فيه لام المُلك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار له، ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيماً وتوكيداً لهذا المعنى. ومنهم من أجراه على الأصل بلا تفخيم.

قال الخطابي: فهذه مقالات أصحاب العربية والنحو في هذا الاسم، وأحب الأقاويل إليَّ من ذهب إلى أنه اسمٌ عَلَمٌ وليس بمشتق كسائر الأسماء المشتقة، والدليل على أن الألف واللام [ليستا] للتعريف دخول حرف النداء [عليه]، كقولك: يا اللّه، وحرف النداء لا يجتمع مع الألف واللام للتعريف. ألا ترى أنك لا تقول: يا الرحمن. ولا يا الرحيم، كما تقول: يا اللّه فدل على أنه من بنية الاسم واللّه عزَّ وجلَّ أعلم[3].

وقال ابن الحصار: ولا اشتقاق لاسمه «اللّه» وليس هو من باب الألقاب لأنه أفاد مسمّى لا مثل له، وذلك لا يصلح لغيره سبحانه. واللقب يوضع لكل مسمى. قال: وكان شيخنا ـ رحمه اللّه ـ يقول في هذا الاسم إنه أخذ من كل نوع من أنواع الأسماء بحظ، فمن حيث لا يشعر عند إطلاقه بصفة معينة ولا اشتقاق أشبه اللقب. ومن حيث

(1) والآية كما هو رسمها في القرآن ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: 127].

(2) «الجامع لأحكام القرآن» (1/98-99).

(3) المصدر السابق (1/99).

تضمن في دلالته موصوفاً بأوصاف مشتقة فقد أخذ بحظه من المُشتقة. ومن حيث أفاد العارفين به مسمى يتميز به عن سائر التسميات أشبه بالمفيد.

قال ابن الحصار: و لم أر أحداً يقول باشتقاق هذا الاسم حتى يرده إلى اسمه «الإلاه» فإذا دللنا على أنه غيره بطلت حجة من قال باشتقاقه، وإذا كان لا يُشعر بصفة بعينها كيف يكون مُشتقاً؟ ولأنه لا نظير له من أسماء المخلوقين [وأما اسم] العلم وإن أخذ من الصفة أو نقل من أسماء الأجناس إذا صار اسماً علماً انتقل عن حكم الاشتقاق، وعن جريان مجرى الأوصاف المشتقة، وصار يدل على ذات مخصوصة وما وجب لها دلالة مطلقة. وإذا ثبت ما قلناه فلا ينبغي لأحد أن يتصرف في هذا الاسم بغير ما ورد في الشرع لأن ذلك تحكم لا حجة عليه.

ومن علم مفهوم هذا الاسم العظيم خضع له وخشع، وألزم قلبه هيبته وتعظيمه، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2] فمن علم اللّه سبحانه وعلم ما يجب له علم استحالة اتصاف غيره بما اتصف به الحق سبحانه، وكان ذلك أبعد له من التسمي بشيء من أسمائه إلا بإذنه. فقوله: «اللّه» أخصّ أسمائه تعالى لأنه لم يتسم به غيره، ولذلك لم يُثنّ ولم يُجمع وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ [مريم: 65] أي من تسمى باللّه الذي هو اللّه وغيره من أسمائه، وقد يتسمى به المخلوقون سوى هذا الاسم العظيم مسيلمة ـ لعنه اللّه ـ (بالرحمان) وأنشد أهل اللغة:

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أباً ... فأنت غيث الورى لا ريب رحمانا

وقيل المعنى: هل تعلم له مثيلاً وشبيهاً.

وهذا الاسم يختص عن سائر الأسماء بخواص أولها: ــ أنه أولها. **وثانيها**: أنه أعظمها. **وثالثها**: أنه أعمها مدلولاً. **ورابعها**: أن مدلولاته لا تنحصر. **وخامسها**: أنه أولى بالاسمية وسائر [أسمائه] أولى بالأوصاف. **وسادسها**: اختصاصه باللّه شرعاً ونقلاً. **وسابعها**: أن اللّه سبحانه قبض عنه الأفئدة والألسنة فلم يتجاسر أحد على التسمي به. **وثامنها**: أنه الذي يفتتح به كل أمر تبركاً وتيمناً. **وتاسعها**: أنه متعارف عند الجميع لم تنكره أمة من الأمم. **وعاشرها**: أنه إذا ارتفع من الأرض قامت الساعة.

ومن خواصه زائداً على ما تقدم: أنك تحذف ألفه فيبقى « لله» ولله ملك السماوات والأرض. وتحذف الألف واللام فيبقى: له. وله كل شيء. وتحذف اللامين فيبقى «هو» ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال بعض شيوخ الصوفية: إنه اسم الله الأعظم لأنه لا يتطرق حذف بسقوط حرف. وقد تقدم قول ابن فورك: إن كلمة «هو» مركبة من حرفين الهاء وهي من حروف الحلق والواو وهي من حروف الشفتين، والحلق أول مخارج الحروف والشفتان آخرها فدل ذلك على أن منه المبدأ وإليه المنتهى.

ومن خواصه: أن جميع الأسماء تُنْسَبُ إليه ولا يُنْسَبُ هو إلى شيء منها كما تقدم، ولم يجعل ذلك لغيره.

ومن خواصه: أنه اختص في القَسَمِ بحالة لا تكون لغيره من أسمائه ولا غيرها كقوله: تالله لا أفعل. وقولهم: أيمن الله لأفعلن. ومنها أنهم ألزموه الألف واللام عوضاً عن همزته ولم يفعلوا ذلك في اسم سواه. ومنه أنهم قالوا: يا الله، فقطعوا همزته وجمعوا بين ياء التي للنداء واللام ولم يفعلوا ذلك في غيره.

ومنها: أنهم خصوه مع لام الجر بخاصة لا توجد في اسم من أسمائه سبحانه ولا غيره وذلك أنهم يقولون: لله أبوك. ولاه أبوك. ولهي أبوك. ولا يستعملون ذلك إلا عند التعجب من الشيء، ولا يكون في غير التعجب لو قلت: لاه القدرة لم يجز.

ومنها: أنها حذفت منه الألف في الخط تنزيهاً لهذه الكلمة أن لا تشتبه بهجاء ـ اللات ـ إذا وقفوا عليها وقيل: إنها حذفت لكثرة الاستعمال.

ومن خواصه أيضاً أنه هو أول مطلوب وآخر مطلوب. قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[1] وقال ــ عليه السلام ــ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[2].

---

(1) رواه الإمام أحمد (67) والبخاري (7284) ومسلم (20) وأبو داود (1556) والترمذي (2607) وغيرهم من حديث عمر رضي الله عنه. عن النبيِّ ﷺ، بزيادة: «فمن قال لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله».

(2) رواه الإمام أحمد (464) ومسلم (26) والنسائي في «الكبرى» (6/10952) وفي «عمل اليوم والليلة» (1115) وابن منده (32) وابن حبان (201) وغيرهم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، به.

وقد اختصَّ بالشهادتين وبالأذان ويدل على الذات وما وجب لها دلالة مطلقة، ويتضمن صفات الإثبات ويتضمن التنزيه الراجع إلى نفي النقائص، ويتضمن الخلق والإبداع والإنشاء والاختراع، ويدل على ما وجب له سبحانه من الجلال والكمال والعلو والمجد وكل ما يقتضيه الحمد مطلقاً، من غير حصر ولا إضافة. ويدل على الاستقلال والاستبداد والنزاهة المطلقة، وإليه الإشارة بقوله الحق: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: 68] ولم يقل هو غني عن كذا، بل أتى بالألف واللام، ثم أطلق «الغني» من غير إشعار في دلالته بإضافة أو صفة مخصوصة وكل ما يتكلم عليه من الأسماء فإنما هو كلام في بعض مدلولاته. قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**»[1]. الحديث وقد تقدم.

ولعل هذا الذي ذكرنا من خواص هذا الاسم الذي لا توجد في غيره، ذهب من ذهب إلى أنه اسم الله الأعظم والله أعلم وأحكم.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: يحتمل أن نعتبر هذا الاسم بصفة الأعظم لخمسة معان: **أحدها**: الاختصاص به ومنع الغير أن يشارك في التسمية به. **الثاني**: عموم معانيه وكثرة متعلقاته. **الثالث**: عظيم ثوابه. **الرابع**: لزوم الإجابة به. **الخامس**: عدم معرفته وتعاليه عن الإحاطة به.

قال ابن الحصار: أما عدم الإحاطة به فلأنه يدل على ما يستحيل عليه الإحاطة والنهاية، وهذا المعنى يتضمن عموم متعلقاته وكذلك الاختصاص به، إنما كان ذلك لأنه في معنى الاسم العلم يدل على الذات وما وجب لها مُطلقاً. فلما لم يكن له شبيه ولا

---

(1) جزء من حديث تقدم من رواية أحمد (19876) والبخاري (3191) وغيرهما، من طريق صفوان بن مُحرز، أن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ حدثه؛ قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلتُ ناقتي بالباب. فأتاه ناس من بني تميم فقال: «**اقبلوا البُشرى يا بني تميم**». قالوا: قد بشَّرتنا فأعطنا (مرَّتين). ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**». قالوا: قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر. قال: «**كان الله ولم يكن شيءٌ غيره. وكان عرشه على الماء. وكتب في الذِّكر كل شيء. وخلق السماوات والأرض**». فنادى مُنادٍ: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين. فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السَّراب. فوالله لوددت أني كنت تركتها» لفظ البخاري.

نظير، منع الغير من التسمي به ليقع الاختصاص بما اختص به بخلاف زيد وعمرو، وأما عظيم ثوابه فإن صح بذلك أثر، فإنما ذلك لكثرة متعلقاته وعظيم دلالته وكل ما عدا ذلك تابع لهذا المعنى. وأما لزوم الإجابة به فقد استدل ـ رحمه الله ـ عليه بدعوة ذي النون ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

قال ابن الحصار: وإذا تأملت القرآن والحديث، وجدت أكثر دعوات المرسلين والنبيين، وسائر من ذكر الله من المؤمنين باسمه الرب. فمن ذلك قول إبراهيم ـ على نبينا وعليه السلام ـ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40] واعتبر ما قبل هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة وقال في «سورة البقرة»: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127] وقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ [البقرة: 129] ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: 128] وكل هذا مستجاب. قال رسول الله ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»(1) ومن قول نوح ـ على نبينا وعليه السلام ـ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: 28] ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [نوح: 26] ومن قول موسى ـ عليه السلام: ـ ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي﴾ [الأعراف: 151] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (17150) والبخاري في «التاريخ الكبير» (68/6) وابن حبان (6404) والآجري في «الشريعة» (ص: 421) والبيهقي في «دلائل النبوة» (80/1) والبزار (2365) وغيرهم، بإسناد يحسن بغيره من حديث العرباض بن سارية الفزاري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام» لفظ ابن حبان.

وفي الباب عند الحاكم (4230)، من طريق خالد بن معدان، عن أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، فقال: «دعوة أبي إبراهيم...» الحديث وذكره بنحوه.

حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: 88-89] ولم يؤمن فرعون حتى رأى العذاب. ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران: 35، 37] وقالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: 11] وأثنى الله على الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201] واعتبر آخر سورة البقرة من قوله: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286] إلى آخر السورة.

وفي «الصحيح» قال رسول الله ﷺ مُخبراً عن الله تعالى: «قد فعلت»[1] واعتبر آخر سورة آل عمران. وقال للداعين فيها: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: 195]

---

(1) الحديث بطوله رواه الإمام أحمد (7475) والبخاري (2528) ومسلم (126) وأبو داود (2209) والترمذي (1183) والنسائي (3434) وابن ماجه (2044)، وغيرهم من طريق سعيد ابن جبير يُحدِّث عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284]. قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء. فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم. فأنزل الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ - قال: قد فعلت ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286] قال: قد فعلت». لفظ مسلم.

وروى الإمام أحمد (9355) ومسلم (125) وابن حبان (139) وأبو عوانة (76/1) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284] قال: فاشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ. ثم بركوا على الرُّكب. فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نُطيق. الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل=

حتى إبليس قال: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: 14] حتى قال بعض الناس إنه اسم الله الأعظم لما رأى من كثرة الداعين به وإنما ذلك لما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين المربوب وبين ربه مع ما يتضمنه من العطف والرحمة والافتقار في كل حال.

قلت: وقال آدم وحواء: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: 89ـ90] الآية وقال زكريا: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: 89ـ90] وقال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: 16].

وقال ابن الحصار: وقد يلتمس الداعي عند دعائه أولى الأوصاف بحاله، كقول أيوب ـ عليه السلام ـ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83] فلا حجة إذاً فيما احتج به من دعوة ذي النون ـ عليه السلام ـ [إذ] وَحَّدَ ربه في تلك الحال، وإن لم يزل موحداً مُخلصاً. لكن تأكدت حاله عندما أراد الله تعالى إجابته، وقد كان ظن أن لن يقدر[1]، وليس لأحدٍ أن يظن ذلك وقد قال نبينا ﷺ: «ما أدري

=قولوا: سمعنا وأطعنا غُفرانك ربَّنا وإليك المصير» قالوا: سمعنا وأطعنا غُفرانك ربَّنا وإليك المصير. فلمَّا اقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى. فأنزل الله عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: «نعم» ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286] قال: «نعم».

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي فاعتقد أن لن نضيق عليه ونؤاخذه، لتركه أهل نينوى الذين كان قد أرسل إليهم و لم يستجيبوا له.

ما يفعل بي ولا بكم»[1].

فإن قيل: فما للداعي قد يدعو فلا يجاب بمطلوبه بهذا الاسم وغيره وهذا هو مقصود هذا الفصل؟ فالجواب أن تعلم: أن قوله الحق: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] **لا يقتضي الاستجابة مطلقاً لكل داعٍ على التفصيل، ولا بكل مطلوب على التفصيل، فقد قال تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [الأعراف: 55] **وكلُّ مصرٍّ على كبيرة عالماً بها أو جاهلاً فهو مُعتدٍ، وقد أخبر أنه لا يحب المعتدين فكيف يستجيب له؟ وذكر رسول الله ﷺ «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»**[2] **وقال تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾** [الأنعام: 41].

وقد دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ في ثلاثٍ فأعطيَ اثنتينِ وَمُنِعَ واحدةً[3]. وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾** [البقرة: 186]

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (2797) والبخاري (7003) وغيرهما من طريق خارجة بن زيد بن ثابت أنَّ أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت رسول الله ﷺ أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعةً قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون وأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي تُوفي فيه، فلما تُوفي غُسِّلَ وكُفِّنَ في أثوابه دخل رسول الله ﷺ قالت: فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله ﷺ: **«وما يدريك أن الله أكرمه»** فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمتى يُكرمه الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أما هو فوالله لقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، ووالله ما أدري وأنا رسول الله ماذا يفعل بي؟»** فقالت: والله لا أُزكي بعده أحداً أبداً. لفظ البخاري.

(2) رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم، وقد تقدم.

(3) روى الإمام أحمد (1516) ومسلم (2890) والبزار (1125) وأبو يعلى (734) وابن حبان (7237) وغيرهم. واللفظ لمسلم، من طريق عامر بن سعد عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه. ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال ﷺ: «سألتُ ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألتُ ربي أن لا يُهلك أمتي بالسَّنَة فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلكَ أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

القول فيه كالقول فيما تقدم، وإنما المراد من الآيتين مخاطبة جميع المؤمنين وتعريفهم بأن هذا وصف ربهم سبحانه أنه يجيب الداعين في الجملة، وأنه قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطراره فيجيبه بما شاء وكيف شاء. فإذا سمع دعوة الداعي علم إخلاص كل عبد منهم ومبلغ علمه وقدر تضرعه وضرورته وحاجته، وجرى حكمه في الجميع بحكمته ووضع الأمور مواضعها بعدله. وتصرفت الأمور كلها الجملة والتفصيل على أقدار معلومة، لكل صفة من صفته من ذلك حظ. ولكل اسم من اسمه تعلق بكل قضية منها جملة وتفصيلاً، و لم تقع الإجابة على وفق هوى الداعي ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [المؤمنون: 71].

وقد روى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجّل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يكشف عنه من السوء بمثلها»** قالوا: [إذن] نكثر. قال: **«الله أكثر»**[1] خرجه أبو عمرو[2] وصححه أبو محمد عبد الحق، وهو في الموطأ منقطع السند. فقد بين في هذا الحديث أن الإجابة هي أن يعطيه الله إحدى ثلاث وهو يدلك على صحة ما تقدم من احتناب الاعتداء ثم الدعوات كلها في المشيئة وأن الاستجابة بعين المطلوب لم تضمن لأحد ولا وعد بها أحد إلا دعوة واحدة لكل نبي، وما سوى ذلك من الدعوات في مشيئته سبحانه يقضي فيها بحكمه وحكمته ولو كانت الإجابة بعين المطلوب في كل دعوة لكل أحد لبطل معنى قوله ـ عليه السلام ـ: **«لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»**[3] أي هم

(1) رواه الإمام أحمد (11133) والبخاري في «الأدب المفرد» (710) والحاكم في «المستدرك» (1/1829)وأبو يعلى (1019) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1130) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، به، وإسناده جيد.

(2) في «التمهيد» (344/5).

(3) رواه الإمام مالك في «موطئه» (495) في كتاب القرآن. والإمام أحمد (7718) والبخاري (6304) ومسلم (198) وعبد الرزاق (20864) وابن منده (892) والآجري في «الشريعة» (ص: 341- 342) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، به.

على يقين من إجابتها فيما سألوه وأرادوه، ثم هم في سائر دعواتهم كدعوات سائر الصالحين والمؤمنين إلا أن الله سبحانه [قد] لا يستجيب لهم من دعوة واحدة، وكم قد استجاب لهم من دعوة [واحدة] وكم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ [استجاب له الله تعالى من أول دعوة][1].

فيجب على كل مكلف أن يعتقد ويعلم: أن الله سبحانه وله الحمد موجود له الوجود الواجب المتوالي الباقي الدائم، ودوام وجود ما سواه ممكن ما شاء إيجاده منه أوجده ومالم يشأ لم يكن له وجود، وما شاء إيجاده فوجوده ما بين عدمين بداية ونهاية، إلا ما أخبر من جنته وناره فإنه لا نهاية لهما، دار أوليائه ودار أعدائه كل فيها خالد، وكل موجود غير مستحق للوجود بذاته وإنما استفاد الوجود منه. ثم يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه، وأنه يُجازيه بعمله كبيره وصغيره، فتكون همته عبادة مولاه لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه فيتواضع له، ويشعر نفسه عظيم مشاهدته وكريم حضوره في كل أحيانه وجميع أحواله، ويرغب إليه أن يونسه بقربه بدوام ذكره في قلبه والخلوة عن غيره. فإن علامة الأنس بالله إيثار الخلوة كما قال عزَّ من قائل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

ثم يعلم: أنه مُتَعَبَّدٌ بذكر اسمه في أوائل أموره كلها من؛ أكل وشرب وذبح ونحر وركوب بر وبحر وطهارة ودخول منزل ونوم وجماع وقراءة، إلى غير ذلك من تصرفاته. وكل ذلك مشروع على الإطلاق وخاصة في أوائل الأمور المشروعة قال رسول الله ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر**» وروي «**أقطع**» ويروى «**أجذم**»[2] ومتعبد بتحسين الأسماء الأعلام واجتناب قبيحها واجتناب الألقاب قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: 11] وقال رسول الله ﷺ: «**تسموا**

---

(1) عبارة يقتضيها السياق.

(2) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (209/3) و(330/8) والطبراني في «الكبير» (72/19) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، به.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (2/3148) وعزاه للطبراني في «الكبير» وقال: وفيه صدقة ابن عبد الله، ضعفه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم، ووثقه أبو حاتم ودحيم في رواية.

بأسماء الأنبياء» «وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»[1] وقد تقدم هذا في مقدمة الكتاب.

ومن عَلِمَ أن اسم «الله» يتضمن جميع مدلولات سائرها ويزيد عليها لم يشك أنه أعظم الأسماء.

وقد اختلف العلماء في تفضيل بعض الأسماء على بعض وتفضيل بعض الآي فقال قوم: لا فضل لبعض على بعض لأن الكل كلام الله، وكذلك أسماؤه الحسنى ولا مفاضلة بينها. وقال آخرون: بالتفضيل، وهو الذي يقوم عليه الدليل. قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد بن المعلى: «**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**» ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سور القرآن قال: «**الحمد لله رب العالمين وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**» انفرد بإخراجه البخاري ـ رحمه الله[2] ـ وقال لأبي بن كعب: «**يا أبي أي آية معك في كتاب الله أعظم؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: «**يا أبي أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [البقرة: 255] قال: فضرب في صدري وقال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**» خرجه «الصحيح»[3]، وخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن وهي آية**

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (19/72) والبيهقي في «السنن الكبرى» (3/209) وفي «شعب الإيمان» (1894) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، به. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (3148)، وعزاه للطبراني في «الكبير» وقال: وفيه صدقة بن عبد الله، ضعفه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم. ووثقه أبو حاتم ودحيم في رواية.

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (17851) والبخاري (5006) وأبو داود (1458) والنسائي (912) وابن ماجه (3785) والطبراني (22/303) وابن حبان (777). كلهم من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، به.

وفي الباب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند أحمد (9345) وغيره.

(3) رواه الإمام أحمد (21336) ومسلم (810) وأبو داود (1460).

الكرسي»[1] وخرج أيضاً عن عبد الله بن يزيد عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد. قال: فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**»[2] وقال فيه: حديث حسن غريب. وخرّج[3] عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: 163] وفاتحة آل عمران ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 1-2] وقال فيه: حديث حسن.

وروي عن أنس بن مالك قال: دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو وهو يقول في دعائه: اللهم لا إله إلا أنت الحنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «**أتدرون بما دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**» خرجه أبو داود بنحوه[4] وسيأتي.

---

(1) رواه الترمذي في فضائل القرآن (2878) والحاكم (1/2058) وتعقبه الترمذي بقوله: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه.

(2) رواه الترمذي في الدعوات (3475) والنسائي في «المجتبى» (4362).

(3) في الباب نفسه برقم (3478)، وتعقبه بقوله: هذا حديث حسن صحيح.

(4) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (12611) والبخاري في «الأدب المفرد» (705) وأبو داود (1495) والنسائي (1299) وابن حبان (893) والضياء المقدسي في «المختارة» (1884) و(1885) والبغوي (1258) والطبراني في «الدعاء» (116) وغيرهم بإسناد جيد، واللفظ لأحمد من حديث أنس رضي الله عنه، قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ في الحلقة ورجل قائم يصلّي، فلما ركع وسجد، جلس وتشهّد، ثم دعا فقال: اللهمَّ إني أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت المنّان، بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيُّوم، إنّي أسألك. فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون بما دعا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى**».

قال عفان: «دعا باسمه».

• ومنها:

2. اللهمَّ
جلَّ جلالُهُ وتقدَّستْ أسماؤهُ

وهو اسم عظيم جاء في التنزيل وفي الدعاء كثيراً، ولا خلاف بين العلماء أن المراد بقوله «اللهم»: يا الله، وأن الميم زائدة ليست بأصل في الكلمة. واختلفوا في معنى زيادتها. فذهب سيبويه إلى أنهم زادوها عوضاً من حرف النداء، فلذلك لا يجوز عنده أن يقال: يا اللهم، ولا يجوز أن يُوصف به. لأنه لما كان لا يستعمل إلا في النداء نحو قولهم: حل وهلا وهاب في زجر الخيل، وشبه ذلك مما لا يجوز أن يُوصف. وكذلك جميع الأسماء التي لا تقع إلا في النداء لا يجوز أن تُوصف ولا تُؤكد، نحو: هناه وفساق وغَدار وفُسق وغُدُر ونحو ذلك.

وذهب الفراء إلى أنه يجوز أن يدخل حرف النداء عليه، ورد على سيبويه قوله واستشهد بقول القائل:

إنـي إذا مـا حَـدَثٌ ألَمَّـا أقـولُ يـا اللّهُـمَّ يـا اللّهُمَّـا

إلى شواهد أُخر وردت في الشعر. فقال البصريون: لا حجة في هذا لأن الشعر موضوع ضرورة، وكذلك ذهب المبرد، وطائفة من أهل العربية إلى جواز وصفه واحتجوا بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: 46] وقال المخالف: لا حجة فيه لأنه يمكن أن يكون (فَاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ) منصوباً على نداء ثانٍ كأنه قال: يا فاطر السماوات والأرض منصوباً على المدح.

وقال الفراء: إن أصل هذه الكلمة إنما كان «اللّه أُمَّنا بِخَيْرٍ» فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على الهاء.

وقال البصريون: هذا خطأ لأنه قد تستعمل في مواضع لا يصح فيها هذا التقدير، ألا ترى أنك تقول: اللهم أهلك الكفار. مع أن قوله إن أصلها: «اللّه أمنا بخير» دعوى لا دليل عليها. وقيل: إن الميم زيدت في هذا الاسم للتفخيم والتعظيم كزيادتها في: رزقم وستهم وأمتم، وهذا غير خارج عن مذهب سيبويه لأنه لا يمتنع أن تكون

للتفخيم والتعظيم وإن كانت عوضاً من حرف النداء، وقد جاء في التفسير ما يؤيده. وروي عن الحسن البصري أنه قال: «اللهم» مجمع الدعاء. وقال أبو رجاء العطاردي: الميم في قوله: «اللهم» فيها تسع وتسعون اسماً في أسماء اللّه تعالى. وقال النضر بن شميل: من قال «اللهم» فقد دعاه بجميع أسمائه.

قال الأقليشي: قال لي الإمام أبو محمد البطليوسي فيما قرأت عليه: ومعنى هذا أن الميم في كلام العرب تكون من علامات الجمع، ألا ترى أنك تقول: عليه للواحد، وعليهم للجميع. وكذلك: إليه، وفيه، إذا أردت الجمع قلت: إليهم وفيهم، فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك: ضرب وضربوا، وقام وقاموا. فلما كانت كذلك زيدت في آخر اسم «اللّه» لِتشْعِرَ وتُؤْذِنَ بأن هذا الاسم قد اجتمعت فيه أسماء اللّه تعالى كلها. وإذا قال الداعي: «اللهم» فكأنه قال: يا اللّه الذي له الأسماء الحسنى، ولأجل ذلك فتحت الميم لتكون بإزاء الفتحة في قولك: مسلمون، وصالحون. وشددت لتكون بالتشديد معادلة للحرفين المزيدين في: مسلمين وصالحين. وأما سيبويه فإنه قال: إنما شددت لتكون بمنزلة حرف النداء المحذوف وعوضاً منه. ولأجل استغراقها أيضاً لجميع أسماء اللّه تعالى وصفاته [فلا] يجوز أن يوصف [بها] لأنها قد اجتمعت فيها، هي حجة لما قال سيبويه.

• ومنها:




3. هو
جلَّ جَلالُهُ وتَقدَّستْ أسْماؤهُ




ذكره بعض العلماء في شرح الأسماء، وجعله اسماً من أسمائه تعالى. قال الأقليشي: وهذا لم يرد فيه أثر ولا هو من الأسماء التامة في لسان العرب بل هو اسم يحتاجُ إلى صِلَةٍ وعائدٍ ليكون مُفيداً، لأنك إذا قلت: «هو» وسَكَتَّ، لم يكن الكلام مُفيداً حتى تقول: هو أخي أو هو قائم، أو ما أشبه ذلك. لكن أرباب القلوب الصافية وأهل المقالات العالية جرت عندهم هذه الكلمة مجرى الأسماء الذاتية فقالوا: «يا هو» كما قالوا: «يا اللّه».

قال منصور بن عبد اللّه: الهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى من لا تدرك حقائق نعوته وصفاته بالحواس، وقد تقدم قول أبي بكر بن فورك: وأن الهاء تخرج من أقصى الحلق وهو أول المخارج والواو من الشفة وهو آخر المخارج، فكأنه يشير إلى كلا طرفي الأمور بيده، وهو الأول والآخر.

وقال بعضهم: إن اللّه كاشف الأسرار بقوله: «هو» وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء.

قال الأقليشي: وهذه كلها إشارات الأولياء وهي خارجة عن ظاهر العلم الحاصل بطريق النظر للعلماء، وإنما حصل لهم هذا بطريق الاختصاص عند الصفاء التام والإخلاص فيه.

• ومنها:

4. الإِلَهُ

جلَّ جلالُهُ وتقدَّستْ أسماؤُهُ

نطق به التنزيل في غير موضع وجاء ذكره في الأسماء في رواية عبد العزيز، وأجمعت عليه الأمّة. والهمزة فيه أصلية لا بدل من واو، والدليل عليه أن يجمع «آلهة» ووزنه فعال ككتاب. وقيل: أصله «ولاه» أبدلت الواو همزة، كما أبدلوها في وشاح، فقالوا إشاح. وقد ردّ هذا أبو علي الفارسي وقال: لو كان أصل «إلاه» ولاها لوجب إذاً صرف الفعل منه أن يقولوا: «تولّه» كما أن من يقول في: وشاح. إشاح إذا صرف الفعل منه قال: توشّح، فيرد الواو إلى أصلها، وكذلك كان يلزمه إذا جمع «إلاهاً» أن يقول «أولهة»، كما أن من يقول في وشاح يقول في الجمع: أوشحة، فلما وجدناهم يقولون: تألّه الرجل، وآلهة، فيقرون الهمزة على حالها علمنا أنها أصل لا بدل من واو وهو مشتق من: «التوله» وهو الفزع أي الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد قاله الحارث بن أسد المحاسبي في جماعة من أهل السُّنّة وأنشدوا:

وَلِهتُ إليكم في قضايا تنوبُني ... فألقيتُ فيها كدائمٍ محتدا

وقيل: هو من الوله، وهو الاضطراب والحيرة والدهش وأنشدوا:

وَلَهتْ نفسي الطروبُ إليكم ولها حالَ طعم الطعام

وقال آخر:

قد تحيّرتُ فيكَ خُذْ بيدي يا دليلاً لمن تحيَّر فيكَ

وقيل: هو من لاه إذا احتجب وأنشدوا:

لاهتْ فما عرفتْ يوماً بخارجةٍ يا ليتها خرجتْ حتّى عرفناها

وقال آخر:

لاه ربّي عن الخلائقِ طراً حَجَب الخلقَ لا يُرى ويرانا

وقيل معناه: علا، وهو راجع إلى احتجب، لأنه إن توهم متوهم أنه علو المسافة والمكان، فهو عن ذلك متعال. وإن اعتقد فيه: علو المنزلة والجلال فهو صحيح، والمعنى مشهور في اللغة يقال: لاهت الشمس؛ إذا علت وأنشدوا:

وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

وسميت الشمس لأنها في غاية العلو، ولذلك لم ير في المخلوقات أعلى منها سناً وسناءً. وقيل معناه: ظَهَرَ، لأنهم كانوا يُسمونَ الشمس: الإلهة لظهورها وأنشدوا:

وأعجلنا الإلهة أن تغيبا

ويحتمل أن يكونوا يسمون الشمس بذلك لأنها قد عبدت من دون اللّه، وأول من عبدها «سبأ» حين دوّخ الأرض وداسها وغلب ملوكها وساسها فتخلف عن أهل مملكته حتى ساءهم غيبته ثم برز وقال: إني لما بلغت ما بلغت ونلت من الأمل ما نلت رأيت أنه تعين عليّ حق الشكر فلم أر بذلك أحق من الشمس فسجدت لها عند طلوعها فاسجدوا معي. فكان ذلك أول عبادة الشمس. وقال اللّه تعالى مخبراً عن الهدهد: ﴿وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ [النمل: 24] ويقال أيضاً: لاهت بمعنى غابت، فيكون بمعنى الاحتجاب. وقيل: هو من «أله» إذا طالت إقامته، وأنشدوا:

ألهنا بدارٍ ما تَبِين رسومُها كأنّ بقاياها وشامٌ على اليدِ

وقيل: هو من العبادة والتعبد. وأنشدوا:

لله در الغانيـــــــات المـــــــره   ســـبحن واســترجعن مـــن تألــــه

أراد المدح.

ومن أقوال العرب: فلان يتأله، أي: يتعبد.

قال ابن الحصار: وإنما أوردوا هذا كله عند كلامهم على اسمه «اللّه» فإذا تـأملت ذلك علمت أنهم ردوا اسمه «اللّـه» إلى «الإلـه» ومـن الفـرق بـين الاسمين أن «الإلـه» يقتضي إضافةً وتعلقـاً بمألوه كمـن يقتضيـه اسـم «رب» بخـلاف «اللّـه» ولزمـه نعـت الوحدانية في الغالـب، أو مـا يقـوم مقـام النعـت بالوحدانيـة لقولـه: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: 84] ليبين عدم المشـاركة في هـذا النعـت. ومـن الفروق البينة قول فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38] وكذلـك قـد وضعه كثير من المشركين وصفاً لما عبدوه، فسـموا بـه الشـمس والقمـر والكواكـب والحجارة والخشب والشجر، جهلاً منهم بمدلـول هـذا الاسـم العظيـم، وأجروه مجرى الأوصاف لأن كل ما أجروه عليه قد كان له اسم يعرف به قبل ذلك، ولم يفعـل ذلـك أحد في اسمه «اللّه» ولم يتسم به أحد قط «فالإله» سبحانه هو المستحق أن يُعبـد. قـال اللّه العظيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] فاقتضت الآية أنـه لوجـوب انفـراده بالألوهيـة اسـتحق العبـادة. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45] فحكم من عرف «الإله» أن يأله إليه بالاعتماد عليه فيخلع كل إله سواه. والهوى من أبغض الإله فلا يكون هـواه إلا في عبـادة الحـق «الإلـه» وأن يكون اعتماده عليه وفزعه إليه في الرخاء والشدة ولا يكون من الفئة المرتدة [الذيـن] قـال اللّه فيهم: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53] فكـل أحـد فمعبـوده «الإلـه» فمن كان معبوده «الإلـه» فقـد كمـل شرفه وجاهـه وعـرف أنـه ليـس في السـماوات والأرض غيره، وإن كان موجود في السماوات والأرض فاللّه «إلهه» كما قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: 84].

«والإله» أيضاً: هو الخالق ويدل عليه قوله الحق: ﴿إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: 91] «والإله» أيضاً: هو الرَّبُّ، يدل عليه قوله الحق: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: 4-5] وقال إبراهيم: ﴿أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 86-87] «والإله» أيضاً: هو الذي يضر وينفع ولذلك قال إبراهيم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: 72-73].

هذا الذي يدل عليه هذا الاسم صريحاً ويتضمن كل صفة « لله» يتعلق الفعل بها فهو أعم الأسماء دلالة بعد اسمه «اللّه» و«اللهم» إلا أن دلالته منحصرة لوجوب انحصار وجود الافتقار في الأفعال ولذلك كثيراً ما يلي هذا الاسم اسمه «اللّه» فاعتبر ذلك في القرآن. وهو مع ذلك يقتضي مألوهاً فهو أقرب لإفهام المخاطبين، والدليل على أنه يدل على كل صفة تتعلق الأفعال بها وأنه أعم الأسماء دلالة بعد اسمه «اللّه» أن اللّه سبحانه كثيراً ما يُعرف في القرآن بكليات الأفعال كما عرف اسمه «اللّه» قال اللّه العظيم: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: 163-164] إلى آخر الآية، وأتبعه «بالرحمن الرحيم» كما أتبع اسمه «اللّه».

ثم ذكر كليات الأفعال فقال: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾ [الصافات: 1] إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: 4-5] وكذلك قرر حجته على خلقه بقوله: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [النمل: 59-60] إلى آخر الآيات يقول فيها: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعرف سبحانه أن الإله الحق هو الذي فعل الأفعال كلها فدل ذلك على أن «الإله» هو الذي تفتقر إليه جميع هذه الأفعال من جميع وجوهها على الإطلاق.

فإذا تقرر: أن لا فاعل إلا اللّه، فقد ثبت أن «لا إله إلا اللّه» فمن وضع هذا الاسم لمن لا يَخْلُقُ ولا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ أَحَدَ. ولذلك تَعَبَّدَنا في الإيمان والإسلام بقول: لا إله إلا اللّه، والعمل على مقتضاها. وبدأ بالنفي لأن العرب الذي بعث إليهم رسول اللّه ﷺ وكان منهم، كانوا قد اتخذوا آلهة غيره، ونسبوا إليها الضُّرَّ والنَّفعَ، فجاء النفي

والتنزيه بما عهدوه وألفوه مُقَدَّماً، وجاء الإثبات بعد ذلك بأن هذا الوصف ليس لغير اللّه تعالى، وإنما لله تعالى، قاله ابن الحصار.

وقال الحليمي ـ رحمه اللّه ـ: ضَمَّنَ اللّهُ سُبحانه المعاني التي ذكرناها في أسماء اللّه تعالى جَدُّهُ كلمة واحدة، وهي: لا إله إلا اللّه، وأمر المأمورين بالإيمان أن يعتقدوها ويقولوها، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [سورة محمد ﷺ: 19] وقال فيما ذَمَّ به مُستكبري العرب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: 35-36] المعنى إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا اللّه استكبروا و لم يقولوها بل قالوا مكانها: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: 36] [و]وصف اللّه تبارك وتعالى نفسه بما في هذه الكلمة في غير موضع من كتابه فقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255] وقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [غافر: 65] وأضاف هذه الكلمة في بعض الآيات إلى إبراهيم الخليل ـ صلوات اللّه عليه ـ فقال بعد أن أخبر عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: 25-27] فقيل: الكلمة لا إله إلا اللّه ومجاز قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ لا إله. ومجاز قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إلا اللّه. فيحتمل أن يكون أولاده المؤمنون أخذوا هذه الكلمة عنه فكانوا يقولون: لا إله إلا اللّه.

ثم إن اللّه جلَّ ثناؤه جددها بعد دروسها[1] للنبي ﷺ إذ بعثه، لأنه كان من ذرية إبراهيم [ـ صلى اللّه عليهما ـ] وورثه من هذه الكلمة ما ورثه من البيت والمقام وزمزم والصفا والمروة وعرفة والمشعر ومنى والكلمات التي ابتلاه بها فأتمها والقربان. فقال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[2] وفي هذا بيان أن هذه الكلمة تكفي للانسلاخ بها من جميع أصناف الكفر باللّه جلَّ ثناؤه. وإذا تأملناها وجدناها بالحقيقة كذلك. لأن من

(1) بعد دروسها: أي بعدما مُحيت من ألسنة الناس.

(2) متفق عليه. وقد تقدم قبل قليل.

قال: «لا إله إلا اللّه» فقد أثبت «اللّه» ونفى غيره فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل، وبما ضم إليه من نفي غيره عن الشريك، وأثبت «باسم الإله» الإبداع والتدبير[1].

قلت: والشبلي فيما يحكى عنه يقول: اللّه ولا يقول: لا إله إلا اللّه. فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار. وهذا ليس بشيء فإن اللّه سبحانه ذكر هذا المعنى في كتابه نفياً وإثباتاً وكرره ووعد بالثواب الجزيل لقائلها على لسان نبيه ﷺ كما ثبت في الصحاح وغيرها. روى أصبغ بن الفرج قال: (حدثنا) ابن وهب (حدثنا) عمر بن الحارث أن دراجاً أبا القاسم حدثهم عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه ﷺ قال: **«قال موسى ـ عليه السلام ـ يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال: يا موسى قل: لا إله إلا اللّه قال: رب شيئاً تخصني به قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفّة ولا إله إلا اللّه في كفةٍ مالت بهن لا إله إلا اللّه»** وهذا إسناد صحيح[2] خرجه النسائي وغيره.

وعن معاذ بن جبل عن رسول اللّه ﷺ أنه قال له حين بعثه إلى اليمن: **«إنك ستأتي أهل الكتاب فيسألونك عن مفاتيح الجنة فقل: شهادة أن لا إله إلا اللّه»**[3].

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» (185/1-186) مختصراً، والتصويب منه.

(2) بل هو إسناد ضعيف، دراج أبو السمح في روايته عن أبي الهيثم ضعف والحديث رواه النسائي في «الكبرى» (6/10670) و(6/10980) والطبراني في «الدعاء» (1480) والحاكم (1/1936) وأبو يعلى (1393) وغيرهم، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/16802)، وعزاه لأبي يعلى، وقال: ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف.

(3) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (2071) والبخاري (1458) ومسلم (19) وأبو داود (1584) والترمذي (625) والنسائي (2434) وابن ماجه (1783) وابن منده (116) وابن حبان (156) والطبراني (12408) وغيرهم من طرق يحيى بن عبد اللّه بن صيفي عن أبي معبد مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: **«إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن اللّه قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هما أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان اللّه قد فرض=**

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الدعاء لا إله إلا الله وأفضل الذكر الحمد لله**»[1] وعن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين يريد قوله سبحانه: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 65] وروي عن النبي ﷺ مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: 26] قال: «لا إله إلا الله»[2] وقاله علي وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم. وروى أبو ذر قال: قلت: يا رسول الله أوصني قال: «**اتق الله وإذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها**» قال: قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «**من أفضل الحسنات**»[3] وقال ابن مسعود في هذه الآية: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: 89] قال: الحسنة لا إله إلا الله[4]. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: 28] قال: شهادة أن لا إله إلا الله. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**»[5].

=**عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**». لفظ البخاري.

(1) رواه الترمذي (3383) وابن ماجه (3800) والحاكم (1/1852) وابن حبان (846) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: 105) والبغوي (1269) وغيرهم، وهو حديث حسن.

(2) أورده ابن كثير في «تفسيره» (194/4) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه وعزاه للنسائي. وكذا أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (262/8)، ولم أعثر عليه عند النسائي!

(3) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: 133) وفي إسناده مقال.

(4) المصدر السابق.

(5) رواه مسلم في «موطئه» (486) وأحمد (8014) والبخاري (3293) ومسلم (2691) والنسائي في «المجتبى» (2077) وفي «الكبرى» (2205) وابن حبان (849) وغيرهم.

وعن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1] ومثله كثير، فلو مات عن قوله لا إله لمات مؤمناً موحداً لأن المعوّل اعتقاد القلب لا بجرد اللفظ وهذا واضح.

● **ومنها:**

5. يا لا إلهَ إلاّ هُو
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

ذكره أبو القاسم الزجاجي[2] وقال: هذا كلام محمول على المعنى، لا على لفظ النداء والمنادى مضمر مقدر في النية وذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون التقدير: يا هؤلاء لا إله إلا هو، والدليل على ذلك أن النداء لا يقع إلا على اسم، لأنه مما تختص به الأسماء، فلا يُنادى فعل ولا حرف ولا جملة لا يقال: يا قام ولا يا يقوم. ولا: يا محمد منطلق، إلا على إضمار المنادى على تقدير قولك: يا هؤلاء محمد منطلق، وكذلك قولنا: يا لا إله إلا هو جملة. والنداء لا يتصل بها لأن النداء إنما يتصل بالأسماء الدالة على المسميات، فتقديره كما ذكرت لك: يا هؤلاء لا إله إلا هو. وأنشد سيبويه:

يا لعنةُ اللّهِ والأقوامِ كلّهمُ والصالحينَ على سمعانَ مِنْ جَارِ[3]

قال: سيبويه «يا لغير اللعنة»[4] لأنه لو كان للعنة لنصبها لأنه كان يصير إذاً مُضافاً، ولكن تقديره: يا هؤلاء لا إله إلا هو، والمذهب الأول هو الصحيح. وهذا فيه تعسف وبُعد، ولكنه جائز لأنه قد علم أنه لا يرجع قولنا: «لا إله إلا هو» على غير اللّه تعالى، والأول أصح.

قلت: وقد يجوز أن يقع النداء على هذا الاسم نفسه، كما يقع على الجملة نفسها إذا سمي بها، كما يقع على المفرد ولا يحتاج إلى إضمار زائد، حتى في هذا الاسم

(1) تقدم قبل قليل.

(2) في كتابه «اشتقاق أسماء اللّه الحسنى».

(3) استشهد به سيبويه في «الكتاب» (2/219).

(4) المصدر السابق.

كسائر الأسماء ومما يسمى بالجملة في كلامهم: برق نحره، وتأبط شراً، وذرى حباً، وشاب قرناها، ونحو ذلك. والله أعلم.

قال ابن القاسم: ومثله مما أضمر فيه المنادى قوله تعالى: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ [النمل: 25] تأويله: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله. فأما من قرأ ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا﴾ فإنه أخرجه عن هذا التأويل وجعل الياء من بناء الفعل دليل الاستقبال ودليله. وتقديره: أن لا يسجدوا، فأدغم النون في اللام ونصب الفعل «بأن» وحذف النون من ﴿يَسْجُدُوا﴾ علامة للنصب.

• ومنها:

7.6 يَا نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصِير جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أَسْمَاؤُهُ

القول فيه كالقول في الاسم قبله لأن «نِعْمَ» فعل غير منصوب عند الكسائي وجميع البصريين وكذلك «بِئْسَ» وأصلها: نَعِمَ الرجل، إذا أصاب نِعْمةً، وبَئِس: إذا أصاب بُؤساً. فنقلا من ذلك للحمد والثناء، فَنِعْمَ: للمَحْمَدة والثناء. وبِئْس: للذم. وهما عند الكسائي وجميع البصريين غير متصرفين، وإذا كان كذلك فالنداء غير واقع على «نِعْمَ» لأن الأفعال لا تُنادى، لأنه مما تختص به الأسماء لا خلاف في ذلك فتقديره هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون المعنى: يا الله نِعْمَ المَوْلَى أنت، ويا نعم النصير أنت، لأنه قد علم أن الداعي لله عزَّ وجلّ في حال دعائه ونداته مُخَاطِبٌ له: مُنادٍ فجاز الإضمار لذلك.

والآخر: أن يكون التقدير: يا هؤلاء نِعْمَ المَوْلَى ويا هَؤلاءِ نِعْمَ النَّصيرِ اللّه، كما تقدم في الاسم قبل.

وزعم الفراء أن النداء واقع «بنعم» لأنه يزعم أنه اسم، واستدل على ذلك بقول العرب: نعم السير على بئس البعير، فأدخلوا على «بئس» حرف الجر. ولا يدخل إلا على اسم، ويقول حسان:

ألست بنعم الجار يؤلف بيته كذي العرف ذا مال كثير ومصرما

وبإدخال حرف النداء عليهما بقولهم: «يا نعم المولى ويا نعم النصير» وكل هذا من دلائل الأسماء وقد مضى الكلام في «المولى» و«النصير» يأتي بيانه إن شاء اللّه.

● ومنها:




8. الحَيُّ

جلّ جلالُهُ وتقدّست أسماؤهُ




ورد به التنزيل، وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمة، ويجوز إجراؤه على المخلوق.

والحياة: ضد الموت. والحيّ: ضد الميت، فاللّه سبحانه الحي الباقي الذي لا يجوز عليه [الموت] والفناء عزَّ وجلَّ وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولا تعرف العرب من الحي والحياة غير هذا. وقد يقال: فلان حي القلب، إذا كان شهم الفؤاد ذكياً، وفلان: ميت القلب، إذا كان بليداً، والحِيّ ـ بكسر الحاء ـ: جماعة الحياة. قال العجاج:

وقد نرى إذِ الحياةُ حِيّ ... وإذ زمانُ النّاسِ دعفلي

وقال بعضهم: حيّ؛ جمع الجمع يقال: حياة حيوات وحي جمع الجمع، وقال الفراء: أصله فعل مثل: بدنة وبدن، فكان «حي» جمعاً للحياة ثم كسر حين أدغمت الياء في الياء. والحي: أصله الحيو فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن جعلتا ياء مشددة، والمحيا: مفعل من الحياة تقول: محياي ومماتي. والجمع المحيايي. والحي: واحد أحياء العرب، وأحياه اللّه محيى وحَيِّي أيضاً بتشديد الياء وقيل: حاء على وزن فاعل.

و«الحي» اسم من أسمائه سُبحانه سَمَّى به [نفسه] وهو من صفات الذات، وليس في الوجود موجود له حياة من ذاته لذاته إلا اللّه وحده. فصفة الحياة له ذاتية، والحياة في موضوع اللسان تطلق حقيقة في الملائكة وجميع الحيوان، وتطلق مجازاً على أنواع أخر، فيقال للشمس: حية، ما دامت ظاهرة. فإذا غربت قيل: مالت، ويقال للأرض الجدبة: ميتة، فإذا نزل عليها المطر فأنبتت قيل: حييت، وأنواع أخر من هذا القبيل تُطلق عليها الحياة مجازاً؛ كالأشجار والقلوب كما ذكرنا، والملك والإنسان وجميع الحيوان وإن كان يحس ويتحرك بإرادة ويُسمى: حيّاً حقيقة. فحياته عرضية غيرية لنفسه وجسمه، ولذلك تسلب عن جسمه

الحياة فيموت، ونفسه وإن كانت تبقى حياة مؤبدة فتقدير رفع الحياة عنها ممكن، بخلاف «الحي» الذي له الحياة الدائمة على الحقيقة أزلاً وأبداً، وهو الله سبحانه.

وقال الطبري عن قوم إنه يقال: «حي» كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه.

ابن العربي وقال بعضهم: لا أقول إن الله حي بحياة، وإن قلت: إنه عالم بعلم من قبل [ذلك] أن التوقيف ورد بذلك في العلم ولم يرد في الحياة والسمع والبصر، والصحيح: أنه حي بحياة كما بيناه في «السميع» و«البصير» وقيل: سمى نفسه [حي] لصرف الأمور مصاريفها وتقدير الأشياء مقاديرها.

وقال الحليمي: إنما يقال ذلك لأن الفعل على سبيل الاختيار ولا يوجد إلا من آدمي، وأفعال الله سبحانه وجل ثناؤه كلها صادرة عنه باختيار، فإذا أثبتناها له قد أثبتنا أنه «حي».

وقال الخطابي: في صفة الله سبحانه بأنه «حي» الذي لم يزل موجوداً، وبالحياة موصوفاً، لا تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت والعدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معاً ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88].

وقال الغزالي: الحيُّ: هو الفعّال الدّارك حتى أن من لا فعل له أصلاً ولا إدراك فهو ميت. [وأقل] درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه، فما لا يشعر به نفسه فهو الجماد والميت. فالحيُّ: الكامل المُطلق، هو الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه وجميع الموجودات تحت فعله، حتى لا يشذّ عن علمه مدرك، ولا عن علمه مفعول، وذلك هو الله تعالى. فهو «الحي» المطلق، المتصف بجميع الأسماء الحسنى. والصفات العلى بنهاياتها وحقائقها على الكمال الأقصى[1].

---

(1) وقد جاء في «المقصد الأسنى» (ص: 162): فهو الحي المطلق، وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله، وكل ذلك محصور في قلة.

ثم إن الأحياء يتفاوتون، فمراتبهم بقدر تفاوتهم كما سبقت الإشارة إليه في مراتب الملائكة والإنس والبهائم.

فيجب على كل مكلف: أن يعتقد أن الله سبحانه «حي» كما أخبر عن نفسه، وأن كل حياة فمن عنده، وأن أشرف أنواع الأحياء الملائكة وبنو آدم السعداء لبقائهم أحياء بقاء مؤبداً في حياة طيبة وعيشة راضية.

والكافر بعكس هذا في نار الجحيم، لا يموت فيها ولا يحيا. ولو مات لاستراح ولكنه يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، فهو حي ولكن أمره منشتت، فالحي حقيقة إنما هو من جاور الرفيق الأعلى وينعم في الحياة الهنيئة برؤية الله تعالى. فاجتهد أن تنال من هذا الاسم أوفر قسم، فما قسمه الله إلا لك ولنوع الملك ومهما نلت هنا الحياة الحقيقية بإدراك المعارف اليقينية، جاورت الحي الأعلى في ملكوته متنعماً برؤية ذاته ونوره.

ثم قيل: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم روى البيهقي[1] عن عمر بن أبي سلمة عن عبد الله بن العلاء بن زبر قال: سمعت القاسم أبا عبد الرحمن يقول: اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث: «البقرة» و«آل عمران» و«طه» فقال رجل يقال له عيسى بن موسى لأبي زبر وأنا أسمع. يا أبا زبر: سمعت غيلان بن أنس يُحدث قال: سمعت القاسم أبا عبد الرحمن يُحدث عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث البقرة وآل عمران وطه**» قال أبو حفص عمر بن أبي سلمة فنظرت أنا في هذه السور فرأيت فيها شيئاً ليس في شيء من القرآن مثله آية الكرسي ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: 255] وفي آل عمران: ﴿**الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [آل عمران: 1-2] وفي طه ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**﴾ [طه: 111].

قلت: ـ وكأنه رحمه الله ـ لم يقرأ سورة الفرقان ومنها ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ**﴾ [الفرقان: 58] ولا سورة «غافر» فيها ﴿**هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ**﴾ [غافر: 65] فدل على أن «الحي» ليس باسمه الأعظم، وإنما هو «القيوم» وهو الذي لا يوجد في غير السور الثلاث والله أعلم.

---

(1) في «الأسماء والصفات» (ص: 36).

وروى أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله ﷺ، جالساً في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد ودعا قال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك. فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**» خرجه أبو داود وغيره[1]، وخرج الترمذي[2] عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد ورق الشجر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا**» قال: حديث حسن غريب.

• **ومنها:**

9. الحَكِيمُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤهُ

ورد في التنزيل في غير موضع وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمَّة، ولا خلاف في إجرائه على المخلوق وصفاً. يقال منه: أحكمتُ الشيءَ أُحْكِمُهُ إِحْكَاماً، فهو مُحْكَمٌ. وفاعلُ ذلك هو: الحَكِيمُ. وفرسٌ مَحْكُومةٌ؛ بمعنى ريضة، والريض ممنوع من الخروج عن مراد راكبه، وكل شيء منعته فقد حكمته. قال الجوهري: الحَكِيمُ؛ العالِمُ وصاحب الحِكْمة، والحَكِيمُ: المتقنُ للأمور، وقد حَكَمَ: أي صار حكيماً. قال النمر بن تولب:

وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْداً ... إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا[3]

---

(1) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: 36) والإمام أحمد (12206) والبخاري في «الأدب المفرد» (705) وأبو داود (1495) والنسائي (1299) وابن ماجه (3858) وابن حبان (893) والبغوي (1258) والترمذي (3544) وغيرهم وفي إسناده مقال.

(2) في الدعوات (3397) باب (17) ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه.

(3) «تاج العروس» (165/16) و«لسان العرب» ـ مادة حكم ـ.

قال الأصمعي: أي إذا حاولت أن تكون حكيماً.

وقال الزجاجي أبو القاسم(1): «الحَكِيمُ» في الكلام على ثلاثة أضرب: يكون بمعنى مفعل بتأويل الفاعل، ومفعل بتأويل المفعول، وقد يكون للمبالغة في الوصف بمنزلة: كريم وعليم، ولا يُراد به التعدي إلا وصف الذات بالحكمة، لأن الفاعل للأشياء المُتقَنة المُحكَمَة لا يجوز أن يكون جاهلاً بها. فيكون حكيم على هذا بتأويل المبالغة في الوصف بالعلم والحكمة، فيرجع إلى صفات الذات بالعلم والحكمة، ويكون بمعنى: المُحْكِمُ للأشياءِ. فيكون من صفات الأفعال.

قال ابن الأنباري: «الحَكِيمُ» هو المُحْكِمُ لخلق الأشياء، صُرِفَ من مُفْعِلٍ إلى فعيلٍ كما صرف من مُسْمِعٍ إلى سميعٍ ومُؤْلِمٍ إلى أليم. قال ذو الرمة:

ونرفعُ من صدورِ شمرلدات بصكٌّ وجوهَها وهجٌ أليمُ(2)

أي مؤلم، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1] معناه المحكم مصرف عن مفعل إلى فعيل.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: والعرب قد تضع فعيلاً في معنى مفعل، وقد جاء في آية أخرى ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: 23] أي مُعَدٌّ، فأما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 58] فقيل معناه: المحفوظ من التبديل والتغيير، ممنوع من الخلاف مبرم السرد، متقن التأليف والنظم. «فالحكيم» الذي أفعاله مُحكمةٌ متقنةٌ ولا تفاوت فيها ولا اضطراب لوضع كل شيء موضعه. ومنه قيل: بناءٌ مُحْكَمٌ: أي قد أُتْقِنَ وأُحْكِمَ، فالله عزَّ وجلَّ «حكيمٌ» كما وصف نفسه بذلك، لإتقان أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض. فالحكيم على هذا فعيل بمعنى مفعل كما جاء «عليم» بمعنى «عالم» في قوله: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 119] [و] لا يقال [حكيم، بمعنى المُحكم الشديد] فإن كل الخليقة ليس موصوفاً بوثاقة البنية وشد الأسر، كالبقة والنحلة وما أشبههما من ضعاف الخلق، فإنا نقول: التدبير فيها، والدلالة

(1) في كتابه «اشتقاق أسماء الله الحسنى».

(2) الشمرلدات: الإبل الطوال.

بها على كون الصانع وإثباته ليس بدون الدلالة عليه بخلق السماوات والأرض والجبال وسائر معاظم الخليقة.

وكذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7] لم تقع الإشارة به إلى الحسن الرائق في المنظر، فإن هذا المعنى معدوم في القرد والخنزير والدب وأشكالها من الحيوان، وإنما ينصرف المعنى إلى حُسنِ التدبير في إنشاء كل شيء من خلقه على ما أحب أن ينشئه عليه، وإبرازه على الهيئة التي أراد أن يهيئه عليها، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: 2].

فيجب على كل مكلف: أن يعتقد أن لا حكيم على الإطلاق إلا اللّه عزَّ وجلَّ، وأن كل حكم وحكمته فمن عنده، وقد قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269] قال علي بن أبي طالب: «الحكمة فهم القرآن» وكذلك قال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن، فقهه وناسخه ومنسوخه ومتشابهه وعربيته ومقدمه ومؤخره، وكذلك قال قتادة ومجاهد: الحكمة: هي الفقه في القرآن ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: 269] ونحوه روى ابن وهب عن مالك. قال ابن وهب: قال لي مالك وذكر قوله اللّه تعالى في يحيى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [مريم: 12] وقوله في عيسى: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ [الزخرف: 63] وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: 48] وقوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: 34] قال مالك: الحكمة في هذا كله طاعة اللّه والاتباع لها والفقه في دين اللّه والعمل به. قال ابن وهب: وسمعته يقول: الحكمة والعلم نور يهدي به اللّه من يشاء، وليس بكثرة المسائل، وعن ابن عباس أيضاً وغيره: الحكمة القرآن، سماه حكمة لأنه علم فكأنه قال: ومن يؤت القرآن فقد أوتي علماً كثيراً. وقد قال اللّه تعالى في موضع آخر: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 251] قالوا: يعني الملك والعلم.

وقال بعض أهل اللغة: إنما سمي القرآن: حكمة لامتناعه من المعارضة، كأنه ممتنع من أن يؤتى بمثله ويعارض كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88].

قال: وكذلك الحكيم من الناس، إنما سُمِّيَ حكيماً لأنه يمتنع من فعل القبائح، ويمنع نفسه منها، ومنه: حَكَمَةُ الدابة، وهي الحديدة التي تكون في فم الدابة من اللجام، سُمِّيتْ حَكَمَة، لأنها تمنع الدابة وتكفها عن الجري، ومنه قول أبي حنيفة: أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضب، يريد امنعوهم من الفساد.

قلت: وإذا تقرر هذا، فيجب على كل مُؤمن تعلم الحكمة وطلبها عند أهلها حتى يكون حكيماً يضع الأشياء مواضعها. وحقيقة الحكمة إصابة الصواب وموافقة الحق والعدل في القول والعمل. وفي الحديث: «**الحكمة ضالة المؤمن**»[1] فإذا تعلمها وجب عليه بذلها لأهلها ومنعها من غير مستحقيها. ولذلك قيل: لا تمنعوا الحكمة من أهلها فتظلموهم، ولا تضعوها في غير أهلها فتظلموها. وإنما كانت الحكمة ضالة المؤمن تشبيهاً بالضالة من الإبل، وهي التي تكون بمضيعة من قولهم: ضلَّ الشيء إذا ضاع وذهب عن القصد، فكما يطلبها صاحبها في المكان الذي يرجو إصابتها فيه، فكذلك المؤمن ينبغي أن يكون أبداً مُتطلّباً لِحكْمةٍ مَا مُترفعاً لها عند كل من يرجو إصابتها عنده، حتى يخرج بنورها عن ظلمة الجهل. والله أعلم.

● **ومنها:**

10. السَّيِّدُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤهُ

ذكره الحليمي وغيره وقال: هو اسم لم يرد به الكتاب ولكنه مأثور عن النبي ﷺ روى أبو داود عن مطرف وهو ابن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقت في وفد

---

(1) الحديث بتمامه رواه الترمذي في كتاب العلم (2687) وابن ماجه في الزهد (4169)، من طريق إبراهيم بن الفضل، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث يراها فهو أحق بها**» لفظ الترمذي. وتعقبه بقوله: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي، يُضعف في الحديث من قبل حفظه.

وأورده العجلوني في «كشف الخفا» برقم (1159) وأورد ألفاظه وطرقه فانظره هناك أخي الكريم ففيه إفادة لطالب العلم.

بني عامر إلى رسول اللّه ﷺ فقلنا: أنتَ سيدنا فقال: «**السيد اللّه**» قلنا: وأفضلنا وأعظمنا طولاً فقال: «**قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينَّكُمُ الشيطانُ**»[1].

وقال ابن العربي: لم يرد في القرآن «السيد» ولكن قال ابن عباس في قوله: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: 2] معناه سيد العالمين. واختار ذلك شيخنا أبو الحسن. ويجوز إجراؤه على المخلوق، قال اللّه تعالى في يحيى نبيه وعبده: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً﴾ [آل عمران: 39] وقال عليه السلام في الحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيد**»[2] وقال عليه السلام: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[3] وسيأتي الكلام عليه، وقال لفاطمة ابنته رضي اللّه عنها

(1) الحديث جاء بلفظين: اللفظ الأول ما جاء عند أبي داود (4806) وغيره، من مطرف، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسولِ اللّه ﷺ.
رواه الإمام أحمد (16307) وأبو داود (4806) والبخاري في «الأدب المفرد» (211) والنسائي في «الكبرى» (10076) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (22) وغيرهم وإسناده صحيح على شرط مسلم، واللفظ لأبي داود.
قال الإمام الحليمي ـ رحمه اللّه تعالى ـ في تفسير «السيد» من كتابه «المنهاج في شعب الإيمان» (192/1): ومعناه المحتاجُ إليه على الإطلاق، فإن سيدَ الناس هو رأسُهم الذي إليه يرجعُونَ، وبأمره يعملُون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوته يستمدون، فإذا كانت الملائكة والإنسُ والجن خلقاً للباري جَلَّ ثناؤه و لم يكن بهم غُنيةٌ عنه في بدء أمرهم وهو الوجودُ، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، كان حقاً له جل ثناؤه أن يكون سيداً وكان حقاً عليهم أن يدعوه بهذا الاسم.
قال السندي ـ رحمه اللّه تعالى: قوله ﷺ: «السيد اللّه»: أشار إلى أن اسم السيد يطلق على المالك، وهذه الصفة حقيقة للّه تعالى، ففي إطلاقه إيهام تركه أَوْلى. نعم، قد يطلق على معان يصح بها إطلاقه على غيره تعالى أيضاً، لكن تركه أقرب، سيما إذا كان فيه خوف الافتخار.

(2) رواه الإمام أحمد (20470) والبخاري في فضائل أصحاب النبيِّ ﷺ (3746) وغيرهما من حديث أبي بكرة رضي اللّه عنه أنه سمع رسول اللّه ﷺ وهو على المنبر والحسن إلى جنبه وهو ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «ابني هذا سيد، ولعل اللّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» لفظ البخاري.

(3) رواه الإمام أحمد (10987) والترمذي (3148) وابن ماجه (4308) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه، أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أنا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة** =

«أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة»[1].

فالسيد: الذي يسود قومه ويرأس عليهم ويفوقهم، يقال منه: سَادَ قَوْمَهُ يَسُودُهم سيادةً وَسُؤْدَاً وسَيْدَوَدةً، فهو سيد وهم سادة، تقديره: فَعَلَة بالتحريك لأن تقدير «سيد» فعيل وهو مثل سري وسراة، ولا نظير لها يدل على ذلك أنه يُجمع سيايد، مثل أقيل وأقائل وبيع وبيايع. وقال أهل البصرة: وتقدير سيد؛ سيود على وزن فعيل فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن أبدلوا من الواو ياء، وأدغموا فيها الياء التي قبلها وكذلك قالوا في: قيم وميت وجيد وصيت وهين ولين وشبهه، وجمع على فعلة كأنهم جمعوا أسايد مثل قائد وقادة وذائد وذادة قالوا: إنما جمعت العرب الجيد والسيد على جيايد وسيائد بالهمزة على غير قياس، لأن جمع فيعل فياعل بلا همز.

قال الفراء: يقال: هذا سيد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنه يكون سيدهم قلت: سائد قومه عن قليل وسيد.

= **ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرضُ يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر»** لفظ أحمد وهو حديث حسن.

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (24537) والبخاري (3623) ومسلم (2450) وأبو داود (5217) والترمذي (3893) والنسائي في «الكبرى» (8366) وابن ماجه (1621) وغيرهم واللفظ لمسلم من طريق فراس، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ. فلم يغادر منهن امرأة. فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ. فقال: «مرحباً بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارَّها فضحكت أيضاً. فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، حتى إذا قُبضَ سألتها فقالت: إنه كان حدَّثني؛ أن جبريل كان يُعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، **«ولا أراني إلاَّ قد حضر أجلي. وإنك أوَّل أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك»**، فبكيت لذلك، ثم إنَّه سارَّني فقال: **«ألا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين. أو سيِّدة نساء هذه الأمَّة؟»** فضحكتُ لذلك.

قال ابن العربي: السيد: الرئيس، وجمعه سادة، قيل: سادة جمع سائد، ولم يسمع كذلك، وسيد كل شيء أشرفه، والقرآن: سيد الكلام، والله: سيد الخلق. وأساد الرجل أسود بمعنى: أي ولد غلاماً سيداً، وكذلك إذا ولد غلاماً أسود اللون، واستاد القوم بني فلان: أي قتلوا سيدهم، وكذلك إذا أسروه [أو] خطبوا إليه، وللعلماء في تأويل السيد ثمانية عشر قولاً. قال الضحاك: السيد؛ الحليم، ويروى عنه أنه قال: السيد: التقي، وقال قوم منهم مجاهد: السيد: الكريم على ربه، وقال ابن جبير: المطيع لربه، وعنه أيضاً: الحكيم. سعيد بن المسيب: الفقيه العالم. عكرمة: الذي لا يغضب. سفيان: الذي لا يحسد. قال ذو النون: الحسود لا يسود، وقيل: القانع بما قسم له، وقيل: الراضي بفعل الله تعالى، قاله أبو بكر الوراق، وقال الترمذي محمد بن علي: المتوكل على الله. وقال أبو يزيد البسطامي: الذي علت همته ونبل قدره أن يحدث نفسه بدار الدنيا. وقيل: هو السخي، وقال الخليل: السيد المطاع، الزجاج: السيد الذي يفوق قومه في الخير. وقيل: الحسن الخلق، والسيد أيضاً الرئيس. قال الشاعر:

فإن كنت سيدنا سدتنا وإن كنت للخال فاذهب فخل

والسيد أيضاً: زوج المرأة، يقال: فلان سيد المرأة، أي زوجها. قال الأعشى:

فبت الخليفة من بعلها وسيد نعم ومستادها

والسيد أيضاً: المالك يُقال: فلان سيد الجارية، أي مالكها. وهذا في وصف الله سبحانه جائز، فهو سيد العالمين، أي مالكهم، والسيد في اللسان يطلق على ملاك العبيد، ولذلك أمر النبي ﷺ أن يقول العبد لمالكه سيدي، ونهاه أن يقول له مولاي. وقد يكون وصفه سبحانه بالسيد من صفات الذات، فيرجع إلى معنى في ذاته، وكمال صفاته، لأن السيد في موضوع اللسان من له السودد، وهو الشرف، فهذا الاسم يكون من صفات الذات ومن صفات الأفعال.

وذكر الجوهري وابن فارس وغيرهم عن الكسائي: السيد من المعز المُسن، وفي الحديث: «ثني الضأن خير من السيد من المعز»[1] وأنشد:

---

(1) رواه الإمام أحمد (9227) والبزار (1207) والبيهقي في «الكبرى» (9/271) والحاكم (4/227)، بإسناد ضعيف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «الجَذَعُ من الضَّأنِ خَيْرٌ من السَّيِّد من المَعْزِ» لفظ أحمد.

سواء عليه شاة عام بركت له ليذبحها للضيف أم شاة سيد

فهو مشترك، فالسيد الذي يفوق قومه، ويحتاجونَ إليه ويُتّبَعُ. واللّه تعالى أحق بهذا الوصف، فإنه المُحْتَاجُ إليه على الإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون وعن رأيه يصدرون ومن قوله يستمدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقاً للبارئ جل ثناؤه و لم تكن لهم غيبة عنه في بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يُوجِدهم لم يوجدوا ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء كان حقاً له جلَّ جلاله أن يكون سيداً، وكان حقاً عليهم أن يدعوه بهذا الاسم قاله الحليمي[1].

فيجب على كل مكلف: أن يعتقد السيادة والشرف على الإطلاق لله تعالى، وأن كل سيادة للمخلوق وشرف فمنه، وكل موجود في الوجود وضع اللّه فيه سُؤْدَداً أو سماه سيداً فهو متفضل بذلك عليه بتلك المنحة التي منحه، وصان عليه [بالسؤدد] الذي فضله به على غيره فمن غيره أن يرى السؤدد الحقيقي لخالقه، وأن لا يفتخر بالسؤدد المعار عنده كما فعل سيد الأولين والآخرين، إذ قيل له: أنت سيدنا فقال: **«السيد اللّه»** أي هذا الوصف على الكمال وعلى الحقيقة إنما هو لله تعالى، لا لأحد من الخليقة، وإذا أخبر عن نفسه بالسؤدد الذي فاض عليه من فضل ربه فقال: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**[2] أعلم أمته بفضل اللّه عليه فيما منحه من السؤدد، ونفى عن نفسه الفخر بذلك إذ ليس ينبغي لأحد الافتخار بأمر هو عنده معار.

ثم يجب عليه أن يسعى في طلب السيادة حتى يسود قومه، ويوفق أهله، وذلك بالتخلق بالأخلاق الجميلة، والأفعال الحميدة، ولزوم الطاعات، واجتناب المخالفات، فتحصل له السيادة على التحقيق، وباللّه التوفيق، وأنشدوا:

فسيد الناس من يحظى بسؤدده بحيث لا نسب يغني ولا الحسب

فسؤدد العبد في التقوى لسيده، وهو السيد الحقيقي من بني آدم وسؤدد ليس كذلك ليس صاحبه بسيد وإن كان شريفاً ذا حسب، قال ﷺ: **«لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن**

(1) في «المنهاج لشعب الإيمان» (192/1).

(2) وقد تقدم ثمة.

فخرهم بآبائهم في الجاهلية، أو ليكونَنَّ أهون على اللهِ من الجُعْلانِ التي تدفعُ النتن بأنفها»[1] وعن ابن عباس قال: بلغني أن أسيد بن عبد الله قال لرجل من بني شيبان: بلغني أن السودد فيهم رخيص، وقال: أما نحن فلا نسوِّد إلا من يوطئنا رحله ويفرش لنا عرضه ويعطينا ماله. قال: إن السودد والله فيكم غال. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا، أي تشرفوا وترفعوا. والله أعلم.

● ومنها:




11. الجَلِيلُ




جلَّ جَلَالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

ولم يرد هذا الاسم بهذه الصيغة في التنزيل وورد ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78] والجليل: من قولهم «جلال» ولما قال أبو سفيان يوم أُحُدٍ: اعل هبل، قال رسول الله ﷺ: «**الله أعلى وأجل**» ولما قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، قال رسول الله ﷺ: «**الله مولانا ولا مولى لكم**»[2].

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (8736) وأبو داود (5116) والترمذي (3956) والبيهقي في «السنن الكبرى» (10/232) وفي «الآداب» (423) وفي «شعب الإيمان» (5127) والطحاوي في «مشكل الآثار» (3458) وغيرهم، بإسناد حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عزَّ وجلَّ قد أذهب عنكم عية الجاهلية والفخر بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خُلق من تراب، لينتهين أقوام عن فخرهم بآبائهم، في الجاهلية أو ليكونن أهون على الله من الجُعلان التي تدفع النتن بأنفها**» لفظ البيهقي.

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (18593) والبخاري (3039) وأبو داود (2662) والنسائي في «الكبرى» (8635) والطيالسي (725) وغيرهم. واللفظ للبخاري من طريق أبي إسحاق، قال: سمعتُ البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ يُحدث، قال: جَعَلَ النبيُّ ﷺ على الرجّالة يوم أُحُدٍ ـ وكانوا خمسين رجُلاً ـ عبد الله بن جبير فقال: «**إن رأيتمونا تخطَّفنا الطَّيرُ فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسِلَ إليكم، وإن رأيتُمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتّى أرسل إليكم**» فهزموهم. قال: فأنا والله رأيتُ النساء يشتدُدن، قد بدت خلاخلُهنَّ وأسوقُهنَّ، رافعاتٍ ثيابهنَّ. فقال أصحاب ابن جُبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابُكم فما-

وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة، ولا خلاف في إجرائه على المخلوقين. يقال منه: جَلَّ فلان يَجِل ـ بالكسر ـ جلالة، أي عظم قدره فهو: جليل، وفي وصف النبي ﷺ: جليل المشاس وقيل: أصله العلو. ومن ذلك قيل لغطاء الدابة: جلال، وجلال كل شيء غطاؤه، وجليت فلاناً بالسيف علوته به، وقد يستعمل فيما يقاربه بمعنى الظهور من قولهم: أمر جلي، أي ظاهر بيّن، وجلّ القوم من ديارهم، أي ظهروا في غيرها، ومنه: دخل أجلى الجبين لظهور أعلى الجبهة بعد انحسار شعر الرأس، وكذلك قولهم: جلوت العروس أي أظهرتها، وذلك بأن تجعل على منصة ليكون ذلك أظهر لها، وجلوت السيف والمرآة إذا أزلت صداهما، وأزلت صقلهما، ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ﴾ [الأعراف: 143] أي ظهر له، أو أظهر من آياته أمره ما شاء، وقد يستعمل بمعنى الخيرورة من ذلك قولهم: فلان أجل من فلان، أي أخير منه وأفضل ورجل جليل من ذلك. وقد يستعمل بمعنى العطاء يقال: أتيته فما أجلني، أي أعطاني، ومنه قولهم: إن لي فرساً أجلها في كل يوم فرقاً، أي أعلفها، حكاه يعقوب، والجليل الثمام أيضاً، وهو نبت ضعيف تحشى به خصاص البيوت قال:

=تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جُبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتينَّ الناس فلنُصيبنَّ من الغنيمة فلما أتوهم صُرفت وجوههم، فأقبلوا مُنهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يَبقَ مَعَ النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا منّا سبعين، وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وسبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات. فنهاهم النبيُّ ﷺ أن يجيبوه. ثمّ قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ ثلاث مرات. ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مراتٍ ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتلوا. فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدوّ الله، إن الذين عددت لأحياءٌ كلُّهم، وقد بقي لك ما يسوءك. قال: يوم بيوم بدر، والحرب سِجال. إنكم ستجدون في القوم مُثلةً لم آمُر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز: اعلُ هُبل، اعْلُ هُبل. قال النبيُّ ﷺ: «ألا تجيبونه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجلّ». قال: إن لنا العُزّى ولا عُزّى لكم. فقال النبيُّ ﷺ: «ألا تجيبونه؟» قال: قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً   بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ[(1)]

الواحدة جليلة، والجمع جلائل قال: يلوذ بجني فرحة وجلائل. والجيل: المسن من الإبل، والجمع الجلة أو «مشيخة جلّة» أي مسان، والجليل يوم معروف للعرب، قال النابغة:

كأنّ رَحْلي وقد زالَ النهارُ بنا   يومَ الجليلِ على مُستأنسٍ وحدِ

وقد يكون من الإضرار، فيقع على الصغير كما يقع على الكبير، حكاه أهل اللغة، وأما ما جاء في الحديث: «**جاء إبليس في صورة شيخ جليل**»[(2)] فيحتمل أن يريد أنه تصور على صورة شيخ جليل المقدار، حسيب في قومه ولولا ذلك ما قبلوا منه جواره، وقد تأوله بعض الناس بمعنى مُسِنّ، ويقال: رجل التقط الجلة، وهي البعر، وهذا يستحيل إضافته إلى الله تعالى بخلاف ما تقدم.

«فالجليل» ذو الجلال، والجلال جماع معاني الخير من العلو والعِظَمِ وكبر الشأن والظهور، ولما كان هذا الاسم تردد بين هذه المعاني المتقاربة، أعني العلو والظهور والكبر والعظم والخيرورية والعطاء، أشكل معناه على العلماء، واختلفوا فيه.

فقال الحليمي: كل من له جلال فهو جليل، ومعناه المستحق للأمر والنهي وهذا على الحقيقة إنما هو الله سبحانه، فإن جلال الواحد فيما بين الناس إنما يظهر بأن يكون له على غيره أمر نافذ لا يجد من طاعته فيه بدّاً، فإذا كان من حق الباري سبحانه على من أبدعه أن يكون أمره عليه نافذاً وطاعته له لازمة وجب له اسم «الجليل» حقاً، وكان لمن عرفه أن يَدْعُوهُ بهذا الاسم، وبما يجري مجراه ويؤدي معناه[(3)].

وقال الخطابي: هو من الجلال والعظمة، ومعناه مُنصرفٌ إلى جلال القدر، وعظم الشأن، فهو الجليل الذي يصغر دونه كل جليل، ويتضع معه كل رفيع.

---

(1) البيت لبلال الحبشي ـ رضي الله عنه ـ كما في «لسان العرب» (127/13) مادة ـ جلل ـ و(286/16) مادة ـ حنن ـ و(557/1) مادة ـ سمط ـ وهو في «معجم ما استعجم» (2/370) وهو بلفظ: «بفج» بدلاً من «بواد».

(2) لم أقف عليه...!

(3) «المنهاج في شعب الإيمان» (192/1).

وقال ابن العربي: إن قلنا: جلَّ بمعنى؛ أعطى، فهو المُعطي حقيقة. وإن قلنا: إن أجلَّ بمعنى أسنَّ أي تطاول مداه واستمر وجوده بربه، فالباري مستمر الوجود إلى غير غاية غير مسبوق وجوده في بدايته، ومعناه معنى: «الأول» و«الآخر»، وإن قلنا: إن الجليل هو العظيم المقدار الموصوف بنعوت الجلال، فهو للباري بالحقيقة، ولمجموع هذه الأوصاف وصف بأنه «جليل كبير» قال: وقد اختلف علماؤنا رحمة اللّه عليهم في الجَلالِ والعِظَمِ هل هما وصف خاص يرجع إلى معنى زائد على الذات؟ أو هما عبارة ترجع إلى مجموع أوصاف، كاختلافهم في القدوسية والعزة؟

قال: والصحيح أنهما عبارة عن مجموع أوصاف هي؛ شمول العلم وعموم القدرة والإرادة وعدم النظير، واستحالة الآفات. ثم قال بعد هذا القول: في مجموع هذه الأوصاف، وهو «العلي الكبير» و«العظيم والجليل» هل ترجع إلى معنى واحد في الشرف والقدم، أم إلى معانٍ متعددة يختص كل واحد من الأسماء بواحد من المعاني؟ حكي اختلاف العلماء في ذلك على قولين:

أحدهما: أن هذه الأسماء ترجع إلى معنى واحد، وهو كمال الذات والصفات. ومنهم من فرق بينهما وجعل لكل واحد معنى خاصاً. فقال: إن «العلي» هو الذي لا رتبة فوق رتبته، و«الكبير» هو الموجود الكامل الذات، و«الجليل» هو الكامل الذات والصفات. وأورد كلاماً حسناً بديعاً، نفعه اللّه به، قال في آخره: وأما «الجليل» فهو عبارة عن موجود كامل الصفات، له الغِنَى والمُلْكُ والقدوسية والعلم والقدرة، وهو إله سبحانه، فهذا معنى يختص به اسم الجليل.

قال ابن الحصار: اختار رحمه اللّه في الترجيح أن يكون لكل اسم معنى يخصه، وهو الحق. لأن الترادف لا يصح في أسماء الخالق سبحانه، ولولا اختلاف مفهوماتها لم تتعدد الدلالات، والدليل على اختلاف معانيها مستروح من ألفاظها، لأنك تقول: جلَّ ربنا عن كذا، وهو العلي عن كذا، واللّه أكبر من كل شيء، فإذا قلت: جلَّ ربنا عن كذا وقرنته بمجرور، فقد نزهته تنزيهاً مقيداً، وإذا حذفت كنت قد نزهته تنزيهاً مُطلقاً وهذا الاسم يتضمن جلال ذاته وجميع صفاته سبحانه، فهو يحتوي على جميع أسمائه الحسنى.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا جليل على الإطلاق إلا الله وحده، وكيف يكون لغيره جلال والحقارة لازمة له من ذاته بعد العدم الذي هو محو محض قد كان في غيابته، وإنما أوجده المُوجد الحق بفضله وعنايته، فأنى يليق الجلال مَنْ هذه صفته؟ كلا. لا جلالة إلا لله وحده. ثم يخصُّ بالإجلال إذا شاء عبده، ثم على العبد أن يكون مُجلاً لله تعالى في جميع الأحوال. وما يسري إليه سبحانه من إجلالك شيء، بل الإجلال لنفسك عائد وبه تكون جليلاً في الدنيا والآخرة، ويكون لك من التعبد للمتسمي بهذا الاسم أوفر قسم، فكل من ليس عند الله بجليل فهو حقير ذليل، وإن قال الناس فيه جليل.

وإجلالك للحق سبحانه؛ أن تُنزهه تنزيهاً مُطلقاً ومقيداً، فتنزهه عن جميع ما وجب لغيره ويجوز عليه، فهذا هو التقييد. ثُمَّ تعترف بالعجز عن الإحاطة بجميع ما وجب له سبحانه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1].

ويجب عليك أن تُجلَّ من أجلَّ اللّه، وتُعظِّمَ من عَظَّمهُ، فتجلُّ كُتُبَهُ وأسْمَاءَهُ وملائِكَتَهُ ورُسُلَهُ وأنبياءَهُ وأولياءَهُ. قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله ثلاثة، إمام عادل، وذو الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي ولا الجافي عنه**»[2] وروى أنس ابن مالك قال: ما كان شخص أحب إليهم رؤيته من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك، وقال ﷺ: «**ما أكرم شاب شيخاً لسِنِّه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنّه**»[3] ومن إجلال الله تعالى أن يقف بين يديه بقلب فارغ

(1) قطعة من حديث رواه مسلم وغيره، وقد تقدم.

(2) رواه أبو داود في الأدب (4843) والبخاري في «الأدب المفرد» (357) والبيهقي في «الكبرى» (8/163) والبغوي في «شرح السنة» (13/42)، وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث حسن بشواهده.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» لفظ أبي داود.

(3) رواه الترمذي (2023) والبغوي في «شرح السنة» (3453) وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن بيان، وتعقبه الترمذي بقوله: هذا حديث غريب لا يُعرف إلا من حديث يزيد بن بيان.=

وفؤاد خالص، غير مشتغل بسواه، قال رسول اللّه ﷺ: **«لا يُصلّينّ أحدهم بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان»**[1] وفي التنزيل: **﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾** [النساء: 43] ويجب عليك أن تُنزه نفسك عن اتباع خطوات الشيطان، وعن مجالسه وخبائثه، فإنه قد اختار لنفسه الخبائث، وكل ما خالف اختيار رب العالمين ودعا أتباعه ليكونوا من أصحاب السعير، وهذا معلوم من الكتاب والسُّنّة وإجماع الأمة.

• ومنها:

12. ذُو الجَلَالِ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤهُ

قال اللّه العظيم: **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾** [الرحمن: 27] وجلال اللّه: عظمته، وقولهم: فعلته من جلالك، أي من أجلك. وأنشد الكسائي:

وإكرامي العدى من جلالها

ابن العربي: ولا فرق في لسان العرب بين قولك: «ذُو الجلال» وبين قولك «الجليل» كما لا فرق بين قولك: ذو العلم، وبين قولك: العالم [وذلك] لما في حديث أبي هريرة فإنه لما ذَكَرَ «أسماء اللّه تعالى» جمع فيها بين «الجليل» وبين «ذو الجلال».

وقال الخطابي: الجلال مصدر الجليل، يقال: جليلٌ بَيِّنُ الجلالة، والجلال. والإكرام مصدر أكرم يكرم إكراماً، والمعنى أن اللّه سبحانه يستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَمَ ولا يُجْحَد ولا يُكْفَر، وقد يحتمل المعنى؛ أنه يُكْرِمُ أهل ولايته ويعرف درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ويجلهم بأن تتقبل أعمالهم ويرفع في الجنان درجاتهم.

=ومعنى قوله ﷺ: «إلا قيض له» أي سبب وقدّر وجعل له، ومنه قوله سبحانه وتعالى: **﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾** [فصلت: 25].

(1) رواه مسلم (560) وأبو داود (89) والحاكم (1/599)، من حديث السيدة عائشة رضي اللّه عنها، أنها سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان»** لفظ مسلم.

وقال الحليمي: ومعنى «ذي الجلال»: المستحق لأن يُهاب سُلطانه ويُثنى عليه بما يليق بعلو شأنه. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله عزَّ وجل: ﴿ذُو الْجَلالِ﴾ [الرحمن: 27] يقول: ذو العظمة والكبرياء.

فيجب على كل مُكلّف أن يعتقد أن الجلال على الإطلاق لله الواحد الخلاق ثم يكثر من قول يا ذا الجلال والإكرام، كما في الحديث: «**ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام**»(1) والإلظاظ في اللغة: الملازمة للشيء والمثابرة عليه والإكثار منه، يقال: ألَظَّ بالشيء يلظُّ إلظَاظاً؛ إذا لازمه وثابر عليه، ومنه: «لظى» اسم من أسماء النار، سميت بذلك لدوام تلهبها وكثرة لظها. فأمر ﷺ بالملازمة والإكثار [منه.] وفي الدعاء واللجاء بهاتين الكلمتين يستمد القلب من دوام ذكر اللسان «جلال الله عزَّ وجل» ويقرُّ في نفسه تعظيم الله تعالى وهيبته، ويمتلئ صدره بمراقبة جلاله، ويستنير سره بملاحظة كبريائه وجماله، فيكرمه ببره ونعمه، ويمده بعواطف فضله عليه وكرمه دنيا وأخرى. والله أعلم.

وروى معاذ بن جبل أن النبي ﷺ مَرَّ برجلٍ وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «**قد استجيب لك**»(2) وعن سعيد المقبري أن رجلاً ألحَّ فجعل يقول: اللهم يا ذا

---

(1) رواه الإمام أحمد (17596) والبخاري في «التاريخ الكبير» (3/280) والنسائي في «الكبرى» (7716) والطبراني في «الكبير» (4594) والقضاعي في «مسند الشهاب» (693) وغيرهم، بإسناد صحيح من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه، به.
وفي الباب عن أنس رضي الله عنه عند الترمذي في الدعوات (3525) والطبراني في «الدعاء» (93) ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند الحاكم (1/499).

(2) الحديث بتمامه رواه الترمذي في الدعوات (3527) من طريق سفيان عن الجريري عن أبي الورد عن اللجلاج عن معاذ بن جبل قال: سَمِعَ النبيُّ ﷺ رجلاً يدعو يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال: «**أيُّ شيءٍ تمامُ النعمة؟**» قال: دعوة دعوت بها أرجو بها الخير. قال: «**فإنَّ من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار**» وسَمِعَ رجلاً وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام، قال: «**استجيب لك فسل**» وسَمِعَ النبيُّ ﷺ رجلاً وهو يقول: اللهم إني أسألك الصبر، فقال: «**سألت الله البلاء فسله العافية**».
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

الجلال والإكرام فنودي أن سمعت فما حاجتك(1)؟

• ومنها:

13. البَدِيعُ(2)

---

(1) أورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (151/17) سورة الرحمن ـ الآية (27) وقد علقت عليه بالتالي: يا سبحان الله! وهل كلمه الله سبحانه وتعالى كما كلم سيدنا موسى عليه السلام؟ وهو من الموضوعات ولا يصح بوجه من الوجوه.

(2) جاء في «تاج العروس» (9-8/11) مادة ـ بدع ـ: البديع: المُبتدع، وهو من أسماء الله الحسنى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء. وقال أبو عدنان: المُبتدع: الذي يأتي أمراً على شبه لم يكن ابتداه إياه. قال الله جل شأنه: ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [البقرة: 117] أي مُبتدعها ومبتدئها لا على مثال سبق. قال أبو إسحاق: يعني أنه أنشأها على غير حذاء ولا مثال، إلا أن بديعاً من بدع لا من أبدع، وأبدع أكثر في الكلام من بدع، ولو استعمل بدع لم يكن خطأ، فبديع فعيل بمعنى فاعل، مثل قدير بمعنى قادر، وهو صفة من صفاته تعالى لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثال تقدمه، ورُوي أن اسم الله الأعظم يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام.

والبديع أيضاً: المبتدع. يقال: جئت بأمر بديع، أي مُحدث عجيب، لم يعرف قبل ذلك.

قال: والبِدع، بالكسر: الأمر الذي يكون أولاً، وكذلك البديع، ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: 9]، أي ما كنت أول من أرسل قد أُرسل قبلي رسل كثير. ويقال: فلان بدع في هذا الأمر، أي أول لم يسبقه أحد.

والبدع: الغُمر من الرجال، عن ابن الأعرابي.

والبدع: الغاية في كل شيء يقال: رجل بدع، وامرأة بدعة، وذلك إذا كان عالماً، أو شجاعاً، أو شريفاً وقال الكسائي: البدع يكون في الخير والشر. جمعه: أبداع، يقال: رجال أبداع، وقوم أبداع.

قال: والبِدْعَةُ: بالكسر: الحدث في الدين بعد الإكمال، ومنه الحديث: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**» أو هي ما استحدث بعد النبيِّ ﷺ من الأهواء والأعمال. وهذا قول الليث. قال: وجمعه: بِدَعٌ. كعنب، وأنشد:

ما زال طعنُ الأعادي والوشاة بنا
والطّعن أمرٌ من الواشين لا بِدَعُ =

=وقال ابن السكيت: البدعة: كلُّ محدثة. وفي حديث قيام رمضان: «نعمت البدعة هذه» وقال ابن الأثير: البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به فهو في حيِّز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه، وحضَّ عليه، أو رسوله، فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسَّخاء، وفعل المعروف، فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأنَّ النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثواباً، فقال: «**من سنَّ سُنَّةً حسنة كان له أجرها وأجر من عَمِلَ بها**». وقال في ضده: «**من سنَّ سُنَّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عَمِلَ بها**»؛ وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله، قال: ومن هذا النوع قول عمر رضي الله تعالى عنه: «نعمت البدعة هذه» لما كانت من أفعال الخير، وداخلة في حيِّز المدح سماها بدعة ومدحها، لأن النبي ﷺ لم يسُنَّها لهم، وإنما صلاَّها ليالي ثم تركها، ولم يُحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وإنما عُمرُ جمع الناس عليها وندبهم إليها، فبهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سُنَّة لقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي**» وقوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر**». وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر: «كُلُّ مُحدثة بدعة» إنما يريد من خالف أصول الشريعة ولم يوافق السُّنَّة، وأكثر ما يستعمل المُبتدع عُرفاً في الذم.

ومبدوع: فرس الحارث بن ضرار بن عمرو بن مالك الضَّبي. كذا في العُباب، ووقع في التكملة: فرس عبد الحارث، وهو الصواب، وهو القائل فيه:

تشكَّى الغزوَ مبدوعٌ وأضحى
كأشلاءِ اللِّحَامِ به جروحُ
فلا تجزع من الحدثان إني
أكُرُّ الغزوَ إذ جلبَ القروحُ

وقال زويهر بن عبد الحارث:

فقلتُ لسعدٍ لا أبا لأبيكُمُ
ألم تعلموا أنـي ابنُ فارس مبدُوع؟

وقال ابن دريد: بدع الركية بدعاً: استنبطها وأحدثها، وأبدع وأبدأ بمعنى واحد، ومنه البديع في أسمائه تعالى، وهو أكثر من بدع، كما يقال: المبدئ، وقد تقدم.

وأبدع الشاعر: أتى بالبديع من القول المُخترع على غير مثال سابق.=

ورد به التنزيل مضافاً قال: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117] وجاء اسماً غير مضاف في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة، ويجوز إجراؤه على المخلوق مُنكراً. يقال منه: ابتدع يبتدع ابتداعاً، فهو بَديعٌ ومُبْتَدِعٌ. وأَبْدَعَ يُبدِعُ فهو مُبْدِعٌ وبَدِيعٌ للمبالغة. وبادع من بدع يبدع، مثل ضَرَبَ يَضْرِبُ فهو ضَارِبٌ، وقدر يقدر فهو قادر.

والبِدْعُ: إحداث الشيء، والبَدْعُ أيضاً: الأول من كل شيء وقد جمعها قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9] أي ما كنت أولاً من الرسل، وما كان هذا الذي جئت به أنا ابتدعته أو أحدثته، بل قد أتتْ الرسل من قبلي لمن كان قبلكم بمثل ما أتيتكم به ولذلك قال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9].

ابن العربي: وأما المبدع والمبتدع والبديع؛ فهو الذي أنشأ على غير مثالٍ وأنا من قول «المبتدع» [في نظر] قلت:

قال الجوهري: ابتدعت الشيء؛ اخترعته لا على مثال والبديع المبتدع أيضاً والبديع الزق. وفي الحديث: «**إن تهامة كبديع العسل حلو أوله حلو آخره**»[1] شبهها

=وأبدعت الرَّاحلة: كلَّت وعطبت، عن الكسائي، أبدعت به: ظلعت أو بركت في الطريق من هُزال أو داء، أو لا يكون الإبداع إلاَّ بظلع، كما قاله بعض الأعراب. وقال أبو عبيدة: ليس هذا باختلاف، وبعضه شبيه بعض.

قلت: وفي حديث الهدي: «إن هي أبدعت» أي انقطعت عن السير بكلال أو ظلع، كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من مادة السير إبداعاً، أي إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها.

(1) أورده أهل اللغة في معاجمهم، ولم أجده فيما بين يدي من المراجع، وقد ذكره في «تاج العروس» (8/11) في الحاشية المتقدمة، قال:

البديع: الزق الجديد، والسِّقاء الجديد، صفة غالبة، كالحيَّة والعجوز، ومنه الحديث أن النبي ﷺ قال: «**تهامة كبديع العسل حلو أوله، حلو آخره**». شبهها بزقِّ العسل، لأنه لا يتغير هواؤها، فأوله طيب وآخره طيب، وكذلك العسل لا يتغير وليس كذلك اللبن، فإنه يتغير.

البديع: الرجل السمين، وقد بَدِعَ، كفَرِحَ، عن الأصمعي، فهو مثل سمن يسمن فهو سمين، وأنشد البشير بن النكث:

فبدِعَتْ أرنبُهُ وخرنقُهْ
وغمَلَ الثعلبَ غملاً شِمرِقُهْ

بزق العسل لأنه لا يتغير وليس كذلك اللبن، وأبدع الشاعر: جاء بالبديع. فبديع في وصف الله تعالى بمعنى مُبْدع مفعل في الوجود، أي ابتدع الأشياء لا على مثال سبق ولا من شيء، وصورها فأحسن وخلق فأتقن ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] وقد يكون البديع عبارة عن الشيء الذي لم يعهد مثله، فيكون البديع بمعنى؛ العَدِيم المثل، فيكون وصفاً استحقته ذاته سبحانه وصفاته لتقدسها عن الإمكان ومشابهة النظراء، فالبديع على هذا وصف ذاتي فيه معنى السلب. وإذا حملنا على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: 117] كان معناه: أنه البديع من جملة الوجود كله، ولذلك قال سبحانه: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: 101] وهذا غاية التنزيه في وصف قدسه قاله الأقليشي.

وقال الحليمي: معنى البديع المبدع وهو محدث ما لم يكن مثله قط. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: 117] أي مبدعها. والمبدع: من له إبداع، فلما ثبت وجود الإبداع من الله عزَّ وجلَّ لعامة الجواهر والأعراض استحق أن يسمى بديعاً ومبتدعاً[1].

وقد يكون معنى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: 117] بمعنى أنه زين السماوات والأرض كما قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: 35] أي به أضاءت السماوات والأرض وبه قامت، وبأمره استمسكت، وبه حسن كل شيء منهن، وهذا كله إبداع.

فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن الله سبحانه بديع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه لا مُبدع سواه، فيديم الفكر في مبتدعاته والنظر في مصنوعاته، ولا يغفل عن النظر في نفسه، فإن فيه من العِبَرِ ما في العالم. قال بعض الحكماء: كل شيء في العالم الكبير له نظير في العالم الصغير الذي هو بدن الإنسان ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] وقال أيضاً: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ

---

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» (192/1)، وقد جاء فيه بلفظ: البديع: ومعناه المبتدع.

وجاء في آخر: ... استحق أن يُسمى بديعاً ومُبدعاً. اهـ.

﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] فحواس الإنسان أشرف من الكواكب المضيئة، والسمع والبصر منها بمنزلة الشمس والقمر، في إدراك المدركات بها، وأعضاؤه تصير عند البلى تراباً من جنس الأرض، وفيه من جنس الماء العرق، وسائر رطوبات البدن، ومن جنس الهواء فيه الريح والنفس، ومن جنس النار فيه مرة الصفراء، وعروقه بمنزلة الأنهار في الأرض، وكبده بمنزلة العيون التي تستمد منه الأنهار، لأن العروق تستمد من الكبد. ومكانته بمنزلة البحر لانصباب ما في أوعية البدن إليها كما تنصب الأنهار إلى البحر، وعظامه بمنزلة الجبال التي هي أوتاد الأرض، وأعضاؤه كالأشجار، فكما أن لكل شجرة ورقاً وثمراً فكذلك لكل عضو فعل دائر، والشعر على البدن بمنزلة الحشيش على الأرض.

ثم إن الإنسان يحكي بلسانه كل صوت حيوان ويحاكي بأعضائه صنيع كل حيوان فهو العالم الصغير، وهو مع العالم الكبير مخلوق محدث لصانع واحد لا إله إلا هو، وقد يعتبر في نفسه أيضاً من وجه آخر، وهو أن ينظر إلى العين وصفاتها وكيفية تركيب طبقاتها ونورها، والفم وما فيه من لسان ينطق وأسنان تطحن، واليد وبطشها، والرجل وبسطها، وباطنه مشحون بالغرائب أولها القلب ومن لك بعجائبه، وسائر الأعضاء وما فيها من المنفعة وكيف أعدها الله لتلك الخدمة. فالكبد يستحيل فيها كل مطعوم، وإن اختلفت صفاته دماً على صفة واحدة وما فيه من ثفل وسواد يقبله الطحال ما فيه من رغوة تقبله المرارة وما فيه من مائية رقيقة تقبله الكلية حتى يسري الدم إلى العروق صافياً وتقذف الكلية الماء إلى المثانة وما بقي من ثفل قبله المعي، ثم خرج منه سهلاً ولذلك كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء يقول: «**الحمد لله الذي أخرج عني خبثه وأبقى لي طيبه**»[1].

ثم إذا علمت أنه المُبْدِعُ للأشياءِ وأنك من جملة مبدعاته، وأنه أبدع فيك ما شاء من قدرة [على الوجه الذي يريد] فحقك أن تتصرف بتلك القدرة والكسب اللذين جُعِلاَ

---

(1) الحديث بتمامه أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (2/1).

والذي جاء عند البخاري (142) ومسلم (375) وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه، أنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» لفظ البخاري.

فيك في إبداع كل ما يُرضيه من عمل صالح في نفسك وفي غيرك، كما فعل عمر رضي الله عنه[1]. ولا تعاطى الابتداع في الدين ولا في الخلق بما لا يجوز على ما يأتي بيانه عند اسمه «المصور» وتهجر من فعل ذلك، فإن كانت البدعة توافق السُّنّة فيها ونعمت.

قال الخطابي وغيره: كل بدعة صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أولاً، فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله تعالى إليه، وحضَّ رسوله ﷺ عليه، فهي في حيز المدح، وإن لم يكن مثالها موجوداً كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهذا فعله من الأفعال المحمودة، وإن لم يكن الفاعل قد سبق إليه ويعضدها قول عمر: «نعم البدعة هذه» لما كانت من أفعال الخير والداخلة في حيز المدح وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها إلا أنه تركها و لم يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها، فمحافظة عمر عليها، وجمع الناس لها وندبهم إليها بدعة، لكنها بدعة محمودة ممدوحة وإن كانت في خلاف ما أمر الله تعالى رسوله به فهي في حيز الذم والإنكار قال ﷺ في خطبة: «**وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»[2] يريد ما لم يوافق كتاباً وسُنّة أو عمل الصحابة رضي الله عنهم.

---

(1) يشير إلى فعل عمر رضي الله عنه، عندما جمع الناس في صلاة التراويح على إمام واحد، ثم قال: نعمت البدعة هذه.

(2) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (14340) ومسلم (867) والنسائي في «المجتبى» (1577) وفي «الكبرى» (1786) وابن ماجه (45) وابن خزيمة (1785) وابن حبان (10)، واللفظ لمسلم من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله؛ قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم. ويقول: «**بُعثت أنا والسَّاعة كهاتين**» ويقرن بين إصبعيه السَّبَّابة والوسطى. ويقول: «**أمَّا بعد. فإنَّ خير الحديث كتاب اللّه. وخير الهُدى هُدى محمد. وشرُّ الأمور محدثاتها. وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**». ثم يقول: «**أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه. من ترك مالاً فلأهله. ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ**».

قال الإمام النووي ـ رحمه اللّه تعالى ـ: في هذا الحديث جمل من الفوائد ومهمات من القواعد، فالضمير في قوله: (يقول صبحكم مساكم) عائد على منذر جيش.-

وقد بيّنَ هذا بقوله ﷺ: «**مَنْ سنَّ في الإسلام سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[1] وهذا إشارة إلى ما ابتدع من قبيح وحسن، وهو أصل هذا الباب. وباللّه العصمة والتوفيق لا رب غيره.

- قوله ﷺ: (بعثت أنا والساعة) روي بنصبها ورفعها والمشهور نصبه على المفعول معه.

وقوله: (بقرن) هو بضم الراء على المشهور الفصيح وحكي كسرها.

وقوله: (السبابة) سميت بذلك لأنهم كانوا يشيرون بها عند السب.

وقوله: (خير الهدى هدى محمد) هو بضم الهاء وفتح الدال فيها وبفتح الهاء وإسكان الدال أيضاً ضبطناه بالوجهين، قال: قال العلماء: لفظ الهدى له معنيان، أحدهما بمعنى الدلالة والإرشاد وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد، وقال اللّه تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: 52] ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: 9] ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: 2]. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**﴾ [فصلت: 17] أي بينا لهم الطريق. ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ**﴾ [الإنسان: 3] ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: 10]. والثاني: بمعنى اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد وهو الذي تفرد اللّه به. ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [القصص: 56]. انتهى مختصراً.

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (19177) ومسلم (1017) والترمذي (2675) والنسائي (2553) وابن ماجه (203) والطيالسي (670) وغيرهم، من طريق المنذر بن جرير، عن أبيه، قال: كنّا عند رسول اللّه ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النّمار أو العباء مُتقلدي السُّيوف. عامتهم من مضر. بل كلهم من مضر. فتمعَّر وجه رسول اللّه ﷺ لِمَا رأى من الفاقة. فدخل ثم خرج. فأمر بلالاً فأذن وأقام. فصلّى ثم خطب فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النساء: 1] إلى آخر الآية. ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء: 1] . والآية التي في الحشر: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [الحشر: 18] تصدَّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرّه، من صاع تمره (حتّى قال) ولو بشقِّ تمرةٍ» قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفُّه تعجز عنها. بل قد عجزت. قال: ثمَّ تتابع الناس. حتى رأيت كومين من طعام وثياب. حتى=

• ومنها:

13. البارئ
جلّ جلاله وتقدست أسماؤه

نطق به القرآن، وجاء في السنّة، وأجمعت عليه الأمّة، و«البارئ»: المبدع المخترع، فلا يُسمى به ولا يُوصف إلا اللّه تعالى وحده لا شريك له، وإذا ورد لغير هذا المعنى جاز إجراؤه على العبد. ومن ذلك قول العرب: أعط القوس بارئها. يقال منه: برأ اللّهُ الخَلْقَ برأهم، والبريئة: خلق اللّه، فعيلة بمعنى مفعول، كل ذلك مهموز لأن الهمزة ثابتة في «برأ» وهو الأصل، وقد اتفق القراء على همزة ﴿البارئ﴾ في آخر سورة «الحشر»[1] وعلى همزة ﴿بارئكم﴾ في «البقرة»[2] واختلفوا في «خير البريئة» «وشر البريئة» وسبب ذلك واللّه أعلم أن «البارئ» من أبرأ والبريئة قد تؤخذ من هذا فتكون مهموزة، وقد تكون مأخوذة من البرا غير مهموز وهو التراب، فيكون مخصوصاً بكل مكون من التراب. فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7] بغير همز يخرج منه الملائكة إذ هي مخلوقة من نور، والشياطين إذ هي مخلوقة من نار. وعلى التأويل الأول يدخل الملائكة وغيرها، إذ كلُّ ذلك مُبرأ ويحتمل من لم يهمز أن يكون مخففاً من المهموز فيكون عاماً.

= رأيت وجه رسول اللّه ﷺ يتهلّل كأنّه مُذهبةٌ. فقال رسول اللّه ﷺ: «من سنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً، فله أجرُها، وأجر من عَمِلَ بها بعدهُ. من غير أن ينقص من أُجورهم شيءٌ. ومن سنّ في الإسلام سُنّة سيئةً، كان عليه وزرها ووزر من عَمِلَ بها من بعده. من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ». لفظ مسلم.

(1) عند قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 24].

(2) وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54].

وقد يكون مأخوذاً من: بريت القلم أبريه برياً إذا سويته وأصلحته، وهو أيضاً غير مهموز.

وهذا الاسم يختص بالإيجاد فحسب من غير إشعار بتقدير ولا تصوير، وبذلك يفارق الاسم الذي قبله والذي بعده. «فالخالق» عام والدلالة في كل مخلوق «والبارئ» أيضاً عام في كل مبرأ وهو كل ما وجد بعد أن لم يكن، وهو أخص في دلالته من «الخالق» من حيث دل على مجرد الإيجاد من غير تقدير و«الخالق» يتضمن الأمرين و«البارئ» يعم الجواهر المفردة والمركبة والأعراض، و«المصور» يختص في دلالته كل خلق له صورة، ولا يعم المفردات من الجواهر والأعراض إلا في حال التركيب.

قال الحليمي: وهذا الاسم يحتمل معنيين: أحدهما الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق وهذا هو الذي يشير إليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: 22] ولا شك أن إثبات الإبداع والاعتراف به للبارئ عزَّ وجلَّ ليس يكون على أنه أبدع نعته من غير علم سبق له بما هو مبدعه، ولكن على أنه [كان] عالماً بما أبدع قبل أن [يبدع] فكما وجب له عند الإبداع اسم «البديع » وجب له اسم «البارئ».

والآخر: أن المراد «بالبارئ» قالب الأعيان، أي أنه أبدع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء، ثم خلق منها الأجسام المختلفة كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30] وقال: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71] وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الروم: 20].

وقال: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: 4] وقال: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: 14-15] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 12-14] فيكون هذا من قولهم: برا القوس إذا صنعها من موادها التي كانت لها فجاءت منها لا كهيئتها.

والاعتراف لله عزَّ وجلَّ بالإبداع يقتضي الاعتراف له بالبدء إذا كان المعترف يعلم من نفسه أنه منقول من حال إلى حال إلى أن صار ممن يقدر على الاعتقاد والاعتراف[1].

فيجب على كل [مكلف] أن يعلم أن لا بارئ على الإطلاق إلا الله تعالى، خلق الأعيان والآثار وكل شيء حتى الأعراض، ولا يخرج حادث عند قدرته فيريح نفسه من كد النَّصَبِ من غير أن يطرح عن نفسه ظاهر الشرع في الأمر والنهي وإن كان الأمر كله لله. فإن العبد لا يخلو عن توجه الأمر والنهي إليه وتتطرق المحمدة والملامة إليه ويترك التعجب بنفسه، فإنه مخلوق أولاً من تراب وثانية من نطفة، فيحق التواضع لمن أوله مدر وآخره دفر[2].

• ومنها:

15ـ الذَّارِئُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

ذكره الحُليمي وغيره ولم يأت في عداد الأسماء وورد في التنزيل فعلاً فقال: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: 11]. وكذلك في السُّنَّة على ما يأتي.

يُقال: ذَرَأَ اللَّهُ الخَلْقَ يذرؤهم ذرءاً فهو «ذارئ» ومنه: الذرية وهي نسل الثقلين، إلا أن العرب تركت همزها والجمع: الذراري. يُقال: أنمى اللّه ذَرَاكَ وذَرْوَكَ أي ذريتك، وأصل الذرور والذرء: التفرق عن جمع وفي الحديث «ذرء النار» أي أنهم خلقوا لها. ومن قال: «ذرو النار» بغير همز أراد أنهم يذرون. [يُقال] ذريت الطعام أذريه وذروته ذرواً أيضاً، والريح تذرو التراب، والذري اسم لما تذروه، والذرا بالتحريك الشيب في مقدم، رجل أذرأ وامرأة ذرأى وذرى شعره وذرا لغتان، والاسم: الذُرْأَةُ ـ بالضم ـ وقد يكون الذرء بمعنى الود إبلاغ بالمذر ونفسه أو المذر من أجله. يُقال منه: أذرأته بالشيء أو لعنه به، وقيل إنه بمعنى: الذر ومنه الحديث: «**إن الله مسح**

---

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» (1/192-193)، وتمَّ التصويب منه.

(2) الدفر: النتن خاصة، ولا يكون في الطِّيب أبداً. وأراد بالمدر هنا: التراب.

ظهر آدم بيمينه فاستخرج منه ذرية أمثال الذر»[1] والذرء: مصدر ذروت الشيء أذروه ذرواً، ومن الذرية فعلية من ذرهم الله في الأرض.

قال الحليمي: معناه المُنشئ والمنمي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ [الشورى: 11] أي جعلكم أزواجاً ذكوراً وإناثاً لينشئكم ويكثركم وينميكم، فظهر بذلك أن ـ الذرء ـ ما قلناه وصار الاعتراف بالإبداع يلزم من الاعتراف بالذرء ما لزم من الاعتراف بالبرء[2].

ابن العربي و«الذارئ» بمعنى: «الخالق» يقال: ذرأ اللّه الخلق كلهم [قال اللّه تعالى]: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ**﴾ [الأعراف: 179].

قلت: فيجب على كل مُكلَّفٍ أن يعتقد أن لا ذارئ ولا بارئ ولا خالق على الإطلاق إلا اللّه، ثم يلجأ إليه في أن يكفيه شر ما برأ وذرأ. وفي «الموطأ»[3] عن كعب الأحبار قال: لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً فقيل له: وما هن. فقال: أعوذُ بوجهِ اللّهِ العظيم الذي ليس شيء أعظم منه، وبكلمات اللّه التامات اللاتي لا يجاوزهن برٌّ ولا فَاجرٌ، وبأسماءِ اللّهِ الحُسنى كلها، ما علمتُ منها وما لم أعْلَمْ من شرِّ ما خَلَقَ وبَرأَ وذَرَأَ.

وفي «الموطأ»[4] عن يحيى بن سعيد أنه قال: أسري برسول اللّه ﷺ فرأى عفريتاً يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول اللّه ﷺ رآه، فقال جبريل: «**أفلا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفيت شعلته وخرَّ لفيه**» فقال رسول اللّه ﷺ: «**بلى**» فقال

---

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (27488) والبزار (2144) بإسناد يحسُنُ بغيره من حديث أبي الدرداء رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خلق اللّه آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء، كأنهم الذَّرُّ، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي**».

وانظر أخي الكريم طرق الحديث وشواهده مع شرحه في كتابنا «موسوعة الأحاديث القدسية».

(2) «المنهاج في شعب الإيمان» (193/1).

(3) في كتاب الشعر (1775) باب (4) ما يؤمر به من التعوذ.

(4) الكتاب المتقدم نفسه برقم (1773). وتم استدراك النقص من «الموطأ».

جبريل: «**فَقُلْ أعوذُ بوجهِ اللهِ الكَرِيمِ وبكلماتِ اللهِ التَّامَاتِ اللاتي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فَاجِرٌ من شرِّ ما ينزِلُ من السماءِ وشر ما يعرجُ فيها وشرِّ ما ذرأ في الأرضِ وشر ما يخرجُ منها، ومن فِتَنِ الليلِ والنهارِ [ومن طَوَارِقِ الليلِ والنهارِ] إلا طارقاً يطرق بخيرٍ يا رحمن**».

وذكر البيهقي[1] بإسناده عن أبي التياح قال: **قال رجل لعبد الرحمن بن خنبش: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين؟ قال: نعم تحدرت الشياطين من الجبال والأودية يريدون رسول الله ﷺ وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ فلما رآهم رسول الله ﷺ فزع منهم، وجاءه جبريل عليه السلام فقال: «قُلْ يَا مُحمد». قال: ما أقول؟ قال: «قُلْ أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامات اللاتي لا يُجَاوِزهُنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ من شَرِّ ما خلق وبرأ وذرأ ومن شرِّ ما يَنْزِلُ من السماءِ ومن شر ما يعرجُ فيها ومن شرِّ ما ذرأ في الأرضِ وما يخرجُ منها ومن شرِّ فِتَنِ الليلِ والنهارِ إلا طَارِقاً يطرقُ بخيرٍ يا رحمن» قال: فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله عزَّ وجلَّ.**

• **ومنها:**

17.16 الخَالِقُ والخَلَّاقُ
جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

نطق به التنزيل وتكرر في القرآن فعلاً وجاء في حديث أبي هريرة الذي خرجه الترمذي «الخالق» وعند غيره «الخلاق» عوضاً من «الخالق» وكلاهما أجمعت عليه الأمَّة.

قال ابن الحصار: وفي وضع «الخالق» اسماً للمخلوق نظر، وكذلك في إثبات المبالغة «كالخلاق» والصح عندي منعه وأما إجراؤه وصفاً على المخلوق يُراد به التقدير، فجائز باتفاق. ومنه قوله الحق: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون: 14] وقوله لعيسى: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾ [المائدة: 110] الآية.

(1) في «الأسماء والصفات» (ص 41-42).

وقال الأقليشي: الشرع يحجر اسم «الخالق» على غير الله تعالى وإن كانت العرب قد أطلقت هذا الاسم على المُقدِّر للأشياء كما قال زهير[1]:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

فمنع الشرع ما أطلقته العرب من هذا الاسم على المخلوق، وحجر أن يُسمى موجود في الوجود خالقاً غير الله تعالى، لأنه مخترع الأعيان، ومُقدِّرُ الأشياء. فاتصاف العبد بالاختراع باطل قطعاً، واتصافه بالتقدير مجاز، لأن التقدير الذي يقدره العبد مخترع له في الوقت الذي يقدره، فهو منسوب لله تعالى حقيقة وللعبد مجازاً، وقوله تعالى عن عيسى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: 49] لما كان ما يأتي به الرسل عليهم السلام من المعجزات الجارية على أيديهم تستند إلى فعل الله تعالى، أخبر بذلك عن نفسه ومرجعه إلى الله. والخلق في هذا الموضع بمعنى ـ التقدير ـ لا بمعنى اختراع العين وله في القرآن مواضع كثيرة، منها ما يكون بمعنى التقدير، ومنها ما يكون بمعنى اختراع الأعيان، فمن الخلق الذي هو بمعنى اختراع العين قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: 164] وشبهه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 94] إذ الأعيان ترجع كما أبدعها وأوجدها حسب ما بيناه في كتاب «التذكرة» ويأتي.

يقال منه: خَلَقَ يَخْلُقُ خَلْقاً، للخالقِ الحقِّ إذ اخْتَرَعَ وَأَوْجَدَ ما لم يكن موْجُوداً. ومن هذا قوله الحق: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: 11] وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ [فاطر: 3] يُبيِّنُ ويقررُ أنه لا خالق يخترع ويبدع إلا هو، «فالخالق» الصانع، و«الخلاق» مبالغة؛ لأنه يخلق خلقاً بعد خلق، والخلق فعله، والخليقة: جميع المخلوقات، وقد يعبر عن المخلوقات بالخلق تجوزاً واتساعاً، فمعنى الخلق وإن تفرق إلى وجوهه الجمع مع الصنع، ولذلك قيل لأخلاط من الطيب فيها الزعفران: الخَلُوقُ، وقد يرد الخلق في كلام العرب بمعنى الكذب وهذا مستحيل في حق الله تعالى جائز في المخلوق، يقال منه: خلق الإفك واختلقه ويخلقه أي: افتراه، ومنه قوله تعالى:

(1) هو زهير بن أبي سلمى. والبيت قاله مدحاً لهرم بن سنان.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17] وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: 7] ويقال: هذه مخلوقة أي: منحولة إلى غير قائلها وقرئ ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 137] أي كذبهم وافتراؤهم [وقد تأول قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خَلْقُ الأَوَّلِينَ﴾][1] بمعنى الحزم والقطع أي هو كلام قطع على مقدار حديث الأولين. قال الشاعر:

ولا يبيط بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالق إلا جيد الأدم

ومنه قيل للحظ: خلاق[2]، أي هو ما قطع له من نصيب، وقد يَرِدُ الخَلْق ويرادُ به التقدير، ومنه قول الحق: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 24] فالخالق هنا المُقَدِّر

(1) استدراك من حاشية المخطوط.

وقد جاء في «تاج العروس» (13/120-121) مادة ـ خلق ـ: الخَلْقُ في كلام العرب على وجهين، الإنشاءُ على مِثال أبدعه، والآخر: التقدير. وكل شيءٍ خلقه اللّه تعالى فهو مُبتدئه على غير مثالٍ سُبِقَ إليه ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]. و﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] قال ابن الأنباري: معناه أحسن المقدِّرين، وقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17] أي: تقدِّرون كذباً، وقوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾ [آل عمران: 49] خلقه: تقديره، ولم يُرِد أنه يُحدث معدوماً.

والخالق في صفاته تعالى وعزَّ: المُبدع للشيء، المخترع على غير مثال سبق وقال الأزهريُّ: هو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق: التقدير، فهو باعتبار ما منه وجودها مقدر وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق.

يسمُّون صانع الأديم ونحوه الخالق، لأنه يقدِّر أولاً، ثم يفري.

ومن المجاز: خلق الإفك خلقاً: إذا افتراه، كاختلقه وتخلقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وقرئ: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 137] أي: كذبهم واختلاقهم، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: 7] أي تخرُّصٌ وكذبٌ.

وخلق الشيء خلقاً: ملَّسه ولينه.

ومن المجاز: خلق الكلام وغيره: إذا صنعه اختلاقاً. انتهى مختصراً.

(2) قال في «لسان العرب» (10/92) ـ مادة ـ خلق ـ. والخلاق: الحظُّ والنصيب من الخير الصلاح. يقال: لا خلاق له في الآخرة. ورجل لا خلاق له أي لا رغبة له في الخير ولا في الآخرة ولا صلاح في الدين. وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقرة: 200]-

فيكون صفة ذاتية؛ لأن الأعيان مُقدرة في علمه قبل وجودها. وإذا كان بمعنى اختراع الأعيان فيكون صفة فعلية، إذ الأعيان مُحْدَثَة لله تعالى بفعله الذي هو الخلق، والبارئ: المنشئُ المصور المخترعُ، والصورة مصدر ومركبها على هيئات مختلفات. فأما قوله الحق لعيسى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [المائدة: 110] معناه: تُقَدِّرُ، وقد تأوله بعض الناس بمعنى التصوير حكاه ابن العربي وابن الحصار، وليس كذلك وإنما التصوير آخراً والتقدير أولاً والبراية بينهما ومنه قول زهير:

ولأنت تخلق ما تشاء وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

يقول: تقدر ما يقدره ثم تفريه؛ أي تُمْضيهِ على وفق تقديرك، وغيرك يقدر ما لا يَتِمُّ لهُ ولا يقع فيه مراده، إما لقصوره في تصور تقديره أو لعجز عن تمام مراده[1]. ومن أقوالهم: هذا ما فرته أيدي الخوالق. وهم إلا سالفة تقدر طاقات الفعل بعضها على بعض، ومنه قول الحجاج: لا أخْلُقُ إلا فريتُ، ولا [أعِدُ] إلا وفيت. [يقول: لا أقدر إلا قطعتُ] ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: 6] أي يقدركم تقديراً، وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] أي أحسن المقدرين. إلا أن الخلق بمعنى التقدير لا يصطحبان في كل موضع، فلا تقول لكل مقدر خالقاً، وتقول لكل خالقٍ مُقدّرِ الخلق. الذي هو عبارة عن التقدير الأزلي [فلا] يطلق على هذه المعاني كلها من الخلق والتصوير والبراية إطلاقاً متفقاً.

قال الأقليشي: وبهذا إن حررت النظر وأطلت العبر تفرق بين «الخالق» و«الخلاق» إذ الخلاق صفة مبالغة، فهي مُنبئة بالتقدير الأزلي الكلي الذي مبدأ التفصيل

=الخلاق: النصيب من الخير. وقال ابن الأعرابي: لا خلاق لهم لا نصيب لهم في الخير، قال: والخلاق الدين؛ قال ابن بري: الخلاق النصيب المُوفَر؛ وأنشد لحسان بن ثابت:

فمن يَكُ منهم ذا خَلاقٍ، فإنّه
سيمنعه من ظُلمه ما توكّدا

وفي الحديث: ليس لهم في الآخرة من خلاق؛ الخلاق، بالفتح: الحظ والنصيب. وفي حديث أُبيّ: إنما تأكل منه بخلاقك أي بحظّك ونصيبك من الدين؛ قال له ذلك في طعام من أقرأه القرآن.

(1) «الجامع لأحكام القرآن» (47/18).

الجزئي في الأعيان المخلوقة بعد عدم. قال: وهذا المعنى أعزُّ من حُمُرِ النَّعَمِ فاعتبره واعتقده من أنفسِ النِّعَمِ. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11] إشارة بالخلق إلى التقدير الأزلي وبالتصوير إلى إحداث الصور، وهي الأعيان المُقدرة في الأزل، وعلى هذا جاء «بثم» التي موضعها المهلة، فإن قيل: كيف يكون هذا وقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [الأعراف: 11] وسجود الملائكة لآدم كان قبل [وجود] صور ذريته وظهورهم في الدنيا؟ فاعلم: أن الإشارة بالتصوير خرج على النسم والمستخرج من ظهر آدم حين أبدعه وكان ذلك قبل سجود الملائكة له، فتأمل هذا المعنى ما أجله.

وقال الفقيه أبو بكر [بن] العربي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ إخبار عن الخروج من العدم إلى الوجود وقوله: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ إشارة إلى الصورة الباطنة المختص بها الآدمي دون غيرها.

قال ابن الحصار: فأما «الخَالِقُ» المُوجِدُ المخترع؛ فيدل صريحاً على إيجاد المخلوقات بعد أن لم تكن، ويتضمن تقديرها قبل أن تُوجد، وكذلك يتضمن كل صفة لا يتم الخلق إلا بها من الاقتدار والاختيار والعلم والحياة وسائر الصفات. وأما وصفه سبحانه «خالقٌ» بمعنى «مُقَدِّرٌ» فإنه يدل صريحاً على وزنه الموجودات بمقادير محصورة معدودة محصاة، وعلى تقدير الأقدار والآجال والأحوال وسائر المقدرات. فالخالق كيف كان يدل على اختراع الأعيان وتحقيق المقادير والأوزان، ويدل ضمناً على إحاطته وخبرته قبل خلق خلقه. ولذلك قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: 12] ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ [الجن: 28] سبحانه لا إله إلا هو.

وقال الحليمي: «الخالق» معناه الذي صنف المبتدعات، وجعل لكل صنف منها قدراً، فوجد فيها الصغير والكبير، والطويل والقصير، والإنسان والبهيمة والدابة والطائر والحيوان والموات، ولا شك أن الاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بالخلق، إذ كان الخلق هيئة الإبداع ولا يعرى أحدهما عن الآخر(1).

(1) «المنهاج في شعب الإيمان» (193/1)، وفيه بزيادة: ومنها «الخلاق»، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 81]، ومعناه: الخالق خلقاً من بعد خلق. انتهى.

فصـــل

في ترتيب الخلق وبدئه

روى مسلم(1) قال: حدثني شريح بن يونس وهارون بن عبد الله قالا، حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع ـ مولى أم سلمة ـ عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل**».

قال البيهقي(2): هذا حديث قد أخرجه مسلم في كتابه عن شريح بن يونس وغيره عن حجاج بن محمد وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفة ما عليه أهل التفسير، وأهل التواريخ، وزعم بعضهم هو علي بن المديني أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أيوب بن خالد، وإبراهيم غير محتج به. قال البيهقي: وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الذمري عن أيوب بن خالد أن موسى ابن عبيدة ضعيف، وروي عن بكر بن الشرود عن إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد وإسناده ضعيف.

---

(1) في صفة القيامة والجنة والنار (2789) باب (1) ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام. وأخرجه الإمام أحمد (8349) والنسائي في «الكبرى» (6/11010) وعلقه البخاري في «التاريخ الكبير» (1/414-413) من طريق أيوب. وتعقبه بقوله: وقال بعضهم، عن أبي هريرة، عن كعب، وهو أصح.

وقد تكلم العلماء على هذا الحديث، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. فقال: وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: «خلق الله التربة يوم السبت...» فهو حديث معلول، قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره. قال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب. وقد ذكر تعليله البيهقي أيضاً. وبينوا أنه غلط، ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ، وهو مما أنكر الحذّاق على مسلم إخراجه إياه. [«فتاوى ابن تيمية» (17/235-236)].

وانظر أخي الكريم «فيض القدير» (3/448) للإمام المناوي.

(2) في «الأسماء والصفات» (ص: 42).

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجمعة ساعة لا يوافقها أحد يسأل فيها شيئاً إلا أعطاه إياه**»[1] قال: فقال عبد الله بن سلام: إن الله عز وجل ابتدأ الخلق فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق السماوات يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق الأقوات وما في الأرض يوم الخميس ويوم الجمعة إلى صلاة العصر وهي ما بين صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس خلق آدم. وفي رواية عن عبد الله بن سلام قال: خلق الله الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في يومين، يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وخلق السماوات في يوم الخميس ويوم الجمعة، وآخر ساعة من يوم الجمعة خلق الله آدم في عجل، وهي التي تقوم فيها الساعة وما خلق الله من دابة إلا وهي تفزع من يوم الجمعة إلا الإنسان والشيطان، ففي هذا إن بدء الخلق إنما كان في يوم الأحد لا في يوم السبت، وكذا قال مجاهد وجميع أهل التفسير.

قال مجاهد: بدء الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الأرض من الماء. وقال: بدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وجمع الخلق يوم الجمعة، وتهودت اليهود يوم السبت، ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون قلت: وقد ورد حديث تفصيله تفصيل القرآن خرجه هناد بن السري عن ابن عباس قال: أتت اليهود إلى النبي ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الأربعاء، فهذه أربعة أيام ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: 9-10] لمن سأل.

قال: «وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال حتى الموت، وفي الثانية ألقى الله الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه [منها] في آخر ساعة»

---

(1) رواه الإمام مالك في «موطئه» (242) في الجمعة. وأحمد (10306) والبخاري (935) ومسلم (852) والنسائي (1431).. وعبد الرزاق (5572) وابن حبان (2773) وغيرهم.

قالت[1]: ثم ماذا؟ قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: 11] قالوا: قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فقرأ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38].

ويقال: إن أصل الخليقة كائن على خمسة أضرب:

أولها: التراب، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71]. ثم خلق الله حواء من ضلعه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1] فبين سبحانه أن زوج آدم وهي حواء خلقت منه، وفسر ذلك النبي ﷺ فقال: «إن المرأة خلقت من ضلع» الحديث[2] وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: فَرْقُ ما بين الرجل والمرأة نقص ضلع من الجانب الأيسر، وهي الضلع التي خُلقت منه حواء. فنقص من آدم ونقص من بنيه الرجال. ثم الخلق الثالث ـ وهو كافة بني آدم من ذكر وأنثى كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: 13]، ثم الخلق الرابع ـ وهو عيسى كان بنفخ الريح والهواء دون نطفة الذكر، فامتزج الريح بماء مريم فتركت خلقة عيسى. ثم الخامس ـ من التخليق في حشر الأجساد بعد أن صارت عظاماً نخرة.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء»[3] ويروى ذلك عن عبادة بن الصامت.

---

(1) يعني: قالت اليهود، لعنة الله عليهم إلى يوم الدين.

(2) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (9802) والبخاري (3331) ومسلم (1468) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «إن المرأة خُلقت من ضِلَعٍ، ولن تَصلُحَ لك على طريقة، وإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن تُرد إقامتها تكسرها، وكسرها طلاقُها».

(3) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (22705) وأبو داود (4700) والترمذي (2155) والشاشي (1192) والطيالسي (577) والآجري في «الشريعة» (ص: 211) وغيرهم، بإسناد حسن، واللفظ لأحمد، من طريق أيوب بن زياد، قال: حدثني عُبادةُ بن الوليد بن عُبادة حدثني أبي=

قال [البيهقي]: المراد ـ والله أعلم ـ أول شيء خلقه الله بعد الماء والريح والعرش، القلم وذلك بيّن في حديث عمران بن حصين، ثم خلق السماوات والأرض، وفي حديث أبي ظبيان عن ابن عباس موقوفاً عليه: ثم خلق النون فدحى الأرض عليها.

فيجب على كل مكلف أن يعلم ويعتقد: أن لا خالق ولا فاعل إلا الله وحده لا شريك له، وأن لا واقع إلا بمشيئته، وأن حكم الجواهر والأعراض والخير والشر والأوصاف والصفات وكل واقع بعد إن لم يكن في ذلك سواء ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: 2] وهذا يقتضي بإطلاقه العموم، وهو الحق. ودل على هذا أيضاً قول الحق: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: 65] الآية؛ لأن الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه إلا على الملائكة[1]، وإذا ثبت أنه مالك ما بين السماوات والأرض دخل في ذلك اكتساب الخلق، وإذا ثبت أن أكساب الخلق مملوكة، دل على أنها مخلوقة له، لأن حقيقة الملك القدرة على الإيجاد.

وزعمت القدرية أن تسميته سبحانه «بالخالق» لا يدل على عموم تعلقه بكل مخلوق؛ لأن العبد عندهم خالق لبعض المخلوق، وهي أفعالهم، ولهذا سموا قدرية، تعالى الله وتقدس عن قولهم، وهذا تصريح منهم بالشريك، فالمجوس والوثنية يقولون بإلهين وهم يقولون بآلهة كثيرة، وعجباً لهم كيف ذهلوا عن الحقائق العقلية، وأعرضوا عن الأدلة الشرعية حتى عن قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16] وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96] وشبهه.

= قال: دخلت على عُبادة وهو مريضٌ أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. فلما أجلسوه قال: يا بُنيَّ، إنك لن تطعم طعم الإيمان، ولن تبلغ حقَّ حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشرِّه. قال: قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خيرُ القدر من شرِّه؟ قال: تعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بُنيَّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**» يا بني، إن مِتَّ ولست على ذلك، دخلتَ النار.

(1) يريد رب الملائكة.

ذُكِرَ أن سُنّياً ناظر قدرياً في مسألة من القدر، فقطع المعتزلي تفاحة من شجرة ثم قال: ألست أنا الذي فعلت هذا؟ فأجابه السني بأن قال له: إن كنت فعلته أنت فرده على ما كان عليه، فانقطع لذلك! وذلك أن القدرة التي حصل بها الإيجاد لا بد أن تكون صالحة للضدين، فلو كان تفريق الأجزاء من جهته لكان قادراً على وصلها. ورفع قدري رجله فقال لرجل من أهل السُنّة: أنا الذي رفعتها فقال له: إن كنت صادقاً فارفع الأخرى، فبهت! فاللّه سبحانه خلق كسب المكتسبين واستطاعة المستطيعين منفرداً بذلك مقدراً عليه فلا تدعِ القدرة على أعمالك إلا إن أقدرك عليها. وقد اتفق العقلاء بأجمعهم على استحالة وقوع فعل واحد من فاعلين، ولا إحالة في وقوع فعل واحد من قادرين، أحد القادرين فاعل حقيقة والآخر مُكتسب قدرة لا أثر لها في الفعل، وإرادة لا تخصص.

وإذا كان هذا فينبغي لك أن تنظر الفعل الصادر عنك هل هو خير أو شر؟ فمهما كان خيراً حمدت مولاك على ما أولاك حيث خلقك أهلاً للخير، وجعلك في طريقه معتدل السير في الشر. ولو ترك نفسك وطبعها و لم يقمعها بتقواه ولا ردعها لكانت في الشر حقيقة السير، ولنفرت عن الحق نفور شوارد الطير. فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قُرَبِكَ، فإن ذلك وإن كان من كَسْبِكَ فإنه من خلقِ ربك وفضله الدار عليك وخيره [الذي يفيضه عليك] فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر باتباع غيره، وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف الكير، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، فأصبحت وزهرها يابس هشيم إذا هبت عليها الريح العقيم! كذلك العبد قد يمسي وقلبه بطاعة اللّه مُشرقٌ سليم، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم. ذلك فعل العزيز الحكيم، الخلاق العليم.

فيجب على كل مسلم أن يجعل انقياده واستسلامه لله وحده ولا يلتفت إلى الأسباب، إذ لا أثر لها وكل من نسب فعلاً لغير اللّه حقيقة فقد كذب بقوله الحق: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62] ويجب عليه أن ينظر في مخلوقاته ويتفكر في مصنوعاته ليعتبر، وقد مَدَحَ من فعلَ ذلك فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: 191] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185] وقيل المراد بالملكوت: المُلْكُ، وقيل الآيات.

وقد تقدمت الإشارة إليها في اسمه «الواحد» وقال: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 17-20] فأحال سبحانه بالنظر والاعتبار على مخلوقات لا التذاذ بها ولا ميل للنفوس إليها. وَجُهَّالُ الصوفية في هذه الأزمان يعتبرون بالنظر في الوجود الحسان من المُرْدِ والنسوان. وذلك فسوق وعصيان، وخروج عن الشرع وخُذْلان، نسأل الله السلامة والتوفيق، والمشي على سير التحقيق بمنه.

ثم يلجأ إلى خالقه ويستجير بكلماته من شر خلقه، ففي «صحيح مسلم» وغيره عن خولة بنت حكيم السلمية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»(1) وفي الباب عن أبي هريرة(2). وفي التنزيل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1] السورة كلها، وإياك أن تُعَيِّرَ أحداً من خلقه بقبح صورته، أو بعضه(3).

(1) رواه الإمام مالك في «موطئه» في الاستئذان (1830) وأخرجه أحمد (27190) ومسلم (2708) والترمذي (3427) والنسائي في «الكبرى» (10394).. وابن ماجه (3547) والدارمي (2680) وابن خزيمة (2566) وابن حبان (2700) وعبد الرزاق (9261) وغيرهم.

(2) يشير إلى ما رواه الإمام أحمد (8889) ومسلم (2709) وأبو داود (3898) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيتُ من عقرب لدغتني البارحة! قال: «**أما لو قُلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك**» لفظ مسلم.

(3) جاء في أصل المخطوط النص التالي:

«فإنه يروى: أن نُوحاً ـ عليه السلام ـ كان اسمه يُشكر، ولكن لكثرة بكائه على خطيئته، أوحى الله إليه، يا نوح كم تنوح؟ فسمي نُوحاً. فقيل: يا رسول الله، فأي شيء كانت خطيئته؟ قال: إنه مرَّ بكلبٍ، فقال في نفسه: ما أقبحه! فأوحى الله إليه: أخلقت أنت أحسن من هذا»؟

أقول: وهذا من الأخبار التي لا تصح بحال. وقد جعلته في الحاشية. للأمانة العلمية. وإلا لحذفته كما فعلت في اختصاري «للجامع لأحكام القرآن» وكذا لكتاب «التذكرة» وكلاهما للمصنف رحمه الله تعالى.

• ومنها:

18. المُنْشِئُ
جلّ جلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤُهُ

نطق به التنزيل اسماً وفعلاً، فقال وقوله الحق: ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: 72] وقال: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة: 35] وقال: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: 12] وقال الجوهري: يقال: أنشأ الله خلقه، والاسم النشأة. والنشاءة بالمد عن أبي عمرو، وأنشأ بفعل كذا: أي ابتدأ، وفلانٌ يُنشئ الأحاديث: أي يضعها، ونشأت السحابة، وأنشأها الله.

ابن العربي: فأما المُوجد: فهو عبارة عن مُخرج الشيء الغير [الموجود] و«فاطر» ذو حقيقة ويعبر عنه عن المكتسب مجازاً ووصف الله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1] وقال: إني أتوقف في «المُكوِّن» على قول [من قال: أنه الزارع] للأراضي [على أنه] فاطر لأنه يشقها بالحراثة، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النحل: 40] (وفي الحديث قام ﷺ) حتى تفطرت قدماه وقيل له في المدح والتعظيم لله سبحانه لم يجز لأحد إذا طلع وظهر (ابتدأ).

• ومنها:

19. الصَّانِعُ
جلّ جلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤُهُ

[لم يأت صريحاً في الكتاب، ولم يرد في عداد الأسماء من حديث أبي هريرة ـ الذي خرجه الترمذي][1].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة [ـ رضي الله عنه ـ قال:] قال النبي ﷺ: «**لا يَقُولَنَّ أحدكُم اللَّهُمَّ اغفِرْ لي إنْ شِئتَ اللهُمَّ ارحمني إنْ شئتَ، لِيَعْزِمْ في**

(1) زيادة اقتضتها الضرورة. للنقص الموجود في المخطوط. وقد جاء مباشرة عقب قول المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ «الصانع»جَلَّ جلاله وتقدست اسماؤه: على الأرض ومنها أسماء في الحديث.
هكذا جاء في أصل المخطوط.

الدعاء فإنَّ اللَّهَ صانعٌ ما شاءَ لا مُكْرِهَ لَهُ»[1]. وفي التنزيل: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل: 88] وروى البيهقي[2] من حديث حذيفة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه عز وجل صنع كل صانع وصنعته**» ولا خلاف في جواز إجرائه على المخلوق، يقال منه: صنع يصنع فهو صانع.

قال الحليمي: الصانع معناه: المُركِّبُ والمُهيئُ، قال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل: 88] وقد يكون الصانع: الفاعل، فيدخل فيه الاختراع والتركيب معاً[3].

وقال ابن العربي: فأما الفاعل والصانع والعامل فهي ألفاظ تنصرف إلى مَنْ يُخرجُ الشيءَ من العدمِ إلى الوجودِ، وتنطلق أيضاً على المُكْتَسِبِ. فإذا وصفنا بذلك ربنا عزَّ وجلَّ، رجع له الوصف وبذلك إلى الحقيقة في الأسماء. وإذا أُضيفت إلى العبدِ وأُخبرت عنه كما ورد في الشرع وأذن لنا فيه كقوله: ﴿**وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ [النمل: 34] [وكقوله: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت: 45]] فإن ذلك رجع إلى معنى الكسب والإيجاد من حيث الظاهر، وأما في الحقيقة فهو للّه تعالى حيث قال: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: 96][4] لانفراده بذلك المعنى.

[فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن] لا صانع إلا اللّه وأن كل مصنوع من صنعه، ويجب عليه أن يَعْلَمَ صَنْعَةً ليعيش بها ويكسب منها، ولا يكون كلاً على الناس. وقد أخبر اللّه سبحانه عن نبيه داود عليه السلام بقوله الحق: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ**

---

(1) رواه الإمام مالك في «موطئه» في كتاب القرآن (494) وأحمد (7138) والبخاري (6339) ومسلم (9/2679) والترمذي (3497) والنسائي في «الكبرى» (10418) وابن ماجه (3854) وغيرهم، واللفظ لمسلم.

(2) في «الأسماء والصفات» (ص: 43)ورواه البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» (ص: 25) باب: أفعال العباد. وتعقبه بقوله: وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: 96]، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة. انتهى.

(3) «المنهاج في شعب الإيمان» (194/1).

(4) نقص في أصل المخطوط. وقد قمت باستدراكه اجتهاداً مني... ولعلي أكون قد وُفِّقْتُ في ذلك.

لَكُمْ﴾ [الأنبياء: 80] فكان يصنع الدروع ويبيعها، وكان يعمل الخوص ويبيعه، وكان آدم حراثاً ونوح نجاراً، ولقمان خياطاً، وطالوت دباغاً. وقيل: سقاء. وفي التنزيل: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾** [الفرقان: 20] قال العلماء: أي يحترفون ويتجرون، وقال عليه السلام: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**»[1] وحسبك وقد أشبعنا القول في هذا في كتاب «قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة»[2].

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (5115) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (5/313) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1199)، بإسناد لا يخلو من مقال، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وحده لا شريك له. وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**» لفظ أحمد.

أقول: وروى الإمام أحمد (19136) والبخاري (2818) ومسلم (1742) وغيرهم من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**واعلموا أنَّ الجنَّة تحت ظلال السيوف**».

وانظر أخي الكريم كلامنا وشرحنا على هذا الحديث في كتابنا «الانتصار».

(2) وقد جاء عند المصنف رحمه الله تعالى في كتابه المذكور «قمع الحرص بالزهد...» في الباب التاسع عشر ـ في تناول الأسباب: مخطوط ـ

لعل ظاناً يظن أن ترك الأسباب يحط منزلة من استعملها، وليس كذلك فإنا نقول: استعمال السبب لا يقدح في التوكل ولا ينافيه ويتناول بمجرد الأمر، وهو كان دأب الأنبياء والصالحين ففي الصحيح عن المقدام بن معدي كرب عن النبي ﷺ قال: «**ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده**».

وقال ﷺ: «**جُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رُمحي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغار على من خالف أمري**» أخرجه البخاري.

فجعل الله تعالى رزق نبينا في أشرف وجوه الكسب، وكان يدخر لأهله قوت سنتهم، واشترى سلمان وسقاً من طعام، فقيل له في ذلك قال: إن النفوس إذا أحرزت القوت اطمأنت. ونحوه معنى أبي قلابة.=

- وقال أبو هريرة: «**إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم**» أخرجه البخاري والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً يطول الكتاب بذكرها، وقد استعملها رسول الله ﷺ في خروجه من مكة حسب ما تقدمت عن الأنبياء والصالحين الإشارة إليه عند قصة أبي حمزة الخراساني.

وقال سهل بن عبد الله: من طعن على الخرقة فقد طعن على الإيمان.

وقال الفضيل: لو أن رجلاً وثق بالله في رزقه، وتوكل عليه بنية صادقة، كفاه الله مؤونة كل شيء، ولكن لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم من الصالحين ولقد كانوا يستأجرون أنفسهم ولا يقعدون حتى يرزقوا، وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: 10] فلا بد من طلب المعيشة لا يقال إن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا ليسنوا الأسباب للضعفاء.

فإنا نقول: مثل هذا القول لا يصدر إلا من الجهال السفهاء، أو من طاعن في الكتاب والسنة العلياء، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أخذ أصفيائه ورسله وأنبيائه بالأسباب، والاحتراف فقال ـ وقوله الحق ـ: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ**﴾ [الأنبياء: 80].

وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: 20]. قال العلماء: أن يحترفوا ويتجروا.

وقال تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً**﴾ [الأنفال: 69].

وكان الصحابة يتجرون ويحترفون وفي أموالهم يعملون، ولمن خالفهم من الكفار يقاتلون، أتراهم ضعفاء؟! بل هم والله كانوا الأقوياء، وبهم الخلف الصالح اقتدى وطريقهم فيه الهدى والاهتداء، لا يقال إنهم إنما تناولوا الأسباب لأنهم أئمة الاقتداء، فتناولوها مباشرة في حق الضعفاء، وأما في حق أنفسهم فلا.

وبيان ذلك أصحاب الصفة، فإنا نقول: لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول معهم البيان كما ثبت في القرآن.

﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: 44].

وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى**﴾ [البقرة: 159] الآية وهذا من البينات والهدى.

وأما أصحاب الصفة، فإنهم كانوا ضيف الإسلام عند ضيق الحال فكان ﷺ إذا أتته صدقة خصهم بها، وإن أتته هدية شاركهم فيها، وأكلها معهم، وكانوا مع هذا يحتطبون ويسوقون الماء إلى أبيات رسول الله ﷺ. كذا وصفهم البخاري في كتابه، وكانوا سبعين رجلاً فيما قال-

• ومنها:

20. الفَاطِرُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤهُ

ورد به التنزيل اسماً وتكرر فعلاً فقال [سبحانه]: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأنعام: 14] وورد في حديث أبي هريرة من طريق عبد العزيز.

قال ابن العربي: ولم يذكره علماؤنا ولا عذر لهم في تركه؛ لأنهم إن اعتذروا بعذر المعتزلة في أنه ورد مُضافاً فقد ذكروا «العلام» و«النور» وإنما وردا مضافين.

قلت: قد ذكره غير واحد من العلماء منهم؛ الحليمي[1]، وتابعه البيهقي[2] وغيره، ويجوز إجراؤه على المخلوق، ومنه: فطر ناب البعير، طلع فهو: بعير فاطر، وفطر اللّه الخلق يفطرهم فهو: فاطر، وأصله: الشق. قال اللّه تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1] وقال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1] ويقال للذي يحرث الأرض: فاطر، لأنه يشقها بالحراثة. وفي الحديث: قام رسول اللّه ﷺ حتى تفطرت قدماه[3].

= أبو هريرة ما لهم أردئة فلما فتح اللّه عليهم البلاد ومهد لهم المهاد، تأمروا بالأسباب أمراء، ثم إن هذا القول يدل على ضعف النبي ﷺ وأصحابه لأنهم أيدوا بالملائكة، ونبتوا بهم فلو كانوا أقوياء ما احتاجوا إلى تأييد الملائكة، وتثبيتهم، إذ ذلك سبب من أسباب النصر، نعوذ باللّه من قول وأخلاق تؤول إلى هذا بل القول بالأسباب، والوسائط سنة اللّه وسنة رسوله، وهو الحق المبين، والصراط المستقيم الذي انعقد عليه إجماع المسلمين، وإلا كان يكون قوله الحق: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] وقوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: 102] وشبهه مقصور على الضعفاء وجميع الخطابات كذلك... انتهى مختصراً.

(1) في «المنهاج في شعب الإيمان» (194/1).

(2) في «الأسماء والصفات» (ص 43-44).

(3) رواه الإمام أحمد (24898) والبخاري (4837) ومسلم (2820) وغيرهم، من حديث السيدة عائشة رضي اللّه عنها؛ قالت: كان رسولُ اللّه ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه.
قالت السيدة عائشة: يا رسولَ اللّه، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً» لفظ مسلم.

وقيل: أصله الظهور والطلوع، ومنه فطر ناب البعير، إذا طلع وظهر. والتفاطير: أول نبات الوسمي[1]، قيل له ذلك لأنه أول نبات طلع على الأرض ومنها ظهر وأصله

---

(1) قال في «تاج العروس» (352/7) مادة ـ فطر ـ:

وفي التكملة: الأفاطير: جمع أفطور، بالضم، وهو تشقّق يخرج في أنف الشاب ووجهه، هكذا نقله الصاغاني فيها، وهي البثر الذي يخرج في وجه الغلام والجارية، وهي التفاطير والنفاطير، بالتاء والنون. قال الشاعر:

نفاطير الجنون بوجه سلمى
قديماً لا تفاطير الشّباب

واحدها نفطورة. والذي ذكره الصاغاني بالألف غريب والمصنف يترك المنقول المشهور ويتبع الغريب، وهو غريب.

والنفاطير: جمع نفطورة بالنون الزائدة، وهي الكلأ المتفرّق، ونقل أبو حنيفة عن اللحياني: يُقال: في الأرض تفاطير من عشب: أي نبذ متفرّق، لا واحد له أو هي أول نبات الوسمي، قال طفيل:

أبت إبلي ماء الحياض وآلفت
نفاطير وسمي وأحناء مكرع

وفي اللسان: التفاطير: أول نبات الوسمي، ونظيره التعاشيب والتعاجيب وتباشير الصُّبح، ولا واحد لشيء من هذه الأربعة. وكلام المصنف هنا غير محرر، فإن الصواب في البثر على وجه الغلام هو التفاطير والنفاطير بالتاء والنون، فجعله أفاطير بالألف تبعاً للصاغاني، وجعل أول الوسمي النفاطير بالنون، وأنها جمع نفطورة، وصوابه التفاطير، بالتاء، وأنه لا واحد له، فتأمل.

وفي الحديث: «إذا أقبل الليل وأدبر النهار فقد أفطر الصائم»: معناه حان له أن يفطر، وقيل: دخل في وقته، أي الإفطار وقيل: معناه أنه قد صار في حُكم المفطرين وإن لم يأكل ولم يشرب، ومنه الحديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» أي تعرضا للإفطار، وقيل: حان لهما أن يُفطرا، وقيل: هو على جهة التغليظ لهما والدُّعاء. كل ذلك قاله ابن الأثير.

ويقال: ذبحنا فطيرة وفطورة، بفتحهما، أي شاة يوم الفطر، نقله الصاغاني والمصنف في البصائر.

وقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وقد سُئِلَ عن المذي. فقال: هو، وفي النهاية، ذلك الفطر، بالفتح، هكذا رواه أبو عُبيد، قيل: شبَّه المذي في قلته بما يُحتلب بالفطر، وهو الحلب بأطراف الأصابع. يقال: فطرت الناقة أفطِرها وأفطُرها فطراً، فلا يخرج اللبن إلا قليلاً، وكذلك=

الابتداء. قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها، وقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: 27] أي خلقني، وفطر اللّه الخلق يفطرهم خلقهم وبدأهم، ويقال للخليقة: الفطرة.

فاللّه سبحانه فاطر الموجودات؛ أي خالقها ومبدئها ومنشئها ومخترعها على الإطلاق، من غير شيء ولا مثال سبق، فهو من صفات الفعل بلا خلاف.

قال الخطابي: «الفاطر» هو الذي فطر الخلق، أي ابتدأ خلقهم كقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: 51].

ابن العربي: والذي عندي أن: فطر بمعنى شق الخلق في كل معنى، وإليه يرجع كل مثال تقدم تشكلاً كقولهم: فطر اللّه الخلق معناه؛ أنهم كانوا مُضغة فشقهم بالهيئة والأخلاق. وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1] أي الشق، ومنه فطر الصائم أي يأتيه أولاً.

قلت: ونحوه قال الحليمي[2] في معنى «الفاطر» أنه فاتق المرتق من السماء والأرض، قال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً﴾ [الأنبياء: 30].

= المذي يخرج قليلاً، وليس المنيُّ كذلك؛ قاله ابن سيده. وقيل: الفطر مأخوذ من تفطَّرت قدماه دماً، أي سالتا، أو سُمّي فطراً من فطر ناب البعير فطراً: إذا شقَّ اللحم وطلع، شبه طلوعه من الإحليل بطلوع الناب. نقله ابن الأثير؛ قال: ورواه النضر بن شميل: ذلك الفطر، بالضّم، وأصله ما يظهر من اللبن على إحليل الضرع، هكذا ذكره ابن الأثير وغيره.

(1) قطعة من حديث رواه البخاري (1358) ومسلم (2658) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»؟

قال أبو هريرة: ﴿فِطْرَةَ اللّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية: [الروم: 30].

(2) في «المنهاج في شعب الإيمان» (194/1)، وقد جاء فيها:

ومنها الفاطر: ومعناه فاتق المرتق من السماء والأرض. قال اللّه عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30] فقد يكون المعنى كانت=

ابن العربي: أي مُصَمَّتَيْنِ لا فُرْجَةَ فيها افتتقناهما بوجهين:

أحدهما: بأن جعلنا الدخان وهو واحد سبع سماوات، وجعلنا الزَّبَد، وهو واحد سبع أرضين فانشق الاثنان عن أربعة عشر خرقاً، وشققناهما بعد ذلك هذا بالمطر والمعارج، وهذه بالنبات والحوائج، وقد يكون المعنى كانت السماء دخاناً فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، وكانت الأرض غير مدحوة فدحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها. ومن قال هذا قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30] معناه أو لم يعلموا، وقد يكون المعنى ما روي في بعض الآثار، ففتقنا السماء بالمطر والأرض وبالنبات والإقدار بالإبداع يأتي على هذا المعنى ويقتضيه، وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان عن اسمه «الفاتق» الراتق.

• ومنها:

21. البَادِئُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

وهو مذكور في الأسماء، وفي التنزيل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] قال الأقليشي: ولم ترد هذه الصيغة في القرآن، ولا وجدتها في أثرٍ إنما ورد في القرآن «يبدئ» و«يبدأ» وورد في الترمذي «مُبْدِئُ» وهما لغتان ورد بهما القرآن «بدأ» و«أبدأ».

قلت: قد جاء «البادئ» في حديث عبد العزيز بن الحصين، وكأنه لم يقرأه رحمه الله. قال الجوهري: بدأت بالشيء بدءاً، أبتدئُ به، وبدأتُ الشيء فعلته بابتداء، وبدأ

= السماء دخاناً فسواها ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: 29] وكانت الأرض غير مدحوة فدحاها، و﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: 31] ومن قال هذا قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنبياء: 30] ومعناه: ألم يعلموا وقد يكون المعنى ما روي عن بعض الآثار: فتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أدري ما معنى فاطر حتى سمعت أعرابيين يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي حفرتها وسففت عن الماء فيها فنبع وظهر، والاعتراف بالإبداع يقتضي هذا المعنى ويأتي عليه.

اللّه الخلق، وأبدأهم بمعنىً، وكذا قال الخطابي: بدأ وأبدأ؛ بمعنىً، وهو الذي ابتدأ الأشياء مُختَرِعاً لها من غير أصل.

ابن العربي: وفيه أربعة أبنية؛ المُبدئُ والبدئ والمُبتدئُ، ولم يرد القرآن بشيء منها، لكن ورد بالفعل. قال اللّه تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27] وقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: 13] فجمع في القرآن بين اللغتين. وتصريفه في اللغة: بدأ اللّهُ الخلقَ، وأبدأهُم، فهو بادئهم ومبدئهم. كله مهموز. وورد في حديث أبي هريرة من طريق عبد العزيز «البادي» بالدال وإن كان غير مهموز فقد تقدم معناه، وإن تركت الهمز كان «البادي» «المبدي» من قولك: بدا، إذا ظهر. فيكون معناه معنى «الظاهر» المظهر أي يُظهر الخفيات بإخراجها من العدم إلى الوجود، وبإخراجها من الغيبة إلى الشهود.

فيجب على كل مُكلّفٍ أن يَعلَم: أن لا خالق ولا صانع ولا فاطر ولا منشئ ولا بادئ ولا فاعل على الإطلاق إلا اللّه تعالى وحده.

• ومنها:

22. المُصَوِّرُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

نطق به القرآن اسماً، وتكرر فعلاً فقال [سبحانه]: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 24] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: 6] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11] وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأُمَّة، وهو من أسماء الأفعال، لأن اللّه سبحانه هو مُظهر صُور المصورات في حكمه على المخلوقات من الإباحة والمنع. تقول منه: صَوَّرَ يُصَوِّرُ تَصْوِيراً، فهو مُصَوِّرٌ. والتصويرُ: جعلك الشيء على وجود يتميز به من غيره من تقدير وتخطيط واختصاص بشكل ونحو هذا. وصَوَّرَهُ اللّهُ صُورَةً حسنةً فتصور. والتصاوير: التماثيل، وطعنه فتصور، أي: مال للسقوط، وإذا كان بمعنى الإمالة كان بمعنى عدل يعدل، ومنه قوله

تعالى: ﴿فَعَدَلَكَ﴾[1] [الانفطار: 7] مخففاً أي أمال صورتك، وعدل بها عما دونها من الصور إلى حسن التصوير. وقرئ مثقلاً[2] أي عدّل صورتك، أي خلقها على أحسن التصوير. صاره يصوره إذا أماله، والنعت منه: أصور، إذا كان مائل العنق. وقد صور وصور إذا مال. قال الجوهري[3]: والصَوَرُ بالتحريك: الميل، ورجل أصور بيّن الصور أي مائل مشتاق.

قال ابن العربي: قال علماؤنا فيه أربع عبارات: **الأولى**: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة وهيئات متغايرة. **الثانية**: أنه الممثل، والصورة التمثال. **الثالثة**: المركب، والصورة التركيب. **الرابعة**: المهيئ للشيء المخلوق إلى غايته، كما يقال: صار الأمر إلى غايته.

قال ابن الحصار: ليس هذه كلها تفسيراً «للمصور»، بل كل واحد منها يختص بمعنى، وهذا الاسم يُشعر بجميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها من الاقتدار والعلم والاختيار، ويتضمن مع ذلك الحكمة البالغة، والخبرة قبل الإيجاد، إلى غير ذلك من الصفات التي يفتقر إليها التصور والاختراع والتقدير والتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لها كما تقدم، وقد قال تعالى: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11].

وقال النابغة:

الخالق البارئ المصور في الـ ... ـأرحام ماء حتى يصير دما[4]

قال الخطابي: «المُصَوِّرُ» الذي أنشأ خلقه على صُوَرٍ مُخْتَلِفةٍ ليتعارفوا بها ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل، وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها، ويتميز عن غيره بسمتها فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(1) الآية من سورة الانفطار عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6-8].

(2) أي: ﴿فَعَدَّلَكَ﴾، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي.

(3) في «الصحاح» (2/716).

(4) أورده المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في «الجامع لأحكام القرآن» (18/43-44) في تفسيره لسورة الحشر. الآية (24).

وقال الحليمي: «المصور» المهيئ لمناظر الأشياء على ما أراده من تشابه أو تخالف، والاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بما هو من لواحقه[1].

فيجب على كل مُكلَّفٍ أن يعلم: أن الله هو المُصور لجميع الصور، المنفرد بذلك على الإطلاق. وأن العبد وإن سُمِّيَ مُصوراً باعتبارٍ فمجاز. ثبت في «صحيح مسلم» عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول: أي رب ذكراً أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول الملك: يا رب أجله فيقول ربك ما شاء. ويكتب الملك ثم يقول: يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**»[2]. فأضاف سبحانه في هذا الحديث التصوير والخلق إلى المَلَكِ، وذلك مجاز، لقوله الحق: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: 24] وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11] وقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: 64] ومثله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: 11] وهو سبحانه المتوفي على الحقيقة كما قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: 40] وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: 2] وقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: 44].

فَيَحْرُمُ على العبدِ تعاطي التصوير، لما ثبت في السُّنَّة والتنزيل، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: 60] وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة**

---

(1) «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص: 44) ولم يرد في «المنهاج لشعب الإيمان» للحليمي، وذلك لنقص في المخطوط.

(2) رواه الحميدي (826) ومسلم (2645) والآجري في «الشريعة» (ص: 182) والطبراني في «الكبير» (3036) وابن حبان (6177) وغيرهم.

وفي الباب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عند الإمام أحمد (3624) والبخاري (3208) ومسلم (2643) وأبو داود (4708) والترمذي (2137) وغيرهم.

وليخلقوا شعيرة»[1] خرجه مسلم والبخاري. وهذه إشارة إلى أن كل موجود في الوجود فهو من خلق الله واختراعه وتقديره وإبداعه. ولما كان المُصور يُضَاهِي الخالق الحقّ ويتعاطى ما حُرِّمَ عليه، كان أشد الناس عذاباً. وخَرَّجَ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»[2] وخَرَّجَ الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تُبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت**

(1) رواه البخاري (5953) ومسلم (2111) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بألفاظ متقاربة. وقد أتيت على طرق الحديث وألفاظه في كتابنا «الأحاديث القدسية من الصحيحين باختلاف الروايات والألفاظ».

(2) أخرجه أحمد (3558) و(4050) والبخاري (5950) ومسلم (2109) والنسائي في «المجتبى» (5379) وفي «الكبرى» (5/9795) والحميدي (117) وابن أبي شيبة (483/482/8) والطبراني في «الكبير» (10306) وأبو يعلى (5209) و(5212) والبيهقي (268/7) من طرق عن مسروق، عن الأعمش، وعن مسلم بن صبيح، وعن أبي معاوية، به.

فائدة: قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ قوله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون» مقتضى هذا؛ ألا يكون في النار أحدٌ يزيد عذابه على المصوّرين. وهذا يعارضه مواضع أخر. منها قوله تعالى: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: 46]. وقوله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة، عالم لم ينفعه الله بعلمه**» [الطبراني في «الصغير»] وقوله ﷺ: «**أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة إمام ضلالة**» [الترمذي ـ 1329 ـ نحوه]، ومثله كثير، ووجه التلفيق؛ أن الناس الذين أُضيف إليهم أشدُّ لا يُراد بهم كل نوع الناس بل بعضهم المشاركون في ذلك المعنى المتوعَّد عليه بالعذاب. ففرعون أشدُّ الناس المدَّعين للأُلوهية عذاباً. ومن يقتدي به في ضلالة كفره أشدُّ ممن يقتدي به في ضلالة بدعه.

ومن صوَّر صور ذات الأرواح أشد عذاباً ممن يُصور ما ليس بذي روح، إن تنزلنا على قول من رأى تحريم تصوير ما ليس بذي روح، وهو مجاهدٌ وإن لم نتنزل عليه، فيجوز أن يعني بالمصورين الذين يُصورون الأصنام للعبادة، كما كانت الجاهلية تفعل، وكما كانت تفعل النصارى، فإن عذابهم يكون أشدُّ ممن يصورها لا للعبادة، وهكذا يعبر هذا الباب، والله تعالى أعلم. (المفهم ـ 431/430/5).

بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين»[1] **قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.**

ابن العربي: إن الكراهة إنما وردت في كل ما لا روح فيه من نبات أو جماد وما علمت في ذلك رخصة إلا ما كان رقماً في ثوب.

ابن الحصار: وقد هتك رسول الله ﷺ القِرامَ وكانت صورته رقماً في ثوب[2] فيمكن أن يكون هذا ناسخاً لإذنه عليه السلام في رقم الثوب؛ لأن أحاديث الوعيد جاءت مطلقة غير مُقيَّدة: لعن رسول الله ﷺ المصورين[3]. ولم «يستثن» ويحتمل أن

---

(1) رواه الترمذي في فاتحة صفة جهنم (2574) باب (1) ما جاء في صفة النار وإسناده حسن.

(2) القرام الذي هتكه رسولُ الله ﷺ لم يكن رقماً في ثوب بل كان تصاوير في ثوب كما جاء صريحاً عند البخاري (6109) ومسلم (2107) وغيرهما من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: دَخَلَ عليَّ النَّبيُّ ﷺ وفي البيتِ قرامٌ فيه صُورٌ، فتلون وجهه ثم تناول السِّتر فهتكه، وقالت: قال النَّبيُّ ﷺ: **«من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصورَ»** لفظ البخاري.

وقد جاء اللفظ صريحاً بشكل هذه الصور في «الصحيح» بأنها كانت تماثيل لخيل ذوات الأجنحة. وكذا لطيور كما جاء في أحد روايتي مسلم (88/2107) و(89/2007) وغيره.

وأما ما جاء في إباحة الرقم بالثوب، فقد روى ذلك البخاري (3226) ومسلم (85/2106) وغيرهما من طريق بُسر بن سعيد، عن زيد بن خالد، عن أبي طلحة رضي الله عنه ـ أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة»**.

قال بُسرٌ: ثم اشتكى زيدٌ بعدُ، فَعُدْنَاهُ فإذا على بابه سِترٌ فيه صورة، قال: فقلت لعبيد الله الخولاني ـ ربيب ميمونة زوج النَّبيِّ ﷺ: ألم يُخبرنا زيدٌ عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: إلا رقماً في ثوب. لفظ مسلم. وانظر أخي الكريم ما جاء في كتابنا «جامع المهلكات من الكبائر والمحرمات» حول تحريم الصور وما جاء في ذلك.

(3) روى البخاري (2086) وأحمد (1878) وأبو داود (3383) وغيرهم من طريق عون بن أبي جحيفة قال: رأيت أبي اشترى عبداً حجاماً، فسألته، فقال: **«نهى النَّبيُّ ﷺ عن ثمن الكلب وثمن الدم، ونهى عن الواشمة والموشومة، وآكل الربا وموكله، ولعن المصور»** لفظ البخاري. وقد أتيت على طرقه مع شرحها في «الجامع للمهلكات».

يكون [هتكه] إياه لغير الصورة فيقع الإذن فيها بعد التغيير ويمكن أن يكون ورعاً، لأن محل النبوة والرسالة الكمال فتدبر ذلك تجده كذلك.

قلت: وترك ذلك على العموم أولى لما ذكرناه من الكتاب والسُّنَّة، وهو قول مجاهد: [أنه] ما كان للبشر أن يتهيأ لهم ولا يقع تحت [قدرتهم] أن ينبتوا شجرها إذ هم عجزة عن مثلها، لأن ذلك إخراج شيء من العدم إلى الوجود. وعَمَّ بالذم والتهديد والتقبيح كل من تعاطى تصوير شيء مما خلقه الله، لأن فيه مشاركة فيما انفرد به الله تعالى من الخلق.

وذهب الجمهور إلى أن تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو الاكتساب به؛ لأن ابن عباس قال للذي سأله يصنع الصور، وإن كنت فاعلاً لا بد فاصنع الشجر وما لا نفس له[1]. خرَّجه مسلم. وهذا اختيار ابن العربي.

قال: إنما وردت الرخصة في كل ما لا روح فيه من نبات وجماد، ووقف النهي على ما فيه الروح لحكمة بديعة، وذلك أن كل مخلوق سوى الآدمي، فإنما له صورة ظاهرة. ولا باطن لها، والآدمي خُلِقَ خَلْقاً بديعاً، بأن جعلت له صورة ظاهرة وصورة باطنة وهي «الروح»، ومدار الأمر فيه على الصورة الباطنة لوجهين:

أحدهما: إن دوام وجوده بها، حتى إذا فارقته تفكك تركيبه، وتفرقت أبعاضه، وصار في الوجود أدون من الجمادات.

الثاني: إن مدحه وذمه، وثوابه وعقابه إنما يكون بها وعليه، وهو المعنى البديع، والسر الغريب الذي تفرد سبحانه بمعرفة جنسها يقيناً، وهي الروح، فإنه اضطر الخلق إلى معرفتهم بها موجوداً في ذواتهم وحجب عنهم معرفتها ضرورة تعجيزاً وتنبيهاً

(1) روى الإمام أحمد (2810) والبخاري (2225) ومسلم (2110) والنسائي (5373) وغيرهم. واللفظ لمسلم، من طريق سعيد بن أبي الحسن، قال: جاء رجل إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: إني رجلٌ أصور هذه الصور، فأفتني فيها؟ فقال له: ادنُ مني. فدنا منه، ثم قال: ادنُ مني فدنا حتى وضع يده على رأسه. قال: أنبئك بما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«كل مصور في النار، يُجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذِّبُهُ في جهنم»**. وقال: إن كنت لا بُدَّ فاعلاً، فاصنع الشجر وما لا نَفْسَ لهُ.

لقوله: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] فإذا تعاطى العبد تصوير ما لا باطن له مُكّنَ من ذلك رخصة، وإذا تعاطى تصوير ما له صورة باطنة منع من ذلك لثلاثة أوجه:

الأول: ارتباط الصورة الباطنة بالظاهرة.

الثاني: كونها طرقاً إلى المعجزة الظاهرة على يدي عيسى حين قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110].

الثالث: كونها حِمَى الصورة الباطنة المعجوز عنها وحكم الحِمَى حكم المحمي في الامتناع منه، ورخص فيما عدا الإنسان لوجهين:

أحدهما: التخفيف من الله تعالى على العباد في ترك عموم التضييق عليهم فيما تتعلق به آمالهم، فهو سبحانه لو شاء لعم بحجره ولكنه بحكمته البالغة إن منع طريقاً أباح آخر إبقاء على النفس المتمنية.

الثاني: التفريق بين ما له حرمة وبين ما لا حرمة له، فمنع من تصوير ما له حرمة بباطنه وهو الآدمي، وعلى هذا نبه بقوله ﷺ: «**أحيوا ما خلقتم**»[1]. كأنه يقال: ما صورت ظَاهِرَهُ وَأَقْدَمْتَ عليه، صَوِّرْ إن استطعت باطنه. وأذن في تصوير ما لا حرمة له تنبيهاً على تباين ما بين المنزلين قال: وهذه بدائع رأينا أن لا نخلي هذا الفصل منها.

وقال المزني عن الشافعي: وإن دعي رجل إلى عرس فرأى صورة ذات روح أو صوراً ذات أرواح، لم يدخل إن كانت منصوبة. وإن كانت تُوطأ فلا بأس، وإن كانت صور الشجر. ولم يختلفوا أن التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عندهم ما كان خرطاً أو نقشاً في البناء. واستثنى بعضهم ما كان رقماً في ثوب لحديث سهل بن حنيف[2].

---

(1) الحديث رواه الإمام أحمد (4475) والبخاري (5951) ومسلم (2108) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**الذين يصنعون الصُّور يُعذبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» لفظ مسلم.

(2) وقد تقدم من رواية أحمد (16345) والبخاري (3225) ومسلم (2106) وغيرهم.

وقد استثني من هذا الباب لعب البنات، لما ثبتَ عن عائشة عن النبي ﷺ أنه تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت إليه وهي بنت تسع سنين ولعبها معها، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة(1).

وعنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ منه فَيُسرِّ بهنَّ إليَّ فيلعبنَ معي(2).

● ومنها:

23. المُقَدِّرُ

 جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أسماؤهُ 

قال ابن العربي: وهذا الاسم لم يرد به قرآن ولا سُنّة، وإنما ورد فعلاً وأجمعت عليه الأمَّة إطلاقاً، قال اللّه تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: 23]. وقال: ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر: 60] وقال النبي ﷺ مخبراً عن قول آدم لموسى: «**أتلومني على أمرٍ قدَّرَهُ اللّهُ عليَّ قبل أن أخلق**»(3) وله ثلاث معانٍ:

---

(1) الحديث مفرقاً رواه البخاري (3894) ومسلم (1422) وأبو داود (2121) والنسائي (3255) والطيالسي (1454) وغيرهم، بألفاظ متقاربة من حديث السيدة عائشة رضي اللّه عنها. وانظر أخي الخير كاملاً مع شرحه في كتابنا «نساء في ظل رسول اللّه ﷺ».

(2) رواه الإمام أحمد (25389) والبخاري (6130) ومسلم (2440) وأبو داود (4931) والنسائي (3378) وابن ماجه (1982) وابن حبان (5863) والبيهقي (10/219) وغيرهم.
وقولها: ينقمعن: أي يتغيبن ويستترن، ويسر بهن: أي يرسلهن ويدفعهن إليَّ. وهذا من عظيم رحمته ومحبته للسيدة عائشة رضي اللّه عنها وأرضاها.

(3) جزء من حديث رواه الإمام مالك (1660) والبخاري (6614) ومسلم (2652) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى، قال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة! قال له آدم: يا موسى: اصطفاك اللّه بكلامه وخطَّ لك بيده، أتلومني على أمرٍ قدره اللّه عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى**» ثلاثاً . لفظ البخاري.

أحدها: الخبر - ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]. أي أخبرنا.

وثانيها: تخصيص الشيء بمقدار كقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: 10] أي حقيقتها على مقدار وقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: 23].

وثالثها: التضييق والتقليل، كقوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: 16] وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: 91] فمعناه ما عظموه، أي ما علموا مقداره في الجلال. وقال: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ [الأعلى: 3] فهذا معناه: عَلِمَ المقادير. وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49] أي نعلم مقداره من خير وشر يبينه قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: 52-53].

قلت: وهذه المعاني كلها مما يتصف بها الحق سبحانه؛ فهو المخبر لأنبيائه وأوليائه بما شاء، وهو المقدر للأشياء كلها، علم أوزانها ومقاديرها، وما يتقدم منها وما يتأخر، حسب ما تقدم في اسمه «الخالق» وفي التنزيل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21] ووسع على قوم وضيق على آخرين بالكفر والإضلال، وعدم الهدى وكذلك الدنيا أعطاها لمن شاء ومنعها عمن شاء. فإن قيل: فما معنى قوله تعالى مخبراً عن يونس: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87] وما معنى قول الرجل الذي أمر أهله أن يحرقوه: لئن قدر الله علي ليعذبني فغفر له[1]. فالجواب

(1) الحديث بألفاظه رواه البخاري (3478) وغيره من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ «أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ. فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا. فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»

وفي لفظ للبخاري (6481) من طريق معتمر، قال: سمعت أبي؛ حدثنا قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ «ذَكَرَ رَجُلاً فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَوَلَداً يَعْنِي أَعْطَاهُ، قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ. قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْراً» فسرها قتادة لم يدخر «وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ=

=فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْماً فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ - فَاسْهَكُونِي، ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا.
فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ، فَمَا تَلافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ».

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى -: فحدثت أبا عثمان فقال: سمعت سلمان غير أنه زاد: «فأذروني في البحر» أو كما حدث. اهـ. والذر: هو التفريق، ومعنى قوله: فاسهكوني. أي فاسحقوني. والشك من الراوي. وسيأتي من رواية حذيفة رضي الله عنه، بلفظ: «ثم اطحنوني».

وفي رواية عند البخاري، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً فِيمَنْ سَلَفَ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - قَالَ كَلِمَةً - يَعْنِي: أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً وَوَلَداً. فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ، قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ - أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ - عِنْدَ اللَّهِ خَيْراً، وَإِنْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْماً فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ - فَاسْحَكُونِي، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا».
فقال نبيُّ الله ﷺ: «فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا. ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ. قَالَ اللَّهُ: أَيْ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ - فَرَقٌ مِنْكَ. قَالَ: فَمَا تَلافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا». وَقَالَ مَرَّةً: «فَمَا تَلافَاهُ غَيْرُهَا».

والفرق - بالفتح - الخوف. ومعنى «لم يبتئر أو لم يبتئز» أي لم يدَّخر. كما فسره قتادة.

ورواه مسلم (2757) بلفظ: «أَنَّ رَجُلاً فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَاشَهُ اللَّهُ مَالاً وَوَلَداً. فَقَالَ لِوَلَدِهِ: لَتَفْعَلُنَّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ. أَوْ لأُوَلِّيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ. إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي - وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ - ثُمَّ اسْحَقُونِي وَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ. فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْراً. وَإِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي».
قَالَ: «فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقاً. فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ. فَقَالَ اللَّهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ. قَالَ: فَمَا تَلافَاهُ غَيْرُهَا».

وقوله ﷺ: «فما تلافاه غيرها» أي ما تداركه. والتلافي: تدارك الشيء بعد أن فات. وأما قوله: «فوالله لئن قدر الله عليَّ». قال الخطابي - رحمه الله تعالى - قد يستشكل هذا؟! فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب أنه لم ينكر البعث. وإنما=

=جَهْلَ فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يُعاد فلا يُعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية اللّه تعالى. اهـ.

وقال ابن الجوزي ـ رحمه اللّه تعالى ـ: وقد قيل: إن معنى قوله: «لئن قدر اللّه عليَّ» أي ضيق. وهي كقوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: 16]. أي ضيق. واللّه تعالى أعلم.

وروى الأئمة واللفظ للبخاري (3481) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي. ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَداً. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ. فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ**».

وفي رواية قال: «**مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ**» بدلاً من قوله «**يَا رَبِّ، خَشْيَتُكَ**».

وفي لفظ للبخاري (7506) أيضاً: «**قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ. وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ**».

ورواه مسلم (24/2756) بلفظ: «**قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لأَهْلِهِ، إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ. وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ! وَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ**».

وفي رواية لمسلم (25/2756) أيضاً بلفظ: «**قَالَ: أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ. فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي. ثُمَّ اسْحَقُونِي. ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ. فَوَاللَّهِ! لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبُنِي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَداً. قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ. فَقَالَ لِلأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ. فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ! ـ أَوْ قَالَ ـ مَخَافَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ**».

وروى البخاري (3452) من طريق ربعيِّ بن حراش، قال: قال عقبة بن عمرو لحذيفة ـ رضي اللّه عنهما ـ ألا تحدثُنا ما سمعت من رسول اللّه ﷺ. قال: إني سمعته يقول: «**إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ، فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً كَثِيراً، وَأَوْقِدُوا**=

- إن «قَدَرَ» في الآية والحديث، مُخففاً. ومعناه: ضَيَّقَ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: 7] أي ضُيِّقَ، فكذلك قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87] أي ظَنَّ أن لن نُضيِّقَ عليه ونقلل مقداره ونصغر أمره. وقد يكون القدر بمعنى القضاء فيكون المعنى: فظن أن لن نقضي عليه. قال الجوهري وغيره: القَدَرُ والقَدْرُ ما يقدره الله من القضاء، وأنشد الأخفش:

إلا لقومي للنوائب والقدر والأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

وقيل: إنه يرجع إلى القدرة أي: ظَنَّ أن قدرتنا لم تتعلق بكونه في بطن الحوت والأول أظهر، وعليه من العلماء الأكثر. قال أبو العباس: أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب في قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87] قال: هو من التقدير ليس من القدرة، يقال منه: قَدَرَ اللّهُ لكَ الخير يقدرهُ قدراً بمعنى: قدر الله لك الخير وأنشد:

ولا عائداً ذلك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

يعني: ما تقدره وتقضي به يقع يعني: ينزل وينفذ ويمضي.

= فِيهِ نَاراً. حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَامْتَحَشْتُ، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ثُمَّ انْظُرُوا يَوْماً رَاحاً، فَذَرُوهُ فِي الْيَمِّ.
فَفَعَلُوا. فَجَمَعَهُ اللّهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذِلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ. فَغَفَرَ اللّهُ لَهُ». قال عقبة ابن عمرو: وأنا سمعته يقول ذاك. وكان نبَّاشاً.

ومعنى: يوماً راحاً، أي ذي ريح شديدة. واليم: البحر. ومعنى نباشاً أي: ينبش القبور، فيأخذ ما كان يدفنه الناس مع موتاهم. وكان هذا من عادة بني إسرائيل. والله أعلم.

وفي لفظ للبخاري (3479) أيضاً: «إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً كَثِيراً، ثُمَّ أَوْرُوا نَاراً. حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي فِي الْيَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ - أَوْ رَاحٍ. فَجَمَعَهُ اللّهُ فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتَكَ! فَغَفَرَ لَهُ».

وفي رواية للبخاري (6480) أيضاً بلفظ: «كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ. فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ. فَفَعَلُوا بِهِ. فَجَمَعَهُ اللّهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا حَمَلَنِي إِلاَّ مَخَافَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ».

وقال الهروي في قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ يعني: ما قدرنا من كونه في بطن الحوت. يُقال: قَدَرَ وقَدَّرَ بمعنى واحد، وليس من القدرةِ في شيء.

وقال أبو الهيثم: أراد ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ العقوبة قال: ويحتمل أن يكون تفسيره أن لن نضيق عليه من قوله: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي فضيق.

قلت: وعلى هذا التأويل يخرج معنى قول الرجل: «لئن قدر اللّه علي» أي لئن ضيق اللّه علي، وبالغ في مُحاسبتي وجزائي على ذنوبي ليكونن ذلك. ثم أمر أن يحرق بإفراط جرمه. ويحتمل أن يكون المعنى: أي لئن كان سبق في قَدَرِ اللّهِ وقضائهِ أن يُعذب كل ذي جرم على جرمه، ليعذبني اللّه على إجرامي وذنوبي عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين. روايتنا فيه في صحيح مسلم: «وإن اللّه يقدر أن يعذبني» فعلى الأول ليس فيها معنى بشكل، وإنه كان عالماً بالقدرة غير جاهل بها ولا شاكٍ فيها، وعلى الرواية الثانية يكون يقدر بمعنى: يضيق ويقضي كما ذكرنا. وبالجملة فالرجل مؤمن مصدق لقوله: «من خشيتك يا رب» وفي رواية قال: «مخافتك» وأما يونس عليه السلام فلا يجوز عليه الجهل باقتدار اللّه تعالى على كل شيء، ومن جهل اقتدار اللّه تعالى عليه لم يعلم أنه مخلوق ومربوب، وكان إبليس أحسن عفواً منه. ويجوز أن لا يعلم الرسول أن اللّه لا يضيق عليه ويظن أنه لا يؤاخذه بمغاضبة الكفار على الصحيح أنه: خرج مغاضباً لقومه لا لربه على ما بيناه في كتاب «جامع أحكام القرآن» ويرى أن استعجاله عليهم ليس بذنب كما أن نوحاً عليه السلام قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45] ولم يعلم أنه ليس من أهله إلا بعد أن أعلمه اللّه بذلك، ولو كان عالماً بأنه ليس من أهله لما سأل اللّه فيه كما أخبر اللّه عن خليله إبراهيم بقوله الحق: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: 114] وقوله سبحانه مُخبراً عن الحواريين: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: 112] ليس بشك في الاستطاعة وإنما هو تلطف في السؤال، وأدب مع اللّه تعالى، إذ ليس كل ممكن سبق في علمه وقوعه في كل حين، ولا لكل أحد حسب ما بيناه في اسمه «المستطيع» والحواريون هم كانوا خيرة من آمن بعيسى عليه السلام، فكيف يُظَنُّ بهم الجهل باقتدار اللّه سبحانه على كل شيء ممكن.

وقد اختلف الناس في تفكير المعتزلة مع اعترافهم بتعميم قدرته سبحانه على جميع الأجسام، وعلى إحياء الموتى، ولا مُشارك لـه في ذلـك سبحانه، و لم تشـك المعتزلـة في هذا كله، فكيف يختلف في تكفير من شك في اقتدار اللّه تعالى على إعادته وإحيائه بعد موته؟ وإنما الرجل كان مُؤمناً موحداً لقوله: «فعلت ذلـك مـن خشـيتك» و«مخافتك» والشك ينافي الخشية، وإنما الخشية مع العلم، والشك في اللّه كفر بلا خلاف، وكذلك الشك في اقتداره سبحانه على كل شيء.

وقد قيل: إن هذا الرجل لم يكن شاكاً، وإنما جهل بعض صفات اللّه تعالى وهي القدرة، فلم يعلم أن اللّه على ما يشاء قدير. قالوا: ومـن جهـل صفـة مـن صفـات اللّـه تعالى وآمن بسائر صفاته وعرفها لم يكن بجهله بعض صفـات اللّـه كـافراً. قـالوا: وإنما الكافر من عاند الحق لا من جهله، وهذا قول المتقدمين من العلماء ومن سـلك سبيلهم من المتأخرين، وما بدأنا به من التأويل أولى لأنه يقتضي نفي الشك والجهل فاعلمه.

• ومنها:




24. المَلِكُ




جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

ورد في التنزيل فقـال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] وجـاء في حديـث أبـي هريرة، وتكرر في السُّنّة، وأجمعت عليه الأُمّة، وفيه خمس لغات: مَلِكٌ مَالِكٌ مَلِيكٌ مَلْكٌ مَلَكِيٌّ. فأما: مَلِكٌ ومَالِكٌ فقد جاءا في القرآن قـال اللّـه تعـالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: 114] وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: 26] وعنـد الـترمذي «مَلِكٌ» و«مَالِكٌ» وقرأ القراء بهما[1]، ورويت القراءتان عـن النبـي ﷺ وأمـا «مَلِيـكٌ» فجاء أيضاً في القرآن قال اللّه تعالى: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55] وهـو كثـير في أشعار العرب من ذلك:

فـأرضى بمـا قسـم المليـك فإنمـا ... قسـم الخـلاق بيننـا علامهـا

---

(1) يريد قوله عزَّ وجلَّ في «فاتحة الكتاب»: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ و﴿ملك يوم الدين﴾ وقراءة عاصم والكسائي ﴿مالك﴾ وقراءة الباقين ﴿ملك﴾.

وقال آخر:

تتبّع خبايا الأرضِ وادعُ مليكَها　　　لعلّكَ أن تُحابَ يوماً فترزقا

وفي حديث عبد العزيز: «الملكي» بالياء للمبالغة وأما «مَلْكٌ» بإسكان اللام فمن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

وأيّامٌ لنا غُرّ طِوال　　　عَصينا المُلْكَ فيها أن ندينا

وأما ملكي فلغة للعرب ذكرها المهدوي في «تفسيره» وهذا الاسم من مهمات الأسماء، لأن باب التعديل والتجويز يدور عليه، ووصف التنزيه والكمال في الإثبات معنى يستند إليه. يقال: منه: مَلَكَ يَمْلِكُ مِلْكاً ومَلَكَةً. والاسم: المِلكُ، والمُلْكُ: ما مَلَكْتَهُ. ومنه قولهم: أقر العبد بالملك والملكة، وملكت العجين: أملكه إذا أجدت عجنه حتى اختلط وتماسك بعضه ببعض. وقيل للملائكة: ملائكة لأنها تملك الملكوت، أي تحديد ملكه وتماسكه بعون ربها عزَّ وجلَّ، وبما ألقاه إليها من ذلك في تدبيرها الأمور بإذنه. وقيل لملوك الأرض: مُلوك لما جعل الله سبحانه وتعالى إليهم من تدبير مماليكه التي استخلفهم فيها، وتدبير أمور مصالحهم ونحو هذا. ومنه ملكت كفي بالطعن: إذا أحكمت التصرف فيه واستوليت بالمعرفة والقدرة عليه. قال قيس بن الخطيم يصف طعنه:

ملكتُ بها كفّي فأنهرت فتقها　　　يرى قائمٌ من دونهِ ما وراءها

وقيل لعقد النكاح: إملاك، لما يرتبط به من الحِلِّ، وصلة الرَّحمِ وغير ذلك من الأحكام، فأما قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فتأويله: ذو الملك في يوم الدين، و«يوم الدين» هو يوم الجزاء والحساب، فوصف نفسه سبحانه بأنه الملك يوم لا ملك سواه، ولا يدعي الملك معه أحد كما يدعي ذلك في الدنيا. وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

فيكون من الأوصاف الذاتية والفعلية. وإذا كان من الأوصاف الذاتية فهو عبارة عن كماله في ذاته وصفاته وغناه الذي له من ذاته لذاته، وإذا كان من صفات الفعل فيكون عبارة عن مُلْكِهِ المُبدع، وصُنْعِهِ المُخْتَرَع، وهو عبارة عن الوجود كله علوه وسفله، الذي هو خزانة ملكه، ويكون المَلِكُ بمعنى: ذي المُلْك أيضاً، ويكون من

صفات الفعل. وهذا المعنى الأخير هو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري. ورأى القاضي المعنيين صحيحين وبيَّنَ ذلك في كتاب «الهداية». ومن قرأ ﴿مالك﴾ فتأويله على وجهين:

أحدهما: وفيه قولان: قيل: تأويله: يَمْلِكُ يوم الدين، فيكون الفعل واقعاً على اليوم نفسه. وقيل: يكون تأويله: يَمْلِكُ في يوم الدين، أي يملك سائر الأشياء في يوم الدين. وخص به «يومُ الدِّين» لأنه اليوم الذي لا يَمْلِكُ فيه أحد شيئاً مما كان اللّه ملكهم في الدنيا، فيكون «مالك» على هذا راجعاً إلى معنى «ملك» فتكون القراءتان في المعنى سواء.

فإن قيل: فكيف؟ قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ويوم الدين لم يوجد بعد، فكيف وصفَ نفسهُ بِمِلْكِهِ ما لم يُوجد بعد؟ قيل له: ذلك جائز في كلام العرب، لأن اسم الفاعل قد يضاف إلى ما بعده وهو بمعنى الفعل المستقبل، فيكون ذلك عندهم كلاماً سديداً معقولاً صحيحاً. كقولك: هذا ضارب زيد غداً، أي سيضرب زيداً. وكذلك: هذا حاج بيت اللّه في العام المقبل، تأويله سيحج في العام المقبل، أفلا ترى الفعل قد نسب إليه وهو لم يفعله بعد، وإنما أريد به الاستقبال. فكذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على تأويل الاستقبال، أي سيملك يوم الدين، أي في يوم الدين إذا حضر.

ووجه آخر؛ أن يكون تأويل «المالك» راجعاً إلى القدرة أي أنه قادر في يوم الدين، أو على يوم الدين وأحداثه. لأن المالك للشيء في كلام العرب؛ هو المتصرف فيه القادر عليه، واللّه جلَّ وعزَّ مالك الأشياء كلها ومصرفها على إرادته، لا يمتنع عليه منها شيء. والوجه الأول [أمَسُّ] بالعربية وأنفذ في طريقها، قاله الزجاجي أبو القاسم[1].

و«مليك» للمبالغة؛ لأن فعيلاً في اللسان موضوع في المبالغة في اسم الفاعل، فالمَلِكُ وصف فعلي له، وهو مُشعرٌ بتصرفه في الممتلكات على مراده، والملك إذا كان وصفاً فعلياً هو يُشعر بأن الوجود مبدع له، وهو مملكته فبينهما هذه التفرقة إذ المَلِكُ من له المُلْكُ، والمَالِكُ من له المِلْكُ.

---

(1) في كتابه «اشتقاق أسماء اللّه الحسنى» (ص: 44) والتصويب منه. وأورده بتقديم وتأخير المصنف رحمه اللّه تعالى في «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير سورة الفاتحة (124/1).

قال ابن الحصار: ولا يجوز أن يدعي بهذا الاسم أحد غير اللّه تعالى لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يقبض اللّه الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**»(1) وجاء أيضاً عنه عن النبي ﷺ: «**إن أخنع اسم عند اللّه رجل تسمى ملك الأملاك**» زاد مسلم في روايته «**لا مَالِكَ إلا اللّه عزَّ وجلَّ**»(2). قال سفيان: مثل شَاهَان شاهْ.

قال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو الشيباني عن «أخْنَعَ» فقال: أَوْضَعَ.

وفي رواية مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أغيظُ رجلٍ [على اللّهِ] يوم القيامة وأخبثُهُ [وأغيظُهُ عليه] رجلٌ [كان] يُسمى مَلِكَ الأملاكِ، لا مَلِكَ إلاّ اللّهُ**»(3).

قال ابن الحصار: وكذلك ﴿**ملك يوم الدين**﴾ و﴿**مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾ [آل عمران: 26] لا ينبغي أن يختلف في أن هذا مُحرمٌ على جميع الخلق، كتحريم «مَلِكِ الأَمْلاكِ» سواء وأما: ملك ومالك وملك، فأسماء للملك. فيجوز أن يوصف بمفهومها من اتصف بها، قال اللّه العظيم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً**﴾ [البقرة: 247] وقال ﷺ: «**ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل اللّه يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة**»(4) فأشار إلى عظم أخطارهم ورفعة أقدارهم. وقال عليه

---

(1) رواه البخاري (4812) و(6519) و(7382) ومسلم (2787) وغيرهما. وانظر أخي الكريم ما جاء في هذا الباب في كتابنا «الأحاديث القدسية من الصحيحين» باب أحوال يوم القيامة.

(2) رواه الإمام أحمد (7333) والبخاري في «صحيحه» (6205) وفي «الأدب المفرد» (817) ورواه مسلم (2143) وأبو داود (4916) والترمذي (2837) وابن حبان (5835) والبغوي (3369) والبيهقي (9/307).

(3) رواه مسلم في الآداب (21/2143) والتصويب منه.

(4) قطعة من حديث رواه الإمام مالك في «موطئه» (1001) في فاتحة كتاب الجهاد ومن طريقه رواه الإمام أحمد (7160) والبخاري (2788-2789) ومسلم (1912) وأبو داود (2490) والترمذي (1645) والنسائي (3171) وابن ماجه (2776) وغيرهم - واللفظ للبخاري - من طريق مالك عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه أنه سمعه-

السلام: «**زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**»[1] وإنما أذن الله سبحانه في هذه الإطلاق، لأن المُلْكَ نيابة شرعية، والمُلْكُ في عُرْفِ العرب وصف عارض يستحقه كل من مَلَكَ مُلْكاً.

والملك والمليك مقصور من مالك أو مليك والجمع: الملوك والأملاك، والاسم الملك والموضع المملكة، ومليك النحل: يعسوبها. ومالك: اسم علم لخازن النار، ومالك الحزين: اسم طائر من طير الماء، والمالكان: مالك بن زيد، ومالك بن حنظلة. فمالك لم يرد في لسان العرب إلا وصفاً أو اسماً علماً.

قال ابن الحصار: وأما «مَلِكٌ» فما أعلمه ورد اسماً عَلَماً، ولكن الأعاجم صيروه اسماً وجعلوه علماً لأن الملك كان عندهم معروفاً في عقب مخصوص لا يتعدى، فجعلوا هذا الوصف كالاسم العَلَم، لاعتقادهم استحقاق المسمى به على الاختصاص. وقولنا في «الملك»: إنه تنفيذ المراد أولى من قول من قال: إن الملك هو القدرة على الاختراع، لأن القدرة صفة واحدة من صفات المُلْك، وتنفيذ المراد مطلقاً يتضمن تخصيص الممكنات في النفي والإثبات، وذلك يتضمن جميع الصفات وتمام القصد وتنفيذ الأوامر والمجازات، وغير ذلك مما يأتي بيانه إن شاء الله.

= يقول: «كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتُطعِمهُ وكانت أمُّ حرام تحت عُبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يُضحِكُكَ يا رسول الله؟ قال: «**ناسٌ من أُمَّتِي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ الله، يركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ مُلوكاً على الأسرَّة ـ أو مِثلَ الملوكِ على الأسرَّة**»، شكَّ إسحاق ـ قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ. ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت: وما يُضحِكُكَ يا رسول الله؟ قال: «**ناسٌ مِن أُمَّتِي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله**» ـ كما قال في الأوَّل ـ قالت: فقلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: «أنتِ من الأوَّلين». فركِبَتِ البحر في زمن مُعاوية بن أبي سُفيان فصُرِعت عن دابَّتها حين خرجت من البحر فهلكت».

وقد أتيت عليه مع شرحه في كتابنا «الانتصار» فانظره هناك أخي الكريم حفظك الله تعالى ورعاك.

(1) في سنن ابن ماجه (باب ما يكون من الفتن)، والجامع لأحكام القرآن في تفسير الآية (55) من سورة النور.

وحكى الفقيه أبو بكر بن العربي عن الشيخ أبي الحسن الأشعري أن حقيقة «الملك» من التصرف على الإطلاق وهذا يقرب مما تقدم في تفسير «المَلِك» وقال بعضهم: لفظة «الملك» تدل على عالم الغيب والشهادة ولفظة «الملكوت» تدل على عالم الغيب، وهذا يرد عليه قوله الحق: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: 83]. فجعل الملكوت عاماً في كل شيء، ومنهم من عبر عنهما باللفظين جميعاً.

وقال بعض العلماء: «المُلْكُ» بضم الميم موجود الملك في الغبطة والنعمة والسرور والفرح، واللذة بما هو فيه مع ما يبدو من كثرة المماليك وسعة الخطة، وحسن الطاعة، وتمام الآمال، مع ما يتبع ذلك من كثرة الإكرام والتبجيل والتعظيم، وعظم القدر. ومن هذا المعنى خطاب القرآن في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان: 20] و«الملك» أيضاً اسم لما ملك، وكل هذه من صفات المخلوق جلَّ ربنا وتعالى علواً كبيراً، له المجد العظيم والشرف الباذخ الرفيع، انقاد إليه كل شيء وعمت رحمته وفضله الجميع وطمع في فضله كل طامع، وخافه كل خائف، ولجأ إليه كل مضطر، وحمده كل حامد وشكره كل شاكر، وأسلم له الجميع طوعاً، وكرهاً، ولم يطمع أحد في الامتناع منه ولا في القرب منه إلا بإذنه، فهو المَلِكُ حقاً، وله المُلْكُ.

ومن البيِّنِ الذي لا إشكال فيه أن: المُلْكَ بضم الميم يتضمن المَلِكَ بكسر اللام، وليس كل من مَلَكَ مُلكاً. وكُل مَلِك مَالك، وليس كل مَالِكٍ مَلِكاً، فَمَلِك أولى بالمبالغة، ولأن أمرُ المَلِكِ نافذ على المَالِكِ في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير المَلِكِ. قاله أبو عبيدة والمبرد وغيرهما.

وقيل: «مالك» أبلغ لأنه يكون مالكاً للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفاً وأعظم إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثم عنده زيادة التملك.

قال ابن العربي: ذهب قوم إلى أن قولنا «مالك» أبلغ من «ملك» لأنه أعم لثلاثة وجوه: **الأول**: إنك تضيفه إلى العام والخاص، فتقول: مالك الدار والأرض والثوب كما تقول: مالك الملوك.

الثاني: إنه يطلق على مالك القليل كما يطلق على مالك الكثير، ولا يقال «ملك» إلا على الكبير، وإذا تأملت هذين القولين وجدتهما واحداً.

والثالث: أن تقول: مالكُ المُلكِ، ولا تقول: مَلِكُ المُلكِ.

قال ابن الحصار: وإنما كان ذلك لأن المراد من «مالك» الدلالة على المِلْكِ بكسر الميم وهو لا يتضمن المُلْك، و«مَلِك» يتضمن الأمرين جميعاً كما تقدم فهو أولى بالمبالغة[1].

وقال أبو حاتم: إن «مالكاً» في حق مدح الخالق أبلغ من «ملك»، و«ملك» أبلغ في مدح المخلوقين من «مالك» والفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله تعالى مالكاً كان مَلِكاً[2] فإن وصف الله تعالى بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته وإن وصف بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله.

---

(1) «الجامع لأحكام القرآن» للمصنف (138/1) سورة الفاتحة.

(2) المصدر السابق (138/1) بزيادة: واختار هذا القول القاضي أبو بكر بن العربي وذكر ثلاثة أوجه؛ الأول: أنك تضيفه إلى الخاص والعام، فتقول: مالك الدار والأرض والثوب، كما تقول: مالك الملوك. الثاني: أنه يطلق على مالك القليل والكثير؛ وإذا تأملت هذين القولين وجدتهما واحداً. والثالث: أنك تقول: مالك المُلك؛ ولا تقول: مِلك المُلْك. قال ابن الحصار: إنما كان ذلك لأن المراد من «مالك» الدلالة على الملك ـ بكسر الميم ـ وهو لا يتضمن «المُلْك» ـ بضم الميم ـ و«ملِك» يتضمن الأمرين جميعاً فهو أوْلى بالمبالغة. ويتضمّن أيضاً الكمال، ولذلك استحق الملك على من دونه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾** [البقرة: 247]. ولهذا قال عليه السلام: **«الإمامة في قريش»** وقريش أفضل قبائل العرب، والعرب أفضل من العَجَم وأشرف. ويتضمن الاقتدار والاختيار، وذلك أمر ضروري في المَلِك، إن لم يكن قادراً مختاراً نافذاً حكمه وأمره، قهره عدوّه وغلبه غيره وازدرته رعيته؛ ويتضمن البطش والأمر والنهي والوعد والوعيد؛ ألا ترى إلى قوله تعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام: **﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾** [النمل: 20-21] إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والمعاني الشريفة التي لا توجد في المالك.

قلت: وقد احتج بعضهم على أن مالكاً أبلغ لأن فيه زيادة حرف؛ لقارئه عشر حسنات زيادة عمن قرأ ملك. قلت: هذا نظر إلى الصيغة لا إلى المعنى، وقد ثبتت القراءة بملك، وهي من المعنى ما ليس في مالك، على ما بينا والله أعلم. انتهى.

أقول: وقوله ﷺ: «الإمامة في قريش» رواه البخاري وغيره في الأحكام (7139) من حديث معاوية رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّهُ الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين»** ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما (7140) قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»**.

قال ابن الحصار: وأما «الملك» فيدل صريحاً على من تنفذ أوامره، ويتضمن أموراً عجيبة فمن ذلك كرم الذات ونزاهة الصفات، ولذلك قال وقوله الحق: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: 114] فبدأ بتنزيه ذاته المقدسة، وكذا قوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: 23] ومنه قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: 1] وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: 1] وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم**» فذكر منهم الملك الكذاب[1]. وكان هذا الوعيد على المَلِكِ الكذاب لما يجب عليه من نزاهة نفسه عن دنيات الأمور، ولأنه لا ضرورة تدعوه لذلك إلا أن يكون قد أَلِفَ ذلك حتى تَخَلَّقَ بأخلاق السفلةِ وسقط الناس.

ومن كرم الملوك ونزاهتهم وعلو مكارمهم ما حكاه المسعودي في قصة الملك الذي ضل عن الطريق ونزل لقضاء حاجته وأعطى فرسه لبعض الرعاة فجعل يحل حلية من لجامه، فأبصره الملك فجعل على عينيه ثوباً كالمستتر به وأمهله حتى قضى أربه.

قلت: ومثل هذه الحكاية تنقل عن بهرام جور، وأنه خرج متصيداً فعنَّ له حمار وحشي فأتبعه حتى صرعه، وقد انفرد عن أصحابه، فنزل عن فرسه يريد ذبحه. وبصر راعياً قريباً منه فقال له: أمسك على فرسي وتشاغل بذبح الحمار، وحانت منه التفاتة فنظر إلى الراعي يقلع جوهر عذار فرسه فحوَّل وجهه عنه وقال: تَأَمُّل العيب عيب، وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه، والعفو من شيم الملوك. ثم قال: يا غلام ائتني بفرسي فلما أتاه به ضرب بهرام بيده إلى شريان الراعي. ثم قال: يا غلام ما بال شريانك يضطرب لعلك أخافك وطؤنا أرضك بحوافر خيلنا؟ قال: نعم، وقد عزمت على المضي لأرض بعيدة، فقال بهرام: لا ترع فهذا الموضع وما فيه لك! فقال الراعي:

(1) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (9600) ومسلم (107) والنسائي في «الكبرى» (2356) وابن منده في «الإيمان» (619) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، ومَلِكٌ كذابٌ، وعائل مستكبرٌ**» لفظ مسلم.

إن الملوك إذا قالت قولاً أتبعته بفعل، فركب بهرام وقال: اتبعني لأوثق لك من هذه الأرض فاتبعه فلما بصر به الوزير قال: أيها الملك السعيد إني أرى جوهر عذار فرسك مقلعاً! قال: نعم، أخذه من لا يرده، وأبصره من لا يَنُمُّ عليه، فمن وجده فلا يطالبه.

قلت: ومثل هذا أيضاً ما روي أن سعيد بن العاصي كان جالساً وعنده أصحابه فأتي بابن له في عنقه طوق ذهب. فجعل الخدم يطوفون به على أهل المجلس، فأخذ بعضهم طوقه، وسعيد ينظر إليه، فلما رُدَّ إلى الجارية سألت عن الطوق، فقال لها سعيد: انطلقي أخذه من لا يرده وأبصره من لا ينمّ عليه.

قال ابن الحصار: فهذا فعل كرم مربوب فما ظنك برب العالمين على سائر المذنبين. قال: ويتضمن الكمال، ولذلك استحق الملك على من هو دونه.

ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247] [وقوله] عليه السلام: «**الإمامة في قريش**»[1] وقريش أفضل

(1) روى الإمام أحمد (5681) والبخاري (3501) ومسلم (1820) وغيرهم من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**» لفظ البخاري.

وفي لفظ للبخاري (3500) من حديث معاوية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش..» الحديث. وقد تقدم ثمة.

وأما الحديث الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى، فقد أورده الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح الباري» (7/15)، أثناء كلامه على ترجمة البخاري للحديث المتقدم بقوله: «الأمراء من قريش» قال: ولفظ الترجمة لفظ حديث أخرجه يعقوب بن سفيان وأبو يعلى والطبراني من طريق سكين بن عبد العزيز حدثنا سيار بن سلامة أبو المنهال قال: «دخلت مع أبي على أبي برزة الأسلمي» فذكر الحديث الذي أوله «إني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش» وفيه «إن ذاك الذي بالشام إن يقاتل إلا على الدنيا» وفي آخره «سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأمراء من قريش» الحديث، وقد تقدم التنبيه عليه في الفتن في باب «إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه» وفي لفظ للطبراني «الأئمة» بدل «الأمراء» وله شاهد من حديث علي رفعه: «ألا إن الأمراء من قريش ما أقاموا ثلاثاً» الحديث أخرجه الطبراني وأخرجه الطيالسي والبزار والمصنف في التاريخ من طريق سعد بن إبراهيم عن أنس بلفظ «الأئمة من=

قبائل العرب والعرب بأفضل من العجم وأشرف، وكذلك الجمال من كمال المُلْكِ وزينة المَلِكِ، ولا خلاف في ذلك. ويتضمن أيضاً الاقتدار والاختيار، وذلك أمر ضروري في المَلِكِ، إن لم يكن قادراً مختاراً، نافذاً حكمه وأوامره، قَهَرَهُ عدوه، وغلبه عليه غيره، وازدرته رعيته. ويتضمن البطش والأمر والنهي والوعد والوعيد، ألا ترى إلى قول سليمان ـ على نبينا وعليه السلام ـ: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: 20-21] ولا تجد لنبينا عليه السلام أبداً مثل هذا، لأنه بعد أن خيره الله سبحانه بين أن يكون نبياً عبداً، أو نبياً ملكاً، فاختار أن يكون نبياً عبداً لم يأكل متكئاً، والأكل متكئاً من أدنى أوصاف الملوك فكيف أن يصدر منه مثل ما صدر من سليمان عليه السلام، وقد أذن الله سبحانه لسليمان عليه السلام في ذلك وفي مثله، لأن الملك لا يتم إلا به، ويتضمن القوة والعظمة والقدرة والقهر والاستبداد والاستعلاء والانفراد، وكل ذلك يجمعه قوله الحق: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] ويتضمن الإعطاء والمنع والضر والنفع ابتداءً من غير سبب ولا استحقاق.

ألا ترى إلى قوله الحق: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: 1-2] إلى قوله في آخر السورة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: 30] ومدار أمر الدنيا والآخرة وكل نفع وضر، وإعطاء ومنع، وقدرة على الإحياء والإماتة، والابتلاء بالتكاليف، وذلك يتضمن كل صفة للملك الحق.

= قريش ما إذا حكموا فعدلوا» الحديث، وأخرجه النسائي والبخاري أيضاً في التاريخ وأبو يعلى من طريق بكير الجزري عن أنس؛ وله طرق متعددة عن أنس منها للطبراني من رواية قتادة عن أنس بلفظ «إن الملك في قريش» الحديث، وأخرج أحمد هذا اللفظ مقتصراً عليه من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي بكر الصديق بلفظ «الأئمة من قريش» ورجاله رجال الصحيح، لكن في سنده انقطاع، وأخرجه الطبراني والحاكم من حديث علي بهذا اللفظ الأخير ولما لم يكن شيء منها على شرط المصنف في الصحيح اقتصر على الترجمة، وأورد الذي صح على شرطه مما يؤدي معناه في الجملة.

ويتضمن: المجازاة على الحسنات والسيئات، والانتقام من أهل الجرائم، والمجازاة في امتثال الأوامر، وارتكاب الزواجر، والإحسان للمحسنين والصفح عن المسيئين، ولذلك وصف نفسه بأنه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ويتضمن الأعوان والأجناد، وغير ذلك من أسباب الاستعداد، ولذلك قال سليمان ـ على نبينا وعليه السلام ـ: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: 37] وقال مخبراً عن نبيه ـ عليه السلام ـ: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 40] وقال وقوله الحق: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9] [وقال:] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: 31] وأخبر أنه أعد الجنة للمتقين، والنار للمجرمين.

ويتضمن: التقديم والتأخير والتولية والعزل، ولذلك قال وقوله الحق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

ويتضمن: الإفضال والإحسان والعفو والغفران، وقد أمر رسول الله ﷺ بذلك والآيات الدالة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

ومن خُلُق الملك: العدل، والآيات والأحاديث متظاهرة بذلك، وفي الخبر الصحيح من قول الله تعالى: «**أنا الملك أنا الديان**»[1].

ومن خُلُقِ الحكمة، في وضع الأمور مواضعها، والاستعانة على تدبير ملكه بخاصته وأهل [العلم][2] والعقل في مملكته، فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32] لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وشدتهم وإمضاءهم على الطاعة لها، لعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم ودماءهم وأموالهم دونها لم تكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدّهم، كان ذلك عوناً لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم. وربما

---

(1) جزء من حديث متفق عليه وقد تقدم في نفس الباب.

(2) زيادة من حاشية المخطوط.

كان استبدادها برأيها وهناً في طاعتها ودخيلة من تبديد رأيهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عوناً على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قوله في جوابهم: ﴿نحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: 33][1] فبذلوا الغاية المطلوبة من الامتثال مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة ووطنوا أنفسهم على الموت دونها، فلما فعلوا الذي يجب عليهم، نظرت هي في الأرفق بهم، والأوفق لأمرهم وفي الحيطة عليهم. وقد قال الله لنبيه عليه [الصلاة و] السلام وهو يقاوم عدوه بالوحي: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

وقد يختص المَلِكُ بشيء لا يُبديه، ورأي لا يشارك فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: 3] الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها[2].

وللملك أحكام عند غلق الباب، وأحكام عند رفع الحجاب، وأحكام عند البسط، وأحكام عند القبض، وأحكام في معاملة الخاصة، وأحكام في معاملة العامة، وأحكام في تقسيم التدبير بين الرؤساء، وفي مجالسة الوزراء، وفي معاملة الوفود، وفي تدبير الجنود، وتقسيم العطاء، ورعي الرعية، والغيرة على المُلْكِ إلى غير ذلك، مما لا يأتي الشرح عليه، والغرض التنبيه دون الإطالة إذا أردت أن تعتبر هذا الاسم من القرآن العظيم في حق الله تعالى مع تقدم من افتقار الموجودات إليه.

فمثل نفسك بين يدي الملك الأعظم، المطلع على السر والعلانية، المحيط بكل شيء وهو يخاطب عبيده فيقول: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: 16] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: 21] ويعظ ويبشر ويذكر ويحذر، ويعد ويتوعد ويخوف، ويتودد ويبشرك

---

(1) ذكره المصنف في «تفسيره الجامع لأحكام القرآن» (13/181-182) وقد جاء فيه: «ودخيلة في تقدير أمرهم...» - بدلاً - من قوله هنا: ودخيلة من تبديد رأيهم.

(2) الحديث بطوله وكماله رواه البخاري (4418) وغيره من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه. في قصة توبته لعدم الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك مع صاحبيه... وقد جاء فيه بلفظ: ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها. الحديث.

وانظره أخي الكريم مع شرحه في كتابنا «الانتصار».

برحمته ويحذرك من نفسه، ويعرفك بما تقدم من سيرته وسُنَّة أوليائه وأعدائه، ومآل كل فريق وأن مرجع الجميع إليه، فيجزي كل نفس ما كسبت. ثم يُبيِّنُ لك من آياته ما تدركه بحسك أو تبلغه بعقلك، ويذكرك بمن قبلك من آبائك وأسلافك، وينبهك في دعتك وسلامتك، بدوام عافيته قبل انفطامها، واتصال نعمته قبل زوالها، وأنه يجزي عن الحسنة بعشر أمثالها، ويجزي عن السيئة بمثلها ويعفو عن كثير، مع ما عرفك من مكره بالماكرين، واطلاع أوليائه على ضمائر المنافقين، وكشف عوراتهم، وثنائه على عباده الصالحين، وذكر مناقبهم ومفاخرهم، وحسن جزائهم في العاجل والآجل، وذكر عظيم ما أعد لأوليائه من النعيم، وما أعده لأعدائه من العذاب الأليم، وتعريفه لك بقربه منك، واطلاعه عليك، وذكره لك عند ذكرك له، وسرعة إجابته ومجازاته، وإن من يتوكل عليه فهو حسبه ومن استغنى به أغناه، ومن عاذ به أعاذه ومن استعان به أعانه ومن أعرض أعرض الله عنه.

ثُمَّ اعتبر الآيات الدالة على إحاطته، وقيامه على الجميع بالعدل والقسط، والحفظ والرعاية والكلاءة. والآيات الدالة على غناه واستغنائه على الإطلاق، والآيات الدالة على حسن مملكته ولطفه في تدبيره وحلمه وصبره.

ثُمَّ اعتبر ما يدل على قهره وعظمته، وعزه وسلطانه، ووحدانيته في ملكه ولطفه في تدبيره، ونفوذ مشيئته وتمام مراده، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا رادَّ لأمره، ولا مُعقب لحكمه، مع انفراده ووحدانيته في ملكه.

ثُمَّ اعتبر تذلل الجميع إليه، وانقياد الكل لأمره وتسخير الجميع على حكم مشيئته ونقض عزائم أهل العزم، وتبديل الدول وإبادة الأُول، وموافقة المقدرات والأسباب للمسببات، واستمرار ذلك على نظام لا ينحل، وحساب لا يختل، ومن أعظم وجوه الاعتبار ما قد ظهر من صدقه سبحانه في تنفيذ وعده ووعيده، ونصره أوليائه على أعدائه وتصديق رسله.

وهذا الاسم من أمهات الأسماء وهو يحتوي على معاني أكثرها، أو على كلها، فليس في الأسماء ما يعارضه، ولهذا انفرد سبحانه اسماً واستحق التسمية به لعشرة أمور لا توجد لغيره:

أحدها: وجود افتقار الملك إليه.

والثانية: أن ملك كل ملك منه.

والثالث: أنه يقول للشيء كن فيكون.

والرابعة: ثبوت الملك له قبل وجود الملك والمملوك.

والخامسة: استغناؤه عن الأعوان.

والسادسة: عموم الملك في الدنيا والآخرة.

والسابعة: أن جنده لا يحصون كثرة وقوة.

والثامنة: أن ملكه لا يبيد.

والتاسعة: أن العقول تحيل الشركة عليه.

والعاشرة: إحاطته سبحانه بملكه إحاطة لا يغيب عنه منها دقيق ولا جليل ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] ومن علم هذا، علم أنه المَلِكُ الحقُّ، وأن غيره لا يستحق هذا الاسم، وقال الله العظيم: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 26] ومن تأمل هاتين الآيتين حق تأملهما علم أنه لا مَلِكَ ولا مُلْكَ إلا الله جلَّ وعزَّ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: واختص سبحانه بنعوت ـ اقتضاها كونه ملكاً ـ جماعها أحد عشر حكماً:

أحدها: أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء ويستحيل عليه الإذلال.

الثاني: أنه المملك لغيره السالب له.

الثالث: أنه الممكن لسواه المانع له.

الرابع: أنه يولي ويعزل ولا يتوجه عليه بالعزل.

الخامس: أنه المنفرد بالعز والسلطان لا يشاركه فيه أحد.

السادس: أنه يَقْضِي ولا يُقْضى عليه.

السابع: أن الإنفاق إليه، يَرْزُقُ ولا يُرْزَقُ، ويُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ.

الثامن: أنه يُولم ولا يتألم.

التاسع: أنه يضر وينفع، ولا يتوجه عليه الضرر والنفع.

العاشر: أنه يَحْرُسُ ولا يُحْرَسُ.

الحادي عشر: أن العَرَضَ إليه، والثواب والعقاب إليه، والعفو لا يرجى إلا لديه، وفي كل نعت منها آية وحديث يدل عليه.

فيجب على كل مكلف الاعتراف بهذا وأن يعلم: أن الله سبحانه هو المَلِكُ الحقُّ المُبين وحده لا شريك له. وينزل نفسه منزلة المملوك هو لمالك الملوك، وجبار الجبابرة، ومالك الدنيا والآخرة، ويعتبر في ملكوته، ويستدل على وحدانيته بما أظهر من ملكه وقدرته، فإنه وإن كان مَلِكاً فهو محتاج إلى ربه، وإن كان محتاجاً إليه في بعض الأشياء فله بما يحتاج إليه حظ من المُلْكِ حقير به، صَحَّ أن يُسمى مَلِكاً صار إليه من قبل ربه.

وحقيقة مجاز الملك في العبادة من تحرز عن كل رق إلا الله وحده واستغنى عن غيره به، ولذلك قال بعض الصالحين حين قال له بعض ملوك الدنيا: ما حاجتك؟ فقال: أنا أولى بقول هذا ولي عبدان هما سيداك، الحرص والهوى، غلبتهما وغلباك، وملكتهما وملكاك، ولقد أحسن بعض الشعراء حين قال:

ملكتُ نفسي وكنتُ عبداً ... فزال رقّي وطابَ عيشي

أصبحتُ أرضى بحكمِ ربّي ... إن لم أكن راضياً فأيشي[1]

فإذا علم العبد ما لله من المُلْكِ والمَلْكِ، فحقه أن لا يَشحَّ بما ملكه على طريق الوديعة، وأن يكون سمح السجية والطبيعة، إنما استخلف على ما ملك أياماً قليلة، فإن ردها إلى مالكها أحسن رد، عاد عليه أشرف ملك، ونال عوضاً منها أرفع ملك.

وكان الشيخ أبو علي الدقاق يقول: من أمن بالخلف لم يخش من التلف، وحكي أن حاتماً الأصم كان صائماً يوماً، فلما أمسى قدم إليه فطوره فجاء سائل فرفع إليه ذلك فحمل إليه في الوقت طبق عليه من كل لون من الأطعمة والحلاوة، فأتاه سائل فأمر بدفعه إليه ففتح له بصرّة فيها دنانير في الوقت، فلم يتمالك أن صاح: الغوث من

(1) ذكره القشيري في «شرح أسماء الله الحسنى» (ص: 156) وجاء عنده بلفظ: «وأيش» بدلاً من «فأيشي» والمراد: أي شيء؟

خلف الغوث من خلف، وكان في جيرانه رجل يسمى خلفاً، فتسارع إليه الناس وقالوا: لم تؤذي الشيخ حتى يصيح عليك؟ وحملوه إليه. فقال: إني لم أعنه، وإنما عجزت عن شكر الله سبحانه وتعالى عما يعجل لي من الخلف ومن حقه أن يستغني بربه عن غيره. إذ هو الملك حقاً، وله الملك.

حكي عن شقيق البلخي أنه قال: كان ابتداء توبتي أني رأيت غلاماً في سنة قحط يمرح زهواً والناس تعلوهم الكآبة بمقاساة الحراثة، فقلت له: ما هذا المرح أما ترى ما فيه الناس من المحن؟ فقال: ما لي وللحرث ولسيدي قرية مملوكة يدخل فيها من احتاج إليه. فقلت في نفسي: إن كان هذا العبد المخلوق لا يستوحش، لأن لسيده قرية مملوكة، فكيف يصح لي أن أستوحش وسيدي مالك الملوك؟ فانتهيت ووثبت.

ثم يجب على المسلمين نصب إمام بلا خلاف بين العلماء، وكذلك اجتمع الصحابة على تقديم الصديق رضي الله عنه وعنهم أجمعين ـ وكان ابتداء ذلك يوم وفاة رسول الله ﷺ ثم تكامل إجماعهم بعد ذلك، ولم يخالف في هذا إلا الأصم حيث كان عن الشريعة أصم. وقد أتينا على أحكام الإمامة وشرائطها في كتاب ـ «جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السُّنَّة وآي الفرقان»[1] لكننا نذكر طرفاً من ذلك.

فيجب على العلماء اختيار الأعلم والأفضل والأتقى، إذا تكاملت شروط الإمامة، كما فعل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وشروط الإمامة أحد عشر شرطاً: وهي العقل والبلوغ والذكورية والحرية والإسلام والعدالة والعلم بالأحكام بحيث يكون مجتهداً فيها، والنسب بأن يكون من قريش، والرأي والتدبير في حفظ البيضة بالحرب وغيره، وسلامة في الأعضاء. والأصل في هذه الجملة قوله تعالى في طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247] فبدأ بالعلم، ثم ذكر ما يدل على القوة، وسلامة الأعضاء وقوله: ﴿اصْطَفَاهُ﴾ أي اختاره، وهذا يدل على شرط النسب[2].

---

(1) في تفسير سورة الفاتحة (138/1)، وقد ذكرته ثمة في الحاشية المتقدمة فارجع إليه أخي الكريم.

(2) وقد جاء عند المصنف رحمه الله تعالى في «تفسير سورة البقرة ـ الآية 247» قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أي كيف يملكنا ونحن أحق بالملك منه؟ جروا على سنّتهم في تعنيتهم الأنبياء وحَيْدهم عن أمر الله تعالى فقالوا: ﴿أَنَّى﴾ أيْ من أيّ جهة، فـ﴿أَنَّى﴾ في موضع-

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**الإمامة في قريش**»[1] وأما اعتبار الكفاية والنجدة والرأي الحصيف فإنه إن لم يكن كذلك خيف على بيضة الإسلام وهلاك المسلمين وخراب البلدان. وأما كونه أفضل فلقوله ـ عليه السلام: «**أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون**»[2] وأما كونه عالماً؛ فلأنه يقيم الحدود ويفصل بين الخصوم، ويأخذ الزكوات وينظر في مصالح المسلمين والمسلمات، وذلك لا يكون إلا عن علم بذلك.

-نصب على الظرف، ونحن من سبط الملوك وهو ليس كذلك وهو فقير، فتركوا السبب الأقوى وهو قَدَر الله تعالى وقضاؤه السابق حتى احتج عليهم نبيُّهم بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ**﴾ أي اختاره وهو الحجة القاطعة، وبيّن لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت، وهو بسطته في العِلم الذي هو مِلاك الإنسان، والجسم الذي هو مُعِينه في الحرب وعدّته عند اللّقاء؛ فتضمّنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة، وأنها مستحقة بالعلم والدين والقوّة لا بالنسب، فلا حظّ للنسب فيها مع العلم وفضائل النفس وأنها متقدّمة عليه؛ لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوّته، وإن كانوا أشرف منتسباً. وقد مضى في أوّل السورة من ذكر الإمامة وشروطها ما يكفي ويغني. وهذه الآية أصل فيها. قال ابن عباس: كان طالوت يومئذٍ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمّه؛ وزيادة الجسم مما يَهِيب العدو. وقيل: سمي طالوت لطوله. وقيل: زيادة الجسم كانت بكثرة معاني الخير والشجاعة، ولم يرد عِظم الجسم؛ ألم تر إلى قول الشاعر: [هو عباس بن مرداس]:

تـرى الرّجُـلَ النَّحِيـفَ فَتَزْدَرِيـه ... وفي أثوابـه أسَـدٌ مَصُـورُ
ويُعجبـك الطّريـر فَتَبْتَلِيـه ... فيُخلِف ظنّك الرجلُ الطّريرُ
وقـد عَظُـم البعـير بغير لُـبٍّ ... فلـم يَسْتَغْنِ بـالعِظَم البعـيرُ

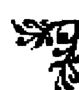
قلت: ومن هذا المعنى قوله ﷺ لأزواجه: «**أسرعكنّ لحاقاً بي أطولكنّ يداً**» فكنّ يتطاولن؛ فكانت زينب أوّلهن موتاً؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدّق؛ خرّجه مسلم. وقال بعض المتأوّلين: المراد بالعلم عِلم الحرب، وهذا تخصيص العموم من غير دليل. وقد قيل: زيادة العلم بأن أوحى الله إليه، وعلى هذا كان طالوت نبياً. والله تعالى أعلم. انتهى مختصراً.

(1) تقدم ثمة.

(2) أورده في «إتحاف السادة المتقين» (175/3) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أئمتكم شفعاؤكم إلى الله ـ أو قال ـ وفدكم إلى الله، فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم**» وتعقبه العراقي بقوله: أخرجه الدارقطني والبيهقي وإسناده ضعيف.

ثم يجب على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة، وإقامة كتاب اللّه تعالى وسُنَّةِ رسوله ﷺ ومن تأبى عن البيعة لعذر عُذِرَ، ومن تأبى لغير عذر جُبِرَ وقُهِرَ لئلا تفترق كلمةُ المسلمين، وإذا بويع لخليفتين قُتِلَ الآخر منهما، وهذا يدل على منع إقامة إمامين، فإن ذلك يؤدي إلى النفاق والمخالفة والشقاق، وحدوث الفتن وزوال النعم. لكن إن تباعدت الأقطار، وتباينت الأمصار، كالأندلس وخراسان جاز ذلك كما جاز بعثة نبيين في عصر واحد ما لم يؤد ذلك إلى إبطال النبوة، فكانت الإمامة أولى، ولا يؤدي ذلك إلى إبطال الإمامة. والذي عليه الجمهور أن إقامة إمامين في عصر واحد لا يجوز شرعاً لقوله عليه السلام: «**إذا بُويع لخليفتينِ، فاقْتلُوا الآخرَ مِنْهُما**»[1] قيل: قتله خلعه وإزالته وعزله. وقيل: قتله ضرب عنقه وإباحة دمه، ولا خلاف بين الأمَّة، ولا بين الأئمة، على أنه لا يجوز إقامة إمامين وثلاثة في عصر واحد في بلد واحد، فاعلم ذلك وباللّه التوفيق.

● ومنها:




25. الجَبّارُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ




نطق به التنزيل في آخر سورة «الحشر» وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمَّة. وروى البيهقي[2] عن ابن عمر قال: رأيت رسول اللّه ﷺ قائماً على هذا المنبر يعني منبر رسول اللّه ﷺ وهو يحكي عن ربه عز وجل فقال: «**إن اللّه عز وجل إذا كان يوم القيامة جمع اللّه السماوات السبع والأرضين السبع في قبضته ثم يقول: أنا اللّه أنا الرحمن أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً أنا الذي أعدتها أين الملوك أين الجبابرة؟**» وفي رواية ابن برهان «أعيدها».

---

(1) الحديث تفرَّد به مسلم في كتاب الإمارة (1853) باب (15) إذا بويع لخليفتين، من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه، به.

(2) في «الأسماء والصفات» (ص: 46) في اسم «الملك والمليك». وانظر أخي الكريم ما تقدم في صفة «الملك» من رواية الشيخين وغيرهما.

وهذا الوصف في العبد مؤذن ـ بالذم الشديد، وداخل تحت الوعيد، لذلك قال تعالى في ذمّ الكافرين: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130] وقوله تعالى: «أين المتجبرون؟ أين المتكبرون؟» وعيد بيّن على من اتصف أو تسمّى بهاتين أو بإحداهما.

وجبار فعال من أبنية المبالغة، وهو شاذ لأنه لم يجئ على أصله من الفعل، لم يقل: جبر فهو جابر: ولكن يقال: تجبر فهو مُتجبرٌ وجبَّارٌ، فالمتجبرُ على الفعلِ من: تَجَبَّرَ، وجبَّارٌ على غير الفعل، وقد يكون جبَّار من فعل لا يتعدى، وقد يكون من فعل متعد. قال الجوهري: يقال: جبرت العظم جبراً، وجبر العظم بنفسه جبوراً أي انجبر. وقد جمع العجاج بين المتعدي واللازم فقال: قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ، فَجَبَر[1]

ومعنى جبره الدين: تقويته وإظهاره على الأديان، فاللّه تعالى جابر كل مكسور، وهو جابر الدين.

الزجاجي: وقد يقال: جبرتُ العظمَ والفَقيرَ جُبوراً. أنشدنا ابن الأنباري عن أحمد ابن يحيى ثعلب:

لا يُبْعِدُ اللّه قوماً إن سَألْتَهُمُ أعطوا ... سِراعاً [وإن قلت انصروا نصروا][2]
وإن أصابهم نعماء سابغة ... لم يبطروها وإن فاتَتْهُمُ صَبَرُوا
الكَاسِرينَ عِظَاماً لا جُبُورَ لَها ... والجابرين فأغنى الناس من جبروا[3]

وتَجَبَّر الرجل من نفسه يتجبر، فهو متجبر، وفعله: الجبروت يتصف بذلك العاتي الشديد المستطيل في العدوان، من ملوك الأرض ومن لا يقبل الحق، روي أنه عليه السلام وعظ امرأة فلم ترعوِ إلى عظته فقال: «**دعوها فإنها جَبَّارة**»[4] أراد أنها تتكبر

(1) وهو في ديوانه (2/1).
(2) التصويب من الحاشية وكذا من «اشتقاق أسماء اللّه الحسنى للزجاجي» (ص: 241).
(3) الأبيات في «أمالي القالي» (81/1) بلا نسبة.
(4) رواه البزار (3579) وأبو يعلى (3276) والطبراني في«الأوسط» (8160) من حديث أنس رضي اللّه عنه، قال: مرَّ النبي ﷺ في طريق، ومرَّت امرأةٌ سوداء، فقال لها رجل: الطريق، فقالت: الطريق ثَمَّ، فقال النبي ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّها جَبَّارةٌ**».
وأورد الهيثمي في «مجمع الزوائد» (363) وتعقبه بقوله: رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى وفيه: يحيى الحماني، ضعفه أحمد ورماه بالكذب ورواه البزار وضعفه براوٍ آخر.
أقول: وهو سهيل بن أبي حزم، قال البزار: لا يتابع حديثه.

على قبول الحق، فكذلك كل عات من الملوك لا يتواضع للحق؛ جبار. ويروى أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله عز وجل: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15] فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كُلَّ جبارٍ عنيدٍ ... ها أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إذا ما جئت رَبَّكَ يوم حَشْرٍ ... فَقُلْ يا رَبِّ مَزَّقَنِي الوَلِيدُ

فلم يلبث إلا أياماً حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره وعلى سور بلده.

قال ابن الأنباري: الجَبَّار معناه في كلام العرب؛ ذو الجبرية، وهو القَهَّار، والجَبَّار: ينقسم على ستة أقسام يكون الجبار: القهار، ويكون الجبار: المُسَلَّطُ، قال اللَّهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: 45] ويكون الجبَّارُ: القوي العظيم الجسم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: 22] ويكون الجَبَّارُ: المتكبر عن عبادة اللّه تعالى كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ [مريم: 32] أي لم يجعلني مُتَكَبِّراً عن عبادته، ويكون الجَبَّار: القَتَّال، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130] معناه بطشتم قتالين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: 19] أي قَتَّالاً بغير حَقٍّ، ويكون الجَبَّار: الطويل من النخل، ومنه قول امرئ القيس:

سوامقُ جَبَّارٌ أَثِيثٌ فُروعُهُ ... وعَالِينَ قُنواناً من البُسْرِ أحْمَرا

وقال الأعشى:

طَرِيقٌ وجَبَّار رِوَاءٌ أُصولُهُ ... عَلَيْهِ أَبَابِيلٌ من الطَّيْرِ تَنْعَبُ[1]

الزجاجي: وناقة جَبَّارة؛ أي عظيمة سمينة وجَمْعُها جبابير، ونخلةٌ جَبَّارٌ بغير ـ هاء ـ إذا فاتت الأيدي طُولاً وارتفاعاً[2]، وتجبر النبت؛ إذا طال وغلظ بعد الأكل، قال امرؤ القيس:

وَيَأْكُلْنَ مِنْ قَوٍّ لُعَاعاً وَرِبَّةً ... تَجَبَّرَ بَعْدَ الأَكْلِ فهو نَمِيصُ[3]

---

(1) ذكره الزبيدي في «تاج العروس» (161/6) مادة ـ جبر ـ والتصويب منه.
(2) زاد الزجاجي (ص: 240): فكأن اشتقاق الجَبَّار يصلح أن يكون من هذا.
(3) ذكره الزبيدي في «تاج العروس» (159/6)، وقال: قَوّ: موضعٌ، واللُّعاع: الرقيق من النبات في أول ما ينبت. والرِّبَّة: ضرب من النبات. والنميصُ: النبات حين طلع ورقه.
وقيل: معنى هذا البيت: أنه عاد نباتاً مُخضراً بعدما كان رُعي، يعني: الروض.

معناه وتأكل الحمر من قو، وقو موضع، واللعاع: أول البقل وهو الرطب، والربة: نزوح النبت والشجر، ونزوح النبت خروجه بعد يبسه، وتجبر الرجل: تكبر، يقال: فيه جبرية، وجبروة وجبروت وجبورة، مثل فروجة، أي كبر. عن الجوهري، وأنشد للأحمر:

فَـإِنَّكَ إِنْ عَـادَيْتَنِي غَضِـبَ الحَصـى عَلَيْـكَ وَذُو الجَـبَروتِ المُتَغَطْـرِفِ

ويقال: أجبرت الرجل على كذا أجبره إجباراً، إذا أكرهته على فعله فأنا مُجْبِرٌ وهو مُجْبَرٌ، هذه لغة عامة العرب، وتميم تقول: جبرتُ الرجل على كذا أجبرهُ جبراً وجبورة، والجَبْرُ خلاف القَدَر. وقال أبو عبيد: هو كلام مولد، والجَبَرية ـ بفتح الباء ـ خلاف القدرية عن الجوهري. وحكى الزجاجي: الجبريَّة بإسكان الباء وهو أصوب والله أعلم. أو تكون لغتان. والمُجَبِّرُ: الذي يَجْبُرُ العِظام المكسورة ويصلحها، فالجبار بمعنى: المصلح، يقال: جبرتُ العظمَ وأجبرت وجبرت أكثر في الإصلاح، ومنه قول الشاعر:

قَـدْ جَـبَرَ الديـنَ الإلـهُ فَجَـبَرْ

جبرت اليد الكسير؛ أجبرها جَبْراً وجَبِيراً وجَبَارةً فأنا جابر، ويقال للخشب الذي يوضع على العظم الكسير: جَبَائِر واحدة: جبارة ويقال أيضاً: جبرت اليد الكسير أجبرها تجبيراً فأنا مُجبر، واليد مُجبرة. فالله سبحانه الجَبَّار ذو الجبرية والكبرياء والعظمة. وقيل: «معنى الجَبَّار» القهار فيرجع إلى القدرة. وقيل: المُصلح، من جبرت العظم فيرجع إلى صفات الأفعال. وقيل: «الجَبَّارُ» العظيمُ في تفسير ابن عباس. وقيل: هو الممتنع بجبروته فلا يصل إليه واصل، ولا يحصل على كنه ذاته حاصل، فيكون من أسماء الذات.

وقال الخطابي: «الجَبَّارُ» الذي جَبَرَ الخَلْقَ على ما أراد من أمره ونهيه، ويقال: جبر السلطان وأجبره بالألف فيكون مأخوذاً من الإكراه، ويقال: هو الذي جبر مفاقر الخَلْق، وكفاهم أسباب المعاش، فيكون مأخوذاً من الإصلاح، ويقال: بل «الجَبَّارُ» العالي فوق خلقه، من قولهم: تجبر النبت إذا علا، فهو سبحانه لا يناله وهو لا يحيط به علم، فكيف أن يتصل به جسم؟ وقيل: «الجَبَّارُ» المُتكبر المُتعظم الذي يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته سبحانه، من قولهم: رجل فيه جبرية وجبروت؛ أي تكبر وعظمة.

قال ابن الحصار: ولما وقع هذا الاسم بين «العزيز» و«المتكبر» عُلِمَ أن المراد به: «ذو الجبروت» وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبْحانَ ذي المُلْكِ والمَلَكُوتِ سُبْحَانَ ذي العِزَّةِ والجَبَروتِ**»[1] فجاء الجبروت في هذا الحديث بعد ذكر «الملك والملكوت والعزة» على نحو ما ورد في ترتيب الأسماء المذكورة في حديث أبي هريرة، ونحو ذلك في آخر سورة الحشر، وهذا الحديث يبيِّنُ لك المراد من الاشتراك العارض في اسمه «الجَبَّار» فمعنى «الجَبَّار»: ذي الجبروت، أي المستعلي المتعاظم. ثم قد ينضاف إلى ذلك حَمْلُ الغيرِ على مُرادِهِ، وإن أدى ذلك إلى دمار الغير وفساده، فيؤول صريحاً على ما يدل عليه «العَزِيزُ» وزيادة تظهر أثرها على أفعاله، ويتضمن كل ما لا يثبت صفة العزة إلا به، وكل ما لا يتم المُلْكُ إلا به.

وقال الفقيه أبو بكر بن العربي: قال علماؤنا: هو «جَبَّار» من الجبرية والجبروت، واتفقوا على أنها ليست بصفة خاصة ترجع إلى معنى زائد على الذات، وإنما ترجع إلى ما قدمنا بيانه من أنه مستحق لصفات التعالي والتعظيم على الوجه الذي لا يستحقه سواه، ولا يثبت لغيره بخلاف القدوسية، وذلك أن الجبرية تنزيه خاص، والقدوسية تنزيه عام، يدخل تحته كل تقديس، فلما كان الوصف بالقدوسية عاماً تردد في النظر أنه معنى، وأنه وصف خاص يشمل أنواعاً من التنزيهات منها «الجَبَّارُ» وغيره، وهو لعمومه وشموله لهذه الوجوه كلها من التنزيه تنزيه.

قال ابن الحصار: وليس هذا الاسم صريحاً في التنزيه، وقد قدمنا أن معنى تَجَبَّرَ من الجبروت [أي] استعلى وجبر غيره على ما يريده، وهو يدل على إثبات وصفه

---

(1) رواه الإمام أحمد (23980) وأبو داود (873) والترمذي في «الشمائل» (306) والطبراني في «الكبير» (113/18). والبيهقي في «السنن الكبرى» (310/2) والبغوي (912) وغيرهم، بإسناد جيد، من طريق عاصم بن حميد، قال: سمعت عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يقول: قمتُ مع رسولِ الله ﷺ فبدأ فاستاك ثم توضأ. ثم قام يُصلي وقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، لا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمرُّ بآية عذاب إلا وقف يتعوذ.
ثم ركع فمكث راكعاً بقدر قيامه يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروتِ والملكوتِ، والكبرياء والعظمة».
ثم قرأ «آل عمران» ثم سورة، ففعل مثل ذلك. لفظ أحمد.

سبحانه [وأثره] في مخلوقاته، وحكايته عن العلماء أن هذا الوصف يرجع إلى صفة التعالي يبين ما قلناه.

قال ابن العربي: للباري سبحانه بهذا الاسم اثنا عشر وصفاً:

الأول: إنه يستغني عن الأتباع فلا يكثر بهم من قلة ولا يستنصر بهم من ذلة كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: 111].

الثاني: إنه لا يعفو عن العقوبة بعد الحجة، وإن كان يجيب المضطر إذا استقال من العثرة.

الثالث: إنه لا يشق عليه البذل، إذا أعطى أعطى من سعة، وإذا منع منع عن حكمة من غير تكلف ولا مؤونة، كما روي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**قال اللّه العظيم: عطائي كلام وإماتتي كلام وإحيائي كلام إنما قولي لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون**»(1).

الرابع: إنه لا يكترث بالناكثين ولا يفرح بالمخلصين، كما روى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال اللّه عز وجل: عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي. عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**»(2).

---

(1) جزء من حديث مطول رواه الإمام أحمد والترمذي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة من حديث عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما؛ بإسناد واهٍ.

(2) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (21477) والبخاري في «الأدب المفرد» (490) ومسلم (2577) والترمذي (2495) وغيرهم من حديث أبي ذر رضي اللّه عنه، عن النبيِّ ﷺ فيما يروي عن اللّه تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرَّماً، فلا تظالموا. يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته. فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كُلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلاَّ من كسوته، فاستكسوني أكسُكُم. يا عبادي، إنَّكم تُخطئون بالليل والنَّهار، وأنا أغفر الذُّنوب جميعاً. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنَّكم لن تبلغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أوَّلكم وآخِرَكم. وإنسكم وجنَّكم. كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ. ما نقص ذلك من مُلكي شيئاً. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكُم وإنسكم وجنَّكم، قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني. فأعطيت كلَّ إنسان=**

مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلاّ كما ينقص المخيط إذا أدخِلَ البحر. يا عبادي، إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثمّ أوفيكم إيّاها. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه» لفظ مسلم.

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في «شرح صحيح مسلم» (8/185-186):

قوله تعالى: «إني حرمت الظلم على نفسي» قال العلماء: معناه تقدستُ عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى كيف يجاوز سبحانه حداً وليس فوقه من يطيعه؟ وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله ملكه وسلطانه؟ وأصل التحريم في اللغة: المنع، فسمى تقدسه عن الظلم تحريماً لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء.

وقوله تعالى: «وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» - هو بفتح التاء - أي لا تتظالموا، والمراد لا يظلم بعضكم بعضاً. وهذا توكيد لقوله تعالى: «يا عبادي» وقوله تعالى: «وجعلته بينكم محرماً» زيادة في تغليظ تحريمه.

قوله تعالى: «كلكم ضال إلا من هديته» قال المازري: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال إلا من هداه الله تعالى، وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد على الفطرة» قال: فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا وهذا الثاني أظهر، وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله وبهدي الله اهتدى وبإرادة الله تعالى ذلك، وأنه سبحانه وتعالى إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون ولم يرد هداية الآخرين ولو أرادها لاهتدوا، خلافاً للمعتزلة في قولهم الفاسد أنه سبحانه وتعالى أراد هداية الجميع جل الله أن يريد ما لا يقع أو يقع ما لا يريد.

قوله تعالى: «ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» المخيط بكسر الميم وفتح الياء هو الإبرة قال العلماء: هذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيء أصلاً، كما قال في الحديث الآخر: «لا يغيضها النفقة» أي لا ينقصها نفقة لأن ما عند الله لا يدخله نقص وإنما يدخل النقص المحدود الفاني وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة، والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه، فإن البحر من أعظم المرئيات عياناً وأكبرها، والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء والله أعلم.

قوله تعالى: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار» الرواية المشهورة تخطئون بضم التاء وروي بفتحها وفتح الطاء يقال: خطئ يخطأ إذا فعل ما يأثم به فهو خاطئ، ومنه قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**﴾ [يوسف: 97] ويقال في الإثم أيضاً أخطأ فهما صحيحان.

الخامس: إنه لا يلتهف على ما كان ولا يتمنى ما لم يكن[1].

السادس: إنه لا يؤثر فيه الكور [يعني الزيادة] والفساد ولا يبلى بالعدم والوجود.

السابع: إنه لا يعارض في الفعل.

الثامن: إنه لا يطالب بالعلة كما قال سبحانه: ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾ [الأنبياء: 23].

التاسع: إنه لا يحجر عليه في إرادة.

العاشر: إنه لا يتوجه إليه الطلب بالإلزام، وإنما هو دعاء وتضرع.

الحادي عشر: إنه لا يجب عليه الفعل.

الثاني عشر: وإن كان لا سبيل إليه فلا بد منه.

قال رحمه الله: المنزلة السفلى للعبد وهي ثلاثة أحوال:

الأول: أن يلزم حال الافتقار لما هو عليه من الافتقار كما روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين**»[2].

الثانية: أن يتدرع ثوب الاستكانة وإن عظمت منه المكانة، كما قال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وكل ذلك عندي**»[3].

الثالثة: أن يستجير عند غلبة الجبابرة بعز سلطانه كما قال النبي ﷺ: «**إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى عبد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري، إن**

---

(1) وقد جاء في حاشية المخطوط: إنه لا يلتهف على ما لم يكن، ولا يتمنى ما لا يكون.

(2) رواه الترمذي في الزهد (2352) بإسناد ضعيف من حديث أنس رضي الله عنه، به.
وفي الباب عند ابن ماجه في الزهد أيضاً (4126) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بلفظ قريب وإسناده ضعيف أيضاً.

(3) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (19738) والبخاري (6398) ومسلم (2719) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير» لفظ مسلم.

لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تحل غضبك بي، أو تنزل سخطك علي، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

فيجب على كل مسلم أن لا يتصف بهذا الاسم ولا يتعاطاه، وإنما حظه الاتصاف بنقيضه وهو التذلل والافتقار للملك الواحد الجبار الذي استعلى على الموجودات وقهرها بعد أن أنشأها وخلقها ولم يزل مستعلياً. فالخالق سبحانه هو رب العزة والجبّار، الذي يبطش بالجبارين، ويُهلكُ من شاء كيف شاء، ويأخذ أخذ العزيز المقتدر، ولا يخاف العقبى، وله الآخرة والأولى، ويستغيث به عند غلبة الجبارين عليه بذل وافتقار، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

● **ومنها:**

26. المُتَكَبِّرُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

جاء في سورة الحشر[2] وفي حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمّة، ولا يجوز أن يوصف به غير الله تعالى باتفاق، بل هو وصف ذم في المخلوق كالجبار، يدل عليه قوله تعالى في الحديث: «**أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[3] وقال عليه السلام: «**لا يدخل الجنة متكبر**»[4] وذكر الكبر عند المعتصم فقال: حظ صاحبه من الله المقت ومن الناس اللعن.

---

(1) ذكره ابن هشام في «سيرة النبي ﷺ» (2/29-30) من حديث محمد بن كعب القرظي، ومن طريقه رواه الطبري في «تاريخه» (2/345) وابن كثير في «البداية والنهاية» (2/136).

(2) وذلك عند قوله تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الآية: 23].

(3) وقد تقدم بتمامه عند اسم «الملك».

(4) رواه الإمام أحمد (3789) ومسلم (91) وأبو داود (4091) والترمذي (1999) وابن ماجه (4173) وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يُحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة: قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» لفظ مسلم.=

فالتجبر والتكبر محرم على كل مخلوق، والمتكبر في اللغة: هو من تكبر واستكبر. ويتكبر تكبراً وكُبُراً بضم الباء وكسرها، وكباراً هو متكبر والكبر. والكبرياء: هو ما يجده المتكبر في نفسه من تعزز وتعاظم واستعلاء واحتقار للغير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ﴾ [غافر: 56].

وقد بين رسول الله ﷺ في غير ما حديث، فروى البزار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بوصية نوح ابنه**» قالوا: بلى، قال: «**أوصى نوح ابنه فقال لابنه: يا بني إني أوصيك باثنين: أوصيك بقول لا إله إلا الله فإنها لو وضعت في كفة ووضعت السماوات والأرض في كفة لرجحت بهن، ولو كانت حلقة لقصمتهن حتى تخلص إلى الله وبقول سبحان الله وبحمده فإنها عبادة الخلق وبها تنقطع أرزاقهم، وأنهاك عن اثنين، عن الشرك والكبر فإنهما الحجابان عن الله عز وجل**». قال: فقيل: يا رسول الله أمن الكبر أن يتخذ الرجل الطعام فيجمع عليه الجماعة أو يلبس القميص النظيف قال: «**ليس ذلك يعني بالكبر إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس**»[1]. وفي صحيح مسلم: «**إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**» ويروى «**وغمص الناس**»[2] بالصاد ومعناه الكبر، كبر من بطر الحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 177] معناه ولكن البر من آمن بالله، والبطر: الطغيان عند النعمة، قال الله تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: 58] أي في معيشتها، والبطر هنا: أن يجعل الحق باطلاً.

وقال أهل اللغة: غمضت الشيء: إذا تحقرته، وغمصته عبته، غمصه يغمصه غمصاً، أي استصغره ولم يره شيئاً، يُقال: غَمَصَ فلانٌ النعمة؛ إذا لم يشكرها،

=ومعنى قوله ﷺ: «بطر الحق» أي دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً.

وقوله ﷺ: «غمط الناس» أي ازدراؤهم واحتقارهم.

(1) رواه البزار في «فاتحة كتاب الأذكار» (3069) باب فضل لا إله إلا الله وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (168/6) وتعقبه بقوله: رواه البزار، وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(2) تقدم تمة من رواية مسلم (91) وغيره.

وغمصت عليه قولاً قاله، أي عبت عليه. ويقال للرجل إذا كان مطعوناً عليه في دينه لمغموص عليه، قاله الجوهري. وغمط النعمة حقرها، وغمط الناس احتقرهم، ومنه قوله الحق لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75] ومعناه أتكلفت الكبر أم كنت مستحقاً له؟

وهذا الاسم يدل على علو قدر الله سبحانه المستحق له وكماله علواً وكمالاً لا يتناهى، ولهذا دخلت فيه «التاء» وسماها من فهم معناه «التاء» الاختصاص، لأن هذا المعنى يختص بالله تعالى وحده، وهي في حق غيره تكلف، وتكسب ما لا يمكن كسبه، فإذا دل هذا الاسم على استحقاق العلو من غير تكلف، فهو يتضمن جميع صفات الكمال والجلال التي تنال مع بُعْدِ الغاية وعدم النهاية، قاله ابن الحصار وهو معنى قول ابن العربي.

قال الخطابي: «المتكبر» هو المتعالي عن صفات الخلق، ويقال هو الذي يتكبر على [عتاة] خلقه إذا نازعوه العظمة، فيقصمهم قصماً. وفي التكبر تاء التفرُّد والتخصيص بالكبر لا [تاء] التعاطي والتكلف، [والكبر] لا يليق بأحد من المخلوقين وإنما سِمَةُ [العبيد] الخشوع والتذلل، وقد روي: «**الكبرياء رداء الله فمن نازعه رداءه قصمه**»[1] وقيل: إن التكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذموم عند الخلق.

قال البيهقي[2]: قوله تعالى: «**الكبرياء ردائي**»[3] يريد صفتي يقال: فلان شعاره الزهد ورداؤه الورع في نعته وصفته، وحكي عن الحليمي في معنى «المتكبر» أنه [المكلم] عباده وحياً على ألسنة الرسل [يعني] في الدنيا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ

---

(1) وقد تقدم من رواية مسلم (2620) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**» النص المذكور أورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: 93-94) والتصويب منه.

(2) في «الأسماء والصفات» (ص: 93) والتصويب منه.

(3) وقد تقدم من رواية أحمد (7382) وغيره بإسناد حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قال الله عزَّ وجلَّ الكبرياء ردائي، والعزة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، ألقه في النار**».

لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 52].

فيجب على كل مكلف أن يعتقد العظمة والكبرياء لله وحده، وأنه لا حَظَّ له من هذا الاسم، إنما حظه: الذلة والاستصغار والذل والافتقار، للمتكبر الجبَّار، وإليه الإشارة بقوله الحق: **﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾** [الأنعام: 43] وفي الحديث الصحيح: «**إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم**» أو كما قال ﷺ: «**تصغر أجسامهم في الحشر حين يضرهم صغرها وتعظم لهم في النار حين يضرهم عظمها**»[1].

وكل ذنب يمكن التستر به وإخفاؤه إلا التكبر فإنه شيء يلزمه الإعفان، وهو أصل العصيان كله فلا تردن حقاً عن صاحب. ولا تنظر إلى أحد بعين استصغار، إياك ومشية الخُيلاء وهي جَرُّ فضل الثياب، وهو الإعطاف بها. فإن أهل الجاهلية كانوا يسحبون أزرهم إذا مشوا كبراً ويجرونها، فكان يفعل ذلك منهم المتكبر والمتجبر، فيكون ذلك علامة لكبره وتجبره، قال زهير:

وقد أغدو على تيه نشاوى ... كرام واجدين لما نشاء

لهم راح وراووق ومسك ... تعل به جلودهم وماء

يجرون البرود وقد تمشت ... دون الكأس فيهم والفتاء

---

(1) رواه البزار (3430) «كشف الأستار» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذرِّ**»، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (18328) وعزاه للبزار وقال: وفيه: من لم أعرفه. - وروى البزار أيضاً (3429)، من حديث جابر رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**يبعث الله يوم القيامة ناساً في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم، فيقال: ما هؤلاء في صور الذر؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا**».

وأورده الهيثمي في «المجمع» (18327) وقال: رواه البزار وفيه: القاسم بن عبد الله العمري، وهو متروك.

وروى الإمام أحمد (6677) والبخاري في «الأدب المفرد» (557) والترمذي (2492) والحميدي (598) وغيرهم، بإسناد حسن، من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبيَّ ﷺ قال: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار...**» الحديث لفظ أحمد. وأما لفظ المصنف فلم أقف عليه. والله المستعان!

وقال طرفة:

أنشد غيل فإذا ما شرفوا وكفوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك يجرون الأرض هداب الأزر

وجانب [الكبر، ومصاحبة أهل النفاق والمتكبرين، وعليك بلين الجانب مع عباد الله المؤمنين واتصف معهم بالتواضع ـ وتخلّق بمحموده ـ إلا من اتصف بالكبر والنفاق، فاشدد عليهم وكُن خشن الجانب معهم][1]. وهو الإغلاظ على أعداء الله قال الله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 72][2] وكذلك المعلنين بالكبائر إذا لم يكن التغير عليهم، وقد قيل: الاتصاف بالتكبر والتجبر غير جائز في الجملة على الكافر والعاصي المؤمن، وإنما ورد الإذن في العِزّ والغِلظَةِ دون التكبر دليله قوله الحق: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: 146] ومن صرف عن الآيات صرف عن الحق.

فإن قيل: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يُشعر بجواز التكبر بالحق؟ قيل له: لا يحق ذلك إلا لله وحده بدليل أن الخطاب مشعر بحق الله وحده، وكل من تكبر على غيره فهو متكبر بغير الحق، لأن التكبر من المخلوقين يستدعي صفة [مَنْ] لا يستنكف ليتصف بغير ما استحق، وذلك من صفات أهل النار كما في صحيح مسلم عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: [**«ألا أُخبركُم بأهلِ الجنّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعَّفٍ لو أقسمَ على اللهِ لأبرّه، ألا أخبركُم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جوّاظٍ مُستكبِرٍ»**[3]].

---

(1) زيادة اقتضاها السياق.

(2) وانظر أخي الكريم ما جاء في قول المصنف ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويلها ــ في «الجامع لأحكام القرآن» (8 / 129-130) بتحقيقنا.

(3) سقط في المخطوط، والاستدراك من صحيح البخاري (4918)، والحديث رواه الإمام أحمد (18753) ومسلم (2853) والترمذي (2650) وابن ماجه (4116) وابن حبان (5679) والطيالسي (1238) وغيرهم.

وروى الإمام أحمد (3789) ومسلم (149/91) وأبو داود (4091) والترمذي (1999) وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»**.ـ

- وفي لفظ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر**» أي لا يدخل الجنة إلا بعد أن يلقى عذابه، وينال جزاءه من الله رب العالمين، نكالاً لتكبره وتعاليه على الحق وليس المقصود أنه لا يدخل الجنة البتة، فإن الله تعالى قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: 48]. وقد يتكرم الله تعالى فيعفو عنه، وذلك من رحمته تعالى بعباده. والله تعالى أعلم.

فائدة: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذه النار المذكورة هنا هي النار المعدّة للكفار، التي لا يخرج منها من دخلها لأنها قد جاءت في أحاديث الشفاعة، أن خلقاً كثيراً ممن في قلبه ذرّات كثيرة من الإيمان يدخلون النار، ثم يخرجون منها بالشفاعة، أو بالقبضة.

ووجه التلفيق، أن النار دركات. كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [النساء: 145] وأهلها في العذاب على مراتب، ودركات، كما قال الله تعالى: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: 46]، وأن نار من يُعذب من الموحدين أخفها عذاباً، وأقربها خروجاً، فمن أُدخل النار مع الموحدين لم يدخل نار الكفار، بل ناراً أخرى يعذبون فيها ثم يخرجون منها، كما جاء في الأحاديث الصحيحة. والله تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف**» قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: الضعيف المتضعف، معناه: يستضعفه الناس، ويحتقرونه، ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا، يقال: تضعفه واستضعفه. قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد يكون الضعف هنا، رقة القلوب ولينها، وإخباتها للإيمان، والمراد أن غالب أهل الجنة هؤلاء، كما أن معظم أهل النار القسم الآخر. وليس المراد الاستيعاب في الطرفين. والله تعالى أعلم.

قوله ﷺ: «**لو أقسم على الله لأبره**» أي لو حلف يميناً طمعاً في كرم الله تعالى بإبراره لأبره. وقيل: لو دعا لأجابه. يُقال: أبررت قسمه وبررته. والأول هو المشهور. قاله الإمام النووي.

قوله ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر**» وعند مسلم بلفظ: «**كل جواظ زنيم متكبر**» أما ـ العتل ـ بضم العين والتاء، فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل. وقيل: الجافي الفظ الغليظ. وأما الجواظ ـ بفتح الجيم ـ وتشديد الواو، فهو الجموع المنوع. وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته. وقيل: القصير البطين. وقيل: الفاخر. وأما الزنيم: فهو الدعي في النسب، الملصق بالقوم وليس منهم.

وأما المتكبر والمستكبر، فهو صاحب الكبر. المتعالي بنفسه عن الحق، المحتقر للناس، كما جاء في الحديث: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**». والله تعالى أعلم. وقد تقدم. «جامع المهلكات من الكبائر والمحرمات» (ص: 413-414).

القسم الخامس

في جماع أبواب ذكر الأسماء التي
تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه

• ومنها:

1.المُدَبِّرُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

قال الحليمي: فأول ذلك[1] «المُدَبِّرُ» ومعناه: مُصرِّفُ الأمور على ما يوجب حسن عواقبها. واشتقاقه من: الدبر، فكأن «المُدَبِّر» هو الذي ينظر إلى دبرِ الأمور فيدخل فيه على علم به. والله جلَّ جلاله عالم بكل ما هو كائن قبل أن يكون، فلا تخفى عليه عواقب الأمور. وهذا الاسم فيما يؤثر عن نبينا ﷺ[2].

قال البيهقي: رويناه في حديث عبد العزيز بن الحصين[3]. يقال منه: دَبَّرَ يُدَبِّرُ تَدْبيراً: إذا نظر في عواقب الأمور وأدبارها. وهذا الوصف في الله تعالى راجع إلى معنى؛ الإرادة والعلم، فإن أدبار الأمور وعواقبها مُرادة لله تعالى، فأولاها كأخراها إذا علم مفتتحها ومنتهاها وكان تدبيره حاصراً لها، فأين ما أوقعها وقعت. فالمُدَبِّرُ على هذا من أوصاف الذات، وإن جعلنا التدبير عبارة عن الترتيب والوضع وتفضيل الموجودات في حال الصنع، كان من صفات الفعلِ وقاله الأقليشي.

وقال الجوهري: دُبر الأمر وَدُبْرهُ: آخره. والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته والتدبير: التفكير فيه.

وقال الهروي في قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ [النازعات: 5] يعني الملائكة تأتي بالتدبير من عند الله [تعالى].

ابن العربي: اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أنها الملائكة تنزل بالأمور المُدَبَّرة المُحْكَمَة من عندِ اللهِ. وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [يونس: 3] اختلف فيه علماؤنا على أربعة أقوال:

---

(1) قوله: فأول ذلك ـ يريد: ذكر الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، حسبما جاء في «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (200/1).

(2) المصدر المذكور (200/1).

(3) «الأسماء والصفات» (ص: 67) بزيادة: وفي الكتاب: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: 3].

الأول: يقضيه. **الثاني**: يؤخره.

الثالث: يأمر به ويمضيه. **الرابع**: ينزله في مراتبه على أحكام عاقبته.

فأما من قال: إن معناه يقضيه فقد تقدم معنى القاضي والقضاء.

وأما من قال: إنه بمعنى يؤخره، فضعيف لا لغة تقتضيه ولا اشتقاق يدل عليه.

وأما من قال: يأمر به فهو بعض التدبير لأن الأمر من التدبير والنهي منه وكل أقسام الكلام ثم علل القول الرابع وقال: العبارة الخالصة المُخلصة أنه القول المنزل للأمور في مراتبه على أحكام عواقبها.

فيجب على كل مُكَلَّفٍ أن يعلم؛ أن لا مُدَبِّرَ على الإطلاقِ إلا الله تعالى وحده، وأنه المُدَبِّرُ لجميع خلقه، والقائم بأمورهم وجميع مصالحهم، وأن كل تدبير منه وبه. ثم يجب عليه أن يُدَبِّرَ أمرهُ ولا يُهمله، فينظر في مصالح نفسه، وأعظمها؛ النظر في نجاتها وذلك بالمحافظة على ما استودعه الله من القيام بالأمر وترك النهي، ويأمر بذلك أهله وولده حتى يقيهم سوء العاقبة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ [التحريم: 6] فمن فعل هذا كان مُدَبِّراً حقاً، وكذلك دبر عيشه في الدنيا فيأكل بقصد. فإنه إذا فعل هذا كان كأنه كُفي مؤونة عيشه، وَتَرَفَّهَ من التعب نصف المعاش الذي كان يحتاج إلى معاناته لو لم يدبر أمره ويقتصد في نفقته. وقد مدح الله أقواماً فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: 67] وفي الحديث: «**التدبير نصف العيش**»[1] وهو يصحح ما قلناه والموفق الإله.

---

(1) جزء من حديث رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (2240) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ موقوفاً عليه ـ قال: التدبير نصف المعيشة، والتودد نصف العقل، والهم نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارين.

وأورده العجلوني في «كشف الخفا» (962) وعزاه للديلمي من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظه. غير أنه قال: ورواه القضاعي ـ في «مسند الشهاب» (54/1) عن علي رضي الله عنه، بلفظ: التدبير نصف العيش. اهـ.

وقال العامري في شرح «الشهاب» (54/1): غريب حسن. وأورده في «فتح الوهاب» (15/1) وضعفه.

• ومنها:

2. القَيُّومُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤُهُ

نطق به القرآن وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمّة. وقيوم وقيام وقائم وقيم كله ورد في حقه سبحانه. ويجوز وصف العبد بأنه قائم وقيم كما قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾ [آل عمران: 75] ولا يجوز قيوم [على العبد] لا مُنكَّراً ولا مُعَرَّفاً. وفي حديث أبي راشد الأزدي لما وَفَدَ على النَّبيِّ ﷺ قال له: «**ما اسمك؟**» قال: عبد العزى أو معاوية فقال: «**بل أنت عبد الرحمن أبو راشد**» قال: «**فمن الذي معك**» قال: مولاي قال: «**ما اسمه؟**» قال: قيوم. قال: «**ولكنه عبد القيوم**» رواه الدارقطني ورواه عبد الغني الحافظ كذلك. ورواه ابن رشدين. قال: «**ما اسم مولاك؟**» قال: القيوم قال: «**بل اسمه عبد القيوم**»[1] و[رواية] الدارقطني وعبد الغني أحفظ وأوثق.

وفيه ثلاث لغات «القيوم» و«القيام» وبه قال عمر بن الخطاب و«القيم» كذلك وهي في مصحف عبد الله بن مسعود وبه[2] قرأ علقمة. فالقيوم وزنه؛ فيعول من قام، أصله؛ قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن قلبت الواو ياء ولو كان وزنه فعولاً لكان قووماً. وأما القَيَّامُ فهو الفيعال أصله؛ القيوام فلما اجتمعت الواو والياء والسابق ساكن شدِّد بعد أن قلبت الواو ياء كما سبق وكذلك قيم أصله قيوم على وزن فيعل فلما اجتمعت الواو والياء وسبق الساكن أبدلوا من الواو ياء وأدغموا فيه الياء التي قبلها فصارت ياء مشددة كما في: سَيِّد ومَيِّت وهَيِّن ولَيِّن وأخواتها قاله سيبويه وغيره.

واختلفت عبارات العلماء في معنى «القيوم» فحكى الطبري عن مجاهد: «القيوم» القائم على كل شيء. قتادة: القائم بتدبير ما خلق. الحسن: القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها. الرابع ابن

---

(1) لم أقف عليه ولا حتى عند الدارقطني!.

(2) وقرأه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، هي على سبيل التأويل فلا تصح الصلاة بها.

خيثم: القائم على كل شيء يكلأه ويرزقه ويحفظه تفضلاً منه فيكون قول الحسن مخرج مخرج الوعيد. والثاني مخرج الامتنان[1] **وقال الشاعر:**

إن ذا العرش للذي يرزق الناس وحيّ عليهم قيوم

وقال الحليمي في معنى القيوم: إنه القائم على كل شيء من خلقه يدبره بما يريد[2]. وعلى هذا يكون من صفات الفعل، وإذا كان القائم والقيوم في وصفه: القائم بنفسه المستغني عن غيره، فهما من أوصاف الذات.

وقال الخطابي: «القيوم» القائم الدائم بلا زوال. وروي هذا القول عن ابن عباس والضحاك. وعلى هذا يكون بمعنى الباقي الدائم.

وقيل: «القيوم» الذي لا تغنيه الدهور بانقلاب الأمور. فعلى هذا يكون بمعنى الثابت القدوس. ويقال: هو القائم على كل نفس بالرعاية لها والمدبر لجميع أمور العالم. فعلى هذا يكون بمعنى: «الحفيظ» و«المدبر» ومنه قول النبي ﷺ في تهجده: «**اللّهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ومن فيهن**» الحديث[3] ويروى «قيم».

---

(1) وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (78/1) «القيوم»: القائم، وهو الدائم الذي لا يزول. وقال الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله الحسنى» (ص105): تقول العرب: قد قام فلان بأمر فلان؛ إذا اعتنقه وتكفل به. قال: والقيوم: فيعول، من قام يقوم، وهو من أوصاف المبالغة في الفعل، وهو من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ [الرعد: 33]، أي يحفظ عليها ويجازيها ويحاسبها.

(2) «المنهاج في شعب الإيمان» (200/1).

(3) الحديث بتمامه رواه الإمام مالك في «موطئه» (500) وأحمد (2710) والبخاري (1120) ومسلم (769) وأبو داود (771) والترمذي (3418) والنسائي (1618) وابن ماجه (1355) والحميدي (495) وعبد الرزاق (2565) وغيرهم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة في جوف الليل: «**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيّام السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وأخرت، وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت**» لفظ مسلم.

وقال الأقليشي: والفرق بين «القيوم» و«القائم» أن؛ القائم هو القائم على خلقه برعايته لهم وحفظه بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33] وقوله: ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18] أي قائم على خلقه. و«القيم» هو الذي يقوم بنفسه ويقوم على كل شيء بقدرته، فلا يحتاج إلى شيء لاكتفائه بنفسه. ويحتاج إليه كل شيء لافتقار المخلوق إلى الخالق. فهذه التفرقة بين «القيوم» و«القائم».

وقال البيهقي: ورأيت في «عيون التفسير» لإسماعيل الضرير ـ رحمه اللّه ـ في تفسير «القيوم» قال: إنه الذي لا ينام وكأنه أخذه من قوله عز وجل عقبه في آية الكرسي: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] قال: السِّنَةُ: النعاس والنوم هو النوم[1]. قال البيهقي: [أخبرنا] محمد بن عبد اللّه الحافظ [ثنا] أبو العباس محمد بن يعقوب عن محمد بن إسحاق الصنعاني [ثنا] عاصم بن علي [ثنا] المسعودي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه أن موسى ـ عليه السلام ـ قال له قومه: أينام ربنا؟ قال: اتقوا اللّه إن كنتم مؤمنين. فأوحى اللّه عزَّ وجلَّ أن: خذ قارورتين فاملأهما ماء فنعس فنام فسقطتا من يده فانكسرتا فأوحى اللّه عز وجل إلى موسى ـ عليه السلام: «**إني أمسك السماوات والأرض أن تزولا ولو نمت لزالتا**»[2].

فيجب على كل مُكَلّف أن يعلم: أن اللّه سبحانه هو القائم على كل مخلوق «القيوم» بمنافعهم وأرزاقهم وحاجاتهم وسد خلاتهم، الحافظ لملكه وإن اتسع، المحصي لأنفاس العباد وآجالهم وأعمالهم إلى غير ذلك. ومن عَرَفَ أن مولاه قيوم بالأمور استراح عن كل التدبير وتعب الاشتغال، وعاش براحة التفويض فلم يضيع بكرمه، ولم يجعل في قلبه للدنيا كبير قيمة. يحكى عن بعضهم أنه قال: من اهتم للرزق فليس له عند

---

(1) «الأسماء والصفات» (ص: 68).

(2) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: 68)، وإسناده لا يصح. عاصم بن علي ـ وهو ابن عاصم بن صهيب الواسطي ـ أبو الحسين ـ صحح حديثه أحمد، وقال عنه ابن معين في رواية: كان ضعيفاً، وفي رواية: ليس بشيء، وفي رواية: ليس بثقة، وفي رواية: واهية، كذاب ابن كذاب... «تهذيب التهذيب» لابن حجر (142/4) ترجمة (3150).

اللّه قدر. وإنما قال ذلك لأنه إذا علم أنه القائم بتدبير الأمور لا ينبغي له أن يهتم بالرزق ولا بغيره ويجب عليه أن يقوم بكل ما كلفه مولاه علماً وعملاً وحفظاً وذكراً وسراً وجهراً.

● ومنها:

3.4 ـ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ
جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤهُ

نطق بهما التنزيل فقال: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: 30] وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 2-3] وقال: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163] وقال: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 1-2] وقال: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117] وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: 43] وجاءا في حديث أبي هريرة وتكررا في غير موضع من القرآن والسُّنّة وأجمعت عليهما الأمّة.

وهما اسمان مشتقان من «الرحمة» ولعظمها كثرت الأقوال فيها وتشعبت. فقال بعضهم: إنه لا يجوز أن يجمع بين «الرحمن والرحيم» إلا اللّه عزَّ وجلَّ وجائز أن يقال: رجل رَحْمن كما قيل: رجل رحيم. وأكثر العلماء على أن «الرَّحْمن» مختص باللّه عزَّ وجلَّ ولا يجوز أن يسمى به غيره ألا تراه قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: 110] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45] فأخبرنا أن الرحمن هو المستحق للعبادة جلَّ وعزَّ[1].

---

(1) قال المصنف ـ رحمه اللّه تعالى ـ في «الجامع لأحكام القرآن» (1/99-102): اختلف العلماء في اشتقاق اسمه الرحمن؛ فقال بعضهم: لا اشتقاق له لأنه من الأسماء المختصة به سبحانه، ولأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لاتّصل بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: اللّه رَحْمن بعباده، كما يقال: رحيم بعباده. وأيضاً لو كان مشتقاً من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم، وقد قال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا=

= **﴿الرَّحْمَنُ﴾** [الفرقان: 60] الآية. ولما كتب عليّ رضي اللّه عنه في صلح الحُدَيْبِيَة بأمر النبي ﷺ: **﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾** قال سُهيل بن عمرو: أما (بسم اللّه الرحمن الرحيم) فما ندري ما **﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾**! ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللَّهُمَّ، الحديث [رواه البخاري (2731ـ 2732)]. قال ابن العربي: إنما جهلوا الصفة دون الموصوف، واستدل على ذلك بقولهم: وما الرحمن؟ ولم يقولوا: ومن الرحمن؟ قال ابن الحصار: وكأنه رحمه اللّه لم يقرأ الآية الأخرى: **﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾** [الرعد: 30]. وذهب الجمهور من الناس إلى أن (الرحمن) مشتق من الرحمة مبني على المبالغة؛ ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، لذلك لا يُثنى ولا يجمع كما يُثنّى **﴿الرحيم﴾** ويُجمع.

قال ابن الحصار: ومما يدل على الاشتقاق ما خرّجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «**قال اللّه عز وجل: أنا الرحمن خلقت الرَّحِم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وَصَلها وَصَلته ومَن قَطَعها قطعته**». وهذا نص في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشقاق، وإنكار العرب له لجهلهم باللّه وبما وجب له.

الثالثة والعشرون: زعم المبرد فيما ذكر ابن الأنباري في كتاب (الزاهر) له: أن (الرحمن) اسم عبرانيّ فجاء معه بـ(الرحيم). وأنشد:

لن تُدرِكوا المجدَ أو تَشْروا عباءَكُم ... بالخزِّ أو تجعلوا اليَنْبُوتَ ضَمْرانا
أو تتركون إلى القَسَّيْنِ هجْرَتكم ... ومَسْحَكم صُلْبَهم رَحمانَ قُربانا

قال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن: وقال أحمد بن يحيى: **﴿الرحيم﴾** عربيّ و**﴿الرحمان﴾** عبرانيّ، فلهذا جمع بينهما. وهذا القول مرغوب عنه.

وقال أبو العباس: النعت قد يقع للمدح؛ كما تقول: قال جرير الشاعر: وروى مُطَرِّف عن قتادة في قول اللّه عزّ وجلّ: **﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾** قال: مدح نفسه. قال أبو إسحاق: وهذا قولٌ حَسَن. وقال قُطْرُب: يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد. قال أبو إسحاق: وهذا قولٌ حَسَن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب، ويستغنى عن الاستشهاد؛ والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد: إنه تفضّل بعد تفضّل، وإنعامٌ بعد إنعام، وتقويةٌ لمطامع الراغبين، ووعدٌ لا يخيب آمله.

الرابعة والعشرون: واختلفوا هل هما بمعنىً واحد أو بمعنيين؟ فقيل: هما بمعنىً واحد؛ كندمان ونديم. قاله أبو عبيدة. قيل: ليس بناء فَعلان كفَعيل، فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل؛ نحو قولك: رجل غضبان، للممتلئ غضباً. وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول. قال عَمَلّس:=

- فأما إذا عَضّت بك الحربُ عضّةً   فإنك معطوف عليك رَحيمُ

فـ(الرحمن) خاصُّ الاسم عام الفعل. و(الرحيم) عام الاسم خاصُّ الفعل. هذا قول الجمهور. قال أبو عليّ الفارسيّ: (الرحمن) اسم عامّ في جميع أنواع الرحمن، يختص به اللّه. و(الرحيم) إنما هو في جهة المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: 43]. وقال العرزميّ: (الرحمن) بجميع خلقه في الأمطار ونِعَم الحواس والنِّعم العامة، و(الرحيم) بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم. وقال ابن المبارك: (الرحمن) إذا سُئل أعطى، و(الرحيم) إذا لم يُسأل غَضِب. وروى ابن ماجه في سُنَنه والترمذيّ في جامعه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَن لم يسألِ اللّه يغضب عليه» لفظ الترمذي. وقال ابن ماجه: «مَن لم يَدْعُ اللّهَ سبحانه غضِب عليه». وقال: سألت أبا زرعة عن أبي صالح هذا، فقال: هو الذي يقال له: الفارسيّ وهو خُوزِيّ ولا أعرف اسمه. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

اللّه يَغْضب إن تركتَ سؤاله   وبنيّ آدم حين يُسأل يغضب

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرقّ من الآخر، أي أكثر رحمة.

قال الخطابيّ: وهذا مشكل؛ لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات اللّه تعالى. وقال الحسين بن الفضل البَجَلي: هذا وَهَم من الراوي، لأن الرقة ليست من صفات اللّه تعالى في شيء، وإنما هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر، والرفق من صفات اللّه عز وجل؛ قال النبيّ ﷺ: «إن اللّه رفيق يُحب الرفق ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف».

الخامسة والعشرون: أكثر العلماء على أن ﴿الرحمن﴾ مختص باللّه عزّ وجلّ، لا يجوز أن يُسَمَّى به غيره، ألا تراه قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: 110] فعادل الاسم الذي لا يَشركه فيه غيره. وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45] فأخبر أن ﴿الرحمن﴾ هو المستحق للعبادة جلّ وعزّ. وقد تجاسر مُسَيْلِمة الكذاب ـ لعنه اللّه ـ فتسمى برحمان اليمامة، ولم يتسمّ به حتى قَرع مسامِعَه نَعْتُ الكذاب فألزمه اللّه تعالى نَعْت الكذاب لذلك، وإن كان كلّ كافرٍ كاذباً، فقد صار هذا الوصف لمُسَيْلِمة عَلَماً يُعرف به، ألزمه اللّه إياه. وقد قيل في اسمه الرحمن: إنه اسم اللّه الأعظم؛ ذكره ابن العربي.

قال: ﴿الرحيم﴾ صفة مطلقة للمخلوقين، ولما في ﴿الرحمن﴾ من العموم قدّم في كلامنا على (الرحيم) مع موافقة التنزيل؛ قاله المهدوي. وقيل: إن معنى ﴿الرحيم﴾ أي بالرحيم وصلتم إلى اللّه وإلى الرحمن، فـ﴿الرحيم﴾ نعت محمد ﷺ، وقد نعته تعالى بذلك فقال: -

وأيضاً لما كان معنى «الرحمن» استغراق الخلق بالرحمة على ما يأتي بيانه لم يكن لتمام معناه وجود في الخلق، فلم يجر بحق على أحد منهم وإنما يوجد فيهم حظ خاص من معناه يجري عليهم به اسم «الرحيم» لا اسم «الرحمن» فلذلك لحق اسم «الرحمن» في معنى استغراقه باسم «اللّه» في ذات إحاطته فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ وقد قيل في اسمه «الرحمن» أنه اسم اللّه الأعظم ذكره ابن العربي.

قال ابن الحصار: والمعتمد في الباب الإجماع من العلماء على أنه لا يجوز أن يوصف بهذا الوصف ولا يتسمى بهذا الاسم إلا اللّه سبحانه وقد تجاسر مسيلمة الكذاب فتسمى برحمان اليمامة. قلت: وفيه يقول الشاعر:

وجوه يومئذ ناظرات إلى الرحمن يأتي بالخلاص

أي منتظرة وليس من النظر في شيء.

قال ابن الحصار: وألزمه اللّه نعت الكذب وقد علمنا أن كل كافر كذاب ولكن قد صار هذا الوصف لمسيلمة علماً يُعْرَفُ به ألزمه اللّه إياه لما وصف نفسه برحمان اليمامة وقد كان نقمة على أهل اليمامة وسبب دمارها وهلاك من أطاعه بها، مع ما ينقلبون إليه ولم يتسم به ـ لعنه اللّه ـ حتى قعر سمعه. وأما «رحيم» فقد يوصف العبد بمنظومه إذا اتصف بمفهومه وأحق من وصف به رسول اللّه ﷺ قال اللّه العظيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وقد وصف اللّه تعالى نفسه بأنه «أرحم الراحمين» وذلك يدل على المشاركة في هذا الوصف والإذن في إجرائه على العبد. والراحمون: جمع راحم ورحيم بمعنى واحد

ـ ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] فكأن المعنى أن يقول بسم اللّه الرحمن وبالرحيم، أي وبمحمد ﷺ وصلتم إليّ، أي باتباعه وبما جاء به وصلتم إلى ثوابي وكرامتي والنظر إلى وجهي؛ واللّه أعلم.

السابعة والعشرون: رُوي عن عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه أنه قال في قوله: ﴿بسم اللّه﴾: إنه شفاء من كل داء، وعَوْنٌ على كل دواء. وأما ﴿الرحمن﴾، فهو عَوْنٌ لكلّ مَن آمن به، وهو اسم لم يُسَمَّ به غيره. وأما ﴿الرحيم﴾، فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً. انتهى مختصراً.

وانظر أخي الكريم تعليقنا عليه في حاشيته.

ومتقاربان، كعالم وعليم. فوقعت المشاركة في هذا البناء لأن «أفعل» مؤذن بالمشاركة ولا يصح وقوع المشاركة في «رحمان» لأنه لا يثنى ولا يجمع وقد أنكر بعض الناس اشتقاق «الرحمن» لاختصاص اللّه تعالى به كسائر الأسماء المختصة به، ولأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم فجاز أن يقال: اللّه الرحمان بعباده كما يقال: رحيم بعباده، ولأنه لو كان مشتقاً من «الرحمة» لم تنكره العرب حين سمعوه إذ كانوا لا ينكرون رحمة بهم، وقد قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [الفرقان: 60].

قلت: ومما يدل على عدم الاشتقاق ما ذكره ابن الأنباري في كتاب «الزاهر» له عن المبرد أنه اسم عبراني بجامعه بالرحيم العربي وأنشد لجرير:

لَنْ تُدْرِكُوا المَجْدَ أَوْ تَشْرُوا عَبَاءَتَكُم بالخَزِّ أو تَجْعَلُوا اليَنْبُوتَ ضَمْرَانَا
أَوْ تَتْرُكُونَ إلى القَسَّيْنِ هِجْرَتَكُم وَمَسْحَكُم صُلْبَهُم رَحْمانَ قُرْبَانَا[1]

وحكاه [ابن] العربي عن ثعلب [وقال:] إنما جمع بينهما لأن الرحمن عبراني الأصل فجامعه الرحيم العربي الأصل.

قال ابن العربي: وجهه أن العرب لم تعلمه حين قالت: وما الرحمن[2]؟ وذهب الجمهور من الناس؛ إلى أنه مشتق من الرحمة مبني على المبالغة ومعناه: ذو الرحمة لا نظير له فيها ولذلك لا يثنى ولا يجمع كما يثنى «الرحيم» ويجمع. وبناء فعلان في كلامهم بناء المبالغة يقال لشديد الامتلاء: ملآن، ولشديد الشبع: شبعان. وقد روى عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «**قال اللّه عزَّ وجلَّ: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**» خرجه الترمذي[3] وصححه.

---

(1) قائله جرير. والينبوت: ضرب من الشجر.

(2) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [الفرقان: 60].

(3) في البر والصلة (1907) ورواه الإمام أحمد (1681) والبخاري في «الأدب المفرد» (53) وأبو داود (1694) وابن حبان (443) وعبد الرزاق (20234) والحاكم (7268) والبغوي (3432) وغيرهم. وهو حديث صحيح.=

وقال ابن الحصار: فقد دل هذا الحديث الصحيح على الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق، وإنكار العرب له لجهلهم بالله تعالى وبما وجب له. قال ابن الحصار: وزعم ابن العربي أنهم إنما جهلوا الصفة دون الموصوف واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ ولم يقولوا: ومن الرحمن.

قال ابن الحصار: وكأنه ـ رحمه الله ـ لم يقرأ الآية الأخرى ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: 30] «فالرحمن والرحيم» اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة قد تكون ذاتية لله تعالى ترجع إلى إرادة فيض الخير عموماً أو خصوصاً، فيكون «الرحمن والرحيم» من صفات الذات. وقد تكون نفس الفيض والإنعام فيكونان من صفات الأفعال، وإلى الرحمة الفعلية أشار بقوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: 8] إذ الصفة الذاتية لا توهب وبقوله عليه السلام [إخباراً عن رب العزة]: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»[1] إذا أردت الرحمة إلى إرادة الإنعام، والغضب إلى إرادة الانتقام، ولا يسبق أحدهما الآخر لأنهما راجعان إلى نفس الإرادة، وليس في الإرادة تقدم ولا تأخر فلا بد أن يكون التقدير: سبقت رحمتي غضبي في الوجود، والإبداع أن يكون السبق هنا بمعنى: الغلبة فتكون الرحمة أوسع من الغضب وكذا ورد في الحديث: «تغلب غضبي»[2].

= ورواه الإمام أحمد (6831) والبخاري (5991) وأبو داود (1697) والترمذي (1908) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**إن الرَّحم شُجْنَةٌ من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**».

فائدة: قال ابن أبي جمرة: الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه وإنما خاطب الناس بما يفهمون، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى. عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده. قال: وكذا القول في القطع، هو كناية عن حرمان الإحسان.

(1) الحديث بتمامه رواه البخاري (7453) ومسلم (2751) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً عنده: غلبت ـ أو قال ـ سبقت رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش**» لفظ البخاري. وانظر أخي الكريم رواياته في كتابنا «الأحاديث القدسية من الصحيحين».

(2) الحديث بتمامه ولفظه رواه البخاري (3194) ومسلم (2751) واللفظ له من حديث=

قلت: وإذا تقرر هذا وعلمته فاعلم؛ أن وصفه نفسه جلَّ جَلاَلُهُ وتقدست أسماؤه بأنه «الرحمن الرحيم» بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأنه لما كان في اتصافه برب العالمين ترهيب، قرنه «بالرحمن الرحيم» لما تضمنه من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع من معصيته. ومن قوله الحق: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50] وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: 3] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «لو يعلَمُ المُؤمنُ ما عند اللّهِ من العُقُوبةِ ما طَمِعَ بَجَنَّتِهِ أحدٌ ولو يعلمُ الكافِرُ ما عند اللّه من الرَّحمةِ ما قَنَطَ من جَنَّتِهِ أحدٌ»(1). واختلف هل هما بمعنى واحد أم لا؟ فقيل: هما بمعنى واحد وقد تجمع العرب بين لفظين مشتقين من أصل واحد وإن كان المعنى واحداً كقول الشاعر:

وإن أدن منه ينأ عني ويبعد

وكذلك قال أبو عبيدة معمر بن المثنى هما بمعنى واحد، كندمان ونديم، من المنادمة وكلاهما للمبالغة وأنشد:

وندمانٍ يزيد الكأس طيباً | سقيت وقد تغوَّرت النجوم

وقال آخر:

رب ندمان كريم جده | ماجد الجدين من فرعي مضر
قد سقيت الخمر حتى هرها | وتغشته سمادير السكر

يقال: هر الكأس والحرب إذا كرهها ومنه قول عنترة:

حتى تهر العواليا

والسمادير ضعف البصر عند السكر، وغشي النعاس والدوار.

- أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لما خلق اللّه الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي».

(1) رواه الإمام مالك في «موطئه» (568) والبخاري (3481) وأحمد (11664) والنسائي (2078) وابن ماجه (4255) والبغوي (4183).

وقال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ:

لا أخدش الخدش بالجليس ولا يخشى نديمي إذا انتشيت يدي

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المغرد الغرد

وقال ابن العربي: إنما جمع بينهما لأن الرحمن عبراني الأصل. والصحيح: أنهما بمعنى واحد للتأكيد، كندمان ونديم.

قلت: وقد قيل لي: بناء فعلان كفعيل فإنه لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك: رجل غضبان للممتلئ غضباً وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل. قال الجوهري: و«الرحيم» قد يكون بمعنى المرحوم، كما يكون بمعنى الراحم. قال عملس بن عقيل:

فأما إذا عضت بك الحرب عضة فإنك معطوف عليك رحيم

«فالرحمن» أبلغ من «الرحيم» في اللسان فتكون الإشارة إلى الاسم المشتق من الرحمة الذاتية، ومن «الرحيم» إلى المشتق من الصفات الفعلية، ويكون في تكرارهما فائدة جليلة وهذا أجلى ما يقال فيهما قاله الأقليشي.

وقال الخطابي: «الرحمن» ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، وعمت الجميع المؤمن والكافر. وأما «الرحيم» فخاص للمؤمنين كما قال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: 43] قال: و«الرحيم» وزنه: فعيل بمعنى فاعل، أي راحم. وقيل: «الرحمن» بجميع خلقه في الأقطار ونعم الحواس والنعم العامة، و«الرحيم» بالمؤمنين في الهداية لهم والعطف بهم. وقيل: «الرحمن» في الدنيا و«الرحيم» في الآخرة. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: «الرحمن» ذو الرحمة و«الرحيم» هو الراحم.

قال ابن الحصار: يشير والله أعلم إلى أن «الرحمن» صفة الخالق سبحانه و«الرحيم» يدل على أفعاله التي بها يرحم عباده، و لله دَرّهُ في هذا القول وقول ابن عباس هما اسمان رفيقان أحدهما أرق من الآخر ولم يعين الأرق [بشيء] ـ والله أعلم ـ لأنهما يدلان على صفتين للخالق سبحانه. وروي عن الحسن أن «الرحيم» أرق.

قال الخطابي[1]: وهذا مُشْكِلٌ لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات اللّه تعالى ومعنى الرقيق هنا: «اللطيف» يقال: أحدهما ألطف من الآخر ومعنى اللطيف في هذا الغموض دون الصغر، هو نعت الأجسام. وقال الحسين بن الفضل الجبلي: [هذا] وهم من الراوي؛ لأن الرقة ليست من صفات اللّه تعالى في شيء، وإنما هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر والرفق من صفات اللّه تعالى. قال النبي ﷺ: «**إن اللّه رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[2].

قال الخطابي: وقوله: «إن اللّه رفيق» معناه ليس بعجول فإنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها وأما قوله: «يحب الرفق» أي يحب ترك العجلة في الأعمال والأمور.

قال البيهقي[3]: سمعت أبا القاسم محمد بن حبيب المفسر ـ رحمه اللّه ـ يحكي عن عبد الرحمن بن يحيى أنه قال: «الرحمن» خاص في التسمية عام في الفعل و«الرحيم» عام في التسمية خاص في الفعل.

قلت: وبهذا المعنى فسر ابن العربي قول ابن عباس أن: أحدهما أرق من الآخر. فمعناه عنده أمران: أحدهما ـ أن «الرحمن» عام في الدنيا والآخرة، والمنافع والثواب. وأن «الرحيم» مختص بالثواب والعفو. فصار «الرحمن» خاصاً في اللفظ لاختصاصه بالباري عاماً في المعنى. وصار «الرحيم» عاماً في اللفظ لجواز تسمية غير اللّه به خاصاً في المعنى للمؤمنين في العفو والثواب.

الثاني: إن تقدير «رحمن» كعطشان إذا كان في تلك الساعة على تلك الحال وإن لم يكن دائماً. ووزن «رحيم» كقولك: كريم وهو نعت دائم. فكان الدائم أرق من الموقت ومن هذا المعنى قول الحسن فإنه جعل «الرحيم» أرق لأنه خاص بالعفو عن

---

(1) «الأسماء والصفات» (ص: 71).

(2) رواه مسلم (2593) وابن حبان (552) والبغوي (3492) وغيرهم من حديث السيدة عائشة رضي اللّه عنها؛ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يا عائشة إن اللّه رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**». لفظ مسلم.

(3) في «الأسماء والصفات» (ص: 72).

الذنوب وتكثير الثواب الذي هو المرء إليه أحوج وله أنفع. وعن ابن عباس في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65] قال: لم يسم أحد «الرحمن» غيره ذكره الخطابي.

وقال ابن المبارك: «الرحمن» الذي إذا سئل أعطى و«الرحيم» الذي إذا لم يسأل غضب وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يدع الله غضب عليه**» خرجه ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه ولفظه «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[1] وأخذ بعض الشعراء فقال:

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضب

«فالرحمن» يدل على صفته العامة المختصة به جل جلاله، ويستحيل أن توجد لغيره إذ لا يوجد مخلوق تعم رحمته جميع المخلوقين من أوليائه وأعدائه. و«الرحيم» وصف يدل على الفعل الذي قد تقع المشاركة فيه ولذلك وصف نفسه بأنه خير الراحمين، وأرحم الراحمين. كما قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 18] وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64] وقال لعبده ونبيه عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110] فلما وقعت المشاركة فيه قال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] كما قال: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64] و﴿خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118] وقد تقدم هذا المعنى.

وهذان الاسمان يدلان على أنه سبحانه؛ راحم وأن له رحمة ومرحوم، فيوصف سبحانه بأنه «رحمن» بصفته الخاصة به. ويوصف بأنه «رحيم» بفعله الذي يرحم به من يشاء، فمن حيث الصفة يتضمن الحياة، إذ الرحمة صفة لا يصح أن يتصف بها من ليس بحي، ويتضمن العلم إذ لا يصح أن يرحم إلا من يعلم، ويتضمن الإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، فإن من رحمته أن يجيب المُضطرَّ إذا دعاه. ويتضمن اللطف إلى غير ذلك. ومن حيث تدل على الفعل يتضمن كل صفة لا يتم الفعل إلا بها.

---

(1) رواه الترمذي (3373) في الدعوات باب (2). وابن ماجه في فاتحة كتاب الدعاء (3827)، وإسناده ضعيف.

وقد اختلف الناس هل يوصف الكافر بأنه مرحوم في الدنيا أم لا؟ وإذا كانت نعم الله تترى عليه في الدنيا، فلا يبعد أن يسمى مرحوماً في الحال وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فعمّ ولأنا نشاهد لطفه ورفقه ورحمته بالمولود الكافر، كرفقته بالمولود المؤمن، وأنه سخر السماوات السبع والأرض للجميع وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: 42] وكلاءته عامة للجميع، فهو رحمن الجميع على ما تقتضيه الآية وقد يحتج القول الآخر بقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41] إلى قوله: ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾ [يس: 44] فالرحمة للمؤمنين والمتاع للكافرين والآية محتملة، والأظهر أنها رحمة ومتاع للجميع. وفي القرآن آيات عديدة لكل فريق منها متعلق، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: 42] يقضي على الجميع ومع الاختلاف في أهل التكليف، فلا ينبغي أن يختلف في الولدان من الفريقين وقوله ـ عليه السلام ـ في أولاد المشركين: «هم من آبائهم» إنما ذلك عند الضرورة في الحرب، وكذلك بيعهم واسترقاقهم على حكم التبعية.

وإذا تقرر هذا فاعلم أن لفظ «الرحمن» معناه عند العرب الرقة والتعطف و«الرحمة» مثله، وقد: رحمته وترحمت عليه وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً، والرحموت من الرحمة يقال: رهبوت خير من رحموت، أي: لأن ترهب خير من أن تُرحم. ورجل مرحوم ومرحّم شُدّدَ للمبالغة، والرُحم بالضم: الرحمة قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ [الكهف: 81] وقد حركه زهير وقرئ به فقال:

ومن ضريبته التقوى ويعصمه   من سيئ العثرات الله والرحم

وهو مثل عسْر وعسُر عن الجوهري.

قال ابن الحصار: ولفظ الرحمة تطلق على صفة الخالق سبحانه وقد يطلق على أثرها من أفعاله التي يرحم بها العباد، وقد تطلق على كلامه الحق، وتطلق على الرسالة والحكمة والعلم. فأما تسمية صفته «رحمة» فيدل عليه قول الحق: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156] فإذا أضاف الرحمة إلى نفسه، فهي صفة من صفاته كعلمه وقدرته وكلامه وسمعه وبصره، ودل على ذلك قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ

رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [غافر: 7] فقرنت رحمته بعلمه في سعة كل شيء، ولا يصح ذلك في فعل أن يسع كل شيء. وأما إطلاق الرحمة على الأفعال التي يرحم الله بها عباده فأكثر من أن تحصى من ذلك قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 50] وقوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73] وقال: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: 28] وقال: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: 21] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال تعالى: ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية [الزمر: 53] وقال عزَّ وجل: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56] ومنه قول يعقوب: ﴿وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: 87] الآية وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: 23] فأخبر عمن يئس من رحمته أن لهم عذاباً أليماً، وأخبر أنه يقبل توبة العاصين فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ [طه: 82] وقد قبل توبة الرجل الذي قتل مائة نفس ورحمه وغفر له برجوعه إليه كما أخبر ﷺ وسيأتي.

ويعلم أيضاً أنه متعبد بأن يرحم وبأن يكون راحماً ورحيماً، وقد خرج الترمذي من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللَّهُ»[1] وفي حديث أبي هريرة قال: أبصر الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل الحسن والحسين فقال: إن لي من الولد عشرة ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرحم»[2] قال فيه الترمذي، وفي الذي قبله: حديث صحيح حسن.

---

(1) رواه الإمام أحمد (19224) والبخاري (6013) ومسلم (2319) والترمذي (1922) والحميدي (802) وابن حبان (665) والطبراني في «الكبير» (2238) والبغوي (3449) وغيرهم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وليس من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما أشار المصنف ـ رحمه الله تعالى.

(2) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (7124) والبخاري (5997) ومسلم (2318) وأبو داود (5218) والترمذي (1911) والحميدي (1106) والبغوي (3446)، وغيرهم.

وخرج البخاري ومسلم [من حديث السيدة] عائشة قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبي ﷺ: **«أفأملك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»**(1) فينبغي إن كانت لك همة أن ترحم نفسك وغيرك وفي الحديث: **«ارْحَمُوا من في الأرضِ يَرْحَمْكُم مَنْ في السَّماءِ»**(2).

فندب ﷺ إلى الرحمة والعطف على جميع خلق الله تعالى من جميع [الطرق] وعلى اختلاف أنواعها في غير حديث، وأشرفها الآدمي، وإن كان كافراً وقد مدح الله أقواماً فقال: **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾** [الإنسان: 8] فكن رحيماً لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك [وكف سوطك] فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم بخلقه وقد دخلت البغي الجنة بسقيها كلباً(3).

فمن كثرت منه الشفقة على خلقه والرحمة على عباده، رحمه الله برحمته، وأدخله دار كرامته، ووقاه عذاب قبره، وهول موقفه، وأظله بظله إذ كل ذلك من رحمته.

ولا تدل بعملك وكثرته وإخلاصك فيه فتتكل عليه دون رحمته(4)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«ما من أحد يدخله عمله الجنة»** فقيل: ولا

---

(1) رواه الإمام أحمد (24345) والبخاري (5998) ومسلم (2317) وابن ماجه (3665) والبغوي (3447) وابن حبان (5595).

(2) الحديث بتمامه رواه أبو داود (4941) والترمذي (1924) وابن حبان (462) وغيرهم، بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرضِ يرحمكم من في السماءِ، الرحمُ شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله»** لفظ الترمذي.

(3) الحديث بتمامه رواه البخاري في بدء الخلق (3321) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«غُفِرَ لامرأة مومسةٍ مرَّتْ بكلبٍ على رأس ركي يلهث»** قال: **«كاد يقتله العطش، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فَغُفِرَ لها بذلك»**.

والركي: البئر القريبة القعر. والمومس: المرأة البغي. وسياق اللفظ يوحي بأن المرأة كانت من بغايا بني إسرائيل. والله تعالى أعلم.

(4) جاء في أصل المخطوط: فإنه روي في الخبر عن جابر بن عبد الله قال: خرج إلينا رسول =

أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**» ومن رحمتك لنفسك أن تطلب النجاة من النار والفوز بالجنة بتقوى الله وحفظ حدوده والعمل بما يرضاه.

وَخَرَّجَ البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تعالى الخَلْقَ كَتَبَ فِي كتابٍ فهو عندهُ فوق العرشِ إنَّ رحمتي تغلِبُ غضبي**»[1] ويدل على هذا المعنى قوله الحق: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 12] وخَرَّجَ مسلم عن أبي

-الله ﷺ فقال: «خرج من عندي خليلي جبريل فقال: يا محمد والذي بعثك بالحق إن لله تعالى لعبداً من عباده عبد الله خمس مائة سنة على رأس جبل في البحر وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عيناً عذبة بعرض الأصبع تبضّ بماء عذب فيستنقع في أسفل ذلك الجبل وشجرة رمان تخرج في كل ليلة رمانة تغذيه يوماً فإذا أمسى نزل وأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل الأرض ولا لشيء يفسده عليه [سبيلاً] حتى يبعثه الله ففعل فنحن نمر به إذا هبطنا وإذا عرجنا ونجده في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تبارك وتعالى فيقول الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول: بل بعملي يا رب فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ثلاثاً. فيقول: بل بعملي يا رب فيقول للملائكة: قايسوا [عمل] عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمس مائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلاً عليه فيقول: أدخلوا عبدي النار فينادي ربي برحمتك أدخلني الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول: يا عبدي من خلقك ولم تكن شيئاً؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: أكان ذلك من قبلك أم برحمتي؟ فيقول: بل برحمتك فيقول: من قواك لعبادتي خمس مائة سنة؟ فيقول: أنت يا رب فيقول: من أنزلك في جبل في وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج الشجرة مرة في السنة، وسألتني أن أقبضك ساجداً ففعلت ذلك بك؟ فيقول: أنت يا رب فيقول: فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة، أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فنعم العبد كنت يا عبدي [فدخلها] برحمة الله. ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم أبو عبد الله في «نوادر الأصول» (94/1) في الأصل السابع «عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ مثله».

أقول: وقد وضعته في الهامش بسبب عدم صحته، ولما فيه من بعد عن الحق. ورحم الله تعالى المصنف - لسرده مثل هذه الأحاديث في كتبه.

(1) تقدم في أول الباب من رواية البخاري (3194) ومسلم (2751) وغيرهما.

هريرة قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**جعل اللّهُ الرَّحمة مائة جُزءٍ فأمسك عنده تسعةً وتسعين وأنزل في الأرض جُزءاً واحِداً فَمِنْ ذلك الجُزءِ تتراحَم الخلائقُ حتّى ترفع الدَّابة حَافِرهَا عن ولدها خشية أن تُصيبهُ**»[1] وفي لفظ آخر: «**خلق اللّهُ مائة رحمةٍ فوضع منها واحدةً بين خلقه، [وخبأ عندهُ مائةً إلاّ واحدةً]**». في رواية: «**إنَّ للّه مائة رحمةٍ أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم**» الحديث[2] وفي حديث آخر عن سلمان قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إنَّ اللّه خلق يوم خلق السَّماواتِ والأرضِ مائةَ رحمةٍ [كُلُّ رَحْمةٍ طِبَاقُ] مَا بَيْنَ السَّماءِ والأرض فجعل منها في الأرض رحمةً فَبِها تعطفُ الوالدة على ولدها والوحش والطَّيرُ بعضُها على بعضٍ فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرَّحمة**»[3] في غير مسلم «**وَرَحِمَ بها عبادهُ المؤمنين**».

فبيّنَ في هذه الأحاديث: أن الذي يخلقه سبحانه في قلوب عباده رحمة واحدة يتراحمون بها، وسيخلق يوم القيامة مثل ذلك مائة رحمة في قلوب المؤمنين عند الشفاعة، وعند الشدائد وأهوال القيامة. فبتلك الرحمات تشفع الملائكة والرسل والنبيون، ويتغافر المؤمنون ويعفو بعضهم عن بعض. فبيّن في الآي والأحاديث أن من أفعاله سبحانه ما يسمى «رحمة» وأن الرحمة قد تكون فعلاً من أفعاله قال الأقليشي.

وأما رحمته الذاتية فواحدة، ورحماته المبتدعات متعددة كما قال ـ عليه السلام ـ: «مائة» ففي الأرض منها واحدة يقع بها الارتباط بين الأنواع وبها يكون حنين الطباع

---

(1) الحديث بطرقه وألفاظه رواه الإمام أحمد (9615) ومسلم (2752/17/18/19) وابن ماجه (4293) وابن حبان (6147) والبغوي (4179).
وبلفظ قريب رواه الإمام أحمد (8223) والبخاري (6000) في «صحيحه» وفي «الأدب المفرد» (100) والترمذي (4541) والدارمي (2785) والطبراني في «الأوسط» (995) والبغوي (4180).

(2) وتمامه: «**... والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها. وأخّر اللّه تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة**».

(3) رواه الإمام أحمد (23781) ومسلم (2753) والطبراني في «الكبير» (6126) و(6144) وابن حبان (6146).

والميل بين الجن والإنس والبهائم، كل شكل إلى كله. والتسع والتسعون حظ الإنسان يوم القيامة تتصل بهذه الرحمة فتكمل مائة فيصعد بها في درج الجنة حتى يرى ذات الرحيم سبحانه، ويشاهد رحمته الذاتية، فإذا الوجود كله وإن كان من رحمة اللّه، فابن آدم إذا نال رحمة اللّه أخذ من كل رحمة بنصيب حتى ينظر إلى وجه الرحيم القريب.

قال ابن الحصار: وأما إطلاق هذا اللفظ على كلام اللّه تعالى ورسالته والعلم والحكمة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89] وقال: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف: 12] وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام قال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً﴾ [هود: 28][1].

• ومنها:

5. الخَبيرُ[2]

جلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُهُ

تكرر في القرآن، وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة. ولا خلاف في إجرائه على العبد، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: 31].

قال الحليمي: ومعناه المتحقق لما يعلم كالمستيقن من العباد إذ كان الشك غير جائز عليه فإن الشك ينزع إلى الجهل وحاشا له من الجهل، ومعنى ذلك أن العبد قد يوصف بعلم الشيء إذا كان ذلك مما يوجبه أكثر رأيه ولا سبيل له إلى أكثر منه، وإن كان يجيز الخطأ على نفسه فيه، واللّه جل ثناؤه لا يوصف بمثل ذلك، إذ كان العجز

(1) إلى هنا وصل الكلام في المخطوط بالنسبة لاسم الرحمن الرحيم، وقد سقط منه أول اسم «الخبير».

(2) بداية ليست موجودة في أصل المخطوط ـ وقد استكملناها حسب سياق المصنف علماً أن كل ما بين ـ [ ] ـ معترضتين ليست من أصل المخطوط بل هي اجتهاد من قبل أنفسنا. نرجو اللّه أن نكون قد وفقنا لذلك.

غير جائز عليه، والإنسان إنما يؤتى فيما يوصف من قبل القصور والعجز[1].

[فينبغي على العبد أن يعلم أن صفة «الخبير» العالم بكل شيءٍ هي صفة فعلية تختص بالله تعالى على][2] الكمال وإنه سبحانه لم يزل خبيراً بمعلوماته من قبل أن يعلمها العلماء وأنه المنفرد بذلك وأن يكون خبيراً بما يجري في عالمه جوارحه وقلبه وبالخفايا التي يتصف بها القلب من الغش والخيانة والتطول حول العاجلة وإضمار الشر وإظهار الخير والتجمل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس لا يعرفه إلا ذو خبرة بالغة قد جرب نفسه ومآربها وعرف مكرها وتلبيسها وخُدَعها فحاذرها وتشمر لمعاداتها وأخذ الحذر منها لذلك العبد جدير بأن يسمى خبيراً ثم إذا علم أن الله سبحانه مختبره فعليه الجزم عند مواقع الامتحان وإظهار التجلد والصبر والمحافظة على الوفاء بالعهد. قلت: ثم عليه أن يختبر أصحابه إن كان أهلاً لذلك فيختبر أحوالهم ويتفقد أمورهم وقد فعل النبي ﷺ ذلك فمن كان عارفاً بربه غنياً به أعطى غيره وتركه كما روى البخاري[3] عن عَمْرُو بن تَغْلِبَ ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى النبي ﷺ مالٌ فأعطى قوماً ومنع آخرين، فبلغه أنَّهم عتبوا فقال: «**إني أعطي الرَّجل وأدع الرَّجل والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي، أعطي أقواماً لما في قلوبهم من الجزع والهلع، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب**» فقال عمرو: ما أُحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمر النَّعم.

وخرَّج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: قَسَمَ رسول الله ﷺ قَسْماً فقلت: يا رسول الله أعط فلاناً فإنه مؤمنٌ! فقال النبيُّ ﷺ: «**أو مُسلمٌ**» أقولها ثلاثاً ويرددها عليَّ ثلاثاً «**أو مُسْلِمٌ**» ثُمَّ قال: «**إنِّي لأعطي الرَّجل وغيره أحبُّ إليَّ منه مخافة أن يَكُبَّهُ الله في النَّارِ**»[4] لفظ مسلم وخرَّجا واللفظ للبخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ

---

(1) «الأسماء والصفات» (ص: 64).

(2) زيادة لاستكمال صفة «الخبير».

(3) في التوحيد (7535) باب (49) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: 19].

(4) رواه الإمام أحمد (1522) والبخاري (27) ومسلم (150) وأبو داود (4683) والنسائي (5007) والشاشي (89) والحميدي (68) وابن حبان (1522) وأبو يعلى (714) والبزار (1067) والطيالسي (198) وغيرهم.

قال: «**إنَّ من الشَّجر شجرةً لا يسقط ورقها وإنَّها مثل المُسلم فحدِّثوني ما هي؟**» قال: فوقع النَّاس في شجر البوادي. قال عبد اللّه: فوقع في نفسي أنَّها النَّخلة ثُمَّ قالوا: حدثنا يا رسول اللّه ما هي؟ قال: «**هيَ النَّخلةُ**»[1].

قلت: تشبيه النبي ﷺ المسلم بالنخلة قد جاء مبيناً في الحديث ذكره الحارث بن أبي أسامة عن النبي ﷺ قال: «**وهِيَ النَّخلةُ لا تَسقُطُ لها أنْمُلة**» وكذلك المسلم لا تسقط له دعوة فبين عليه السلام فائدة الحديث ومعنى المماثلة فاعلمه.

• ومنها:

6. الشَّهيدُ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤهُ

تكرر في القرآن وصفاً مُنكَّراً وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأُمَّة، ولا خلاف في إجرائه على العبد، وفي التنزيل: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً**﴾ [النساء: 41] قال الجوهري: والشهيد: الشاهد والجمع الشهداء. والشهيد: القتيل في سبيل اللّه قال غيره: والشهادة صفة يسمى حاملها: بالشاهد، ويُبَالَغ فيه بشهيد.

وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهي الحضور والوعي والأداء. أما الحضور: فهو شهود الشاهد المشهود. والوعي لكل ما شاهده وعلمه في شهوده ذلك. والأداء: هو الإتيان بالشهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك. فشهادته جَلَّ ذكره أصل الشهادات ومبعثها، يشهد سبحانه لنفسه بما هو له أهل وشهد لملائكته ورسله وكتبه بحقيقة ما هم عليه. وشهد لجميع الخليقة بما لها وعليها شهادة مشاهدة وحضور. يرى ويسمع ويعلم بصفات محيطة لا يغادر باطناً ولا ظاهراً من المشهود إلا شاهده، وشهد له جميع الخلائق بما هو أهله وشهدت على أنفسها ما ألزمها وما هي عليه. فكل شيء له شاهد وهو على كل شيء شهيد.

---

(1) رواه الإمام أحمد (5274) والبخاري (61) ومسلم (2811) والترمذي (2867) والحميدي (677) وابن حبان (243) وابن منده (190) وغيرهم.

قال العلماء: شهد الله سبحانه على سبعة أشياء: على التوحيد فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [آل عمران: 18] وعلى القرآن بقوله: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء: 166] وعلى نبوة المصطفى ﷺ فقال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: 28-29] وقال: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الإسراء: 96] وقال: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81] وعلى أعمال العباد فقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6] وقال: ﴿كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: 61] وقال: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 98] وعلى جميع الأشياء فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53] وعلى كذب المنافقين فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1] وعلى شريعة المصطفى فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19].

وقال ابن العربي: في الشهداء أربعة أقوال: **الأول**: إنه فعيل من شهد الشيء؛ إذا حضره واطلع عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] يعني من شهده صحيحاً في مستقره.

والثاني: الشهيد: العلم كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 18].

الثالث: الشهيد المقيم بما يقيم من البينة على حكمه كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6] أي يبين الله بما أقام من الأدلة على وحدانيته.

الرابع: أنه شهيد بمعنى مشهود أي مشهود له بالوحدانية: كقوله: ﴿بديع﴾ و﴿حكيم﴾ في أحد الوجهين قال: والأظهر في هذا أن يكون فعيلاً من فاعل فيكون من صفات الذات. ولا يبعد أن يقال إنه بمعنى مفعول فيكون له المعنيان.

قلت: «فشهيد» إذا كان بمعنى العلم يكون من صفات الذات، وإذا كان بمعنى المبين لخلقه وحدانيته، وإذا كان بمعنى مشهود فيكون مضافاً إلى من شاهد وجوده في الدنيا بعين اليقين وفي الأخرى بالتجلي الظاهر المبين. وهذا إذا يخصُّ في الدارين بالمؤمنين.

قال الأقليشي: والشهيد في سبيل الله فمن هذا المعنى، فإنه فعيل بمعنى مفعول.

قال ابن فارس اللغوي: في «المجمل» والشهيد: القتيل في سبيل الله. قالوا: لأن ملائكة الله تشهده، ويقال: سمي بذلك لسقوطه بالأرض والأرض الشاهدة. وقيل: سمي بذلك لشهادته على نفسه لله عزَّ وجلَّ حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111] الآية فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً ولذلك قال ـ عليه السلام ـ: «**والله أعلم بمن يكلم في سبيله**»(1) وقال في شهداء أحد: «**أنا شهيد على هؤلاء**»(2) لبذلهم أنفسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به فكل من شهد شيئاً فقد علمه وليس كل من علم بشيء شهده ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «**وددت أني قد رأيت إخواننا**»(3) فتمنى المشاهدة وإن كان عالماً بهم، ومنه قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (9087) وغيره بإسناد حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من يُكْلَمُ في سبيل الله، والله أعلمُ بمن يُكْلَمُ في سبيله، يأتي الجُرح لونه لون الدم، وريحه ريح المسك**» وانظره أخي الكريم مع شرحه في كتابنا «الانتصار».

(2) جزء من حديث رواه البخاري (4079) وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحدٍ في ثوبٍ واحد، ثُمَّ يقول: «**أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟**» فإذا أشير إلى أحدٍ، قدَّمه في اللحد، وقال: «**أنا شهيد على هؤلاءِ يوم القيامة**». وأمر بدفنهم بدمائهم و لم يصل عليهم و لم يُغسلوا.

(3) الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (7993) ومسلم (249) وأبو يعلى (6502) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه أتى المقبُرة، فسلَّم على أهل المقبُرة، فقال: «**سلامٌ عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون**»، ثم قال: «**وددتُ أنّا قد رأينا إخواننا**» قال: فقالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟ قال: «**بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطُهم على الحوض**» فقالوا: يا رسول الله، كيفَ تعرفُ من لم يأت من أُمّتك بعد؟ قال: «**أرأيت لو أنَّ رجلاً كانت له خيلٌ غُرٌّ مُحجّلةٌ بين ظهراني خيلٍ بُهمٍ دُهمٍ، ألم يكن يعرفُها؟**» قالوا: بلى. قال: «**فإنّهم يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحجّلين من أثر الوضوء، وأنا فرطُهم على الحوض**» ثم قال: «**ألا لَيُذادنَّ رجالٌ منكم عن حوضي كما يُذادُ البعير الضّالُّ، أُناديهم: ألا هلُمَّ، فيُقال: إنّهم بدّلُوا بعدك، فأقول: سُحقاً سُحقاً**» لفظ أحمد.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: 73] لما أراد التفصيل. فالشهيد يرجع معناه إلى العلم مع خصوص، والغيب عبارة عما يظن. والشهادة عبارة عما ظهر وهو الذي يشاهد، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو «العليم» وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو «الخبير» وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو «الشهيد» وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

قال الحليمي في معنى الشهيد: إنه المُطَّلِعُ على ما لا يعلمه المخلوقون إلا بالشهود وهو الحضور ومع ذلك إنه وإن كان لا يوصف بالحضور الذي هو المجاورة أو المقاربة في المكان، فإن ما يجري ويكون من خلقه لا يخفى عليه كما يخفى على [البعيد] النائي عن القوم ما يكون منهم، وذلك أن النائي إنما يُؤتى من قِبَلِ قُصور آلته ونقص جارحته، والله جَلَّ ثناؤه ليس بذي آلة ولا جارحة فيدخل عليه فيهما ما يدخل على المحتاج إليهما[1].

فيجب على كل مُكَلَّفٍ أن يعلم: أن الشهادة على الكمال إنما هي لله وأن جميع الشاهدين سواه يؤدون شهادتهم عنده قال الله تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: 69] ﴿يَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: 18] سبحانه وله الحمد جعل أنبياءه وملائكته وعلماءه شهداء بينه وبين عباده، ورضي قيامهم له بحجته في الدنيا والآخرة لعلمهم بما يشهدون علم استبصار ويقين مشهود قال الله تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 86] فلا يشهد في الدنيا إلا بما علم، كما لا يشهد في الآخرة إلا بما علمه، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 143]. روى البخاري[2] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا ربِّ فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم.**

---

(1) «الأسماء والصفات» (ص: 65) للبيهقي. والتصويب منه.

(2) في كتاب التفسير (4487) باب (13) قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ الآية [البقرة: 143].

فَيُقالُ لأُمتهِ: هل بلَّغكُم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهدُ لك؟ فيقول: مُحمَّدٌ وأُمَّتُهُ. فيشهدون أنه قد بلَّغ ويكون الرسول عليكم شهيداً. فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143].

قال بعض العلماء في تأويل هذه الآية أن المراد: يشهد بعضكم على بعض بعد الموت، كما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره من حديث أنس عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال حين مرت به جنازة فأُثني عليها شراً فقال: «**وَجَبَتْ وَجَبَتْ**» ومر عليه بأخرى فأُثني عليها خيْراً فقال: «**وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ**» وفيه فقال رسُولُ اللّه ﷺ: «**مَنْ أَثْنَيْتُم [عَلَيْهِ] خَيْراً وَجَبَتْ له الجنَّة ومن أثْنيتُمْ [عَلَيْه] شَراً وَجَبَتْ لَهُ النَّار أنتم شهداءُ اللّهِ في الأرضِ**»(1) ثلاث مرات في غير الصحيح وتلا ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ [البقرة: 143] ومعنى ﴿**وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ قيل: بأعمالكم يوم القيامة وقيل: ﴿**عَلَيْكُمْ**﴾ بمعنى: لكم، أي يشهد لكم بالإيمان. وقيل: يشهد عليكم بالتبليغ، فلا يشهد في الدنيا إلا ما تحققه علماً، وإن كانت على نفسه وأبيه وأمه لقوله تعالى: ﴿**وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا**﴾ [يوسف: 81] وقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: 86] وقال: ﴿**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ**﴾ [الطلاق: 2] وقال: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**﴾ [النساء: 135] وقال: ﴿**وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ**﴾ [البقرة: 282].

فينبغي للإنسان إن كانت له أهلية الشهادة إن رغب فيها؛ أن يتحلى بحليتها ويدخل في أبوابها ويسلك طرقها كي يكون مع الشاهدين، إذ هي أَرْفَعُ الرُّتَبِ وأَقْرَبُ القُرَبِ وأَقْصَدُ الطُّرق إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ. والشهداء: هم العدول وأهل العدالة قال اللّه تعالى: ﴿**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ [الطلاق: 2] وهو الاتصاف بكل خلق سَني وتجنب كل خلق دني، ولا يوصل إلى هذه المنزلة ويرتقى إلى هذه الرتبة إلا بالعلم

---

(1) رواه الإمام أحمد (12937) والبخاري (2642) ومسلم (949) والنسائي (1931) وابن ماجه (1491) وابن حبان (3023) والحاكم (1397) والبغوي (1507) وغيرهم.

والمداومة عليه [قال تعالى]: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: 114] فالعلم أصل الخِصالِ الشريفة، والعلم به يرقى إلى المنازل الرفيعة المنيفة.

وإذا كان بهذه المنزلة وجب إكرامه وتعظيمه وإجلاله ومنه الحديث: «**أكرِمُوا الشُّهود فإنَّ اللّهَ يستخرجُ بهِمُ الحقوقَ ويدفعُ بِهِـمُ الظُّلم**»[1] فأمر بإكرام الشهود وهم الذين تثبت عدالتهم وتزكيتهم عند حكام المسلمين، وذلك بما أكرموا به دينهم من الصيانة وحفظ المروءة والأمانة والصدق، وتجنب الكذب والخيانة والتحلي بمكارم الأخلاق، والتنزه عن مدانيها، فأكرموا بقبول الشهادة وسماع قولهم على غيرهم. فصاروا في الشرع سبباً لاستخراج الحقوق ودفع الظلم عن المظلوم. فلهذا حقت كرامتهم وحرمت إهانتهم، وإكرامهم: بالتوقير والتبجيل وحفظ الجانب وكف أذى من شهدوا عليه بالحق أن يتعرض لهم بأمر، ويحرم عليه كتمان الشهادة. قال اللّه تعالى: ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: 283] وخَصَّ القلب لأنه المتحمل للشهادة، وكذلك يحرم أن يشهد بباطل وزور. قال اللّه تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: 30].

وأعظم الكذب وأقبح الزور؛ الشهادة على اللّه سبحانه بما ليس به، وكذلك على أنبيائه قال ﷺ: «**إنَّ كَذِباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحدٍ فمن كذب عليَّ مُتعمِّداً فليتبوأ مقعدهُ من النّار**»[2] ويجب عليه أن يعلم إن كان شاهداً أنه مشهود عليه في كل حال

---

(1) أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (1267) والخطيب البغدادي (94/5) والسيوطي في «الجامع الصغير» (54/1) والشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص: 200) وفي «الموضوعات» (ص: 33) وأورده الذهبي في «الميزان» (63/1) وغيرهم كلهم من حديث عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما، به. وهو حديث منكر حكم أهل الحديث بوضعه.

(2) رواه الإمام أحمد (18265) والبخاري (1291) ومسلم (4) و(933) والترمذي (1000) وغيرهم من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه، به.

وانظره أخي الكريم مع شرحه في بابه في كتابنا «جامع المهلكات» (ص: 490) كتاب حرمة التطاول على اللّه تعالى وحرمة رسوله الكريم.

من فعل ومقال، قال اللّه العظيم: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: 61] وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10-12] وقال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29] فيلزمه التحفظ في اعتقاده وأفعاله وأقواله وجميع أحواله. روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول اللّه ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: 4] قال: «**أتدرون ما أخبارها**» قالوا: اللّه ورسوله أعلم قال: «**فإنّ أخبارَها أن تشهد على كُلِّ عبدٍ بما عَمِلَ على ظهرها أن تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا فهذه أخبارُها**»[1] قال: حديث حسن غريب. وذكر أبو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «**ليس من [يوم] يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غداً شهيد فاعمل فيّ خيراً أشهد لك به غداً فإني لو قد مضيت لم ترني أبداً ويقول الليل مثل ذلك**» قال: حديث غريب من معاوية تفرد به عنه زيد العمي[2] ولا أعلمه مرفوعاً عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

• **ومنها:**

6 - الحَسِيبُ

جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أَسْماؤُهُ

ورد في القرآن وصفاً منكّراً قال اللّه تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: 6] وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأُمّة، ويجوز إجراؤه على العبد وصفاً مُنكَّراً

---

(1) رواه الإمام أحمد (8876) والترمذي (3353) والنسائي في «الكبرى» (11693) والحاكم (3965) وابن حبان (7360) وغيرهم، وإسناده ضعيف.

(2) زيد العمي: ضعيف قال عنه ابن معين: صالح، وقال عنه مرة: لا شيء، وقال عنه مرة: ضعيف. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال أبو داود: ليس بذاك. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه ضعيف، على أن شعبة قد روى عنه، ولعل شعبة لم يرو عن أضعف منه. وقال علي بن مصعب: سمي العمي؛ لأنه كان كلما سُئل عن شيء؟ قال: حتى أسأل عمي! «تهذيب التهذيب» (3/223-224) ترجمة (2203).

من غير خلاف، وهو لفظ مشترك فقد يكون فعيل بمعنى: مفعل، كأليم بمعنى مُؤلم. ونذير بمعنى: مُنذر، وبصير بمعنى: مبصر. وكريم بمعنى: مُكرم. ومعناه: الكفاية وسد جميع الخلة. تقول: أعطاني فأحسبني؛ معناه حتى قلت: حسبي أي كفاني. ومنه قوله تعالى: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: 36] أي كافياً ومنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] ومن ذلك قول الشاعر:

إِذَا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ ... فَحَسْبُكَ والضَّحَاكُ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[1]

معناه يكفيك ويكفي الضحاك، ومعنى الآية: يا أيها النبي كافيك اللّه وكافي من اتبعك. إلا أن الكفاية تكون بإغناء المحتاج ودفع السوء والمضار عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] وقال الشاعر:

ونغني وليد الحي إن كان جائعاً ... ونحسبه إن كان ليس بجائع

وهو معنى ما روي عن سماك بن حرب أنه قال: احسبوا ضيفي أي: اكفوه جميع مؤونة وادفعوا عنه ما يسوءه[2]. ويحتمل أن يكون الحسب والكرم. قال السماك بن حرب في كلام له: ما حسبوا ضيفهم. أي ما أكرموه. ويحتمل أن يكون بمعنى محاسباً فيكون فعيل بمعنى مفاعل؛ كالقريب بمعنى مراقب، والنديم بمعنى منادم، وشريب بمعنى مشارب وأكيل بمعنى مؤاكل، قال اللّه تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: 6] أي محاسباً، وقد يكون بمعنى حسب يحسب من العدد ومنه قوله عليه السلام: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**»[3] وقوله تعالى:

(1) استشهد به في «تاج العروس» (421/1) مادة ـ حسب ـ ولم ينسبه لقائله.

(2) وجاء في «تاج العروس» (421/1): وفي حديث سماك، قال شُعبة: سمعته يقول: ما حَسَّبُوا ضيفهم شيئاً. أي: ما أكرموه. كذا في «لسان العرب».

(3) رواه الإمام مالك في «موطئه» (634) في الصيام. ورواه أحمد (4488) والبخاري (1900) ومسلم (15/1080) وأبو داود (2319) والنسائي (2119) وابن ماجه (1655) والدارمي (1684) وابن خزيمة (1905) وغيرهم من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا» وعقد الإبهام في الثالثة «والشهر هكذا وهكذا وهكذا» يعني تمام الثلاثين. لفظ مسلم.

﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ [النبأ: 36] وقوله: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: 14] يحتمل أن يكون منه بوجه، يقال من ذلك في الحسبة والحسبان بمعنى: احتساب الآخر، وقال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [النساء: 6] أي كفى به لمن احتسب عليه عمله حسيباً بعمله بمقادير الحسنات والسيئات، وموقع الأعمال وأعدادها قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 94] وقد يراد به المنزلة والشرف تقول: فلان حسيب؛ أي معرق له أجداد كرام، وقوم حسباء: أي أشراف.

وأصل هذا البناء موجود عن الحساب أي؛ أن الشريف يحسب لنفسه في الشرف آباء عدة، وليس من هذه الجهة يتعرف اسم الحسيب الحق سبحانه، وقال ابن السكيت: الحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء أشراف. قال: والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء[1].

---

(1) قال في «تاج العروس» (420/1) ـ مادة حسب ـ قال الأزهري: والفقهاء يحتاجون إلى معرفة الحسب، لأنه مما يُعتبر به مهر مثل المرأة إذا عُقِدَ النكاح على مهر فاسد أو هو الشرف الثابت في الآباء دون الفعل. وقال شمر في غريب الحديث: الحسب الفعال الحسن له ولآبائه، مأخوذ من الحساب إذا حسَبُوا مناقبهم، وقال المُتلمس:

ومن كان ذا نسبٍ كريمٍ ولم يكنْ
لــه حســبٌ كــان اللَّئيــم المُذمَّمــا

ففرَّق بين الحسب والنسب، فجعل النسب عدد الآباء والأمهات إلى حيث انتهى، أو الحسب هو البال أي الشأن، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: «**حسبُ المرءِ دينُهُ، ومُرُوءتُه خُلُقُهُ، وأصلُهُ عقلُهُ**» وفي آخر أن النبي ﷺ قال: «**كرمُ المرء دينُهُ، ومُرُوءتُهُ عقلهُ، وحسبُهُ خُلُقُهُ**» ورجل شريف ورجل ماجد: له آباء متقدمون في الشرف، ورجل حسيب ورجل كريم بنفسه، قال الأزهريُّ: أراد أن الحسب يحصل للرجل بكرم أخلاقه وإن لم يكن له نسبٌ، وإذا كان حسيب الآباء فهو أكرم له. أو الحسب والكرم قد يكونان لمن لا آباء له شرفاء، والشرف والمجد لا يكونان إلا بهم قاله ابن السكيت واختار الفيومي، فجعل المال بمنزلة شرف النفس والآباء، والمعنى أن الفقير ذا الحسب لا يوقَّر ولا يُحتفل به، والغنيُّ الذي لا حسب له يوقَّر ويجلُّ في العيون، وفي حديث وفد هوازن قال لهم: «اختاروا إحدى الطائفتين=

- إمَّا المال وإمَّا السَّبي، فقالوا: أمَّا إذ خيرتنا بين المال والحسب فإنَّا نختار الحسب»، فاختاروا أبناءهم ونساءهم، أرادوا أن فكاك الأسرى وإيثاره على استرجاع المال حسب وفعال حسن، فهو بالاختيار أجدر وقيل: المراد بالحسب هنا عدد ذوي القرابات، مأخوذ من الحساب ، وذلك أنهم إذا تفاخروا عدُّوا مناقبهم ومآثرهم، وفي التوشيح: الحسب: الشرف بالآباء والأقارب، وفي الأساس: وفلان لا حسب له ولا نسب: وهو ما يحسبه ويعدُّه من مفاخر آبائه، قال شيخنا: وهذه الأقوال التي نوَّع المصنِّف الخلاف فيها، كلها وردت في الأحاديث، وكأنَّ النبي ﷺ لَمَّا عَلِمَ من اعتنائهم بالمفاخرة والمباهاة كان يبيِّنُ لهم أن الحسب ليس هو ما تعدُّونه من المفاخر الدنيوية والمناقب الفانية الذاهبة، بل الحسب الذي ينبغي للعاقل أن يحسبه ويعدَّه في مفاخراته هو الدين، وتارة قال: هو التَّقوى، وقال لآخر ممن يريد ما يفخر به في الدُّنيا: المال، وهكذا، ثم قال: وكان بعض شيوخنا المحقِّقين يقول: إنَّ بعض أئمَّة اللغة حقَّق أن مجموع كلامهم يدلُّ على أن الحسب يستعمل على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون من مفاخر الآباء، كما هو رأي الأكثر. الثاني: أن يكون من مفاخر الرجل نفسه، كما هو رأي ابن السكيت ومن وافقه، الثالث: أن يكون أعمَّ منهما من كل ما يقتضي فخراً للمفاخر بأي نوع من المفاخر، كما جزم به في المغرب ونحوه، فقول المُصنف: ما تعدُّه من مفاخر آبائك هو الأصل والصَّواب المنقول عن العرب، وقوله أو المال إلى الشرف، كلها ألفاظ وردت في الحديث على جهة المجاز لأنها مما يفتخر به في الجملة، فلا ينبغي عدُّه أقوالاً ولا من المعاني الأصول، ولذا لم يذكرها أكثر اللغويين، وأشار الجوهري إلى التجُّوز فيها أيضاً. انتهى. وقد حسب الرجل بالضم حسابةً بالفتح كخطب خطابة، هكذا مثله أئمَّة اللُّغة كابن منظور والجوهري وغيرهما، وتبعهم المجد، فلا يتوجه عليه قول شيخنا: ولو عبَّر بكرم كرامة كان أظهر، وحسباً، مُحرَّكة، فهو حسيب أنشد ثعلب:

وَرُبَّ حسيب الأصل غير حسيب

أي له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو، ورجل كريم الحسب من قوم حُسباء.

وحَسْبُ، مجزوم، بمعنى كفى. قال سيبويه: وأمَّا حسب فمعناها الاكتفاء، حسبك درهم أي كفاك، وهو اسم، وتقول: حسبك ذلك، أي كفاك ذلك، وأنشد ابن السكيت:

ولم يكُنْ مَلَكٌ للقومِ يُنزلُهُمْ
إلاَّ صَلاصِلَ لا يلْوى عَلَى حَسَبِ

اهـ مختصراً.

وقد تقدم هذا في باب «المجيد» والذي يصح جملة من هذا الاشتراك في حق الخالق سبحانه ثلاثة معان: الشرف، الكفاية، حفظ المقادير المعدودة عنده سبحانه المحصاة في علمه، وذلك كله راجع إلى ما وجب له من صفات الكمال والنزاهة والجلال، وهو: الشرف المطلق غير مقيد بشيء ولا يكتسب من شيء. وإلى إحصائه جميع الممكنات علماً وعدداً وتقديماً وتأخيراً وزيادة ونقصاناً، وإلى إقامة المحتاجين بما يكفيهم. فعلى هذا يكون من صفات الذات، ويكون من صفات الأفعال وقد يكون بمعنى المحاسبة من قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47] فعلى هذا تكون المعاني كلها لائقة به سبحانه.

وقال قوم: «الحسيب» العالم، ومعنى هذا الكلام الشهود. فإذا قال الرجل للرجل: حسبك الله، فمعناه: الله عالم بظلمك ومجازٍ لك عليه. واحتجوا بقول المخبل السعدي:

ولا تدخلن الدهر قبرك حوبة ... يقوم بها يوماً عليك حسيب

معناه يحاسبك عليها بها.

فيجب على كل مُكَلَّفٍ أن يعلم: أن الله سبحانه هو «الحسيب» بكل معنى قدمناه وأنه المنفرد بذلك، ويجب عليه أن يُحَاسِبَ نفسه قبل أن يُحَاسَبَ، وأن يرعى كفاية الله تعالى له. قال رسول الله ﷺ: «**الحمدُ للهِ الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافي له ولا مُؤوِي**»[1] ويجب عليه أن يعطي كفاية من يُمَوِّنُهُ، قال رسول الله ﷺ: «**كَفَى بالمرءِ إثماً أن يُضَيِّعَ من يَقُوتُ**»[2].

---

(1) رواه الإمام أحمد (12553) ومسلم (2715) وأبو داود (5053) والترمذي (3396) والنسائي في «الكبرى» (6/10635) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله...» الحديث وذكره.

(2) رواه الإمام أحمد (6819) ومسلم (996) وأبو داود (1692) وعبد الرزاق في «مصنفه» (20810) وابن حبان (4240) والنسائي في «الكبرى» (9176) والحميدي (599) والقضاعي في «مسند الشهاب» (1411) والبيهقي في «الكبرى» (25/9) وغيرهم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، بألفاظ متقاربة.-

• ومنها:

7 ـ التَّامُّ

جلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسماؤهُ

جاء ذكره في عداد الأسماء ومعناه: الكاملُ في ذاته، الكامل في صفاته، السالم الذات والصفات من النقائص والآفات. له الأسماء الحسنى والصفات العلى، سبحانه أن تكون له صفة تخالف الفضل والكمال، هو الكبير المتعال وله العِزَّةُ والجلال. وفي الحديث: «**الجَذَعُ التَّامُّ والتَّمَمُ يُجْزِئ**»[1] يقال: تَمَّ وتُمَّ بمعنى واحد وهو التَّام الخلق كاملها.

تم الكتاب بفضل الله عزَّ وجلَّ وجوده وكرمه مساء يوم الجمعة الموافق (11) شوال عام 1424هـ الموافق 5 كانون أول 2003م.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عرفان

= قال الإمام السندي ـ رحمه الله تعالى ـ وحاصل الحديث: أنه لا ينبغي المساهلة في الإنفاق على من تلزم الإنسان نفقته، ويلزمه البداية بهم في الإنفاق، وليس له الإنفاق على غيرهم مع حاجتهم، والله تعالى أعلم.

(1) أورده ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (197/1)، من حديث سلمان بن يسار رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الجَذَع التَّامُّ يُجزئ**» ويروى: «التام التمم».
قال: يُقال: تِمٌّ وتَمٌّ بمعنى: التَّامُّ. ويروى: «الجَذَع التَّامّ التَّمَمُ» فالتَّامُّ: الذي استوفى الوقت الذي يُسمى فيه: جَذَعاً، وبلغ أن يُسمى ثنياً، والتَّمَم: التَّام الخلْق، ومثله: خَلْقٌ عَمَم.
قال (520/1): وأصل الجَذَع من أسنان الدَّوابِّ، وهو ما كان منها شابًّا فتياً، فهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة، ومن البقر والمعز ما دخل في السنة الثانية، وقيل: البقر في الثالثة، ومن الضأن ما تمت له سَنَةٌ، وقيل: أقل منها. ومنهم من يخالف بعض هذا في التقدير.

الفهرس

القسم الأول

في جماع ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الباري جلّ ثناؤه والاعتراف بوجوده

القسم الثاني

فِي جَمَاعِ ذكرِ الأَسْماءِ الَّتِي تتبع إِثْبَات وحدَانِيَتِهِ عزَّ اسْمُهُ وتَعَالى جَدُّهُ

القسم الثالث

في جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده

القسم الرابع

في جَماعِ أبْوابِ ذِكْرِ الأسْماءِ التي تَتْبَعُ إثباتَ الإبْدَاعِ والاخْتِرَاعِ لَهُ سُبْحَانَهُ

القسم الخامس

في جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه